اشهر الحوادث واعظم الرجال

حرب القريم

بين الدولة العلية والروس

سنة ١٨٥٤ - ١٨٥٦

كثر تحدث الناس في هذه الاثناء بحصار بور ارثر وامتناعها على اليابانيين في الحرب الجارية بين الروس واليابان . فاذكرنا ذلك حصار سبا-تبول في اثناء حرب القريم باواسط القرن الماضي فرأينا ان نذكر تاريخ تلك الحرب لمقابلة بينها وبين هذه والتاريخ يعيد نفسه

✻ روسيا سنة ١٨٥٢ ✻ اصيبت اوربا في اواسط القرن الماضي بنكبات داخلية وخارجية وثورات متوالية هزت عروش ملوكها واضعفت عزائم جيوشها وافرغت خزائنها . فالفرنساويون نكبوا بنزول الدولة الاورليانية سنة ١٨٤٨ ثم قيام الدولة النابوليونية والنمسا اضطر ملكها فرديناند الاستقالة من منصة الملك وتسليم الصولجان لابن اخيه فرنسيس يوسف . واصيبت بروسيا بنحو ذلك الانقلاب حتى اضطر ملكها فريدريك وليم الرابع للوقوف حاسر الرأس على شرفة قصره في برلين بين ضجيج الثائرين والبابا بيوس التاسع أخرج من رومية ولم يرجع الا بمساعدة فرنسا . ويقال نحو ذلك في الولايات الجرمانية وغيرها . وبالجملة فقد كانت عروش اوربا في اضطراب وضعف الا روسيا فانها كانت في راحة وطمأنينة لنجاتها من ثورة سنة ١٨٤٨ حتى بولندا مع رغبتها في اغتنام الفرص لخلع نير الروس ظلت هادئة في ظل القيصر . فغلب على اذهان رجال السياسة يومئذ ان روسيا اقوى دول اوربا واثبتها واغناها واصبح ملوك اوربا يستنجدونها في تخفيف ويلاتهم ولولا جيوشها لم تستطع النمسا تأييد سلطانها على المجر . وكانت قوتها تتعاظم ونفوذها يتسع منذ تولاها القيصر نقولا الاول

✻ القيصر نقولا الاول ✻ هو ابن بولس الاول تولى الملك سنة ١٨٢٥ وهو في



القيصر نقولا الاول

حدود الثلاثين من عمره واظهر في مدة حكمه حزماً وسياسة وبطشاً · وكان طويل القامة جميل الطلعة مع هيبة ووقار تجلي في محياه البسالة والقوة · وكان قوي الارادة مثل اكثر رجال اسرة رومانوف وكان شديد التعلق بالجندية وتنظيمها على ان يتولى ذلك بنفسه · ومما زاده اختباراً وعلماً انه سافر الى اوربا وتعهد كثيرا من احوالها وقد زار انكلترا سنة ١٨٤٤ وكان لتلك الزيارة شأن في مستقبله وتأثير على مخيلته · وذلك ان الانكليز عرضوا له جيوشهم وهي يومئذ اقل عددا واضعف قوة مما كانت عليه قبلاً فغلب في اعتقاده ضعف الدولة الانكليزية وقلة جيوشها وترتب على هذا الاعتقاد استخفافه بها عند انتشاب حرب القريم كما سيأتي

☀ سياسة روسيا ☀ من الامثال الروسية القديمة ان الروسي يقعد على شاطىء البحر ينتظر المد والجزر · وفي ذلك اشارة صريحة الى صبر الروس في انتظار الفرص واغتنامها وكذلك شأن قياصرتهم من اقدم ازمانهم واذا كان في نفوسهم امر ولم تمكنهم الفرصة من نيله عهدوا به الى خلفائهم · ومن هذا القبيل مايتناقله الناس عن بطرس الاكبر ووصيته · وخلاصة ماتنطوي عليه تلك الوصية (١) اخراج الاتراك من اوربا (٢) توسيع املاك روسيا جنوباً ٣ تأييد نفوذ الروس على امارات الدانوب · وهي مشروعات

شاقة يقتضي لها صبر طويل . وكأن خلفاء بطرس تربصوا على الشاطىء في انتظار المد الى ايام نقولا الاول فلما رأى دول اوربا في ما تقدم من التضعضع والاضطراب استبشر بدنو الفرصة المناسبة وانه اذا عزم على انفاذ الوصية لا يرى من تلك الدول معارضة لاشتغال كل منها بنفسها فضلاً عما بينه وبين بعضها من التحالف — الا انكلترا فقد كانت بالمرصاد لكنه كان يعتقد ضعفها للاسباب التي قدمناها . على انه رأى ان يجتذبها اليه او يكتسب حيادها فاجتمع في ٩ يناير سنة ١٨٥٣ بسفيرها يومئذ السير هملتون سيمور اجتماعاً طويلاً صرح له في اثنائه بمقاصده وكان السفير المذكور شديد الاحترام للقيصر فأصغى له وسعى في تنفيذ غرضه وذلك ان توافقه انكلترا على رأيه في انفاذ وصية بطرس الى ان قال القيصر « فاذا وافقتني انكلترا فأنا في مأمن من سائر دول اوربا ولا يهمني ما قد يكون منهن » ثم استأنف الحديث عن المملكة العثمانية وبين انها في اضطراب واختلال وقد اخذت في الانحلال وانه لا ينبغي لدولة من دول اوربا ان تعمل عملاً في هذا السبيل الا بالاتفاق مع الدول الاخر الى ان قال « وبين ايدينا الآن رجل مريض قد تمكن منه الداء ومن ضعف الرأي ان يفرّ من قبضتنا قبل الفراغ من الوسائل اللازمة للاتفاق فيما بيننا بشأن تركته ومع ذلك فليس هذا وقت البحث في هذا الموضوع » وعاد القيصر بعد بضعة ايام الى مخاطبة السفير وصرح له في هذه الجلسة بحقيقة غرضه فقال انه ينوي حل المملكة العثمانية ويرجو من انكلترا ان لا تعرقل مساعيه في هذا السبيل وانه لا يدري لماذا لا تكون مصر مستعمرة انكليزية وكذلك كريد . فاجاب سيمور انه يأسف لعجزه عن مجاراة القيصر في غرضه لان انكلترا تعتبر بقاء المملكة العثمانية ضرورياً لسلام اوربا فضلاً عن ان امتداد سطوة الروس على الدانوب ودخول الاستانة في حوزتها رأساً او ضمناً يعد اجحافاً بحقوق سائر الدول وان الاولى معالجة هذا المريض حتى يشفى . فتظاهر القيصر حينئذ بعدوله عن ذلك الرأي وهو يضمر الاصرار على نيل غرضه بطرق أخرى

(حماية المسيحيين في الشرق) ولا يخفى ان في المملكة العثمانية عدداً عظيماً من المسيحيين واكثرهم من تابعي الكنيسة الارثوذكسية التي يعتبر القيصر رئيساً عليها وقد ورد في غير معاهدة بين الدولة العلية والروس اعتراف الباب العالي لقيصر الروس اعترافاً مبهماً يخوله الدفاع عن حقوق المسيحيين الارثوذكسيين في المملكة العثمانية او حمايتهم مما قد ينتابهم من الشدائد ليس لان الحكومة العثمانية تضطهد رعاياها المسيحيين ولكن بالنظر لضعف بعض الولاة كان ينهض بعض المتعصبين من المسلمين على اهل

الطوائف الاخرى وبيوتهم فاغتنم القيصر نقولا هذه الفرصة وطلب من الباب العالي ان يعترف له صريحاً بأنه حامي حمى النصرانية في المملكة العثمانية • فرأت الدول في هذا الطلب اجحافاً اذ يكون القيصر بذلك حاكماً على مسيحي المملكة العثمانية وستكون تلك الحماية باعثاً على حلّ الحكومة العثمانية وقيام الروسية مكانها

واتفق في أثناء ذلك قيام اهل الجبل الاسود وهم ارثوذكسيون تحت رعاية الدولة العثمانية ويقال ان قيامهم مبني على دسائس روسية فثاروا على حكومتهم وطلبوا الحاق كنائسهم بكنيسة روسيا بدلاً من كنيسة الاستانة • فبعث الباب العالي جنداً تحت قيادة عمر باشا القائد الشهير لاخماد ثورتهم خوفاً من امتدادها الى ما جاورها من الولايات السلافونية وتداخلت النمسا في الامر حسداً من روسيا على ما قد تناله بسبب تلك الثورة من التداخل بحجة حماية المسيحيين واشارت على السلطان مشورة اخمدت بها تلك الثورة ولم تترك للروس سبيلاً للمداخلة

وكان نابوليون الثالث من الجهة الاخرى واجداً على القيصر لانه استخف به في بعض الاحوال • فلما رأى ما يتمتع به من حماية المسيحيين الارثوذكسيين في المملكة العثمانية ولو بالاسم حدثته نفسه ان يطلب حق حماية الطوائف المسيحية التابعة لكرسي رومية • فبحث في دفاتر المعاهدات القديمة فوجد معاهدة من زمن فرنسيس الاول تقتضي المساواة بين المسيحيين التابعين للكنيسة اللاتينية والتابعين للكنيسة الارثوذكسية في حقوقهم بالنظر الى القبر المقدس • فطلب من الباب العالي ان يعترف له بتلك الحماية فغضب القيصر لهذا الطلب وبعث الى السلطان عبد المجيد يومئذ سفيراً يطلب اعترافه بحماية المسيحيين الارثوذكسيين اعترافاً صريحاً • ولكنه ارسل في تلك السفارة البرنس منتشيكوف وهو رجل شديد اللهجة فظ العبارة تجاه الاستانة والامور الخارجية الى فؤاد باشا الوزير الشهير فلم يشأ منتشيكوف ان يخابره وانما طلب مقابلة السلطان رأساً فآلت مهمته الى الفشل وعاد بجواب الرفض

(اشهار الحرب) خرج البرنس منتشيكوف من الاستانة وهو يتهدد ويتوعد فلما بلغ رسالته أمر القيصر بثمانين الف يقطعون نهر بروت الفاصل بين املاك روسيا وولايتي الفلاخ والبغدان ويقيمون هناك حتى يسلم الباب العالي بطاليبه • فقال له احد كبار رجاله يومئذ « ان هذا العمل عبارة عن اشهار الحرب » فقال القيصر « لا يتجرأ أحد على محاربتي الا اذا كانت انكلترا معه وانكلترا لاقدرة لها على الحرب » على انه تيقظ وتأهب للمعاقبة فبعث الى

رعاياه بالمنشورات يحرضهم فيها على نصرة المسيحيين في الشرق وانه انما يحارب الاتراك صيانة للنصرانية وانه يسحب جيوشه عن الحدود حالما يتعهد له الباب العالي بصيانة المذهب الارثوذكسي

وكانت حكومات اوربا فضلاً عن اشتغالها بشؤونها لا ترى الحرب . وكانت تود ان تبني جسراً من الذهب يرجع عليه الروسيون عن عزمهم .. فكتبت انكلترا وفرنسا والنمسا وبروسيا كتاباً مشتركاً بعث به الى القيصر طلبت اليه فيه ان يخفف من مطاليبه . فأبى . فلما رأى الباب العالي اصرار الروس على الحرب نشر مثل منشورات القيصر في رعاياه وفي ٤ اكتوبر سنة ١٨٥٣ اعلن الحرب رسمياً . وكانت انكلترا وفرنسا قد تحالفتا والقيصر لا يعلم ولا يكاد يصدق امكان تلك المحالفة لما يعلمه من العداوة المتأصلة بين هاتين الدولتين من أيام نابوليون الاول — فكيف يحالف الانكليز ابن اخي نابوليون عدوهم الألد و يستعينون به على القيصر نقولا ابن حليفهم ونصيرهم في قهر ذلك العدو . ولا غرو اذا وقع ذلك التغيير موقع الاستغراب لدى القيصر فانه ملك مطلق يقود مملكته بعواطفه وارادته وليس كذلك الملوك المقيدون فانهم يقودونها بارادة الشعب ولو خالفت عواطف الملك أو ارادته . وأما بروسيا فظلت على الحياد وكذلك النمسا

وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٥٣ امضيت المعاهدة بين انكلترا وفرنسا والباب العالي ان يساعداه على روسيا بالقوة العسكرية اذا لم يصغ القيصر لتوسطهما وأخذت الدول الثلاث في حشد الجنود وارسالها الى الحدود

سارت الجنود العثمانية بقيادة عمر باشا فالتقت بالروس في اولتنيزا على الدانوب (الطونة) وكانت الغلبة للعثمانيين مع قلة عددهم فازدادت الدولتان رغبة في نصرتهم فبعثتا بالاساطيل الى البوسفور ومنها الى البحر الاسود والمخابرات بشأن التسوية كانت مع ذلك لا تزال جارية . فاعترضت روسيا على دخول الاساطيل الى البحر الاسود ولما لم تر اصغاء عمدت الى القوة فبغت اسطولها عمارة عثمانية في مينا سينوب على شواطىء البحر الاسود لحطمها وقتل كل رجالها بعد ان دافعوا دفاع الابطال — وما اشبه ذلك بما فعله اليابان في بداية هذه الحرب بالدوارع


عمر باشا

الروسية في مينا شمولبو . واختلف السياسيون في واقعة سينوب كما اختلفوا في واقعة شمولبو فعدها بعضهم قانونية وقال آخرون انها تعدٍّ لان المخابرات كانت لا تزال جارية لحل المسألة بالسلم . وفي كل حال فقد ذهبت بقية الامل في الصلح واصبح الرأي العام الانكليزي ضد روسيا واخذت جرائد انكلترا وخصوصاً التيمس تنشر المقالات الضافية طعناً في القيصر واحكامه وتحاملت عليه كثيراً وخصوصاً بعد ان تولى وزارتها اللورد بالمرستون صديق نابوليون الثالث . فقامت انكلترا على ساق وقدم في حشد الجيوش ونادى منادي الانكليز في ٢٧ مارس سنة ١٨٥٤ في شوارع لندرا وسائر مدنها العظمى انها شهرت الحرب على روسيا وكذلك فعل الفرنساويون . وكان قائد الجنود الانكليزية في تلك الحرب اللورد ريكلان ويعرف باللورد سمرست وهو من قواد معركة ووترلو الشهيرة وقائد الفرنساويين المارشال ارنو . ومن قواد الاسطول اتحد السير شارل نابيه من عائلة نابيه الشهيرة

اما الروسيون فانهم عمدوا الى اكتساح المملكة العثمانية من الشمال ولكنهم لم يستطيعوا ذلك واضطر قائدهم الجنرال بسكيفتش ان ينسحب بجيوشه عن الدانوب بعد ان فرغت حيلته في فتح سيليستريا وكانت حاميتها من الاتراك بقيادة ضابطين انكليزيين من قواد الهند . وتبرهن اذ ذاك للملأ ان الجند العثماني انما يحتاج الى قواد ماهرين وهو عند ذلك من اقوى جنود الارض . وقد ذكروا من بسالة الجنود العثمانية هناك ان ثلاثة ممن كانوا يشتغلون في حفر خندق اصابهم الرصاص فقتلوا في بضع دقائق فتقدم رفاقهم وتناولوا الجارف والمعاول من ايديهم واخذوا يشتغلون مكانهم وهم لا يبالون بالرصاص المتساقط عليهم كانهم يحفرون قناة في بعض احياء المدينة

وكانت الدولتان المتحالفتان قد بعثتا جنداً برياً ٣٠,٠٠٠ انكليزي تحت قيادة اللورد ريكلان و ٤٠,٠٠٠ فرنساوي بقيادة المارشال ارنو ونزل الجيشان في غاليبولي على شاطىء الدردنيل فوقع بين القائدين الفرنساوي والانكليزي نزاع في من يتولى قيادة الجنود التركية واراد ارنو ان يكونوا تحت قيادته فابى عليه ريكلان ذلك وانصرفت المشكلة برجوع ارنو عن عزمه . ثم اختلفا في خطة المسير فاراد ريكلان ان تزحف الجيوش الى وارنا اولاً واراد ارنو ان يحتلوا الروملي وراء البلقان . وغلب الانكليزي بثباته فسارت الحملة نحو وارنا على الشاطئ الغربي للبحر الاسود ويقال انهم كانوا يسمعون اطلاق القنابل على سيليستريا من هناك

واصاب الحملة المتحدة في وارنا نكبة ما زال التاريخ يذكرها — وذلك ان المعسكر اصيب في ١٠ اوغسطس بحريق ذهب بمعظم ذخيرته ومؤنته ثم تفشت الكوليرا في الجند ففتكت

فتكاً ذريعاً وتطرقت الى الدوارع وبلغت الوفيات من هذا الوباء ١٠،٠٠٠ نفس حتى كادت عزائم الجيوش تخور واذا بالاخبار عن تقهقر بسكيفتش قد وصلتهم فانتعشت آمالهم وجددوا العزيمة للحمل على بلاد الروس



حصون سباستبول

﴿ بلاد القريم ﴾ هي شبه جزيرة في شمالي البحر الاسود دخلت في حوزة العثمانيين سنة ١٤٧٥ على ان تبقى حكومتها في ايدي خاناتها وفي سنة ١٧٨٣ استولى عليها الروسيون بعد حرب ومعاهدة على يد كاترين الثانية . وهي كثيرة الحصون والقلاع واهمها حصون سباستبول في الجنوب الغربي من شبه جزيرة القريم وهي مبنية في شبه مرسح (امفيتياتر) على اكمات مسطحة القمة وقد عني الروس في تحصينها سنة ١٨٣٠ فبنوا عليها الاسوار ومهندسها انكليزي . وجعلوها اكبر مستودعاتهم للذخائر والمهمات في البحر الاسود واحصن ملجأ لعماراتهم . وهي مؤلفة من عدة حصون وابراج اشهرها حصن ماملون فير وحصن ملاكوف وحصن جران ريدان

فلما رأت الدولتان المحالفتان فشل جند الروس على الدانوب اشتدت عزائمهما وقويت آمالها في قهر الروس فارتأتا فتح القريم فبعثت كل منهما الاوامر الى قوادها بالانتقال الى هناك فوصلوا الى يوباتوريا على شاطىء القريم الغربي على ٣٠ ميلاً من سباستبول قرب ضفاف نهر الما . فنزلوا هناك في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٥٤ ولم يلاقوا معارضة

ثم اغتنموا قطيعاً من الماشية كان ماراً بهم وتفاءلوا بتلك الفاتحة . لكنهم مالبثوا ان عادوا الى الاختلاف بين قائديهم فاراد ارنو ان يسير كل من الجيشين على حدة واعترضه ريكلان وبيّن له وجوب الاتحاد لان الروسيين يحصنون تحصيناً منيعاً في سباستبول فاقتنع رغم ارادته . والمظنون ان شذوذ أرنو في آرائه باثناء هذه الحملة متصل بسبب صحي لانه كان قد اشرف على اجله

واصبح عدد رجال تلك الحملة يومئذ ٦٤,٠٠٠ مقاتل منهم ٣٠,٠٠٠ من الفرنساويين و ٢٧,٠٠٠ من الانكليز فيهم الف فارس و ٧,٠٠٠ من الاتراك وكان سلاح الانكليز اقوى واتقن . فمشت الحملة جنوباً نحو سباستبول وفي طريقهم اليها نهر ألما المتقدم ذكره وكان الروسيون معسكرين بثلاثين الفاً تحت قيادة البرنس منشيكوف حاكم القريم على مرتفعات في الضفة المقابلة من النهر وقد عزز حصونه بالمتاريس والمدافع فتقابل الجيشان والنهر بينهما فحصلت عدة مناوشات و بدأ القتال في ٢٠ سبتمبر وانتهى بعبور الجيوش المتحدة النهر واستيلائهم على حصون الروس وقد ابلى الانكليز في ذلك اليوم بلاء حسناً ومؤرخوهم يطرون شجاعتهم وبلاءهم في تلك الواقعة ويرددون خطباً تلاها بعض قوادهم قبيل المناجزة لا تزال جارية عندهم مجرى الحكم المأثورة على ان الجنود الفرنساوية لم تقصر في القتال لكنها ارتبكت بمرض قائدها الاكبر المارشال ارنو فانه كان في حال المرض الشديد ولم يعش بعد الواقعة الا اياماً ثم خلفه الجنرال كنروبر

حصار سباستبول فلما استولت الجنود المتحدة على حصون الروس مكثوا فيها اياماً للراحة ورجال الحرب يخطئون الجنرال ريكلان في ذلك لاعتقادهم انهم لو تعقبوا الروس على اثر انسحابهم الى سباستبول لاخذوها على اهون سبيل قبل تحصينها لان الروسيين لم يكونوا يظنون اعداءهم يتمكنون من الوصول اليها . فلما تقهقر الروس من ألما ساروا تواً الى سباستبول وحصنوها تحصيناً طبقت شهرته الخافقين والفضل في ذلك لتودلبن اشهر مهندسي الحروب فرفعوا الاسوار ووسعوا الخنادق واغرقوا في مدخل المرفأ سبع سفن ليامنوا دخول الاساطيل اليها . فلما اشرفت الجنود المتحدة على سباستبول ورأوا مناعة تلك القلاع اقروا على محاصرتها والتضييق عليها فعسكروا في جنوبيها بحيث يمكنهم الاستعانة بعماراتهم عليها ويسهل عليهم المواصلات واستجلاب الامداد فنزل الانكليز في بالاكلافا والفرنساويون في كوريش

وفي ١٧ اكتوبر حدثت واقعة تشاءمت منها الجيوش المتحدة لانها عادت عليهم بالفشل

الصريح والانكليز يلقون تبعة ذلك على سوء تصرف أميرال العمارة الفرنساوية فتشدد الروس بذلك النصر فطمعوا باخراج الاعداء من مراكزهم فخرجوا من حصونهم وحملوا على معسكر بالاكلافا في ٢٥ اكتوبر حملة هائلة اظهروا فيها بسالة الاسود

وكانت واقعة ذلك اليوم مما حفظه التاريخ وتغنى به شعراء الانكليز ليس لفوزهم فيها لانه ليس بالامر الغريب ولكنهم اصيبوا بنكبة خسروا بها نيفاً واربعمئة رجل بخطأ لفظي وقع من أحد القواد فاطاعوا الامر على خطائه فهلكوا — وتفصيل ذلك ان الجنرال ريكلان علم وهو في ابان المعركة وقد ترجح الفوز له ان بعض الروسيين غنموا بطارية مدفعية من الجند العثماني هناك فاراد استرجاعها فبعث امره الى اللورد لوكان قائد الفرسان ان يبعث كوكبة لاسترجاع تلك البطارية فبعث اللورد لوكان الى اللورد كرديجان أحد قواد الفرسان ان يتولى تلك المهمة تحت قيادته وعهد الى الكبتن نولان أحد ضباطه ان يبلغ ذلك الامر اليه • فاساء نولان التعبير في نقل تلك الرسالة ففهم كرديجان ان المراد الهجوم على حصن للروسيين على مسافة ميل وبعض الميل من موقفه وعليه المدافع الهائلة تصب على واد لا بدّ من المرور فيه الى ذلك الحصن • فاستغرب اللورد كرديجان ذلك الامر وعدّه تخريفاً ولكنه لم يستطع غير الطاعة — وكذلك الاوامر العسكرية وخصوصاً عند الانكليز • فأمر رجاله وعددهم ٦٠٧ فركبوا وقصدوا ذلك الحصن والرصاص يتساقط عليهم وصوت المدافع يدوي في ذلك الوادي وهم لا يبالون ان يهلكوا في سبيل طاعة الاوامر فلم يرجع منهم الا ١٩٨ رجلاً • وكان الكبتن نولان قد استدرك خطأه بعد قليل فأسرع في أثر اللورد كرديجان لارجاعه فجاءته قبل وصوله اليه رصاصة أصابت صدره فقتل وظل الجواد يعدو به بضع دقائق ثم سقط قتيلاً • وقد تغزل شعراء الانكليز ببسالة تلك الكوكبة وتفننوا في وصف مسيرها الى القتل على تلك الصورة

رجع الروسيون الى حصونهم في آخر ذلك اليوم ولم يفلحوا في مطاردة اعدائهم ولكنهم خرجوا اليهم في صباح اليوم التالي وكافحوا كفاح الابطال في مطاردتهم فلم يجد كفاحهم نفعاً فعادوا الى الحصون ثم خرجوا ثالثة في ٢٤ نوفمبر على مكان يقال له انكرمان في طرف معسكر الانكليز وكان خروجهم بغتة ففشل الانكليز وكادوا يذهبون هدراً لو لم يداركم الفرنساويون • ويقال ان الروسيين خسروا في هذه المعركة ١٢,٠٠٠ والانكليز ٢,٦٠٠ والفرنساويون ١,٧٠٠ فتجددت عزائم هؤلاء بعد ان كادت تخور لما كانوا يقاسونه من الشقاء وغيره في تلك الغربة فضلاً عن اختلاف الاحزاب في انكلترا

في امر هذه الحملة • فلما دخل الشتاء ازدادت مصائبهم وكان شتاء قارساً كثرت انواؤه واشتدت رياحه حتى اقتلعت الخيام واطارت الرجال وهدمت الابنية الخشبية وجاءتها الامطار فقذفت ما كان فيها من المؤن والذخائر الى البحر ناهيك بحال السفن ومن فيها في أثناء تلك الانواء الهائلة فاحتملوا ذلك كله بفارغ الصبر

وكانت الدولتان المتحدتان قد ارسلتا عمارتهما الى بحر البلطيك والبحر الابيض الشمالي والبحر المحيط لضرب الثغور الروسية ولكنها قلما اتت بفائدة

وكانت المخابرات جارية من الجهة الثانية مع ملك النمسا للتوسط في ايقاف الحرب فعرضت الدولتان على النمسا ان تحد معهما على الروس اي انها تتعهد بحماية الفلاخ والبغدان من روسيا على ان لايجوز لاحدى الدول الثلاث ان تخابر روسيا الا باطلاع حليفتيها فعرضت النمسا ذلك على ملك بروسيا عملاً بشروط التحالف بينهما فلم يقبل به وألح عليها برفضه • فلم تقبل النمسا بنصيحة زميلها فأبرمت المعاهدة بين فرنسا وانكلترا والنمسا وتركيا ضد الروس في ٢ دسمبر سنة ١٨٥٤ واعلنوا البرنس غورتشاكوف سفير روسيا في فيانا يومئذ بذلك وهددوا الروس اذا لم يرجعوا عن مطاليبهم وان لومهم على انفسهم • وفي ٢٦ يناير سنة ١٨٥٥ تحدت ايطاليا معهم في ذلك وارسلت ١٨,٠٠٠ مقاتل بقيادة الجنرال لامرمورا للاشتراك في محاصرة سباستبول فأصبحت الدول المحاربة لروسيا خمساً



القيصر اسكندر الثاني

وانفق على أثر ذلك وفاة القيصر نقولا في اول مارس سنة ١٨٥٥ وخلفه اسكندر الثاني فتوسم الناس بذلك التغيير تغييراً في سياسة الحرب ظناً منهم ان القيصر الجديد يغتنم هذه الفرصة ويوقف الحرب • ولكن انى له ذلك والشعب الروسي مندفع بكليته الى مواصلة الحرب اعتقاداً منهم ان النتيجة لهم لامحالة • فلما انقضى الشتاء انتعشت الجنود المحاصرة

وكان من جملة مساعي الدول المتحدة في تقريب سقوط سباستبول انهم قطعوا عنها الميرة والمدد من كل جهة فخاف الناس سقوطها لكنها صبرت صبراً جميلاً فلما أقبل الصيف صممت الدول المتحدة على فتح تلك القلاع بأي وسيلة كانت لان امتناعها عار عليهم وهم يحاربون دولة واحدة فهاجموها في ٧ يونيو سنة ١٨٥٥ هجوماً عاماً فاستولوا على حصن ماملون فير وفي ١٨ منه هجم الفرنساويون على حصن ملاكوف هجمة استهلكوا فيها فقتل منهم جمع غفير وعادوا بلا طائل وهجم الانكليز في نفس ذلك اليوم على حصن جران ريدان وعادوا خائبين

وفي أواخر الشهر المذكور توفي اللورد ريكلان بالكوليرا فخلفه في قيادة الجيوش الانكليزية الجنرال سمبسون وتحولت القيادة الفرنساوية الى الجنرال بليسية وانقضى يوليو وبعض اوغسطس ولم يستطيعوا فتحاً فخافوا اقبال الشتاء وهو شديد عليهم هناك فصمموا على الاستهلاك في الهجوم • فاخذ الفرنساويون من ١٧ أغسطس يطلقون مدافعهم على حصن ملاكوف اطلاقاً متواصلاً وفي ٨ سبتمبر هجموا عليه هجوم الياس والنيران تتساقط عليهم كالامطار وهم لايبالون بمن يسقط منهم فكانوا يتخطون على الجثث المتساقطة وهي تتراكم في الخنادق حتى ملأتها وتساق الباقون القلعة عليها واحتلوها وقائدهم الجنرال ماكماهون الشهير • وفعل الانكليز نحو ذلك بحصن جران ريدان فاحتلوها وخسائرهم اقل من خسائر الفرنساويين • على انهم رأوا المقام فيها لايخلو من الخطر لتسلط قنابل الروس عليهم من حصون اخرى فنسفوا الحصن وخرجوا منه

أما الروس فلما فرغت حيلتهم من الدفاع امام ذلك الجند المتحد اخلوا سباستبول بعد ان احرقوها • فدخلها اعداؤهم في ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ واحتلوا اطلالها البالية • وكان الروسيون قد فتحوا من جهة أخرى مدينة القارس وغيرها • وبسقوط سباستبول انقضت تلك الحرب • على انها لم تنقض نهائياً الا بعد عقد معاهدة باريس في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وخلاصتها ان يرد كلٌ من المتحاربين البلاد التي افتتحوها لاصحابها وان يحترم

استقلال الدولة العثمانية وانه اذا حدث بين الدولة المذكورة واحدى الدول خلاف تقيمان الدول الاخر وسيطة بينهما • وتعهدت الدولة العثمانية باجراء الاصلاحات في بلادها وراحة المسيحيين • وان يكون الدانوب مباحاً للتجارة العامة وان تكون الفلاخ والبغدان تحت حماية دول اوربا وان تقتصر ملاحة البحر الاسود على السفن التجارية فقط

فترى مما تقدم ان قلاع سباستبول ثبتت في حصارها سنة كاملة وحولها نحو مئة الف مقاتل لخمس دول عظمى • وكانت وسائل الحصار يومئذ قاصرة على بناء الاسوار الضخمة واحتفار الخنادق العميقة ونحوها فأين ذلك من الالغام الكهربائية التي يدفنها المحاصرون اليوم حول حصونهم حيث يكون لاعدائهم سبيل اليهم ويصلون بينها وبين الحصون بالاسلاك فاذا أرادوا اطلاقها غمزوا زرّاً فتنفجر الالغام وتتفتح الارض وتبتلع ما عليها ولو كانوا الوفاً كما هو الحال في حصار بور ارثر فان مداخلها مملوءة بهذه الالغام فضلاً عن مناعتها وقلة الجيش المحاصر لها ولذلك فلا يخشى سقوطها قبل اشهر كثيرة وانما تسقط من الجوع



الجنرال ستوسل

قائد حامية بور ارثر

السوريون وتجنسهم بالجنسية الاميركية

بحثٌ اجتماعي

جاءنا من رصيفنا صاحب جريدة المناظر التي تصدر في سانباولو البرازيل كتابٌ يقترح علينا فيه باسم السوريين في اميركا ان نبدي رأينا في مناظرة دارت بينه وبين صاحب جريدة المهاجر التي تصدر في نيويورك بشان مستقبل السوريين في اميركا من حيث تجنسهم بالجنسية الاميركية والاختلاط التام بالاميركان او البقاء على العثمانية والمحافظة على الوطنية السورية للرجوع الى سوريا فاجبنا اقتراحه وبعثنا بالجواب اليه ونظراً لما في هذا الموضوع من البحث الاجتماعي رابنا ان ننشره في الهلال وهاك نص الجواب :

حضرة الرصيف الفاضل

وصلني كتابك الذي تقترح عليَّ فيه باسم السوريين باميركا ان ابدي رأيي في ما دار بينك وبين الرصيف الفاضل صاحب المهاجر بشان مستقبل السوريين في اميركا من حيث « التجنس بالجنسية الاميركية والاختلاط التام بالاميركان » وهي دعوة المهاجر . او « البقاء على العثمانية والمحافظة على الوطنية السورية للرجوع الى سوريا » وهي دعوة المناظر . فاشكر لكما حسن ظنكما بهذا العاجز للحكم في مسالة هي من اهم المسائل السورية لان الحكم فيها يتناول الحكم على حال السوريين في سائر ديار هجرتهم في اميركا واوربا واسيا واستراليا وافريقيا فاذا كان الصواب في استبقاء جنسيتهم والرجوع الى بلادهم وجب اطلاق ذلك على السوريين كافة حيثما نزلوا

على اني رايتكما جعلتما السوري مخيراً في اتباع احد الرأيين وهو في الحقيقة مسوق الى احدهما بطبيعة العمران شان الانسان في سائر احوال اجتماعه . فلو جعلتما موضوع البحث هل يرجع السوريون من ديار هجرتهم ام يبقون فيها لكان ذلك اقرب الى مجاراة ناموس التاريخ — وقد قيل اذا شئت ان تطاع فسل ما يستطاع

قرات كتاب الرصيف الكريم واطلعت في اعداد المناظر على ما دار بينكما في هذا الشان وانا في رمل الاسكندرية وقد فررت من المحابر وهجرت الاقلام والدفاتر واقمت في هذا المصيف التماساً للراحة في اثناء احتجاب الهلال . ففكرت في هذه المسالة الخطيرة وانا مطلٌّ من نافذة فندق نحن مقيمون فيه يشرف على قطر الترامواي وهي ذاهبة جائية تقلُّ الناس

بين الاسكندرية ومصايف الرمل فرايتها تحمل العشرات والمئات وليس بينهم من الوطنيين الا جزء صغير والباقون من الاجانب وفيهم جانب عظيم من السوريين اكثرهم من اهل الوجاهة وارباب الثروة والنفوذ واهل العلم والادب . وتذكرت كثرة السوريين في القاهرة وفيهم جماعة كبيرة من كبار الموظفين واصحاب المناصب الادارية والعسكرية وارباب الصحافة والتجار والمحامين والاطباء وغيرهم . ومثل هؤلاء كثيرون ايضاً في انحاء القطر المصري — فقلت في نفسي لو صحت دعوة المناظر لوجب ان يعود هؤلاء جميعهم الى سوريا و يعود امثالهم من اربعة اقطار المسكونة وهم يعدُّون بمئات الالوف وفيهم اهل الثروة والجاه وقد زادهم الاغتراب علماً واختباراً واقتبسوا من امم الارض احاسن ما عندهن من اداب الاجتماع واساليب الارتزاق . وليست ثروتهم بالشيء القليل نعرف ذلك بالقياس على ثروة السوريين في القطر المصري فانها تقدر الآن بنحو ثلاثين مليون جنيه وهم لا يزيدون على بضعة عشر الف نفس فكيف بثروة من بقي منهم في سائر ديار هجرتهم وعددهم نحو ٣٠٠ الف نفس مع اعتبار ثروتهم في غير مصر اقل منها فيها فلو قدرناها بنصف ذلك او ربعه لزادت ثروة مهاجري سوريا على ٢٠٠ مليون وهي تتضاعف بتوالي الاعوام فان ثروة السوريين في مصر كانت منذ عشر سنين ربع ما هي الآن — فاذا عاد السوريون الى سوريا بهذه الثروة سعدت تلك البقعة المباركة واجتمع فيها الاقرباء والاصدقاء يتمتعون بالنسيم العليل والاقليم النشيط — وذلك غاية ما يرجوه الانسان من اسباب السعادة في دنياه ولكن :

نسج الريح على الماء زرد　　　يا له درعاً منيعاً لو جمد

انها امنية لا يرجى تحققها . فالسوريون باقون في ديار غربتهم وسيندمجون في اهاليها و يكونون بعضاً منهم يتفاهمون بالسنتهم و يتأدبون بآدابهم — ذلك هو رأيي نشرته في الهلال منذ بضعة اعوام ونشره صاحب المهاجر في رده . وقد كان في الاشارة اليه كفاية لولا ما تخلل بحثكما من ذكر الوطن وخيانته والوطنية وجامعتها بنقر على اوتار القلوب فيثير العواطف حتى تشوش على العقل سبيله في احكامه . والبحث الذي نحن فيه يستلزم النظر في الحقيقة المجردة والمصلحة الشاملة فاستاذن الرصيفين الكريمين في تفصيل ما اجملته هناك

المهاجرة — المهاجرة قديمة كالانسان واقدم اسبابها الارتزاق . وهي من اقدم دعائم العمران واقواها لان البشر تسلسلوا من اب واحد وكانوا في بقعة واحدة فلما تكاثروا ضاقت تلك البقعة عن معائشهم فهاجروا الى ما حولها التماساً للغرس والمرعى ثم تفرعت هجرتهم

للسبب عينه بتوالي الاجيال · واقدم ما بلغنا من اخبار المهاجرة تفرق ابناء نوح او قبائلهم من اواسط اسيا الى اطراف المعمور وهم ارقى السلالات البشرية ومنهم تسلسلت الامم المرتقية المعبر عنها بالشعوب القوقاسية · وكان القوقاسيون حيثما نزلوا في اثناء هجرتهم لقوا شعوباً من سلالات سافلة كالزنوج او الهنود فكانوا يغلبونهم على مافي ايديهم ويتولون امورهم · ثم انشأوا تمدناً لا يزال يرتقي الى اليوم — فكأن الارض عمّرت بالمهاجرة من سلالات بعضها ارقى من بعض تعاقبت وهي ترتقي بتعاقب الدهور

واذا نظرنا الى كل بقعة من بقاع الارض على حدة رأينا آثار ذلك التعاقب ظاهرة فيها · فوادي النيل مثلاً اقدم سكانه الزنوج ثم جاء النوبة وهم ارقى منهم فطاردوهم نحو الجنوب واقاموا مكانهم ثم جاء القوقاسيون فزاحموا النوبة وغلبوهم ومنهم الفراعنة الذين انشأوا التمدن المصري القديم · ويقال نحو ذلك في شواطىء افريقيا الشمالية فان الشعوب القوقاسية جاءتها من الشرق والشمال وطردت برابرتها نحو الجنوب · ولما نزح الآريون الى الهندوجدوا فيها الهنود الاصليين وهم كالنوبة في افريقيا فتغلبوا عليهم ومنهم الكهنة (البراهمة) والحكام وقس على ذلك نزوح القبائل الآرية الى اوروبا والسامية الى سوريا وفلسطين وبلاد العرب وغيرها

ناهيك بما كان من المهاجرات المتوالية في عهد التاريخ وخصوصاً بعد اكتشاف اميركا واوستراليا وغيرها من بلاد العالم الجديد · فقد نزح اليها اهل اوربا (وهم القوقاسيون) فطردوا من كان فيها من سلالات الهنود ونقلوا اليها تمدنهم وفر الهنود من وجه الافرنج في اميركا واوستراليا كما فر النوبة من وجه القوقاسيين (الساميين) في افريقيا قبل ذلك الزمن بقرون · ولا يزال القوقاسيون ينزحون الى العالم الجديد من سائر اقطار المعمور ومهما اختلفت لغاتهم وعاداتهم وآدابهم فانهم سلالة رجل واحد يجمعهم شكل الجمجمة وسمو المدارك وهم الذين انشأوا هذا التمدن ونشروه في العالم القديم والحديث ولو اتيح لهم اكتشاف عوالم اخرى لنزحوا اليها وعمروها

ثم ان الامم تختلف ميلاً الى المهاجرة واقتداراً عليها باختلاف الاقليم وطبائع أهله · ومن أقدر الامم على المهاجرة واكثرهم سعياً فيها السوريون فقد كانوا من عهد الفينيقيين أهل رحلة ومهاجرة وقد استعمروا كثيراً من شواطىء البحر المتوسط قبل الميلاد بعدة قرون واشهر مستعمراتهم قرطاجنة في شمالي افريقيا ورحلوا الى بلاد التمدن القديم في اشور وبابل ومصر وكانوا خير واسطة لنقل ذلك التمدن بين تلك الامم (راجع الجزء

الثالث من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي وكان ذلك شأنهم في عهد التمدن اليوناني ثم الروماني فكانوا ينزحون الى بلاد الروم والفرس والاسكندرية لهذه الغاية . وهذا هو شأنهم أيضاً في عهد هذا التمدن فانهم يطلبون الرزق ويسهل عليهم الانتقال في طلبه حتى اجتمع منهم نحو ٢٠٠,٠٠٠ في اميركا وجماعات كبيرة في اوستراليا وتسمانيا وزيلاندا وفي زنجبار وانترانسفال والسنيغال وفي سائر سواحل افريقيا واواسطها وفي الهند وفارس والصين واليابان وفي جزائر المحيط . غير مصر والسودان وتونس ومراكش وغير المقيمين في عواصم اوربا . وبالجملة فلا تكاد تخلو منهم بلد من البلاد العامرة في أربعة اقطار المسكونة وهم بحول الله حيثما نزلوا افلحوا

وللسوري طبيعة يمتاز بها عن سائر الامم وقد تمكنت فيه بتوالي الاغتراب فهو مع نشاطه وذكائه ذو اقتدار غريب على تكييف نفسه وتطبيق اخلاقه واطواره على البيئة التي يعيش فيها واتقان اللغة التي يتفاهم بها اهلها . فاذا أقام في فرنسا مثلاً لا يمضي كثير من وهو يقلد الفرنساويين حتى لا تشك انه منهم وكذلك اذا أقام في اميركا أو انكلترا فانك تحسبه اميركياً أو انكليزياً . وتراه من اشد الناس غيرة على البلد الذي يستوطنه واكثرهم دفاعاً عنه وسعياً في خدمته

(الوطن والجامعة الوطنية) رأيت صاحب المناظر الفاضل مغالياً في اعتماده على الجامعة الوطنية في تأييد رأيه وقد عد تجنس السوري بالجنسية الاميركية خيانة للوطن . فاستأذنه في بيان الوطن والجامعة الوطنية بالنظر الى السوري . اما الوطن فهو البلد يقيم فيه اناس مصالحهم مشتركة وحقوقهم متبادلة . والحنين الى الوطن من قبيل الحنين الى الوالدين وكلاهما من نتائج العادة والالفة . فكيف لا نحن الى بلد عرفنا الشمس في سمائه وتنشقنا الحياة من هوائه واغتذينا من حيوانه ونباته فاظلنا أطفالاً ورباناً احداثاً وشباناً . وقد تألفت ابداننا من عناصره وتكيفت أطوارنا تبعاً لاقليمه . وهو مجتمع الاهل والاقرباء ومقر الخلان والاصدقاء — فالحنين الى الوطن طبيعي حتى في الحيوان الاعجم فلا حاجة الى اثباته . اما البقاء فيه او الرجوع اليه فليس من الواجبات المفروضة كما ان البقاء في حجر الوالدين ليس من بواعث العمران ولا من قواعد الارتقاء الا اذا قضت المصلحة بذلك . فالشاب اذا بلغ أشده طلب أسباب الرزق حيثما توفرت له ولو قضى عليه ذلك بفراق والديه واهله فكيف بوطنه . وكما يطلب منه ان يذكر اهله ويحن اليهم ويسعى في راحتهم ولو بعد عنهم فكذلك وطنه اذا اصيب بنكبة فانه مطالب بنصرته واعانته بما تبلغ اليه قدرته

هذا هو الوطن بالنظر الى كل فرد من افراده واما بالنظر الى مجموع الامة أو الى الدولة فهو الجامعة الوطنية وهي في ابسط أحوالها عبارة عن اجتماع أهل البلد الواحد لدفع عدو يريد اغتياله. وقد يكونون في نزاع وخصام حتى يهددهم الخطر فيجتمعون وذلك طبيعي حتى في العجماوات . فان الاديك قد تتنازع وتتخاصم فاذا جمعتها في قفص وعذبتها بالجوع أو نحوه تحابت وتآلفت . فاهل البلد الواحد يشتركون في الدفاع عن بلدهم أو السعي في مصلحته بما يسمونه الجامعة الوطنية وهي من التعبيرات التي اقتبسناها من أهل التمدن الحديث في أوربا ويراد بها عندهم تكاتف أهل المملكة الواحدة في الذب عن حياضها والسعي في مصلحتها وهي تقوم مقام جامعة الدين أو اللغة في الامم الأخرى. وتقوى الجامعة الوطنية وتتوثق عراها بين أطراف المملكة كلما اشتد أمر الدولة وتوطد سلطانها وتبودلت اسباب الانتفاع بين العاصمة والبلاد التابعة لها . فقد كانت الدولة في أقدم أزمنة التاريخ تنحصر في مدينة واحدة تنسب اليها كدولة اثينا وسبارطة ورومية فاذا قوي سلطانها واتسعت فتوحها حتى صارت مملكة كبيرة نسبت المملكة الى تلك المدينة كالمملكة الرومانية مثلاً فانها عبارة من مدينة رومية والبلاد التابعة لها . وكانت الجامعة الوطنية الرومانية تقوى وتضعف مع سلطان رومية

أما العرب فقد كانوا قبل الاسلام قبائل تجمعهم الانساب والاعصاب فلما اسلموا أصبح الاسلام جامعتهم واصبحت دولتهم اسلامية لا تنسب الى بلد معلوم . وانما كانت تسمى باسماء مؤسسيها أو اقرب اسلافهم قرابة من النبي كالعباسية والعلوية والمروانية ونحوها . فلما تشعبت مملكتهم وحكمها غير العرب فرقوا بين فروعها بمواطن ملوكها أو لغاتهم كالترك والفرس والاكراد وغيرهم . وقد يسمونها باسماء مؤسسيها كالدولة النورية والصلاحية والعثمانية . وكانت الدولة الرومانية قد أخذت في الانحلال وضعفت جامعتها الوطنية فاصبح أهل أوربا دولاً صغيرة يتنازعون ويتخاصمون حتى اذا استفحل أمر المسلمين في الشرق واراد الافرنج استخراج بيت المقدس من أيديهم لم يروا ما يجمع شتاتهم غير الدين . فاجتمعوا تحت لواء الصليب وحاربوا المسلمين . فلما انقضت الحروب الصليبية وأخذ الافرنج في نهضتهم الاخيرة واشتدت سواعدهم قام التنازع بين دولهم على الاستئثار بالنفوذ الاعظم في تلك القارة . فأصبح همّ كل دولة منهم جمع كلمة أهلها لتقوى على الغلبة وكان الدين جامعتهم الكبرى كما تقدم فلم يكن لتلك الدول ما يجمع افراد كل منها على حدة غير الوطن او الجنس . فالفرنساويون جعلوا جامعتهم فرنسا أو الشعب الفرنساوي وكذلك الالمان

والانكليز . فتشعبت الجامعة النصرانية في أوربا الى الفرنساويين والالمانيين والانكليز وغيرهم كما تشعبت الجامعة الاسلامية قبلها الى الفرس والترك والاكراد وغيرهم . واذا أمعنت النظر في تلك الجامعات رأيت أساسها في الحقيقة اللغة والدين . فان أهل كل مملكة من ممالك أوربا يتكلمون لغة واحدة هي لغة أهل الدولة ويغلب ان يضمهم مذهب واحدٌ هو مذهب الحكومة

فالجامعة الوطنية لا معنى لها ان لم يكن لها دولة تؤيدها أو تدعو اليها للانتظام في خدمتها أو حمل السلاح في الدفاع عن استقلالها وان يكون لاهل الوطن حقوق على الدولة في مقابلة ذلك على ان تكون لغتهم لغتها . والسوريون — ويراد بهم هنا نصارى الشام — لا شأن لهم في ذلك لانهم من أهل المملكة العثمانية ولكنهم لا ينتظمون في جيشها ولا يحاربون عنها ولا يتكلمون لغتها فلا شأن لهم في الجامعة العثمانية والوطن السوري في غنى عنهم من هذا القبيل فما في بعدهم عنه خيانة أو تقصير . وخصوصاً لانهم مجبرون مضطرين التماساً للرزق بعد ان نفدت حيلتهم في استدراره هناك وسعياً في الراحة . فكأن الوطن تخلى عنهم واخرجهم منه رغم ارادتهم على حد قول الشاعر :

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم يطلب فمولى العبد منه هارب

وقول الآخر

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

والسوريون لا ينقصهم شيء من أسباب الارتقاء ولا يقلون في قواهم ومواهبهم عن أرقى الامم المتمدنة وقد رأيناهم يجارون الافرنج حتى في بلادهم . فمنهم التجار في اكبر مدائن أوربا وأميركا فضلاً عن كبار التجار في مصر فان أكبر محل تجاري فيها للسوريين ومنهم كبار المحامين والاطباء والكتاب وأرباب المناصب وغيرها . وهم في كل ذلك مثال الاجتهاد وعنوان الاستقامة والاخلاص . وانما يعابون بضعف جامعتهم الوطنية ولا ذنب لهم في ذلك للاسباب التي قدمنا . ناهيك بتعداد المذاهب والمشارب في بلادهم وقد زادهم الاغتراب تباعداً بما فطروا عليه من تكييف اذواقهم على أذواق الامم التي يعيشون بينها وهي متباينة

فعلاقة السوريين بوطنهم علاقة حنين وائتلاف لا علاقة هجوم او دفاع ولا علاقة ملك وانتفاع . وهم من اكثر الامم حناناً الى اوطانهم ولا يزالون يذكرون الوطن ويحنون اليه ولو طال زمن اغترابهم ويعللون النفس في الرجوع اليه ويبذلون جهدهم في ذلك .

وقد تتسع تجارة احدهم ويقتني العقار ويبني المنازل في دار غربته وهو مع ذلك يعدُّ نفسه مقيماً الى اجل اذا انقضى رحل الى وطنه . فهو انما يرجو ذلك من حنينه ولكنه في الواقع لا يرجع — اخبرني صديق من وجهاء حاصبيًا الذين نزلوا بيروت بعد نكبتهم الشهيرة سنة ١٨٦٠ ان والدته مازالت الى عهد غير بعيد اذا احتاجت الى بعض آنية المطبخ اوصت النحاس ان يصنع للمواعين حلقاً ليعلقوها بها على البغال في اثناء رجوعهم الى حاصبيًا ووالده من الجهة الاخرى يوسع تجارته و يبني المنازل في بيروت و يثبت قدمه فيها . ونعرف جماعة من وجهاء السوريين في هذا القطر اذا توفي لهم عزيز دفنوه في حفرة موقتة على ان ينقلوا رفاته معهم الى سوريا عند رجوعهم اليها . ونعرف آخرين بمصر وغيرها يرسلون ما يجتمع عندهم من الاموال الى سوريا يبتاعون العقار و يبنون المنازل هناك استعداداً للرجوع اليها متى فرغت حاجتهم من الاغتراب . ولكنهم قلما يرجعون واذا رجعوا يندر ان يبقى احدٌ منهم هناك . واما اعقابهم في مهاجرهم فهم متجنسون بجنسية البلد الذي يولدون فيه و يشبون بين اهله اراد اهلهم ام لم يريدوا

ولا حرج عليهم وهم انما يساقون الى ذلك بطبيعة العمران كما يساق غيرهم من الشعوب الذين هاجروا الى تلك البلاد . فالولايات المتحدة انما عمرت بشعوب هاجروا اليها من انكلترا واسبانيا وفرنسا والمانيا وغيرها وقد تمازجوا وتزاوجوا واستبدلوا جنسياتهم الاصلية بالجنسية الاميركية وكل من نزح اليهم واقام بين ظهرانيهم وانخرط في جنسيتهم اصبح له مالهم وعليه ما عليهم . فلا جناح على السوريين اذا آثروا البقاء في تلك البلاد العامرة واختلطوا بسكانها وتجنسوا بجنسيتها ووطنهم في غنى عنهم وهم في حاجة الى الوطن الجديد لما يجدونه فيه من ابواب الرزق واسباب الراحة فيستخدمون مواهبهم في العمل بنشاط واجتهاد ولكل مجتهد نصيب

على اني اودُّ من صميم القلب ان يخطىء حكمي وألتقي باخواني وخلاني في الوطن بسعة ورغد وسكينة فانها امنية كل محب لوطنه . والاَّ فاني احنُّ الى ذلك الوطن حنين الولد الى والديه ولا احسب بعدي عنه خيانة او عقوقاً

بلادي وان جارت عليَّ عزيزة   واهلي وان جاروا عليَّ كرام

اما بقاء السوريين في دور هجرتهم مع المحافظة على لغتهم وآدابهم وعاداتهم كما هو حال الالمان في امركا مثلاً فلا بأس به اذا استطاعوا اليه سبيلاً . لكنهم اذا استطاعوا ذلك فالى اجل قصير وخصوصاً في اميركا لضعف الجامعة السورية بالمنظر الى جامعة الاميركان والقوي يأكل الضعيف — سنة الله في خلقه

البورصة والقمار او القمار والبورصة

هما ضربتان قاضيتان على الاموال والابدان لا ندري ايها شرٌ من الاخرى . وكلاهما من آفات التمدن الحديث . فقد جاءنا هذا التمدن بحسنات كثيرة لكنها تكاد لا توازي ما لحقنا من آفاته واضراره وخصوصاً القمار والبورصة . نعم ان القمار قديم لم تخل منه امة من الامم القديمة ولا الحديثة لكنه لم يدخل بلداً الاّ جعل اعزة اهلها اذلة وذهب بسعادة الناس وكدر صفاء راحتهم . ولم يقم مذهب ولا سنّت شريعة الاّ وكان القمار معدوداً عندها من الرذائل المحرمة وهو محرم في الشرائع الادبية والشرائع المدنية . ولو سألت المقامرين انفسهم لما انكروا فظاعته ولذلك رأيتهم يتسترون ويتكتمون عند « معاطاته » . على انه جاءنا في هذا العصر عن طريق اوربا وقد زاده التمدن الحديث برقشة وزهاء فاقتبسناه منهم بشكله الجديد وادواته المزخرفة واسمائه الرنانه وفنونه المتنوعة فاستغرقنا فيه ايما استغراق حتى ملك عواطفنا وكاد يذهب بعقولنا

وقد كتبنا في القمار غير مرة وبيّنا تاريخه ونوهنا بعواقبه ولا نزال نرى الحاجة ماسة الى بيان فظائعه لما نراه من تعاظم اضراره بانتشاره الغريب في العائلات حتى عمّ العلماء والجهلاء والاغنياء والفقراء وشمل الرجال والنساء والاحداث والاطفال والعياذ بالله . وقد حدانا الى خوض هذا العباب الآن ما رأيناه في اثناء الصيف الماضي من انتشار هذه الآفة في الاسكندرية حتى تكاد لا تدخلُ بيتاً في اصيل او عشاء الاّ رأيت اهله عاكفين حول مائدة او موائد رجالاً ونساء واولاداً وبين ايديهم الورق وقد اقطبت وجوههم وانقبضت نفوسهم واستولى عليهم السكوت — الاّ ما قد يقطعه من الفاظ اللعب او احتكاك النقود . فاذا لم تكن من زمرة اللاعبين شعرت انك سامري بين اليهود . وقد اتفق لنا ذلك في عدة بيوت وادهشنا خصوصاً ما رأيناه من عكوف السيدات عليه وبينهن جماعة تثقفن في ارقى المدارس علماً وذوقاً وتربين في اسمى البيوت تهذيباً وادباً وكنّ الى عهد غير بعيد يعتبرن القمار من الرذائل المحرمة فاصبحن والقمار شغلهنّ الشاغل وواسطة عقد الاجتماع في منازلهنّ . وقد عاتبنا بعضهنّ فاسفنّ لاضطرارهنّ الى ذلك بطبيعة المعيشة في الاسكندرية لان اهلها « لا يجتمعون في السهرات او الزيارات الاّ للمقامرة ومن لا يقامر لا يزور ولا يزار » وانهنّ « رأين رجالهنّ يقضون الليالي في المقامرة خارج

المنزل في القهوات او نحوها فاذا لم يلعبنَ في بيوتهنَّ قضين الليل في وحشة الانفراد » وهذا عذرٌ الذنب اخفُّ منه او هو فرارٌ من الدالف الى تحت الميزاب . فبدلاً من ان تكون المرأة الفاضلة وسيلة لانقاذ زوجها من هوة المقامرة باستنباط الوسائل الباعثة له على حب السهر في بيته والبعد عن اماكن المقامرة والاشتغال بما يصرف ذهنهُ عنها من الالعاب البيتية او الاحاديث الادبية او المطالعات المفيدة تساعده على الاستغراق في تلك العادة الذميمة بأن تجعل بيتها ملعباً للقمار وتجعل نفسها قدوة سيئة لجيرانها ومثالاً ضاراً لاولادها واهلها .. ؟

ولو سألت سائر سيدات الاسكندرية عن سبب انغماسهنَّ بالمقامرة لرأيت معظمهنَّ ينتحلنَ نحو هذا السبب . وهو عذر يلتجىء اليه الضعيف عند ضياع الحجة — فان المقامرة في المنازل والعائلات تفشت في بيروت قبل الاسكندرية وسبب تفشيها هناك على ما نظن ان الجيل الماضي من اغنياء بيروت لم يتعلموا في المدارس ولا كان عندهم من وسائل التسلية ما عند اهل هذا الجيل من اسباب المطالعة في الكتب او الجرائد او الخوض في المواضيع الادبية . وكانت الاموال عندهم كثيرة والارباح فاحشة فكانوا يخصصون مبالغ من اموالهم للمقامرة لا يمسُّون سواها من ممتلكاتهم فلم يكن عليهم خوف من الفقر . ولم يكن ثمَّـة من يتقدمهم والوجاهة يومئذٍ والنفوذ وقيادة الحياة الاجتماعية للاغنياء ولو كانوا جهلاء . فلما انتشت المدارس وتفتحت العقول اصبحت الآداب الاجتماعية في قبضة اهل العلم والادب . ولكن اولاد الاغنياء شبوا على ما تعودوه في منازل آبائهم من اللعب وسرى منهم الى عشرائهم من اهل الطبقة الوسطى فتكاثرت العائلات المقامرة في بيروت واهل الاسكندرية يندر فيهم ذلك يومئذٍ كما يندر في اهل القاهرة اليوم الا من انتقل اليهما من بعض العائلات البيروتية او الافرنجية . حتى اذا كثرت المهاجرة في الاعوام الاخـيرة تكاثر اللاعبون في الاسكندرية وسرى داء اللعب في معظم وجهائها واواسطها . ومع ذلك فاننا نعرف جماعة من اوجه وجهاء بيروت المقيمين في الاسكندرية لا يدخلون اداة من ادوات اللعب الى منازلهم ولا يمسونها في ايديهم وهم لو لعبوا لا تضرهم الخسارة لفرط غناهم . ولا نرى اعتزالهم اللعب جعلهم في وحشة او انفراد . وذلك يدلك على ضعف حجة المعتذرين عن المقامرة بالتسلية لزعمهم انهم لا يرون واسطة لتمضية السهرات سواها

على ان وسائل التسلية كثيرة وخصوصاً في المدن الكبرى — اولها الاجتماعات الادبية والمباحثات في الحوادث الجارية من سياسية او اجتماعية وفي ذلك تثقيف ولذة وفائدة .

فاذا ملّ من الحديث فهناك العاب كثيرة تعرف بالعاب المنازل على سبيل الحزازير ونحوها قد يشترك في اللعبة الواحدة عشرة او عشرون وفي بعضها فضلاً عن التسلية فائدة لتوسيع العقل بدون تعب كالالعاب المبنية على الاسئلة التاريخية او الادبية او نحوها وكلها مشهورة بين العائلات . واذا وجد في الجلسة واحدٌ يعرفها يكفي لقضاء السهرة بها . ولا نستحسن اللعب بشيء من الالعاب التي تشبه آلات المقامرة ولو مهما كانت بسيطة لان لعب الورق البسيط او لعبة شاكوش كومبانيا او نحوهما كثيراً ما يكون سبيلاً الى المقامرة ونحواً للاعبين او لاولادهم على الاقل . فالاحسن البعد عن ادوات اللعب والفرار منها والاقتصار على ما تقدم من الالعاب المنزلية وهي كثيرة او المباحثات او المطارحات او المذكرات على قدر استعداد الحاضرين . ونعرف شباناً في القاهرة والاسكندرية اتقوا من سهرات الكسل والرخاء التي تذهب بالوقت سدى فألفوا جمعيات بعضها ادبية وبعضها علمية . ومنها جمعيات تمثيلية اشبه شيء بالاجواق فبعضهم يؤلف الرواية والبعض الآخر يمثلها وكثيراً ما عادت هذه الاعمال بالنفع المادي على الاعضاء فضلاً عن النفع الادبي . فما يمنع ان يشترك السيدات ايضاً في مثل هذه الجمعيات او ينشئون جمعيات لانفسهن يشتغلن فيها بما ينفعهنّ وينفع الناس ويكفي ان يصرفن اذهانهنّ عن تلك الالعاب الجهنمية

نعم ان المقامرة من الالعاب الجهنمية لانها تذهب بصحة اللاعبين واموالهم وتفسد اخلاقهم وآدابهم . اما فساد الصحة فالسهر الطويل وحده يكفي لهدم اركان البدن فكيف بما يرافق ذلك السهر من القلق والاضطراب وخفقان القلب والخوف والجزع . فان المقامرين اذا اجتمعوا للعب انقسموا جماعات تحيط كل جماعة منهم بمائدة وبين ايديهم اوراق اللعب او غيرها ودخان التبغ يكاد يحجب الوانها عن ابصارهم واذا لم يحجبها الدخان حجبها الغيظ او القلق فيقعدون والسكوت سائد عليهم وقد تقطبت اسرتهم وانقبضت نفوسهم وامتقعت الوانهم واحمرت عيونهم اما نعاساً واما غيظاً . ولو لمست جباههم لسالت عرقاً او قبضت على اناملهم لذابت برداً او تنصت لحركات قلوبهم لسمعت لخفقانها دوياً وقد ينقضي الليل وهم لا يشعرون ولكنهم اذا اصبحوا شعروا بعواقب السهر وعاد ذلك عليهم بالضعف والتعب

اما ضياع الاموال بالمقامرة فلا نظن احداً يجادلنا فيه وان كان كل لاعب يرجو ان يكون هو الرابح وقد يربح احياناً . والحقيقة انهم جميعاً خاسرون وخصوصاً الذين يلعبون في (المقامر) اماكن اللعب العمومية اذ يكفيهم خسارة ما يربحه صاحب المقمر منهم

من ثمن الورق واجرة اللعب وهو شيء كثير يؤخذ من اموال اللاعبين . فاذا اكتسب صاحب المقمر عشرين جنيهاً في الليلة فقد اخذها من اموالهم فاذا لعبوا عنده مئة ليلة بلغ ما أخذه منهم ٢,٠٠٠ جنيه فاذا كان عددهم عشرين نفساً لحق الواحد مئة جنيه وهي خسارة ظاهرة لاريب فيها . غيرما يخسره اللاعبون في اللعب وكل منهم يقدر الربح لنفسه . واذا فرضنا توازن القوى وتعادل الربح والخسارة كان جميعهم خاسرين مادفعوه لصاحب الملعب . وقد يزعم بعض قبارمة اللعب انه يلعب على خطة سليمة ولهم في ذلك حسابات وتقديرات يتوهم سامعها لأول وهلة انها من الحقيقة في شيء وهي وهم . وكثيراً ما اخترع اللاعبون طرقاً (سيستيم) خصوصية للعب زعموا انهم سينالون بها ثروة طائلة فعادت عليهم بالخسارة . اشهرها مايعبرون عنه بالمارتنغال او المدوفيه او البارولي وكلها لم تات بفائدة . ناهيك بما يضيعه المقامر من المال هدراً واسرافاً اذا ربح لانه لا يعرف له قيمة . والخلاصة ان ضياع الاموال بالمقامرة من الامور المقررة بالمشاهدة

على انها على لاعد" تلك خسارة كبيرة بالنظر الى مايتبعها من الخسائر الادبية والاخلاقية فان الذين يقضون ليلهم في ما تقدم من التحرق والتحاسد يخرجون من سهرتهم وقلوبهم تطفح حقداً وحسداً وغيظاً ولو كان اللاعبون من أقرب الاقربين . فاذا توالى فيهم ذلك تعودوا الطمع والحسد والبغض ولذلك يندر بين المقامرين لطف الخلق وسلامة النية وحب الانسانية . فكيف نعرض المرأة اللطيفة المنتمة المهذبة التي ستربي أولاد المستقبل وهي ام الامة ومربية المربين ومعلمة المعلمين — كيف نعرضها لهذا الخطر العظيم . ؟

أما البورصة فعواقبها كعواقب القمار من حيث خسارة المال والصحة والاخلاق وربما فاقته من بعض الوجوه . فان المقامر يعرف خسارته أو ربحه حال فراغه من اللعب فيذهب الى فراشه وهو عالم بحاله من الغنى أو الفقر . أما المضارب في البورصة فانه يقضي ليله وهو يتقلب والافكار تتجاذبه بين اليأس والرجاء فيما عسى ان يكون من تلغرافات الغد . فاذا اصبح اسرع الى قاعة البورصة حيث يجتمع سائر المضاربين وهم يعدون بالمئات فيبدأون بالمبايعات بضجيج وجدال واستهواء ثم ينتقلون الى الاحاديث ومهما تفننوا فيها أو تبادلوا من المواضيع فالافكار متجهة نحو الصعود أو النزول والخسارة او الربح . فاذا دنا الظهر وحان ورود التلغرافات عن الاسعار انقطعت الاحاديث وساد السكوت واشتغل كل منهم بهواجسه وقلبه يخفق لما عساه ان يكون من خسارته او ربحه . فاذا زرت بورصة الاسكندرية حوالي الظهر رأيتها غاصة بالمضاربين وقد غلب عليهم السكوت حتى تكاد

لا ترى بينهم متكلماً • وانما ترى اكثرهم قعوداً على الكراسي وقد تشاغل بعضهم بملاعبة شاربيه او لحيته وآخر بتحريك عصاه وآخر يهزّ قدمه او اللعب بسبحته او بمعالجة سيكارته بين انامله مع الاغراق في التدخين حتى يعقد الدخان على رؤوسهم مظلة وهم مطرقون عابسون لا يلتفت أحدهم الى الآخر وانما يولون وجوههم الى طريق التلغراف او الى اللوح الذي تعلق عليه التلغرافات • وقد يتأخر ورودها ساعات بعد الظهر فيندر من يسوغ له طعام او شراب قبل الاطلاع على الاخبار

ولا تسل عن حالهم عند وصول ساعي التلغراف فانهم ينهضون كمن هبَّ من رقاد وقلوبهم تخفق وأبصارهم شائعة نحو اللوح المكتوب فاذا قرأوا الاخبار انقلب ذلك السكوت ضجيجاً وعلت الضوضاء وتلونت الوجوه وتنوعت التأثرات بين فرح وغضب وقلق واضطراب تبعاً للخسارة أو الربح • فيخرجون اسراباً وافراداً وفيهم الضاحك والمبتسم والمنقبض والعابس هذا يهرع الى العربة فيركبها وذاك لا تكاد رجلاه تحملانه لاضطرابهما من الغيظ وآخر لا تساعده قوائمه على النهوض لشدة الجزع وكثيراً ما سقط المضاربون مغمى عليهم في ساحة البورصة اذ يأتيهم الخبر بخسارة جسيمة بعد طول الانتظار وتوالي القلق والاضطراب فيغلب عليهم الضعف فيسقطون • ناهيك بما يسقط في تلك الساعة المهولة من الآمال وما يخرب من البيوت واكثر ما يكون ذلك في اواسط الناس وأما الاغنياء فيساعدهم غناهم على الصبر حتى تعود الاسعار الى الصعود فاذا لم تعد لا تهمهم الخسارة الا اذا تكررت فتخرب اكبر بيت من بيوتات الثروة ولو كان أساسه على اساطين الذهب او كانت حجارته من الالماس • فان المضاربة أقدر القوى على خراب البيوت العامرة وفضيحة العائلات المستورة وضياع الانفس العزيزة

والبورصة كالقمار من حيث خسارة الاموال وقد يتفق ان يلعب أحدهم مرة فيكسب مبلغاً كبيراً على سبيل الصدفة ثم يكف عن اللعب قطعياً وينصرف الى شغل آخر • فهذا رابح وان كان ربحه غير مشروع لكنه باق واما الذين يجعلون المضاربة شغلهم فانهم خاسرون لا محالة ولو حسبت ما يدفعه أحدهم الى السماسرة بتوالي الاعوام لرأيته يزيد على ما يرجو ان يكتسبه المضارب لنفسه بعد طول الانتظار

والمضاربون كالمقامرين يزعم كل منهم انه اعرف من سواه في أساليب المضاربة وانه يسير في لعبه على طريق سليم. الربحُ راجح فيه على الخسارة • وهذا وهم باطل فان المضاربة خسارة فقط ولا يغرنك ما تراه من حوادث الربح فانها لا تتناول الا واحداً من مئة من

المضاربين ثم تدور الدائرة على الرابح فيخسر وشواهد الحال اكبر دليل

وانما تفرق البورصة عن القمار ان الخسارة تقع فيها على الفقير اكثر مما على الغني لعجز الفقير عن الصبر حتى يصعد السعر — فالقوي فيها يأكل الضعيف · ولكن الطمع يأكل كليهما — على ان الفقراء انما يحملهم على اللعب الطمع في الغنى السريع ينقادون الى ذلك بما يسمعونه عن بعض الذين يتفق لهم ربح بغتةً فيمسون فقراء ويصبحون اغنياء فتتوق انفسهم الى الاقتداء بهم ويتجاهلون عن مئات اصبحوا اغنياء وامسوا فقراء

وجملة القول ان البورصة كالقمار يجدر بالعقلاء تجنبها وخصوصاً السيدات فانها تؤثر في اموالهن وابدانهن واخلاقهن مثل تأثير القمار تماماً · ولسوء الحظ يغلب في المضارب ان يكون مقامراً فاذا ربح من هذه خسر في تلك · فهل في السيدات ايضاً من ترتكب هذه الفظائع جميعاً ؟ ·· ارجو ان لا يصح ظننا في سيدات الاسكندرية · ولكن اذا لم يصح فيهن جميعاً صح في جماعة كبيرة منهن ممن يلعبن القمار ويضاربن بالبورصة ·· فما قولك في عاقبة ذلك على العائلات وكيف يشبُّ اولاد هذا الجيل — نترك ذلك لحكم القراء



بحث في تاريخ اللغة العربية

حضرة ···· جرجي زيدان

قرأت تأليفكم (تاريخ اللغة العربية) بلذة لا مزيد عليها فوجدته جديداً في اسلوبه مبتكراً في مباحثه فهو ولا شك من انفع الكتب لدرس اللغة بهذه الطريقة المستحدثة · اذ لا ينكشف الغطاء عن امرٍ من الامور ولا يعرف اصله وكنهه الا بدرس تاريخه وبيان الادوار التي تقلب فيها منذ نشأته الاولى · فمعرفة تاريخ الاشياء موصل الى حقائقها · سيما اللغة فانا لو عرفنا كل لفظ واصله لهان علينا فهم الالفاظ واستعمالها والرجوع فيها الى الصواب عدا ما ينجم عن معرفة تاريخ اللغة من الوقوف على احوال الامة المتكلمة بها

والاطلاع على ما لها من العلائق والمناسبات مع الامم الاخرى · فنحن اليوم في (عصر التاريخ) وقد كثرت المباحث التاريخية وتنوعت حتى صار التاريخ لا يقتصر على البحث في الدول والامم او في تراجم الاعيان كما كان في العصور السالفة بل تناول البحث في العلوم والفنون والآداب والصنائع واصبحت كل مسألة ولها تاريخ مخصوص بها · فانتم السابقون لهذه المباحث الجليلة ولكم الفضل في بيان مزايا التاريخ لقراء العربية · وقد اتحفتمونا قبلاً بتاريخ التمدن الاسلامي وبالقصص الكثيرة التاريخية وغيرها من الكتب المفيدة وزدتمونا الآن هذا الكتاب النفيس فصار لدينا من مؤلفاتكم صرح مشيد من العلم تشهد كل طبقة من طباقه على ما لكم من الفضل والمعارف · فوجب علينا معشر القراء جميعاً من عرب وعجم شكركم على هذه الخدمة العظيمة التي خدمتم بها العلم والمدنية

ولقد اجدتم في بيان الادوار الثمانية التي دارت على اللغة العربية في عهد صباها اي منذ وجد فيها اقدم ابنية النثر والنظم التي وصلت الينا وكان انشاؤها في القرن السادس للميلاد الى عصرنا · ولا نرى اللغة العربية في هذا العهد الثانوي تغير بناؤها الاَّ تغيراً طفيفاً لانه لا كبير فرق بين شعر امرىء القيس وخطب قس بن ساعدة وبين المنثور والمنظوم في جيلنا · ولكننا لم نزل نجهل عهد طفولية اللغة العربية والدور الذي انفصلت فيه عن اختيها الحميرية والحبشية وكانت بلاد الحبشة من مستعمرات الحميريين · ولا يخفى ان المستشرقين قسموا اللغات السامية الى ثلاثة اقسام :

الاول (لغات الاراميين والاشوريين) ويشتمل هذا القسم على اللغة الاشورية المكتوبة بالقلم المسماري · وعلى فرعي اللغة الارامية وهما السريانية والكلدانية · والمؤلفات والآثار فيها كثيرة · ويلحق بهذا القسم اللغة النبطية التي عُرّب عنها كتاب الفلاحة النبطية ولغة الصابئين او المانية

ثانياً (لغات الكنعانيين) ويشتمل هذا القسم على العبرانية والفينيقية ويلحق به السامرية · والآثار المكتوبة بالاحرف الفينيقية قليلة واشهر مؤلفات العبرانية والسامرية التوراة اي كتب العهد القديم · وغيرها

ثالثاً (لغات العرب) ويتميز هذا القسم عن الاولين بوجود الجمع المكسر فيه · ويشتمل على لغتنا العربية وهي لغة الحجاز وعلى الحميرية وهي لغة اليمن وعلى الغيزية وهي لغة الحبشة التي كتبت فيها المؤلفات النصرانية وفقد التكلم بها الآن · ويلحق بهذا القسم بقية لغات الحبشة وجنوب جزيرة العرب مثل لغة بلاد مهره وهراري وتغره ··· الخ

فاللغة العربية هي اخت الحميرية والحبشية · وينبغي التفتيش على اصلها في هاتين اللغتين · ثم في بقية اللغات السامية المتقدم ذكرها · ثم في سائر اللغات التي اختلط اصحابها بالعرب بواسطة الفتح او التجارة كالفرس والهنود · ومدوّنات اللغة الحبشية هي كتب العهد القديم وبقية الكتب النصرانية والكتب المترجمة عن العربية واليونانية · وذهب اليوم احد المستشرقين للحبشة وهاهو يشتغل باستخراجها وتدقيقها ووردت الانباء بانه عثر على شيء مهم فيها · ومدونات اللغة الحميرية مكتوبة (بالمسند) ومنها مانقل للعربية قديماً واشار اليه ابن خلدون بقوله تشهد بذلك (الانقال) الموجودة لدينا ومثّل لها بكلمة (قيل) ومعناها الامير او الشريف وقال بانها ليست بمشتقة من القول كما زعم البعض ومنها ماهو محفوظ بمتاحف اوربا ومترجم للغاتها · واشهر الباحثين في الحميرية والمكتشفين آثارها القديمة هاليفي الفرنساوي من مدرسي الصوربون وغلازر الالماني وكلاهما طاف اليمن وكتب الكتب المطوّلة · وجميع الباحثين في الآثار الحميرية متفقون على ان آثارها المحفوظة بمتاحف اوربا من القرن الخامس او السادس قبل الميلاد · فمن تدقيق جميع ماتقدم ذكره سوف يتضح لنا كيف كانت لغتنا العربية في عهد طفوليتها وما كان حالها مع اختيها الحميرية والحبشية وكيف انفصلت عنها وعن بقية اللغات السامية

وهذا باب واسع فتحموه بكتابكم الجديد للمشتغلين بلسان العرب والعاملين على تهذيبه وترقيه · فنرجو ان يدخلوا هذا الباب غير متهيبين لنحصل من نتيجة ابحاثهم على قاموس جديد في اللغة العربية يبين اصل كل كلمة وتاريخها شأن القواميس الجديدة الافرنجية ولكن باسلوب موافق لمقتضيات لغتنا · ولا يتم ذلك الا بالتعاون والاشتراك وزيادة التحقيق والتتبع ثم انفاق الاموال وربما احتاج الامر الى ارسال وفود علمية لزيارة المتاحف ودور الكتب التي في اقطار العالم او للحفر على الآثار القديمة التي في جزيرة العرب · فان ما اكتشفه المستشرقون في هذه الجزيرة من الآثار القليلة يدلنا على ان في الزوايا خبايا · وهي مذخرة لاهل البحث

فمن هذه الآثار المكتشفة (مسلة تيماء) — وتيماء في شمال المدينة وشمال خيبر على درب الحج الشامي وتبعد عن المدينة نحو ٤٥٠ كيلومتراً وتعرف بتيماء اليهود حيث كان فيها حصن السموأل بن عاديا — والمسلة محفوظة بمتحف اللوفر بباريس وعليها كتابة ارامية استدل العلماء منها على نزول الاراميين تيماء منذ القرن الخامس قبل الميلاد وعلى انهم كانوا في القرن الاول قبل الميلاد من اهم العناصر المنتشرة في شمالي جزيرة العرب الى مكة · وسمى ابن الاثير الاراميين في تاريخ الكامل بالارمانيين وبنبط السواد اي سواد العراق

وقال بانهم ملكوا ارض بابل وما يليها الى ناحية الموصل . واكتشف دوتي Doughty سنة ٧٦ — ١٨٧٧ وهوبر Huber سنة ٨٠ — ١٨٨٤ في الحجر من مداين صالح وهي في الجنوب الغربي من تيماء قبوراً كثيرة عليها كتابة نبطية من القرن الاول للميلاد . والنبط وان كان المشهور في تواريخ العرب انهم سكان سواد العراق فالآثار دلت على نزولهم في الشمال الغربي من جزيرة العرب وعاصمتهم بجوار وادي موسى (بترا) التابع لقضاء معان . واكتشف الماركي دوفوغوي الفرنساوي وغيره في شرق حوران في محل يعرف بالصفا كتابة مشابهة للكتابة بالمسند الحميري . واكتشف هوبر في جنوبها كتابة اخرى مشابهة لها فاستدلوا من وجود الواحدة في شمال الاخرى على مهاجرة بعض القبائل من الجنوب الى الشمال . وهم القبائل الذين تحالفوا على التنوخ اي المقام وضمهم أسم التنوخ وخبرهم مفصل في تاريخ الكامل لابن الاثير . وتبين من الآثار المحررة بالقلم المسماري ان الاشوريين هاجموا جزيرة العرب مراراً عديدة من القرن التاسع الى القرن السادس قبل الميلاد . فلو لم يكن هناك عمران وثروة لما طمعوا في الاستيلاء عليها

فمن هذه الآثار وامثالها ومن درس اديان الامم السامية واوثانهم ومن عبارات الكتب القديمة ظنّ العلماء ظناً لم يقم الدليل الكافي على تأييده بعد ولكن يطمئن له القلب — ان مهد اللغة السامية التي هي ام هذه اللغات انما هو في وسط جزيرة العرب او في شمالها . ثم انفصلت اللغات الشمالية المشتملة على الارامية والاشورية والعبرانية والفينيقية عن اللغات الجنوبية المشتملة على العربية والحميرية والحبشية . فتكونت اللغات الجنوبية ونشأ فيها الجمع المكسر . واما اللغات الشمالية فبعد انفصالها انقسمت وهي في بابل واول ما انفصل منها الارامية وهاجر اصحابها نحو الغرب . ومعلوم من الكتب القديمة ان الفينيقيين هاجروا من بابل والعبرانيين من الجزيرة وبابل ايضاً لجهة الغرب . ودلّ علم اللغات على قرابة الفينيقية والعبرانية للاشورية ولكنها ليست بأصل لها ولا اشتقا منها . وكذا اللغات الجنوبية وهي العربية واخواتها لم تشتق من اللغات الشمالية لتميزها بخواص لسانية ووجود الجمع المكسر فيها ولمخالفة اوثانها لاوثان اللغات الشمالية

هذا ما قالوه وقرروه ولم اقصد بتحريره بيان رأي في هذه المباحث المهمة وانما نقلت لكم ما سمعته وشاهدته واختم كلامي بتكرار الشكر وتقديم التهنئة والتبريك لحضرتكم على تاليفكم هذا الكتاب النفيس واتمنى لكم النجاح في اعمالكم المفيدة ودمتم (المقدسي)

صاحب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب

اصل الكواكب

(اشمون) أحمد افندي صبحي

اذا نظرنا الى السيارات سابحة في افلاكها والثوابت واقفة في مراكزها فتتمثل لنا عظمة هذا الخلق ويخطر لنا الاطلاع على كيفية تكون هذه الاجرام . فما هو رأي العلماء الطبيعيين في تكونها

﴿ الهلال ﴾ آخر آراء العلماء في اصل الكون «الرأي السديمي» وهو اقربها الى ما تقرر من نواميس الطبيعة واكثرها مطابقة لما نشاهده من ظواهر هذا الكون . واذا نظرت الى القبة الزرقاء في ليلة صافية الجو رأيت الكواكب تتلألأ سابحة في الفضاء تتفاوت حجماً ولمعاناً ولوناً وترى في بعض جوانب الفضاء لطخاً نيرة تشبه الضباب سماها علماء الهيئة القديم سدماً ومعنى السديم في الاصل الضباب الرقيق . واكبر ما يقع تحت نظرنا من السدم المجرَّة وتسمى درب التبان ويسميها العرب ايضاً أم السماء وهي ما يظهر فوق رأسك في القبة الزرقاء على شكل منطقة من الضباب ممتدة من الشمال الى الجنوب

وقد نظر الفلكيون الى هذه السدم بالنظارات المكبرة فاذا هي تختلف شكلاً ولوناً وكثافة فمنها الحلقي والاهليلجي والحلزوني والساري ومنها ما لا قياس له ولا شكل وفحصوها بواسطة السبكترسكوب آلة تحليل النور فوجدوها عبارة عن غاز حام منير

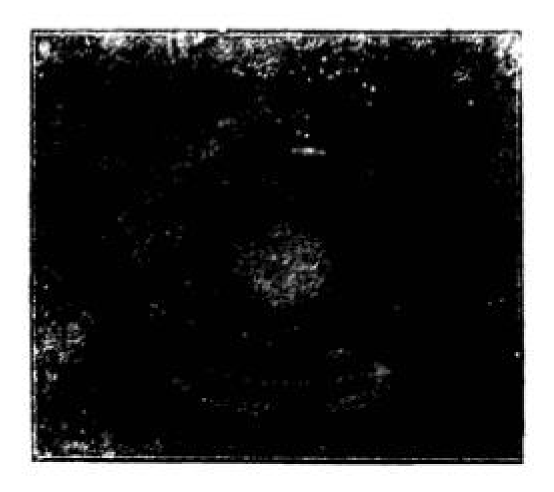
وفي الفلك فضلاً عن السدم المشار اليها بقع أخرى تشبه السدم بالظاهر ولكنها تظهر بعد الفحص انها نجوم متكاثفة كعناقيد العنب وتسمى في اصطلاح علم الفلك القنوان جمع قنو وهو الكباسة من النخل والعنقود من العنب ويحسبون الثريا قنواً منها يرى بالعين المجردة . ويلي القنوان النجوم الظاهرة ومنها الثوابت والسيارات والاقمار وغير ذلك من عوالم هذا الكون المتباعد الاطراف

فيرى العلماء الطبيعيون اليوم ان هذا الكون بجملته بما فيه من السدم والقنوان والثوابت والسيارات كان في بدء خلقه سدماً منتشرة في الفضاء اخذت تشع حرارتها وتنقسم الى مجاميع يتحرك بعضها حول بعض وتبرد بالتدريج حتى تكونت الارضون والاقمار والشموس كما تكوَّن النظام الشمسي المؤلف من الشمس وسياراتها فان بعضها لا يزال ناراً حامية كالشمس وبعضها برد واكتسى قشرة تصلح لحياة النبات والحيوان

كالارض وبعضها برد ولكنه لايصلح للحياة كالقمر وغيره • والنظام الشمسي واحد من نظامات كثيرة قد ملأت الفضاء

ويلي الشموس والسيارات والارضين القنوان • وهي متوسطه بين السدم والكواكب ثم السدم وهي متفاوتة الكثافة آخذة في اشعاع حرارتها وستتحول بكرور الايام الى اجرام سابحة في الفضاء وفيها الثوابت والسيارات مثل النظام الشمسي

فالشمس وسياراتها كانت في بدء الخلق سديماً أي مادة لطيفة كالضباب حامية لدرجة عظيمة ثم أخذ ذلك السديم يشع حرارته ويتكاثف شيئاً فشيئاً فتكاثفت بعض مواده قبل البعض الآخر لاختلاف عناصرها مقدرة على احتمال الحرارة ولا يزال ذلك ظاهراً الى الآن • فان حرارة جونا الآن تكفي لتبخير الماء وحفظ الهواء غازاً ولكنها لا تكفي لبقاء المعادن وغيرها من الجوامد بخاراً اما في اول عهد السديم فقد كانت كل مادة الارض من الجامد والسائل غازاً حامياً وبالطبع كانت منحلة الى العناصر الاصلية فجعلت كلما بردت تتولد فيها المركبات وتتكاثف دقائقها فتكونت فيها اولاً الكتل السائلة لان اول ما يتحول الغاز الى سائل فاذا برد ايضاً صار جامداً • فانقسمت جوامد ذلك السديم وسوائله الى كتل سابحة بما بقي من الغازات الحامية • قال اصحاب هذا الرأي • وتجاذبت تلك الكتل وكانت غير منتظمة الشكل فما قها الوسط السابحة هي فيه من بعض جوانبها دون البعض الآخر فانحرفت وسارت في خطوط منحنية فافضى بها ذلك الى الدوران فاصبحت تلك



سديم في حال الدوران

الكتل تدور بعضها حول بعض وانتهت اخيراً بانها دارت كلها حول كتلة كبيرة مركزية او اصبح السديم بجملته كتلة واحدة تدور حول محورها وتشع حرارتها فبرد اولاً سطح السديم فتحول الى قشرة جامدة تكسرت وانفصلت عنه ثم تكونت قشور أخرى في ازمنة مختلفة على كيفيات يطول شرحها فادى ذلك الى تكون السيارات والاقمار وظلت تدور كلها حول كتلة كبيرة مركزية هي الشمس •

وما زالت تلك الكتل تشع من حرارتها وتبرد على تفاوت بينها في ذلك فبرد بعضها قبل البعض الآخر وفي جملتها الارض فانها ما زالت تبرد حتى جمد سطحها فما تحته وصارت تصلح لحياة النبات فظهر النبات عليها ثم الحيوان بانواعه فالانسان كما ترون ذلك مفصلاً في علوم الجيولوجيا والجغرافية الطبيعية والبيولوجيا وغيرها من العلوم الحديثة

ويستنتج مما تقدم ان الشمس ستبرد يوماً ما وتصير ارضاً مثل ارضنا وكذلك سائر الشموس بل السدم والقتوان فانها ستتحول الى اجرام باردة ولكن برودها كلها في وقت واحد بعيد الامكان اذ لا بدّ من حلول الحرارة في بعضها • فالظاهر أن العناية قضت بتحول بعض السدم الى ارضين وشموس قمر في ادوار لها حتى اذا جاء اجلها عادت الى سديم كما كانت وينتقل الدور الى غيرها من السدم فتتحول الى اجرام وهكذا على التوالي والله اعلم

اسباب السعادة

(كانتون • اوهايو) ابراهيم افندي عبد الله القسيس

اختلف الناس في اسباب السعادة فقال بعضهم انها في المال وقال آخرون انها في الصحة وقال غيرهم بل هي في اتقان الصانع صنعته • وقد ضمنا مجلس دارت فيه المناظرة في هذا الموضوع واختلفت آراؤنا فيه لكننا اتفقنا على استفتاء حضرتكم فما قولكم

﴿ الهلال ﴾ لكل رأي من هذه الآراء حظ من الصواب لان الانسان اذا كان فقيراً او عليلاً او مغلوباً او ضعيفاً فلا يكون سعيداً • وأما السعادة الحقيقية في اعتبارنا فانها ليست في شيء من ذلك كله لان الانسان اذا كان فقيراً ثم اغتنى يشعر بلذة عظيمة ويعدّ نفسه سعيداً لكنه لا يمضي عليه كبير زمن وهو غني حتى تذهب عنه تلك اللذة وتتراكم عليه متاعب الغنى • وهكذا صحيح البدن فانه لا يشعر بلذة الصحة الا اذا مرض ثم شفي وبعد

(٥) ينبغي الامساك عن الطعام في حال الاضطراب العقلي كالغضب والحزن ونحوهما فان الطعام حينئذٍ يلبك المعدة ويفسد التغذية

هذه خلاصة طريقة فليتشر في الطعام بالنظر الى الصحة . وقد تقدم ما كان لها من الوقع عند الحكومة حتى جربتها في جندها . واما فليتشر فقد جربها في نفسه وهو لا يزال سائراً عليها وقد تمكن بها من التمتع بعشرة اضعاف ما كان يتمتع به من اسباب الراحة والصحة قبلها فضلاً عن تخلصه من عوارض الانحرافات حتى الامراض الوبائية التي تنتقل بالعدوى فانها لا تجد سبيلاً الى البدن المعتدل في طعامه على هذه الكيفية فضلاً عما يكون فيه من صفاء الذهن ونشاط البدن

تاريخ التمدن الاسلامي

في نظر المستشرقين

ذكرنا في مقدمة الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي أسماء كبار المستشرقين الذين كاتبونا بشأن هذا الكتاب واشرنا الى ما بعثوا به الينا أو نشروه في المجلات الشرقيـة ببعض اللغات الافرنجية من عبارات الاستحسان والتنشيط . ووعدنا بنشر ما جادت به اقلامهم بهذا الشأن لبيان وقع هذا الكتاب عند اعظم اساطين العلوم الشرقيـة في هذا العصر . على ان نشر تلك الاقوال كما هي يستغرق صفحات عديدة من الهلال ولا يحسن التطويل في ذلك خوف الملل . فرأينا أن نكتفي بشذرات نقتطفها من تلك الاقوال يدلُّ قليلها على كثيرها وهي انما كتبت قبل صدور الجزء الثالث من الكتاب المذكور

فالتقاريظ التي نشروها في المجلات الشرقية علمنا بثلاثة منها الاوَّل مقالة بالفرنساوية صدرت في المجلة الاسيوية الفرنساوية (Journal Asiatique) الصادرة في افريل سنة ١٩٠٤ بقلم الاستاذ الكبير دي كويه استاذ اللغات الشرقية في جامعة ليدن وصاحب الابحاث الدقيقة في تاريخ الاسلام والآداب الاسلامية وناشر تاريخ الطبري والبلاذري والمكتبة الجغرافية العربية وطبقات الشعراء وغيرها . فقد وصف الجزئين الاول والثاني من تاريخ التمدن الاسلامي في بضع صفحات وصف عالم مطلع الى ان قال «ويظهر من مطالعة الجزئين

الذين بين يديَّ ان المؤلف قد اطلع على ابحاث علماء اوربا ودرسها درساً دقيقاً وخصوصاً مؤلفات المرحوم البارون فون كريمر وانه عني عناية شديداً في جمع المواد التاريخية وتطبيقها وقد توخى في احكامه على الاشياء والاشخاص حرية تامة فجاءت احكامه على العموم معتدلة وعادلة »

والتقريظ الثاني ظهر في المجلة الاسيوية الانكليزية (Journal of the Royal Asiatic Society) بقلم الاستاذ مرجليوث استاذ الآداب العربية في جامعة اكسفورد ومؤلف سيرة النبي مطولة بالانكليزية وناشر رسائل ابي العلاء وديوان التماويذي وغيرهما. فكتب في بعض مؤلفات منشيء الهلال مقالة في خمس صفحات ذكر في جملتها الجزئين الاول والثاني من تاريخ التمدن الاسلامي وقد احسن الافاضة في وصفهما بما يدل على علم واسع ونظر دقيق . ومن اقواله « ان المواد التي يحويها هذان الجزآن هي من الاهمية والنفاسة في مكان عظيم مما يدعو الى الاسف انهما كتبا بلغة لا يعرفها معظم قراء هذه المجلة (المجلة الاسيوية) لان فيهم جماعة كبيرة يهمهم الاطلاع على تاريخ الاسلام وهم لا يعرفون العربية » ثم ذكر مزايا هذا الكتاب حتى بلغ الى ما حواه من اقوالنا في موظفي الدولة الاسلامية وزيادة الرواتب الى ان قال « وفي اعتقادي ان مؤلف هذا الكتاب اول من عني في هذا البحث بما يقتضي له من التفتيش والتنقيب في تاريخي الطبري وابن الاثير وهو عمل شاق يحتاج الى صبر طويل لا يعرف مقداره الا من يعاني مثل هذا العمل » ثم قال « ولا اظن كتاباً اعظم اهمية من هذا الكتاب ظهر في تاريخ الاسلام منذ سنين عديدة

والتقريظ الثالث ظهر في مجلة الكتب العربية (Bibliografia Araba) بقلم الاستاذ جويدي استاذ اللغات الشرقية في جامعة رومية واكبر مستشرقي ايطاليا ومؤلف فهرست كتاب الاغاني وغيره

وأما الكتب الخصوصية التي وردت الينا من حضرات المستشرقين فنقتطف منها ما يأتي على سبيل المثال :

قال الاستاذ جويدي المتقدم ذكره من كتاب ارسله الينا بشأن تاريخ التمدن الاسلامي « قرأت قسماً من كتابك تاريخ التمدن الاسلامي وأنا في غاية الاعجاب بهذا الكتاب النفيس وقد ادهشني ما رأيتهُ فيه من التوفيق بين الآراء الفلسفية الحديثة والآداب العربية »

وقال الاستاذ غولدتزير المستشرق الشهير في بودابست وهو من كبار العلماء وصاحب المؤلفات الضافية في تاريخ الاسلام والمسلمين والآداب الاسلامية « اطلعت على كتابك المهم في تاريخ التمدن الاسلامي واراني سأستفيد منه كثيراً في ما سأكتبه في تاريخ الاسلام وأشكرك سلفاً على ما سأستخرجه من فوائده »

وقال الاستاذ هارتويك دبرنبرج استاذ اللغات الشرقية في جامعة باريس وصاحب المؤلفات العديدة في الاسلام والعرب والشرق « أهنئك التهاني القلبية على صدور كتابك تاريخ التمدن الاسلامي وعلى ما حواه من العلم الواسع . والجزء الثاني عندنا نحن الافرنج يفضل على الجزء الاول لما في حواشيه من ذكر المآخذ التي أخذتم عنها الكتاب . واقول ان هذه المآخذ هي أوثق المصادر التاريخية واتقاها »

ولما اطلع على الجزء الثالث بعث يقول « اني لا أزال معجباً من الجهة الواحدة بسهولة قلمك وخصبه ومن الجهة الاخرى باقدامك المعجب وأنت في بلاد اسلامية على الجمع بين العلوم الشرقية والعلوم الغربية »

وقال الاستاذ ادوارد برون استاذ اللغة الفارسية في جامعة كمبردج وهو من اهل الاطلاع في الآداب الشرقية الاسلامية وله مؤلف في اداب الفرس ومعظم قراء الهلال يعرفون اسمه — قال في عرض كلامه عن ترجمة الكتاب المذكور الى الانكليزية « أما من قبل كتابك البديع تاريخ التمدن الاسلامي فان نقله الى اللغة الانكليزية رأي بديع أيضاً وانا على يقين انه سيكون اعظم نفعاً وأوسع انتشاراً »

وقس على ذلك اقوال سائر المستشرقين وكان لهذا الكتاب مثل هذا الوقع عند علمائنا في الشرق وقد جاءتنا كتب العلماء من سوريا والعراق وفارس والهند وغيرها وفيها عبارات الاستحسان والاعجاب نكتفي بالاشارة اليها في هذا المقام غير ما نشرناه منها في السنة الماضية

ويسرّنا ان اعجاب العلماء بهذا الكتاب لم يقتصر على تقريظه ولكنهم سعوا في نقله الى السنتهم . فقد نُقل الآن الى اللغة الهندستانية (الاوردية) نقله مدير جريدة « وكيل » الهندية الشهيرة . وقد صدر الجزء الاول منه وعرض للبيع . والمخابرة جارية الآن بشأن نقله الى اللغة الانكليزية وخابرنا بعضهم بنقله الى اللغة الفرنساوية

وقد حدث ذلك كله على أثر صدور الجزئين الاول والثاني من هذا الكتاب وأما الجزء الثالث فقد جاءنا من حضرات المستشرقين بشأنه ما يستحق ان يفرد له فصل خاص

غير انا نذكر رأي أعلم علماء المسلمين في الهند الاستاذ شبلي النعماني صاحب المؤلفات الكثيرة في آداب العرب والمسلمين وناظر العلوم والفنون في حيدراباد لما في عبارته من صدق اللهجة . فقد كتب الينا بالامس يقول « طالعت الجزء الثالث من كتابكم التمدن الاسلامي والحق يقال انكم متفردون من بين أهل النشأة الجديدة بسعة النظر وحسن الاختيار واصابة الرأي — غير ما كان من عزوكم احراق المكتبة الاسكندرية الى المسلمين فان هذا فرية من غير مرية ولولا اني في اسر المرض لكتبت في هذا ما كان يميط الحجاب عن وجه الحقيقة » فنطلب اليه تعالى ان يقرب شفاء العالم الهندي لنستفيد من آرائه . والمناظرة تجلو الحقيقة — على انا اطلعنا على أقواله في هذا الشأن منذ بضعة عشر عاماً في رسالة نشرها بالهنديه وبالانكليزية وقرظناها في السنة الثانية من الهلال وهي لا تخرج في اسانيدها عما ذكرناه من اقوال العلماء الذين ينكرون احراق العرب لهذه المكتبة وقد فندناها . فلعلّ صديقنا النعماني قد عثر على اسانيد جديدة تؤيد رأيه فنرجو نشرها خدمة للحقيقة فانها ضالتنا المنشودة

أما كتب الاصدقاء في مصر وسوريا فنغضي عن ذكرها لكثرتها ونلتمس ممن أرسلوا الينا رسائل التقريظ لهذا الكتاب عذراً على اغفال نشرها في الهلال

تاريخ التمدن الاسلامي والصحافة العربية

ونغتنم هذه الفرصة للثناء على الصحافة العربية لترحيبها بهذا الكتاب وان كان اكثرها قرظته كما تقرظ بعض الكتب الاعتيادية التي تصدر كل يوم . ولا لوم عليها لان انتقاد مثل هذا الكتاب خاص بالمجلات ولم تقصر مجلاتنا الكبرى في هذا الصدد فانها نظرت في الكتاب نظر الناقد المنصف فاستوجبت الشكر الخاص . وانتقاد الكتب أشبه بحكم المحكمين لا جدال فيه ولا يجوز الرد عليه الا بما لا يخرج عن ايضاح مشكل أو التنبيه على سهو

ولذلك فانا نستأذن صديقنا صاحب المنار الاسلامي في كلمة نقولها في هذا المقام — ذلك انا نشكره شكراً واجباً لما توخاه في انتقاده من الانصاف وحرية الضمير وما أبداه فيه من حسن الظن بنا حتى تفضل في الدفاع عنا وردّ قول من يزعم فينا التعصب وبرهن لقرائه انا انما نكتب في الاسلام والمسلمين عن قصد حسن ونية سليمة . غير انا رأينا في مجمل ملاحظاته انه لا يقنع منا بالاعتماد على كتب التاريخ والادب في ما نكتبه عن تاريخ الاسلام لئلا يكون في آرائنا ما يخالف أقوال بعض الائمة وأشار علينا

أن نعرض تلك الاقوال على عالم مسلم • وفي اعتبارنا ان المؤرخ يكفيه النظر في كتب التاريخ واذا نظر في غيرها فينبغي ان ينظر فيها من حيث التاريخ فقط وليس من حيث التفسير أو التأويل أو من حيث بعض الاعتبارات الدينية • فلو كتبنا تاريخ التمدن المسيحي مثلاً لاكتفينا باقوال المؤرخين وأغضينا عن أقوال اللاهوتيين في تفسير العقائد أو تأويل بعض النصوص لانهم مختلفون في ذلك مثل اختلاف سائر أئمة الدين • وتكاد لا تجد مسألة دينية لا تحتمل تأويلاً فاذا رجعنا الى كتب الدين وأردنا استخراج الصواب منها ضللنا وأضعنا الوقت سدى — على أننا لو أردنا الرجوع اليها في ما نكتبه عن المسلمين لكان لنا في مابين أيدينا من تلك الكتب ما يغنينا عن عرض أقوالنا على أحد

فنحن انما نثبت في كتبنا ما ثبت عندنا صحته من الوجهة التاريخية ونستخرج آراءنا من مجمل ما نتصفحه من كتب التاريخ والادب وغيرها بعد امعان النظر واعمال الفكرة على ما يبلغ اليه الامكان • ولو اردنا تأييد اقوالنا بأدلة من كتب الدين فلا نعدم وسيلة لاثباتها ولكننا اخذنا على نفسنا ان لا ننظر في ذلك حرصاً على الوقت وفراراً من سوء الظن بنا لغير طائل • لان اقوال الائمة او المفسرين كثيراً ما تخالف اقوال المؤرخين في الظاهر فقط لاعتبارات دينية فيسهل تطبيقها كما هو الحال في اكثر ما يقوله المعترضون • ولكن كثيراً مايكون بين القولين مناقضة صريحة فيقول التاريخ قولاً ويقول بعض الائمة ضده ونحن انما يهمنا التاريخ • ومن اقرب الامثلة على ذلك اننا ذكرنا في بعض كتبنا ان علي ابن ابي طالب كان ضعيف الرأي فانكر المنار ذلك علينا واتى باقوال كثيرة في دفع هذه التهمة عنه • ولا نظن احداً يطلع على تاريخ الامام علي و يتدبر اعماله الا ويرى في كل عمل منها دليلاً على ضعف رأيه — في حكم التاريخ — ناهيك بشهادة ابن عمه عبدالله بن عباس يوم اشاروا على علي باقرار معاوية ولم يقبل فقال له ابن عباس يومئذ « يا امير المؤمنين انك رجل شجاع ولست صاحب راي » فهل اصرح من هذا القول او اصدق من هذا القائل وقد رواه ابن الاثير وابو الفداء وغيرهما

على اننا نكرر الشكر لزميلنا صاحب المنار لاننا نستفيد من الانتقاد اكثر مما نستفيد من التقريظ وخصوصاً من صديق عالم نعدُّ نجلته من اكبر اركان النهضة الاسلامية • ولكننا نرغب اليه ان يتكبد المشقة في مطالعة كتبنا ثم ينتقد ما تحويه من الابحاث الجديدة في تاريخ التمدن الاسلامي ونظن النظر فيها اهم من النظر في اكثر ماتقرظه الجرائد من الكتب

وكنا منذ اخذنا في تاليف هذا الكتاب نتوقع ثلاثة امور : الاول ان يقع لدى

مستشرقي اوربا موقع الاستحسان لعلمنا انهم عانوا هذه الابحاث وعرفوا قدرها وهم قدوتنا فيها ولأنهم لم يتعودوا الوقوف على مثل هذه الابحاث من كتاب الشرق . والامر الثاني اننا كنا نتوقع من علماء المسلمين وخاصة كتاب العربية ان ينظروا في هذا الكتاب بعين الاهتمام ويبحثوا في مواضيعه لانها عبارة عن البحث في مآثر اسلافهم . والأمر الثالث ان يسيء العامة ظنهم بنا لعلمنا باختلافهم في المذاهب والمشارب وخصوصاً لاننا مسيحيون ونكتب في تاريخ الاسلام

فالامر الاول قد صدق ظننا فيه فوق ما كنا نتوقعه كما قد رأيت . واما الامر الثاني فلم يصدق ظننا فيه الاَّ قليلاً كأن الخاصة قليلون عندنا او انهم لم يتكلفوا البحث لسبب من الاسباب . او اذا تكلفوه انما ينظرون الى العرض دون الجوهر فينتقدون لفظة يعرفون لها تاويلاً او يتوهمون فيها خطأ ولا يتعرضون للابحاث الاصلية التي يتألف منها هذا الكتاب وفيها حكم المؤلف على الاسلام والمسلمين في تمدنهم بين اطراء ونقد كقولنا مثلاً ان العرب احرقوا مكتبة الاسكندرية او انهم لم يدونوا العلم الاَّ بعد انقضاء القرن الاول للهجرة وبحثنا في الاسباب التي حملت الخلفاء على نقل العلوم وفي ما ساعد على نقلها غير آرائنا في المدارس والمكاتب وان المسلمين لم ينشئوا مدرسة الاَّ نحو القرن الخامس واقوالنا في ما احدثه المسلمون في العلوم من الآراء والابحاث وغير ذلك مما فصلناه في الاجزاء الثلاثة من هذا الكتاب . فانتقاد هذه الابحاث الكلية يدل على عقل المنتقد وعلمه و يعود بالفائدة على الكتاب والقراء . واما انتقاد الالفاظ فلا عبرة فيه والوقت يضيع سدًى في تحقيقه

واما الامر الثالث فقد صدق ظننا فيه مضاعفاً اذ نقم علينا المسيحيون والمسلمون معاً وما ذلك الاَّ لاننا نتوخى الحقيقة كما هي بقطع النظر عن الاغراض والاهواء — والحقيقة ثقيلة على سامعيها . اذ لا يخلو ان يكون للتمدن الاسلامي حسنات وسيئات فاذا قرأه مسلم تغاضى عما ذكرناه فيه من حسنات الاسلام وانتبه للسيئات ونسب المؤلف الى التعصب . واذا قرأه مسيحي لم يرَ غير الحسنات فينسب المؤلف الى المروق من النصرانية . ولا يهمنا هذا ولا ذاك ونحن انما نقصد الحقيقة وغرضنا ظاهر في كل سطر او كلمة من مؤلفاتنا

على اننا معاذ الله ان ندعي العصمة فقد يتطرق الخطأ الى كثير مما نكتبه . ولذلك فاننا نحب الاطلاع على آراء اهل العلم فيه للاقتراب من الصواب بقدر الامكان

مطبوعات جديدة

(روكامبول) هي رواية كبيرة تأليف بونسون دي تيرايل الكاتب الفرنساوي وقد اشتهرت بين قراء الروايات بغرابة اسلوبها وكثرة تشويقها مما لا يدع للقارىء فرصة لترديد انفاسه لشدة تأثير وقائعها في عواطفه . فلا يفرغ من فصل الا ويعلق ذهنه في استطلاع مافي الفصل التالي . ولا يفرغ من جزء الا اشتاق الى مطالعة ما يليه . تبدأ الرواية عند رجوع نابوليون الاول من مدينة موسكو بعد ما نشبت فيها نار الروسيين . وقد كان غواة القصص يأسفون لخلو اللغة العربية من هذه الرواية حتى عني طانيوس افندي عبده احد صاحبي جريدة الشرق ورئيس تحريرها في نقلها الى العربيـة فنقلها بعبارة سهلة واضحة تعودها قراء «الشرق» و«فصل الخطاب» ومطالعو ماعربه قبلها من الروايات . وقد جعلها في خمسة اجزاء كبيرة لكل منها اسم خاص . الجزء الاول «الارث الخفي» والثاني «سجن طولون» والثالث «القادة الاسبانية» والرابع «انتقام باكارا» والخامس «التوبة الكاذبة» وصفحات كل جزء نحو ٢٥٠ صفحة كبيرة وهي تطلب من ادارة جريدة الشرق ومن مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش واجرة البريد غرش

(برنامج اخوية القديس مارون) اهدانا حضرة يوسف افندي خطار غانم رئيس اخوية القديس مارون وجمعية طوبيا البار ومنشىء غرفة القراءة ومكتبتها في بيروت الجزء الثاني من برنامج اخوية القديس مارون (والجزء الاول تحت الطبع) وهو سفر كبير يدل على عناية كبرى في جمعه وطبعه . وقد جعله تقدمة الى غبطة العلامة الياس بطرس الحويك بطريرك الطائفة المارونية وصدره برسمه وترجمته . والحقها بتراجم المطارنة الحاليين ورسومهم وما استطاع الوصول اليه من رسوم المطارنة الغابرين وتراجمهم وذكر اخبارهم واعمالهم والمع الى سلسلة عائلات بعضهم واردف ذلك بتاريخ الابرشيات وسلسلة مطارنتها . وقد قاسى في سبيل جمع هذه الحقائق وتحقيقها مشقات جسيمة تدل على همة عالية وثبات عظيم . وسيظهر من هذا الكتاب سبعة اجزاء كبيرة تحتوي سائر ما يتعلق بالطائفة المارونية تاريخياً وادبياً وعلمياً مع الرسوم اللازمة وستصدر هذه الاجزاء في حينها فاذا تم صدورها كان هذا الكتاب من اهم الموسوعات التاريخية عن سوريا ولبنان . وتاريخ الطائفة المارونية عبارة عن تاريخ آداب اللغة العربية في سوريا قبل العصر

الحاضر لان الموارنة اسبق الطوائف السورية الى احراز العلوم والآداب هناك . وفي الجزء الثاني الذي بين يدينا نحو سبعين رسماً متقناً وكثير من التراجم الضافية ومطبوع طبعاً حسناً بحرف جميل على ورق صقيل وعدد صفحاته ٣٧٨ صفحة كبيرة . وقد كتب الينا حضرة المؤلف انه لم يحدد له ثمناً بل ترك ذلك لاختيار المشتري لانه اوقف دخله للاعمال الخيرية جزاه الله خيراً وهو يطلب من حضرته في بيروت

﴿ شريف بك عمر ﴾ عني حضرة محمد افندي امام العبد بجمع تاريخ حياة المرحوم شريف بك عمر احد اعيان مصر ووالد حضرة عبدالله بك شريف . وصدرها برسم المترجم ورسم نجله المذكور وافاض في الترجمة فرجع باصل المترجم الى سعد بن عبادة الصحابي . ثم ذكر ما كان من اعماله وما تقلب فيه من الاحوال فاستغرق ذلك نحو ٤٠ صفحة كبيرة ألحقها ببضع عشرة صفحة ذكر فيها ما قاله الادباء والشعراء ورجال الوجاهة في رثائه وتعداد مآثره والكتاب ٥٥ صفحة كبيرة

﴿ الطريقة المبتكرة لتعليم القراءة العربية ﴾ صدر الجزء الخامس من هذا الكتاب لشقيقنا ابراهيم افندي زيدان . وقد الفه بناء على اقتراح اساتذة المدارس الذين جربوا التدريس بالاجزاء الاربعة السابقة من الكتاب المذكور . فجمع فيه ما يحتاج الاحداث الى معرفته من المبادىء العلمية في اهم العلوم العصرية . قسمه الى اربعة عشر باباً في الادب والتاريخ والسياحة والصناعة والتجارة ودليل مصر والعلوم والفنون والاكتشافات وعلم الادب والمقالات والرسائل والخطب والحكم والشعر . وجعل كل باب فصولاً سهلة لذيذة . ففي باب الادب مثلاً مقالات في الاعتماد على النفس والثبات والقوة وواجبات المرء وغيرها . وفي باب التاريخ خلاصة تراجم العائلة الخديوية ونابوليون بونابرت وكرنيليوس فانديك وناصيف اليازجي والافغاني وشفيق بك منصور وغيرهم . وفي باب التجارة واجبات التاجر والمواد التجارية والاوراق التجارية والمراسلات التجارية . وفي باب العلوم والفنون مقالات في الفصول الاربعة والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والطبيعيات وعلم الآلات والكيمياء والطب والزراعة . وفي باب الاكتشافات تلغراف مركوني والساعة الكهربائية والمنطاد وغيرها . وفي باب الادب مواد الانشاء وخواصه وطبقاته والمستحسن منها . وقس على ذلك فصول سائر الابواب . مما يستفيده التلميذ ويكون اساساً لما يتعلمه بعد ذلك من الدروس العليا في هذه المواضيع . صفحات الجزء المذكور ٢٥٠ صفحة كلها مضبوطة بالشكل الكامل ومزينة بالرسوم والاشكال وثمن النسخة مجلدة خمسة قروش واجرة البريد

قرش يسقط من ذلك ٢٥ في المئة للمدارس تسهيلاً لاقتنائه . فنحث المدارس العربية على التعليم به فانه موضوع على نسق يلائم حاجات هذا العصر

(الاصول الفنية في المآكل الافرنجية) هو كتاب في صناعة الطبخ كما هي عند الافرنج تأليف الحاج علي محمد احد مشاهير الطباخين بمصر وقد مارس هذه الصناعة في اكبر فنادق الافرنج في القاهرة وزين الكتاب بالرسوم والاشكال لزيادة الايضاح وجعله تقدمة لعطوفة احمد باشا المنشاوي وثمن النسخة عشرون قرشاً والبريد قرش

※ الكرمة ※ هي مجلة دينية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرة في الشهر لصاحبها ومنشئها الشماس حبيب جرجس معلم الدين في المدرسة الاكليريكية . وفي صدر الجزء الاول صورة الانبا كيرلس الخامس بطريرك الاقباط الارثوذكس وصورة المرحوم المعلم جرجس الجوهري رئيس كتاب الحكومة المصرية في آخر عصر المماليك بدل اشتراكها ٢٥ قرشاً بمصر وعشرة فرنكات في الخارج فنتمنى لها النجاح

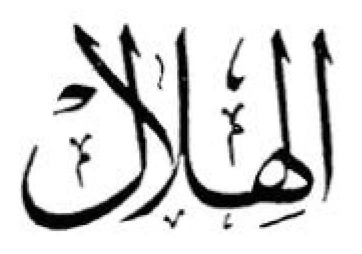
※ الفرقان ※ هي مجلة علمية ادبية قضائية سياسية تصدر في مصر مرتين في الشهر لمنشئها احمد افندي فهمي المحامي بدل اشتراكها في مصر والسودان ثمانون قرشاً وفي الخارج عشرون شليناً وبنصف القيمة لتلامذة المدارس وطلبة العلم فنرجو لها الثبات والاقبال

※ المفتخر ※ جريدة ادبية سياسية تصدر في المنصورة مرة في الاسبوع لصاحبها عمر افندي لطفي بدل اشتراكها سبعون قرشاً في مصر ومئة في الخارج وفقها الله الى الفلاح

※ النفير ※ هي جريدة يومية ادبية سياسية تصدر في الاسكندرية لمديرها ابراهيم بك زكا بدل اشتراكها السنوي ستون قرشاً في الاسكندرية وعشرون فرنكاً في الخارج وهي ارخص جريدة يومية عربية فنرجو لها الثبات والنجاح

※ دليل مصر والسودان ※ جاءنا منشور عن مشروع جليل عزم الخواجات ثابت وانطاكي على تاليفه وسيجعلانه قاموساً واعياً لتاريخ القطرين وجغرافيتها وخصوصاً مدينة القاهرة والاسكندرية وما فيهما من الشوارع والخطط والدوائر وموظفيها والتجار وسائر المهن والاعمال وسيذيلان الكتاب بتاريخ النهضة العربية الاخيرة والجرائد والعلماء وغير ذلك وهو عمل شاق لا يقدم عليه الا اصحاب الهمم العالية فنرجو ان يتوفق صاحباه الى اتمامه ومتى صدر نوفيه حقه من الوصف

※ ابو مسلم الخراساني ※ هي الحلقة التاسعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام موضوعها سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية وستنشر ملحقة بأهلة هذه السنة



الجزء الثاني من السنة الثالثة عشرة

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٤ و ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢





نابوليون بونابرت

معركة ووترلو وسقوط نابوليون

سنة ١٨١٥

هي المعركة التي قضي فيها على عظمة نابوليون بونابرت بعد ان ارتقى الى السدة الامبراطورية واكتسح ممالك اوربا واذل معظم ملوكها وبعد أن ضاقت تلك القارة الواسعة عن مطامعه حجر عليه في جزيرة صغيرة في اقاصي الاوقيانوس الاتلانتيكي حيث مات فيها اسيرًا منفيًا . وقد حدا بنا الى تذكار هذه المعركة ما كان من معركة موكدن بالامس بين الروس واليابان اذ تفانى الفريقان في التماس الفوز وكان عدد المتقاتلين من الجانبين يزيد على نصف المليون من الجند . فرأينا ان نشرح واقعة ووترلو والاسباب التي بعثت اليها

﴿نابوليون في جزيرة البا﴾ نابوليون اشهر قواد العالم واذا قيست العظمة بمقدار مواهب الرجال واقتدارهم ومطامعهم فهو اعظم رجال التاريخ لانه اتى بما لم يأته احد ممن تقدمه منهم بسالةً وتعقلاً واقداماً ودهاء حتى غلب على معظم دول اوربا واذل اكثر ملوكها . حتى اذا طمع في موسكو عاصمة الروس وحمل عليها بنصف مليون من الرجال ومئتي مدفع رجع عنها خائباً وقد قتل معظم ذلك الجيش من الضنك والبرد فصغر امر نابوليون بعد هذا الفشل في نظر دول اوربا فتحالفوا على حربه فحاربوه في هولندا وعلى ضفاف الرين سنة ١٨١٤ وانقسم الفرنساويون عليه . فاغتنم العدو انقسامهم وحاصروا باريس ونابوليون غائب عنها . وفي ٣١ مارس من تلك السنة سلمت باريس وكان نابوليون قد ادرك بفراسته مقاصد اعدائه في هذا السبيل فاسرع الى باريس فعلم وهو في فونتنبلو انها سقطت . فبغت لذلك الخبر ولبث مدة هناك لا يعلم ماذا يعمل وقد تخلى عنه اصدقاؤه وانكره رجال خاصته لما راوا ضعفه . وفيهم جماعة كبيرة من كبار القواد ممن نصروه في حروبه وشاركوه في فتوحه رهبة لا رغبة لانه كان يستخدمهم آلة في يده وكثيرًا ما كان يسيء معاملتهم بخشونة واستبداد وعسف وفيهم من يعدُّ نفسه اعظم منه وينسب فوز نابوليون الى تسلط نجمه . فاصبح نابوليون بعد ذلك الفشل وقد قلَّ نصراؤه واصدقاؤه حتى القواد اودينو وبرتيه وناي وكان يعدهم اصدق اصدقائه فلما تباينت مصالحهم ومصالحه هجروه

فاصبح نابوليون بعد ذلك الفشل عرضة لما تبغيه الدول المحالفة في امره وتوسط بينهم الجنرال مكدونلد الانكليزي فاجمعت الآراء اخيرًا ان يتنازل نابوليون عن حكومة فرنسا

ويرفع يده وصولجانه عن رؤوس الملايين الكثيرة التي كانت تهاب اسمه على ان يبقى امبراطوراً وتنحصر حكومته في جزيرة البا . وهي جزيرة صغيرة على بضعة اميال من شواطىء توسكانا وكانت قد دخلت في حوزة الفرنساو بين سنة ١٨٠٢ ولم يكن يظن رجال السياسة ان الدول بعد ان قبضت على ذلك الاسد ان تقبل باقامته في مكان قريب من امته واحزابه مع بقائه امبراطوراً — وموقع البا على ستة اميال من شواطىء ايطاليا و٣٤ ميلاً من كورسيكا مسقط رأس ذلك الرجل . طولها ١٨ ميلاً وعرضها يتروح بين ميلين ونصف وعشرة اميال ومساحتها ٩٠ ميلاً مربعاً . وهي كثيرة الجبال واعلى جبالها كباني علوهُ ٢٩٢٥ قدماً عن سطح البحر . قصبتها مدينة بورتوفرايو سكانها ٥٠٠٠ وفيها اقام نابوليون فوصلها في ٤ مايو سنة ١٨١٤ وألبا من الجزر المشهورة في التاريخ القديمة وفيها كثير من المعادن والحاصيل الثمينة

انتقل نابوليون الى هذه الجزيرة على دارعة انكليزية فلما وصل الى بورتو فرايو استقبله اهلها بالترحاب وقد سرَّهم ان تكون جزيرتهم مقرَّ ذلك القائد العظيم لعلمهم بما يترتب على اقامته هناك من النفع لهم ورواج احوالهم . ولم تكد قدم نابوليون تطا تلك العاصمة حتى اخذ في اصلاح الجزيرة فانشأ الابنية والحصون والاسوار وافتتح الطرق ونشط المعامل والمصانع وكأنه اقتنع بقضاء باقي حياته امبراطوراً على هذه المملكة الصغيرة وجنده فيها لا يزيد على خمسمئة وهم ممن تطوع لخدمته هناك من رجاله الاخصاء . على ان الدول وخصوصاً انكلترا لم تكن تامن وثوب نابوليون من الجزيرة الى القارة فارسلت مندوباً يقيم هناك يراقب حركاته . وكانت الدول المحالفة قد عينت له راتباً مقداره ستة ملايين فرنك تدفعها فرنسا في كل عام فانتحلت فرنسا اسباباً امسكت بها عن دفع ذلك المال مخافة ان يستخدمهُ في تقوية جنده . فاصبح بونابرت في ضيق مالي لان دخل الجزيرة لم يكن يقوم بالنفقات فاضطرَّ الى ايقاف اكثر ما شرع فيه من الاعمال وحقد ذلك على الحكومة الفرنساوية . ثم قام في نفسه ان اقامته في تلك الجزيرة مقدمة الى منفى بعيد واتفق في اثناء ذلك ان الحكومة الانكليزية ابتاعت جزيرة القديسة هيلانة من الشركة الهندية الشرقية فتحقق عنده انهم سينقلونه اليها فاخذ في اعمال فكرته للنجاة من ذلك الفخ

❊ حكومة فرنسا ❊ لما تنازل نابوليون عن حكومة فرنسا كما تقدم اعيدت اليها العائلة البوربونية وعاد لويس الثامن عشر الى كرسيها وعاد معه جماعة كبيرة من الاشراف والصنائع والاعوان وموظفي الحكومة القدماء وكانوا قد هجروا باريس معهُ

واعتزلوا الاعمال نحو ربع قرن فتغيرت الاحوال في اثناء غيابهم وتعوَّد الفرنساويون الانفة والحرّية فلم يدرك الملك واعوانهُ هذا التغيير وانما كان اعتقادهم ان السلطة كان قد اختلسها بعض المغرورين فاعادتها العناية الالهية الى اصحابها الاصليين · فجلس لويس الثامن عشر على كرسي فرنسا وهذا هو اعتقاده ولكنه « خوفاً من جرَّة الحبل » تبصَّر في ما يسترضي به رعاياه فبذل لهم بعض مايرضيهم مما اقتضاه روح العصر فمنحهم بعض الحقوق الشوروية والغى بعض الضرائب واطلق حرية المطبوعات واراد ان يقنع رعيته ان عوده الى كرسي الملك لم يغير شيئاً من شؤون فرنسا ونظاماتها التي كانت عليه قبلهُ وان رجوعه الى الملك عبارة عن زيادة رجل فرنساوي في الشعب الفرنساوي · ولكنه لم يستطع الثبات على وعوده بما اثرهُ عليه رجال حكومته ممن هاجر معه فانهم انما تكبدوا الاسفار والاخطار في نصرته طمعاً بالرجوع الى نفوذهم وثروتهم · فلما عادوا الى باريس صرفوا همهم الى استرجاع املاكهم على الشروط التي تركوها عليها منذ عشرين سنة · وكانت العادة في عهد العصر الاقطاعي ان قواد الجند لا يكونون الاَّ من الاشراف وبناء على ذلك طلبوا الرجوع الى تلك المناصب فاطاعهم الملك وعزل معظم قواد فرنسا الذين قادوا جنودها في حروب نابوليون واقام رجاله مكانهم وفعل نحو ذلك في سائر مناصب الحكومة المهمة · ولما شكت الجرائد من تلك السياسة حجزوا حريتها وقيدوا اقلام الكتاب · واعادت الحكومة املاك الاشراف اليهم وقد ظلم اصحابها وارجعت النفوذ الى رجال الاكليروس تحت رعاية الكونت دارتوا شقيق الملك وعاد الآباء اليسوعيون الى فرنسا وعادوا الى نفوذهم

ويمثلون حال فرنسا في أثناء تلك المدة بحادثة جرت يومئذ وكان لها وقع عظيم — ذلك أن سيدة تسمى المداموازيل رذكور من ممثلات المراسح الفرنساوية توفيت في الستين من عمرها · وكان من القوانين المهملة يومئذ ان اصحاب مهنة التمثيل محرومون لا تجوز صلاة الجنازة عليهم فاحيوا القانون المذكور ومنعوا الصلاة على المداموازيل المذكورة · فهاج الشعب هياجاً شديداً وخصوصاً لان الفقيدة لم يكن في سيرتها ما يشينها فطلبوا الى الملك ان يتوسط في الامر فابى بدعوى انه لا يرى التداخل في ما هو من حقوق الكنيسة وحدها · فزاد الشعب هياجاً وبعث اهل المأتم الى الملك انه اذا لم يصلِّ الاكليروس على فقيدتهم حسب الطقوس الكنائسية فانهم ينضمون جميعاً الى الكنيسة الانجيلية فرضخ الملك لطلبهم

(رجوع نابوليون من جزيرة البا) كان قد تقرر في معاهدة باريس انه بعد

التوقيع عليها بشهرين تعقد الدول المحالفة مؤتمراً في فينا ينظر في أمور تهم ممالك اوربا وخصوصاً تعيين حدود تلك الممالك بعد ما حدث من تشويهها بفتوح بونابرت بحيث تسترجع كل دولة ماخسرته مع مكافأة الذين ساعدوا على محاربة ذلك القائد ومقاصة الذين ساعدوه. وقد حدثت شؤون كثيرة أخرت التئام ذلك المؤتمر الى اول نوفمبر سنة ١٨١٤ . وكان مؤتمراً حافلاً لم يسبق له مثيل اجتمع فيه مندوبو دول اوربا وفيهم أعظم رجال السياسة في ذلك العهد. فقد ناب فيه مترنيش عن النمسا ونيسلرود وراسوموفسكي عن روسيا. واللورد كسلريغ وولنتون عن انكلترا وتليران ودالبرج عن فرنسا والبرنس هردنبرج ووليم فون همبلت عن بروسيا . وبالجملة فقد كانت فينا في ذلك العهد مزدحمة بالناس فراجت فيها الدسائس والمساعي كل مندوب وكان يبذل جهده في احراز الكسب لدولته فتنازعوا على اقتسام الغنيمة واشتد التنازع حتى كاد الخلاف يفضي الى الحرب . وهم في ذلك اذ جاءهم نبأ مريع انقض على رؤوسهم انقضاض الصاعقة — وهو ان نابوليون بونابرت خرج من محبسه ونزل فرنسا



نابوليون عند قبر فريدريك الاعظم

وكان السبب في خروجه انه مع قلقه من مقامه في تلك الجزيرة وما كان يخافه من زيادة التضييق عليه. كان بعض أصحابه الذين حافظوا على ولائه يختلفون اليه بالاخبار عن حكومة فرنسا ومن جملتهم فوشيه الذي كان وزير البوليس عنده ودافو ومارت

وكارنو وغيرهم • فلما صارت فرنسا الى ماذكرناه من اضطراب الحكومة وهيجان الشعب وخصوصاً الجنود فانهم بعد ان كانوا في عز وفخر على عهد نابوليون اصبحوا تحت الضغط في حكومة البوربون فاخذ المتوسطون يسعون في تحويل اذهان الجنود الى قائدهم وانه اذا عاد نجاهم من ذلك الذل • فتعاهدوا سرًّا على نصرته وجعلوا علامة الاشتراك في ذلك الرأي « البنفسج » فرمزوا باللون البنفسجي عن ذلك الاتحاد يتقلده الاحزاب تحت البستهم ومتى جاء الربيع يجيئهم « الاب بنفسج » وهو نابوليون

وكان جند نابوليون في عاصمته بورتوفرايو (وقد سماها كوسموبولي) قد اصبح ثمانماية رجل • فلا تسل عن سرورهم لما انبأهم الامبراطور في ٢٦ فبراير سنة ١٨١٥ بعزمه على الرجوع الى فرنسا فصاحوا صياح الفرح « ليحيي الامبراطور » وفي مساء ذلك اليوم اقلعوا من جزيرة البا في ست سفن فوصلوا سالمين الى كان قرب فريجوس فنزلوا واسرعوا يطلبون باريس • وقد ذكر نابوليون في بعض مناشيره يصف ذلك الانتقال فقال « ما زال النسر الملوكي يطير في فرنسا من اكمة الى اكمة حتى حط على ابراج نوتردام » وكان في اثناء مروره ينشر المناشير المؤثرة على عواطف الشعب الفرنساوي يستنهضهم لنصرته • والفرنساويون يتأثرون من الحماسة وخصوصاً من كلام نابوليون وقد زعم انه انما جاء مذعناً لدعوة الوطن وان فرنسا دعته الى انقاذها • واخذ يذكر رجاله بالفتوح التي تمت لهم تحت قيادته وخصوصاً سنة ١٨١٤ وشدد النكير على تسليم باريس ونسب تسليمها الى مارمون وأوجيرو وانهم لو وافقوه يومئذ لأخرج الدول المحالفة من فرنسا بالقوة • وكان يفرّق هذه المناشير في اثناء انتقاله الى باريس وقد عرف كيف يخاطب الشعب الفرنساوي لعلمه بموضع ضعفهم فاثار عواطفهم بعبارات الوطن والحرية وان حكومة البوربون انما ارجعها الى فرنسا الاجانب ومن أقواله « ان شارل السابع لما عاد الى باريس وقلب عرش هنري الخامس انما استرجع صولجانه ببسالة رجاله » ومنها « ايها الجنود تعالوا واتحدوا تحت راية قائدكم فان بقاءه مقرون ببقائكم وحقوقه حقوقكم وحقوق الشعب وكذلك مصلحته وشرفه ومجده فانها مصلحتكم وشرفكم ومجدكم » ثم ذكر طيران النسر الملوكي كما تقدم الى ان قال « فيحق لكم والحالة هذه ان تفاخروا بأعمالكم لانكم ستحررون وطنكم واذا جاءتكم الشيخوخة واجتمع حولكم شبان العصر القادم فقصصتم عليهم ما كان من استهلاككم في سبيل انقاذ هذا الوطن فيقول أحدكم وهو يفتخر انه كان من جملة المجاهدين في هذا السبيل وانه اخترق أسوار فينا ورومية وبرلين ومدريد ولشبونه

وموسكو مرتين • والوطن يفتخر بامثال اولئك الابطال ويرذل الجبناء الذين قضوا ٢٥ عاماً وهم ينصرون الاجانب على خرق حرمة بلادهم » فبذكر الوطن والاجانب على هذه الصورة فاز نابوليون باثارة عواطف الفرنساويين وجمعهم تحت لوائه

أما رجال الحكومة في باريس فلما بلغهم نزول بونابرت على شواطيء فرنسا انكروه فلما تحققوهُ اقنعوا الملك ان نابوليون انما يسعى الى حتفه بظلفه ومثلوه في الجريدة الرسمية تائهاً مع شرذمة من الاتباع في بعض الاودية والجبال • ونشر المارشال سول منشوراً قابل فيه بين حقوق الملك الشرعي وحقوق متشرد يريد ان يثير في البلاد ثورة أهلية • وفعل نحو ذلك ايضاً المارشال مسينا وتعهد المارشال ناي ان يأتي بذلك الثائر (بونابرت) أسيراً في قفص من حديد

على ان الجيش الفرنساوي لم يعبأوا بذلك بل اندفعوا بكليتهم الى نصرة قائدهم الذي قضوا نحو ربع قرن وهم يحاربون باسمه ويستهلكون تحت لوائه • وكان الملك قد أرسل فرقة منهم للقبض عليه فالتقوا به في فيتريل وقد جاءهم وحده فحالما وقع نظرهم عليه استسلموا له وانضموا الى جنده وصاحوا « ليحيَ الامبراطور » • ولما وصل الى غرينوبل فتحوا له الابواب واستقبلوه بترحاب وفعل نحو ذلك الكولونيل لابدوير وغيره ومن جملة الذين انحازوا اليه على هذه الصورة حملة جاءت للقبض عليه بقيادة الكونت دارتوا ولويس فيليب ودوق دورليان والمارشال مكدونلد فحالما التقوا به انحازوا اليه • والمارشال ناي ترك الملك وعاد الى رفيقه في فتوحه ويقال ان المارشال المذكور لما وعد الملك بالقبض على بونابرت لم يكن ينوي غير ما يقول ولكنه حالما وقع نظاره على قائده القديم عادت اليه عادته القديمة في تقديم الطاعة له رغم ارادته • فلما رأى الملك لويس ما كان من انحياز القوة الى بونابرت فرَّ ومن بقي معه حتى خرجوا من حدود فرنسا

(الدول وبونابرت) أما المؤتمر فقد داهمه ما شغله عن الاختصام والتنازع فاتحد اعضاؤهُ للنظر في النازلة الطارئة واقروا على وجوب استبقاء الحكومة التي أقاموها في باريس وان بونابرت برجوعه الى فرنسا بالمدة والقوة قد جرَّ على نفسه النقمة العامة • واتحدت الدول الاربع انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا على الاشتراك في حربه وتعهدت كل منها بتجنيد ١٥٠,٠٠٠ عسكري أو تقديم مساعدة مالية في مقابل ما ينقص عندها من هذا العدد • ثم دعوا الدول الأُخر لمحالفتهم فاجابوا الدعوة الا اسوج لسبب متصل

بطمع خاص والبورتوغال لانها كانت ناهضة من حرب ثقيلة وتحتاج الى الراحة • فانفض المؤتمر وقد أجـل مسألة الحدود والحقوق الدولية الى وقت آخر

وكان نابوليون قد دخل باريس في ٤ افريل وقبض على أزمة الحكومة مرة أخرى وأدرك خطر مركزه فاخذ في اكتساب قلوب الشعب فاظهر الاعتدال والتساهل واعترف بما كان من شدته السابقة وأن الشعب الفرنساوي يحتاج الى حكومة شوروية وفتح للدول باباً للمسالمة فكاتبهم بشأن الصلح فمنهم من ردَّ اليه الكتاب كما هو ومنهم من استلم الكتاب ولم يجب عليه • فلم يبق لبونابرت الاَّ الاستعداد للحرب فعاد الى تيقظه العسكري والى حركاته الحربية فاخذ في اعداد المعدات وهو يعلم انه ربما اضطر الى محاربة أوربا كلها • وكان الجند الفرنساوي قد انحط في أيام البوربون الى ٩٠,٠٠٠ جندي فاخذ في اتخاذ الوسائل الممكنة لاسترضاء الشعب لينهض معه للحرب طائعاً فعقد في أول يونيو من ذلك العام مجلساً عاماً اجتمع فيه عظماء المملكة وأقسم فيه اليمين الحاسمة على العمل بالشورى وصرح على رؤوس الاشهاد ان مجده وسعادته وتلهفه مرتبطة بمصلحة فرنسا ارتباطاً لا انفصام له وختم الاجتماع بتفريق بعض علامات الشرف على الرؤوس والزعماء وانفضت الجلسة على أنغام الموسيقى بموكب حافل

احتفل بونابرت ذلك الاحتفال وهو يعلم خطر مركزه لان أوربا كلها تتجند لحربه وكان يتوقع ان يجتمع عنده نحو مليون جندي لكنه مع ما بذله من السعي والهمة لم يجتمع لهُ تحت السلاح الاَّ ٢١٧,٠٠٠ مقاتل قسمهم الى سبع فرق تولى قيادتها سبعة قواد وهم ناي وزايل وفاندام وجيرار وراب ولوبان وسوشه وجعل على قيادة الفرسان اكسلمان وكلرمان وكروشي وباكو وميشو وسلم الى المارشال مسينا قيادة قلعة متس وجعل دافو وزيراً للحربية ومارشان سول أركان حرب الجيش • واعمـل بونابرت فكرته الوقادة في سبيل هذه الحرب فرأى أنه لا يستطيع شيئاً ما لم يحارب الدول منفردة قبل أن تجتمع قواتها فيغلب كلاً منها على حدة • وكانت انكلترا وبروسيا قد اعدتا الجند للحرب في بلاد البلجيك وفيه جماعات من هولندا والبلجيك وهنوفر وبرونسويك • فاذا أتيح له مهاجمة هذا الجند قبل أن تنضم اليه جنود روسيا والنمسا وبافاريا وغيرهم فانه يتغلب عليه بما يفتح له باباً للصلح على شروط هي في كل حال أنسب له من الوقوف أمام دول أوربا كافة • فنهض بونابرت بجنده على هذا الامل وبرح باريس في ١٢ يونيو سنة ١٨١٥ طالباً بلاد البلجيك



الدوق ولنتون

﴿ ولنتون و بلوخر ﴾ حالما عرف الانكليز بما تم الاتفاق عليه في محاربة بونابرت اخذوا يفكرون في انتقاء القائد اللائق لمحاربته فلم يجدوا اليق من دوق ولنتون وكان قد اشتهر بحروبه في اسبانيا حتى نال أشرف رتب الدولة والقابها فاختاروه فقبل وجنّد الجند وقطع الى القارة فنزل بروكسل عاصمة البلجيك في اوائل افريل اي قبل انتقال بونابرت بشهرين . وكان من رايه ان لا يبدأ الحرب ما لم تجتمع الجنود الانكليزية والبروسيانية والنمساوية معاً فتكون المعركة قصيرة وقاضية — ذلك ما كان قد تعلمه من اختباره الطويل في الحرب . وبناء على ذلك اخذوا في التأهب وكانت الجنود الانكليزية خارجة من الحروب في اماكن مختلفة ويزعم الانكليز ان الجنود التي اجتمعت تحت راية ولنتون يومئذٍ لم تكن كما كان يتوقعه في حرب لم يتفق مثلها في ذلك العصر . وبلغ عدد الجند المجتمع تحت راية ولنتون في بروكسل ٧٨,٥٠٠ مقاتل ثلثاهم من الانكليز والهنوفريين والبلجيين والثلث الباقي من الالمان وخصوصاً من برونسويك وناساو

وكان المارشال بلوخر قائد الجنود البروسيانية من اشهر قواد الالمان وتحت قيادته ١٣٠,٠٠٠ جندي ولم يكن يصلح منها للحرب الا ٨٠,٠٠٠ فلما بلغ الدوق ولنتون زحف نابوليون وجيوشه اخذ في مخابرة بلوخر للالتقاء في المكان الذي يتوقعون ملاقاة بونابرت فيه . وكان بلوخر شجاعاً باسلاً ومع انه ادرك السبعين من عمره فقد كانت فيه همة الشبان

ونشاطهم وكان نابليون نفسه يشهد له بالمهارة في استخدام السيف

اما نابوليون فقد دبر تدبيراً شهد رجال السياسة والحرب انه لا يمكن الوصول الى خير منه وذلك ان يجمع جيوشه على نهر السامبر في جنوبي بلاد البلجيك ويتقدم من هناك الى شارلروا باسرع ما يمكن فيغتال الجنود البروسيانية قبل اجتماعهم بالجنود الانكليزية فيغلبهم ويطاردهم الى لكسنبورج ثم يهاجم الانكليز ويرجعهم الى الشاطىء فيصير بذلك صاحب بلجيكا ويهون عليه تحويل جنده لملاقاة الجنود الاخرى القادمة عليه من اعالي الرين واسافله . وهي خطة بديعة لا يمكن تدبير افضل منها في تلك الاحوال فقطع نهر السامبر في ١٥ يونيو حتى وصل شارلروا وكان فيها جند بروسياني بقيادة الجنرال زيتن فافتتحها وامر المارشال ناي ان يقلع بباقي الجيش (٤٠,٠٠٠) الى فلوروس ومنها الى كاتربرا (quatre bras) وقد سمي هذا المكان بهذا الاسم لانه ملتقى اربع طرق تؤدي احداها الى شرلروا والثانية الى نامور والثالثة الى نيفل والرابعة الى بروكسل . وكان الغرض من حركة ناي هذه ان يشغل الانكليز ويمنعهم من الاجتماع بالبروسيانيين ريثما يهزمهم بونابرت ثم يعود الى معاونة ناي في هزيمة الانكليز

وكان الانكليز من الجهة الثانية في بروكسل وحواليها يعدّون حربهم القادمة عبارة عن سياحة الى باريس بعد ان يسحقوا بونابرت سحقاً . ولذلك فقد قضوا مدة اقامتهم في بروكسل بالاحتفالات العمومية في المراقص والمراسح ونحوها واما ولنتون فكان يشاركهم في ذلك وذهنه متيقظ لحركات الجنود الفرنساوية . فبلغه خبر انتقالهم فأمر ان تكون جنوده على اهبة الرحيل من بروكسل — فعل ذلك بهدو وسكينة فلم يشعر الناس بشيء وظلوا في احتفالاتهم وافراحهم . واتفق ان الدوقة ريتشموند احتفلت بليلة راقصة ملوكية دعت اليها جماعة كبيرة من ضباط الجيش الانكليزي في مساء ١٥ يونيو فقبلوا الدعوة وشهدها ولنتون وقواده كأنهم في سلام تام ولم يقصر احد منهم بآداب المراقص وعادات الولائم . وفي الصباح التالي خرجت الحملة من بروكسل وتحوّل فرح الناس الى بكاء وقد نظم بايرون الشاعر الانكليزي قصيدة بديعة في وصف تلك الحالة

ودّع الانكليز بروكسل وهي تبكي وهم يتجلدون فصدرت الاوامر الى الفرقة الخامسة بقيادة الجنرال بكتون بالمسير الى كاتربرا فساروا وعددهم لا يزيد على ١٥,٠٠٠ وليس معهم فرسان لنجدتهم وكان المارشال ناي قادماً على كاتربرا بكل سرعة

اما نابوليون فانه ظلّ مسرعاً بجنده نحو البروسيانيين كما تقدم فوصل اليهم فاذا هم

٨٠,٠٠٠ فيهم ٩,٠٠٠ فارس و ٣٥٠ مدفعاً على اكمات براي قرب قرية ليني . وكان الدوق ولنتون قد خابر المارشال بلوخر في الخطة التي يجب اتخاذها



المارشال بلوخر

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ابتدأ نابوليون المعركة في ليني والتقى الفرنساويون والالمان واطلقت المدافع من الجانبين وظل القتال منتشباً ست ساعات متوالية في احدّ ما يكون واستهلك الفريقان استهلاكاً عظيماً وقوادهما يستنهضان الهمم باثارة الاحقاد لما سبق بين الامتين من الحروب الدموية . وانقضت المعركة والنصر في جانب الفرنساويين مع ان الجنرال بلوخر لم يدخر وسعاً وهو في الثالثة والسبعين من عمره من استحثاث جنده واثارة قواهم وتثبيتهم في مواقفهم ولكن جواده اصيب برصاصة قتلته فسقط بلوخر معه . واتفق هجوم الفرسان الفرنساويين فمرت خيولهم بقتلى الالمان ولولا الامطار وغياب الشمس لعرفه الفرنساويون واسروه . ولكن اركان حربه ظل الى جانبه حتى جاء بعض رجاله يبحثون عن قائدهم فساقهم اليه فحملوه وقد انقضت المعركة وفاز الفرنساويون وافلح بونابرت في الخطوة الاولى من مشروعه

ولكنه رأى من سداد الرأي ان يتعقب بلوخر ويطارده حتى يمنعه من الاجتماع

بولنتون فانتدب لهذه المهمة المارشال كروشي ومعه بعض الجند لمشاغلة البروسيين او مطاردتهم . ولو عمل كروشي كما أمر لافلح نابوليون في سائر مشروعه ولكنه لم يفلح . وقد اختلف الرواة في سبب فشله فمنهم من ينسب كروشي للخيانة اذ ايقن بذهاب عصر نابوليون كما ايقن كثيرون من قواده فلم يشأ ان يعرض نفسه للخطر من اجله . ومنهم من ينسب فشله الى ضعف جنده وفي كل حال فان نابوليون امر كروشي بمطاردة البروسيانيين وتحوَّل هو بخمسة وثلاثين الفًا يطلب ولنتون .

اما المارشال ناي فانه وصل في ١٦ يونيو بجنده المؤلف من ٤٠,٠٠٠ الى قرب كاتربرا فلقي هناك حامية من البلجيين بقيادة برنس اورانج والجنرال برنشر فهجم عليهم ففروا منه وكادوا يهلكون لو لم يدركهم بكنتون بحملته القادمة من بروكسل وانتشب القتال هناك وحمي الوطيس وثبت الانكليز في مربعاتهم ثبات الجبال . وبعد قتال عشر ساعات اضطرَّ الفرنساويون الى الرجوع وفاز ولنتون في هذه الواقعة على الفرنساويين كما فاز بونابرت في واقعة ليني على الالمان . وخسر الانكليز في واقعة كاتربرا نحو ٥,٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح

وقضى ولنتون تلك الليلة وهو عازم على مهاجمة ناي وجنده في المكان الذي تقهقروا فيه . فلما اصبح جاءه الخبر عن فشل بلوخر وجنده فغير عزمه خوفًا من اجتماع نابوليون وناي معًا عليه فيغلبوه منفردًا كما غلبوا رفيقه قبلاً فيتم لنابوليون ما قدَّره . فرأى ولنتون ان ينسحب الى مكان اقرب الى بروكسل ريثما يجتمع ببلوخر . فاقلع في صباح ١٧ منه وسار حتى وصل في مساء اليوم التالي الى سهل سماه الانكليز ووترلو باسم قرية على بضعة اميال منه في منتصف الطريق بين بروكسل وشارلروا . وكان ولنتون قد تخابر في اثناء الطريق مع بلوخر وافهمه عزمه على محاربة الفرنساويين اذا كان يوافيه هو الى هناك فاجابه انه سيوافيه حالاً بكل ما معه من الجند

فلما وثق ولنتون من نجدة بلوخر عسكر في ذلك المكان وهو يبعد ٣٠٠ يارد عن عزبة سان جان وثلاثة ارباع الميل جنوبي قرية ووترلو . فاقام معسكره على عدة مرتفعات فجعل الرديف وبعض الجند في المنحدرات بين التلال بحيث لا يظهرون للاعداء . وكان بالقرب من ذلك المكان بيت لبعض كبار المزارعين هناك يقال له قصر جومون الى يمين معسكر ولنتون فاحتله وحصنه وجعل في جدرانه ثقوب لمرامي الرصاص مخافة ان يحتله العدو ويحاربهم منه . وكان في الشرق الشمالي من هذا القصر قصر آخر يسمى لاهاي سانت فاحتلوه وحصنوه ايضاً . وكان وراء ذلك المعسكر غابة غضة الاشجار جعلها

ولنتون ملجأ اذا اضطر الى التقهقر لأن الجند اذا تغلغل بين اشجارها لا يجسر عدوه على تعقبه فيها

ووصل الفرنساويون على أثر وصول الانكليز فعسكروا على تلال مواجهة لمعسكر الانكليز والمسافة بين المعسكرين واد منبسط عرضه ثلاثة ارباع الميل • وكان الفرنساويون في ضيق اشد من ضيق الانكليز على أثر المجاهدة والاسفار وقد قلت عندهم المؤونة ولم يمكنهم تعويضها بسبب السرعة • على ان نابوليون كان يظهر استخفافه بعدوه بعبارات تدلُّ على رباطة جأشه يخادع بها رجاله كقوله لما اطل على معسكر الانكليز « لقد وصل هؤلاء الانكليز الى قبضتنا اخيراً » ومن غريب امره هذه المرة انه لم يسرع في الهجوم مع علمه انه انما يغلب بالمبادرة حتى ظن الانكليز انه ينتظر رجوع كروشي من مطاردة بلوخر • وظن غيرهم انه تأخر في انتظار الاوحال حتى تجف من ذلك السهل على أثر مطر جعل مرور البطاريات فيها شاقاً • ومهما يكن من السبب فانه لم يهمّ بالهجوم الا نحو الظهيرة فاشار الى جنده فهجموا واشتبك القتال وابتدأت معركة ووترلو والفرنساويون الهاجمون والانكليز المدافعون

هجم الفرنساويون على استحكامات الانكليز وارتدوا بلا فائدة لان نيران الانكليز كانت حامية • ومن الاقوال المأثورة عن ولنتون في أثناء ذلك الهجوم قوله وهو يطوف بين صفوفه يشجعهم ويثبتهم « اسحقوهم سحقاً جيداً لنرى من هو أقدر على السحق » ولم يكن الفرنساويون اخف ناراً • فهجم البرنس جيروم اخو نابوليون بستة طوابير على قصر جومون واشتبك القتال بينهما ثم صار القتال عاماً في كل المعسكر وقد جالد الفرنساويون جلاداً لم يجالدوا مثله وانقضوا كالصواعق بقية ذلك اليوم وبعض ليله وكان اشد القتال عند الحصنين جومون ولاهاي سانت وكان الفرنساويون يعدون فتح جومون فاتحة الظفر لهم • ولكن الانكليز دافعوا عنه دفاعاً شديداً جداً واستهلكوا في سبيل منعه ولا يزال ذلك الحصن الى الآن باقياً وعليه آثار ذلك القتال وقد ارتد عنه الفرنساويون خاسرين • أما القصر الآخر فقد توفقوا في الهجوم عليه حتى ملكوه وتقدموا منه الى صفوف الانكليز فلقيهم بكتون بفرقته ففرقهم ولكنه أصيب هو برصاصة فقتل وسقط ولم يؤثر سقوطه بثبات الانكليز في الدفاع • وهجم الفرسان الفرنساويون على قلب الجيش الانكليزي فردُّوهم واشتدت نيران المدافع من الجانبين حتى كادت القنابل تتصادم والانكليز لا يتحركون من اماكنهم • وكثيراً ما التمسوا من ولنتون ان يأذن لهم

بالهجوم وهو يقول لهم باللحن الانكليزي المعروف « لم يأزف الوقت يا رجالي بعد »

وفي نحو الساعة الرابعة هجمت فرسان بونابرت هجوم اليأس على مشاة الانكليز يريدون يكسحهم كسحاً ولكن الانكليز كانوا قد انتظموا بشكل مربعات تصبُّ الرصاص انصباب السيل • وقد شهدنا مثل هذا المربعات في حرب الانكليز مع الدراويش سنة ١٨٨٥ والمربع عبارة عن قلعة جدرانها رجالٌ يطلقون البنادق ويقوم مقام الجدار صفان أو ثلاثة أو أربعة من أولئك الرجال • فاذا انتظم المربع وحميت ناره لا يقوى فارس ولا راجل على الدنو منه • فاضطر الفرنساويون الى التقهقر ونابوليون يستغرب ذلك • وفي اعتقاده ان الانكليز كان يجب ان يتبعثروا من وجه فرسانه حالاً • وكان بلوخر قد بذل غاية جهده في موافاة ولنتون كما وعده ولكن الامطار والاوحال عاقت مسير مدافعه وأثقاله فوصل متأخراً • اما كروشي فلم يصل



نابوليون بونابرت في آخر معركة ووترلو

ولما أمسى المساء استفرغ نابوليون كل جهده في الدفاع فأمر حرسه الخاص بالهجوم وكان قد ادخرهم الى ساعة الضيق فلم يأتوا أمراً عظيماً • واغتنم ولنتون تضعضع الجند الفرنساوي فأمر رجاله بالهجوم فانقضوا كالاسود وفيهم جماعة ممن كانوا بين التلال فلم يستطع الفرنساويون الوقوف أمامهم • وقد حسبوا هجمات الفرنساويين في تلك المعركة فبلغت خمساً الاولى على يمين الانكليز والثانية على اليسار والثالثة هجوم الفرسان على القلب

والرابعة هجوم المارشال ناي على حصن لاهاي سانت وقد انجح فيها والخامسة هجوم الحرس الخاص • وقد وصل بلوخر في أثناء الهجمة الثالثة وأخذ في نجدة الانكليز • وقد بدأت المعركة الساعة ½ ١١ وانتهت الساعة الثامنة وقد فرَّ بونابرت ويقدرون خسارته ٣٠,٠٠٠ رجل من ٧٢,٠٠٠ وخسارة الجيوش المتحدة ٢٢,٠٠٠ وبانقضاء هذه المعركة افل نجم نابوليون وانقضت حياته السياسية • لانه ما لبث ان سلم نفسه الى الانكليز في ١٥ يوليو على يد قبطان الباخرة بلروفون وكتب الى انكلترا كتاباً يطلب فيه حمايتها فلم تجد أسلم عاقبة على اوربا من ابعاده عنها • فارسلوه منفياً الى جزيرة القديسة هيلانة في جنوبي الاتلانتيكي وضيقوا عليه حتى لا يتيسر له شيء مما أتاه وهو في جزيرة البا • فبقي منفياً هناك حتى توفي بقرحة معدية في ٥ مايو سنة ١٨٢١

مدارس دمشق الفيحاء

في عهد التمدن الاسلامي

من طالع فهارس الكتب العربية ودخل دور الكتب الشهيرة يعلم ما كانت عليه الامة العربية من التوفر على التأليف في اكثر فنون العلم ايام اقتعادها غارب العز الاقعس وافتراعها اعراف المجد المؤثل • ومن طاف دمشق وضاحيتها وشاهد ماهناك من آثار طامسة ومدارس دارسة يدرك ولا شك ما كان في هذه الحاضرة من دواعي العمران وضروب الحضارة والغضارة ايام كانت سوق العلم نافعة وبضاعة العمل رابحة

ذهب بعض متأخري المؤرخين الى ان المدارس بدمشق كثرت على عهد الدولة الاموية وهو وهمٌ لا دليل عليه من التاريخ البتة فقد ظهر بعد البحث ان المدارس في الاسلام على هذا الطرز المعروف لعهدنا لم تكن الا في اواخر القرن الخامس للهجرة • قال السيوطي في محاضراته ان اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتب لهم المعاليم من المواجب والارزاق نظام الملك يعني هو اول من بني في العراق • ونظام الملك هو الوزير الكبير فخر الدولة السلجوقية التركية وهو مؤسس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ ﻫ اعظم كليات المسلمين السالفة

علم بالاستقراء ان تاريخ المدارس في دمشق يردُّ الى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد وحاشيته وذريته فانه كان اول من تقرب بهذه المآثر وان معظم المدارس

عمر باموال النزلاء بدمشق والغرباء عنها . ولم اعرف الا في النَّدر فيما اطلعت عليه ان دمشقياً قحاً بنى مدرسة واقام اثراً يذكر به حتى ان المدارس التي أنشئت بعد عهد صلاح الدين ونور الدين — وعهدها ارقى ايام الشام واسعدها — لم تبق لاهميتها ولعزّة من كتب عنها من المؤرخين وعلى العكس في المدارس القديمة فانها كلما طال عهدها تجددت شهرتها . وربما خطر لبعضهم ان المدارس البادية انقاضها للعيان اليوم في سفح قاسيون والشرفين عمرت وسط البساتين والحدائق كما هي الآن والصحيح انها كانت وسط عمران مسبطر من دور وقصور ومصايف وقرى ومتنزهات . اصبح بعض هـذه المدارس مجمعاً للقمامات والقاذورات وضاع البعض الآخر واخذت انقاضه وما بقي منها يدعى باسم مدرسة او عمره بعض اهل المظاهر وعشاق الشهرة يؤثر العاقل ان يراه خراباً يباباً من ان يكون على هذه الصفة حقيراً بناؤه وخيمة غرفه مختلة اصول التعليم فيه . ولقد كان الطلبة قديماً يدرسون ليكونوا علماء بالفعل والآن ان صح ان واحداً من عشرة يأخذ نفسه بالتعلم والاستفادة فطمعاً في احتياز مغنم تافه . وكان المدرسون والدارسون تجري عليهم الارزاق الهلالية على التوالي و يعيشون نافعين منتفعين

تنقسم المدارس الدارسة في الفيحاء الى افانين وضروب فمنها مدارس القرآن كانت تتوفر على اقرائه بكل ما يقتضي له من تجويد وتفسير . ومنها دور الحديث تعنى بتدريسه على اصول المحدثين . ومنها مدارس للشافعية يدرس فيها فقه الامام الشافعي بفروعه واصوله . ومنها مدارس للحنفية لدراسة فقه ابي حنيفة النعمان . ومنها مدارس للمالكية لقراءة فقه مالك بن انس . ومنها مدارس للحنابلة خُصت باقراء فقه احمد بن حنبل . ومنها مدارس طبية يقرأ الدارسون فيها علم الطب ومتفرعاته . ولم يعهد مدارس للفلسفة والعلم الطبيعي والرياضي ومن نبغوا في هذه العلوم فقد تعلموا خارج تلك المدارس الدينية وعلى حين غرة من رجال الدين

١ — دور القرآن

جاء في الدارس انه كان في دمشق سبع دور للقرآن وهي « الخيضرية » شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين انشأها قاضي القضاة قطب الدين الخيضري محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الدمشقي سنه ٨٧٨ ووقف عليها وعلى مسجد آخر اوقافاً جمة وقد بقي اليوم جزء صغير منها استعمال زاوية . و « الدلامية » بالقرب من الماردانية على الجسر الابيض بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ اليه بالصالحية فوق نهر ثورة انشأها احمد بن المجلس

الخواجكي زين الدين دلامة بن عز الدين نصر الله البغدادي البصري اجل اعيان الخواجكية بالشام ووقفها سنة ٨٤٧ توجد اليوم بعض احجارها وانقاضها . وفي كتاب وقفها ان صاحبها رتب لها اماماً وله من المعلوم مائة درهم وقيم وله مثل الامام وستة انفار من الفقراء الغرباء المهاجرين لقراءة القرآن ولكل منهم ثلاثون درهماً في كل شهر ومن شرط الامام الراتب ان يتصدى لاقراء القرآن للمذكورين وله على ذلك زيادة على معلوم الامامة عشرون درهماً وستة ايتام بالمكتب الذي على بابها ولكل منهم عشرة دراهم في كل شهر ايضاً وفرر لهم شيخاً وله من المعلوم ستون درهماً في كل شهر وقراءة البخاري في الشهور الثلاثة وله من المعلوم في الشهر ستون درهماً وله من المعلوم كل سنة ستمائة درهم ورتب المرتب في كل عام مثلها وللسبع ولقراءة البخاري والتواريخ مائة درهم ولارباب الوظائف خمسة عشر رطل من الحلواء وراسي غنم اضحية ولكل من الايتام جبة قطنية وقميص ...

و « الجزرية » قيل انها بدرب الحجر نُسب إيقافها لمحمد بن محمد الجزري المقرىء المحدث ولا يُعلم مكانها الآن . و « الرشائية » شمالي الخانقاه الشميساتية الملاصقة للجامع الاموي من شماليه انشأها في حدود سنة اربع واربعين واربعمائة رشا بن نظيف بن ما شاء الله ابو الحسن الدمشقي وهي مدرسة الآن . و « السنجارية » تجاه باب الجامع الاموي الشمالي انشأها علي بن اسمعيل بن محمود السنجاري احد التجار الاخيار سنة ٧٣٩ لا تُعرف . و « الصابونية » خارج باب الجابية قبالة تربة الباب الصغير لشهاب الدين احمد بن علم الدين سليمان بن محمد البكري المعروف بالصابوني تمّ انشاؤها سنة ٨٦٨ وبها وقف . خطب بها قاضي القضاة جمال الدين يوسف الباعوني وغيره وبنى ايضاً تجاه المكان المذكور بشرقه مكتباً لايتام عشرة بشيخ لهم يقرئهم القرآن العظيم بمعاليم شرطها لهم معلومة تصرف عليهم من جهات عديدة منها عدة قرى غربي مدينة بيروت تحت يد امير الغرب تعرف بالصابونية الخ ولا تزال هذه الدار الى اليوم باقية وهي مدفن بني البكري . و « الوجيهية » قبلي المدرسة العصرونية والمسرورية وغربي الصمصامية التي شمالي الخاتونية انشأها وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا الرئيس شيخ الحنابلة الدمشقي التنوخي سنة ٦٩٠

٢ — دور الحديث

كان في دمشق ثماني عشرة داراً للحديث وهي : « الاشرفية » جوار باب القلعة الشرقي غربي العصرونية وشمالي القايمازية الحنفية كانت دار الامير قايماز بن عبد الله النجمي وله بها حمام فاشتراها الملك الاشرف موسى بن العادل وبناها دار حديث ونجز بناؤها سنة ٦٣٠

تولى التدريس بها جلة من العلماء مثل تقي الدين بن الصلاح وابن الحرستاني وابي شامة والامام النواوي وزين الدين الفارقي وكمال الدين الشريشي وصدر الدين بن الوكيل وكمال الدين بن الزملكاني والحافظ المزي وتقي الدين السبكي وعماد الدين بن كثير وقطب الدين الخيضري وغيرهم . وفي اواخر القرن الماضي كادت تسطو على هذه المدرسة يد التعدي كما سطت على غيرها من المدارس فقام الفقيه الشيخ يوسف البيباني المغربي واستخلصها واعادها مدرسة وسكنها من بعده نجله المحدث الشيخ بدر الدين

و « الاشرفية البرانية » بسفح جبل قاسيون على ضفة نهر يزيد تجاه تربة الوزير تقي الدين التكريتي وشرقي المرشدية الحنفية وغربي الاتابكية الشافعية بناها الملك الاشرف المظفر موسى بن العادل باني دار الحديث المتقدمة قبل هذه لمحافظ بن الحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي واول من درس بها القاضي شمس الدين بن ابي عمر ثم الامام شمس الدين بن الكمال والشرف حسن المقدسي وتقي الدين سليمان بن حمزة وشرف الدين القائق الحنبلي . وهذه المدرسة موجودة الآن يسكنها الغرباء . و « البهائية » داخل باب توما كانت دار بهاء الدين ابي محمد القاسم بن بدر الدين ابي غالب المظفر المتوفي سنة ٧٨٢ وممن ولي مشيختها الشريف المؤلف شمس الدين ابو المحاسن وابن جماعة واظنها امست اليوم دوراً . و « الحمصية » كانت معروفة بمحلة حمص فقدت وجهل مكانها وغاية ما يروى ان الحافظ المزي والحافظ صلاح الدين العلائي بن كيكلد قرآ الحديث فيها . و « الدوادارية » دار حديث ومدرسة ورباط داخل باب الفرج لعلم الدين سنجر الدوادار المحدث الحافظ المتوفي سنة ٦٩٩ من نجباء الترك وعظمائهم وممن درس بها نجم الدين بن قوام وهي غير معروفة لهذا العهد . و « السامرية » وبها خانقاه بالقرب من محلة مأذنة الشحم بزقاق الشيخ الدسوقي انشأها الصدر الكبير سيف الدين ابو العباس احمد بن محمد البغدادي السامري وهو مدفون بها . والسامري نسبة الى سُرَّ مَنْ رأى بلد على دجلة . وهذه المدرسة الى جانب الكروسية ولا تزال معروفة . و « السكرية » بالقصاعين داخل باب الجابية درس بها شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية ووالده والحافظ الذهبي والصدر المالكي وكان بها خانقاه ولعلها المعروفة الآن بجامع السادات . و « الشقيشقية » بدرب البانياسي في ظاهر المدينة انشأها نجيب الدين ابو الفتح نصر الله الشيباني الصفار المعروف بابن الشقيشقة ولا يبعد ان تكون هي القبة التي يطل عليها من المستشفى الحميدي اليوم

و« العروية » بمشهد عروة بالجانب الشرقي من الجامع الاموي قبالة الحلبية المعروفة

بمشهد علي انشأها شرف الدين محمد بن عروة الموصلي ووقف عليها مكتبة عظيمة توفي سنة ٦٢٠ هـ معروف محلها ولي مشيختها الفخر بن عساكر وزكي الدين البرزالي . و « الفاضلية » بالكلاسة منسوبة للقاضي الفاضل البيساني من رجال السلطان صلاح الدين والمدرسة جوار تربة هذا السلطان وهي الآن مساكن وبقيت بعض آثارها ولعلّ اول من درس بها تقي الدين البلداني وتولاها بعده زمرة من الافاضل منهم النجم اخو البدر والحافظ محمد السلامي وشمس الدين البعلي . و « القلانسية » غربي مدرسة ابي عمر بالصالحية بها رباط ومنارة يمر في وسطها نهر يزيد انشاء الصاحب عز الدين ابي يعلى التميمي المعروف بابن القلانسي من كبراء دمشق المتوفي سنة ٧٢٩ هـ وكان له في الصالحية رباط حسن بمأذنة وفيه دار حديث وبر وصدقة . و « القوصية » بالقرب من الرحبة قال بعضهم انها في الجامع الاموي بجوار الشافعية . و « الكروسية » غربي مأذنة الشحم لمحمد بن عقيل بن كردوس السليمي محتسب دمشق أنشئت سنة ٦٤١ هـ وهي الآن من الضائعات ولعلها جامع ومأذنة الشحم . و « النورية » انشأها نور الدين محمود بن زنكي . قال ابن الاثير وبنى نور الدين محمود دار الحديث بدمشق وهي اول من بنى دار الحديث . وهي موجودة الآن مدرسة وجامعاً وبها قبره يزار . تولى مشيختها الحافظ ابو القاسم بن عساكر وهو الذي ذكر ان جملة شيوخه الف وثلثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة ثم تولاها ابنه بهاء الدين القاسم ثم وليها الفخر بن عساكر ثم أخوه زين الامناء بن عساكر ودرس بها بهاء الدين النابلسي وتاج الدين الفزاري وجمال الدين بن الصابوني ومجد الدين بن المهتار وفخر الدين الحنبلي وعلاء الدين بن العطار وشرف الدين النابلسي وعلم الدين الاشبيلي والحافظ المزّي والحافظ تقي الدين بن رافع وعماد الدين الحسيني وعز الدين الاربلي . و « النفيسية » قبلي البيمارستان الدقاقي (كذا) وباب الزيادة على يمنة الخارج من شمالي غربي المدرسة الامينية انشاء النفيس اسمعيل بن محمد بن عبد الواحد الحرّاني ناظر الايتام سنة ٦٩٦ هـ صارت دوراً ومن مشايخها علاء الدين الكندي وعلم الدين البرزالي . و « الناصرية » بها رباط قبلي جامع الافرم بسفح قاسيون وهي الناصرية البرانية انشاء الملك صلاح الدين ابن الملك العزيز سنة ٦٥٤ امست الآن حديقة ومن مشيختها كمال الدين الشريشي وولده ابو بكر وحسام الدين القوصي ونجم الدين بن القوّام . و « التنكزية » دار قرآن وحديث شرقي حمام نور الدين الشهيد وراء سوق البزورية انشأها نائب السلطنة تنكز سنة ٧٣٠ وهي الآن مكتب صبيان . و « الصبانية » دار قرآن وحديث قبلي العادلية الكبرى

وشمالي الطبرية أنشاء شمس الدين بن تقي الدين بن الصبان قال في مختصر الدارس انها حرقت في الفتنة اي فتنة تيمورلنك • و « المعبدية » دار حديث وقرآن والمشهور انها دار قرآن انشاء الامير علاء الدين علي بن معبد البعلبكي ليست معروفة

٣ — مدارس الشافعية

في الدارس انه كان في دمشق سبع وخمسون مدرسة للشافعية وهي :

« الاتابكية » بالصالحية غربها المرشيدية ودار الحديث الاشرفية المقدسية انشأتها اخت نور الدين ارسلان بن اتابك صاحب الموصل المتوفاة سنة ٧٤٠ وبها قبرها وقد جعلت الان مكتباً ابتدائياً للاناث • درس بها تاج الدين الاسكندري المعروف بالشحرور وصفي الدين الهندي وابن صصري وجمال الدين الزرعي ومحيي الدين بن سهيل وقاضي القضاة ابن جملة وقاضي القضاة شهاب الدين بن المجد وصدر الدين بن قاضي القضاة القزويني وتقي الدين السبكي وبهاء الدين السبكي وولده قاضي القضاة ولي الدين ابو ذر وزين الدين ابو حفص الملحي وفتح الدين الجزري وشمس الدين الاخنائي وشهاب الدين بن حجي وناصر الدين البصروي وعلاء الدين بن سلام وكمال الدين البارزي • و « الاسعردية » بالجسر الابيض بالصالحية انشاء ابراهيم بن مبارك شاه الاسعردي من ارباب الثراء والسخاء توفي سنة ٨٢٦ ودفن بتربة مدرسته وهي باقية قال ابن شهبة كان الاسعردي هذا وشمس الدين بن المزلق اكبر تجار دمشق وله المتاجر السائرة في البلدان قد أعطاه الله المال والبنين وكان عنده كرم واحسان الى الفقراء • وقد درس بهذه المدرسة جماعة منهم العز القرشي والركن البجلي والحافظ صلاح الدين العلائي وشهاب الدين الاذرعي والقاضي الرمتاوي • و « الاسدية » بالشرف القبلي ظاهر دمشق مطلة على الميدان الاخضر وهي على الفريقين الشافعية والحنفية انشاء شرف الدين شيركوه من قواد نور الدين الشهيد • و « الاصفهانية » كانت بمحلة الغرباء بالقرب من درب الشمارين لتاجر من اصفهان وفي رواية انها خلف المدرسة القاجمازية وغرباً محلها ولكن مكانها غير معروف على التحقيق ويذهب بعضهم الى انها كانت موضع تكية احمد باشا وقد درس بها جمال الدين عبد الكافي خطيب دمشق وجمال الدين احمد المعروف بالمحقق

و « الاقبالية » داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما شمالي الجامع الاموي والظاهرية الجوانية وشرقي الجاروخية والاقبالية الحنفية وغربي التقوية لشمال انشأها

جمال الدولة اقبال خادم نور الدين الشهيد وعتيق ست الشام • درس بها قاضي القضاة ابو البركات يحيى بن هبة الله وولده صدر الدين ثم ولده نجم الدين وبدر الدين بن خلكان وشمس الدين بن خلكان وغيرهم • و « الأكزية » قبالة الشبلية الحنفية انشاء أكز صاحب نور الدين محمود وهي غربي الطيبة والتنكزية وشرقي أم صالح • درس بها شرف الحاكي وتاج الدين جهبل والمجد بن المجد الروذراوزي وبرهان الدين المراغي ومجدالدين محمود الشهرزوري والكمال بن الحرستاني والبدر النابلسي • و « الامجدية » بالشرف الاعلى مطلة على المرجة قرب مستودع البارود انشاء الملك المظفر نور الدين عمر بن الملك الامجد أنشأها باسم والده الملك الامجد مجدالدين بهرام شاه بن عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي صاحب بعلبك وهي دار فرخشاه وكان الملك الامجد شاعراً فاضلاً وممن درس بها رفيع الدين الجيلي ونجم الدين بن سني الدولة وابن سنا الدولة وأمين الدين بن عساكر وبرهان الدين بن الخلخال وتاج الدين ابن الخلخال وغيرهم • وهذه المدرسة اليوم حظيرة دواب رأيت القبر الذي فيها محاطاً بالسرقين • ولكثرة ما في جوار هذه من المدارس سمي اليوم الزقاق الموصل اليها وهو الذي يبتدىء امام جامع الطاووسية وينتهي امام مستودع البارود بزقاق المدارس

و « الامينية » قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الاموي المعروف قديماً بباب الساعات وهي شرقي المجاهدية وجوار قيسارية القواسين بظهر سوق السلاح كما في الدارس وكان به بابها وتعرف هذه المحلة قديماً بباب القباب وهناك دار مسلمة بن عبد الملك درس بها جمال الدين السلمي ونجم الدين أبو البركات بن أبي عصرون وبدر الدين ابن قاضي سنجار واخوه شمس الدين الاحمدي ونجم الدين بن سني الدولة وشمس الدين ابن عبد الكافي ومحيي الدين بن زكي الدين ورفيع الدين الحنبلي وقطب الدين بن أبي عصرون وشرف الدين السلمي وقطب الدين النيسابوري وغيرهم كثيرون • قيل ان هذه الدار أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية بناها اتابك العساكر الملقب بأمين الدولة ربيع الاسلام أمين الدين كمشتكين بن عبد الله السفتكي المتوفي سنة ٥٤١ وهي الآن كتاب صبيان • و « البذرائية » جاء في الدارس انها داخل باب الفراديس والسلامة شمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية وفي المختصر انها على باب الجامع الاموي الشرقي المؤدي الى العمارد وكانت قبل ذلك داراً تعرف بأسامة وهو أسامة الجيلي أحد كبار الامراء المتوفي سنة ٦٠٩ هـ أنشأها نجم الدين ابو محمد عبد الله البادرائي البغدادي المتوفي

سنة ٦٥٥هـ درس بها برهان الدين الفزاري وكمال الدين الاربلي وعز الدين الاربلي وتاج الدين الفركاح وولده برهان الدين أبو اسحق ابراهيم وكمال الدين الشيرازي وشهاب الدين بن جهبل وغيرهم ولا تزال موجودة .

و « البهنسية » بسفح قاسيون انشأها مجد الدين المعروف بأبي الاشبال وزير الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن ايوب المتوفي سنة ٦٢٨ درس بها نجم الدين بن سني الدولة وشمس الدين بن خلكان . و « التقوية » داخل باب الفراديس المعروف اليوم بباب العمارة شمالي الجامع شرقي الظاهرية والاقبالية كانت من اجل مدارس دمشق . بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب سنة ٥٧٤ وقد أصبحت لهذا العهد دوراً . درس بها محي الدين محمد بن علي ومحي الدين بن زكي الدين وفخر الدين وعماد الدين بن الحرستاني ومحي الدين أبي الفضل يحيى وأبو المظفر بن عساكر وبهاء الدين أبو الفضل يوسف واخوه امام الدين عبد العزيز وغيرهم .

و « الجاروخية » داخل باب الفرج والفراديس بالقرب من الاقبالية الحنفية شمالي الجامع الاموي والظاهرية الجوانية معروفة بناها جاروخ التركماني برسم أبي القاسم محمود بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي البغدادي درس بها بعده الفخر بن عساكر وشهاب الدين الاعرج ونجم الدين البارزي وتاج الدين الاسكندري وكمال الدين بن النجار وعز الدين الاربلي ونور الدين الاردبيلي وعماد الدين الحسباني وزمرة من الفقهاء بني جهبل

و « الحمصية » تجاه الشامية البرانية قال ابن كثير في سنة ٧٣٦هـ فتحت المدرسة الحمصية ودرس بها محي الدين الطرابلسي الملقب بأبي رباح وفي مختصر المدارس انها خربت بعد قليل من تشييدها . و « الحلبية » بناحية السبعة طوالع وهي خلف المكتبة الظاهرية مجهول حالها ومنشئها من القديم قال في الدارس ان شهاب الدين بن عبد الخالق المتوفي سنة ٨١٥ وقف الى جانب المدرسة الحلبية مسجداً او اضافه الى المدرسة ووقفه عليها وممن وقف عليها الامير سيف الدين من مماليك برقوق

و « الحيمصية » قبلي الزنجباري غير معروفة تولى مشيختها بدر الدين بن قاضي اذرعات . و « الخليلية » بانيها سيف الدين بكتمر الخليلي المتوفى سنة ٧٤٦ . و « الدماغية » داخل باب الفرج وغربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ الى القلعة الشرقي والطريق بينهما وبين الخندق وهي ايضاً شمال العادلية بين الشافعية والحنفية انشأتها عائشة جدة فارس الدين بن الدماغ زوجة شجاع الدين بن الدماغ سنة ٦٣٨

مجهولة . وكان درس بها شمس الدين الحربي وموفق الدين الحربي وجمال الدين السبكي وتاج الدين بن السبكي وز ين الدين بن قاضي عجلون وغيرهم . و « الدولعية بجيرون قبل المدرسة الباذرائية لجمال الدين محمد التعلبي الدولعي خطيب دمشق والدولعية من قرى الموصل « دمشق » محمد كرد علي

حب الشهرة من دعايم العمران

الشهرة في الحقيقة وهمٌ وطلاَّبها انما يطلبون وهماً لانها لا تسدُّ جوعاً ولا تدفع مرضاً ولا تقي من بردٍ او حرّ . ولكن يندر في الناس من لا يتطلبها وان تفاوتوا في اساليب السعي في طلبها كأنها من جملة حاجيات الانسان . على انه لا يلتمسها في الغالب الأ بعد ان يحصل على الكفاف من حاجاته البدنية . فاذا أمن الجوع والبرد والحر وصان نفسه من غوائل الحيوانات المفترسة طلب حسن الاحدوثة (الشهرة) ويندر ان يكتفي بما يناله فاذا شبعت نفسه منها طلب شهرة تبقى بعد موته يعبرون عنها بالذكر الجميل . وتعليل ذلك في اعتقادنا ان الانسان مفطور على حب السيادة وطول البقاء وكلاهما من ثمار حب الذات لان من احب نفسه احب لها الراحة والرفاه ولا يتمان على زعمه بغير السيادة او الغلبة لانه اذا ساد او غلب ضمن لنفسه الحصول على لوازم الحياة وامن الفقر . واحب ان يطول زمن تلك الراحة وهو البقاء . فالانسان يشترك في مطالبه الاولى مع سائر الحيوانات في التماس الطعام والمأوى . ثم يفترق عنها بحسب الظاهر بطلب السيادة والبقاء . والسيادة في ابسط احوالها ان يتسلط الانسان على من حوله من الرفاق فيكون له فيهم الكلمة النافذة فاذا قال او فعل اذعنوا له واطاعوه واذا جاء او ذهب احترموه وبجلوه . فمن لم يستطع السيادة الحقيقية على من حوله اكتفى بالاحترام الذي يبدونه له . وهم لا يفعلون ذلك الأ وفي نفوسهم اقرارٌ له بشيء يمتاز به عنهم . فالاحترام عبارة عن الاقرار بسيادة معنوية . ولما كانت السيادة الحقيقية لا تتأتى الأ لنفر قليل من الناس اكتفى الاكثرون بالسيادة المعنوية اي الاحترام

فاذا نال الانسان احترام اهله وجيرانه طلب احترام اهل بلده ثم اهل البلاد المجاورة وغيرهم الى ما يبلغ اليه امكانه وهي الشهرة . والناس يتفاوتون في طلبها كتفاوتهم في مطامعهم واميالهم ومواهبهم بين من يكتفي باحترام امرأته واولاده ومن لا يرضى باحترام الناس كافة . فاذا ناله طلب ما وراء ذلك وخصوصاً متى تذكر الموت فانه يرى شهرته ذاهبة ضياعاً

فاذا كان من اهل التقوى فلا يهمهُ امر هذه الحياة طالت او قصرت . والاَّ فانه يطلب « البقاء بعد الموت » فيسعى الى ذلك من سبل تختلف باختلاف اطواره ومطامعه ومواهبه فبعضهم يكتفي ببقاء ذكره بمن يخلفه من البنين والبعض الآخر يبني المدائن والقصور وآخرون يقفون اموالهم لعمل الخير بعدهم وغيرهم يبنون الكنائس او الجوامع او السبل ونحوها . ولمثل هذا الغرض بنيت الاهرام ونحتت المسلاَّت واقيمت الانصاب في زمن التمدن القديم . ومنهم من يستبقي ذكره بعمل جليل من فتح او بنيان او تأليف كتاب او نحو ذلك . فالذين يعملون لبقاء ذكرهم انما يطلبون البقاء بعد الموت وهذا باطل والذكر ولو بقي لا فائدة به لصاحبه . لانهُ قد لا ينفعه في حياته وهو يرى ويتنفس و يسرُّ ويحزن فكيف بعد ان يصير ترابًا او يتحوَّل الى نبات ...

فالشهرة وان عددناها من ملازمات الاحياء فانها عند اهل الحقيقة من الاوهام الباطلة للاسباب التي قدمناها . على اننا لو نظرنا فيها من حيث الاجتماع البشري واعتبرنا فائدتها بالنظر الى المدنية رأيناها من اقوى دعائم العمران ولو ذهبت لاختلَّ نظام الاجتماع واصبح التمدن في خطر عظيم . لان الناس مترابطون في مصالحهم مشتركون في اعمالهم لا يستغني بعضهم عن بعض بين رئيس ومرؤُس واستاذ وتلميذ وتاجر وصانع وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . ولا بد لحفظ حقوقهم من وازع قوي يردُّ القوي عن الضعيف و يردع الظالم عن المظلوم . والوازع العام الحكومة . ولكنها مهما بلغ من تيقظها وعدالتها لا تردُّ من الحقوق الاَّ نقطة من بحر لانها انما تحكم في ما يتصل بها علمه من الحوادث التي يعرفها الناس بل هي لا تطلع الاَّ على جزء صغير من تلك الحوادث . فكيف بما يبقى في طي الكتمان من المنكرات التي يرتكبها البشر ولا رقيب عليهم . فكم في عالم الغيب من سرقات ومظالم وفظائع ارتكبها بعض الناس ولم يعلم بها احد سواهم وقد يكون مرتكبوها من اهل المناصب الكبرى وذوي المقامات الرفيعة . وكم تحت التراب من اعمال ذهب اصحابها ولا تزال سرًّا مكتومًا في عالم الخفاء ولن تزال الى الابد . والفظائع التي يرتكبها الناس وتبقى مكتومة اكثر كثيرًا من التي تنكشف وهذه اكثر من التي تبلغ الى مسامع الحكومة

فالحكومة لا تكفي وحدها لانصاف المظلومين وكبح جماح الظالمين وردّ القوي عن الضعيف ومنع الناس عن اتيان المنكرات — فهي الوازع الاصغر الثانوي . وأما الوازع الأكبر الرئيسي فهو « الدين » لانه يقاص المجرمين على ما يرتكبونه في الخفاء وان لم تقع عليهم عيون بشرية وعقابه أشد كثيراً من عقاب الحكومة وأطول زمناً بل هو يغرس

في نفس الانسان ما يردعه عن المعاصي او يوبخه على ارتكابها وهو الضمير . فلولا شيوع التدين وخصوصاً في الطبقات السفلى من الناس لكانت الحقوق فوضى وأكل القويُّ الضعيف مما لا يتصوره العقل ولم يتفق في عصر من العصور اذ ما من أمة أو قبيلة مهما بلغ من توحشها الاَّ ولها ما تدين به وتردع قويها عن ضعيفها . والدين أقدم وازع في الناس لانه وجد قبل الحكومة أو هما وجدا معاً مما لا محل للبحث فيه الآن

فالدين اذا كان عاماً في طبقات الناس ومتمكناً في نفوسهم اغناهم عن الحكومة وكان خير ضامن لحقوقهم وأحسن رادع للقوي عن الضعيف . ولكن البشر يتفاوتون في مواهبهم ومعارفهم ومعتقداتهم وفيهم المؤمن والمعطل والجاحد . وقد زادت الشكوك في عهد هذا التمدن وخصوصاً في الذين لا يستوعبون العلم بل يتمسكون باطرافه ولا يفهمون حقيقته . ولكن قد يمرّ على بعض البلاد عصر يجاهر اهلها فيه بالكفر وانكار الخالق ومع ذلك فالحقوق تظل مصونة ولا يظلم الناس بعضهم بعضاً . فما الذي يردعهم عن ارتكاب الجرائم السرية التي لا يخافون وصولها الى الحكومة ؟ — قد يكون الجواب انهم انما يردعهم عن ذلك آدابهم أو فضائلهم أو شرفهم . ولكن هذه الالفاظ لامعنى لها ان لم يرد بها حسن الاحدوثة أو المحافظة على الشهرة . فالمعطلون انما يردعهم عن ارتكاب المنكرات السرية خوف اشتهارها فينثلم صيتهم وتتشوه شهرتهم فيقلُّ احترام الناس لهم . وبعبارة أخرى يتقلص ظل سيادتهم المعنوية . فكم من بطل خاض غمار الحرب فلم يقلقه اطلاق القنابل ولا خاف مراهف السيوف فلما خشي ان ينثلم صيته من انكشاف منكر ارتكبه سرّاً أعظم الامر ولم يجد له مخرجاً من ذلك الشقاء الا بالانتحار . وكم من سيد قادر لا يمنعه من ارتكاب المحرمات وهضم حقوق الناس دينٌ وانما يمنعه خوف الفضيحة وذهاب الشهرة

على ان حب الشهرة لا يقتصر على منع المظالم والمنكرات ولكنه كثيراً ما يكون حاثاً على الفضائل حتى في المتدينين . فان أكثر المحسنين واهل البر يلتمسون مع الاجر في الآخرة حسن الاحدوثة في الدنيا . ناهيك بالذين يحسنون التماساً للشهرة فقط وقلما يهمهم أمر الاجر والثواب وهم كثيرون . ولو دققت النظر واعملت الفكرة لرأيت الجانب الاعظم من أهل الاحسان انما يحسنون في سبيل الصيت الحسن وخصوصاً في هذا العصر فان الناس لا يعملون حسنة الا وهم ينظرون من ورائها اما الى نفع مادي او الى نفع ادبي ، وهو الشهرة . حتى الحكام انفسهم فانهم انما ينصفون الناس عملاً بالواجب ومفاد

هذا الواجب أنهم اذا لم يعملوا بالحق اضروا بشهرتهم • فالاسباب الحاثة على الفضيلة (غير الدين) كثيرة ولكنك اذا تدبرتها وحللتها رأيتها ترجع الى حب الشهرة والتماس حسن الاحدوثة في أثناء الحياة أو بعد الممات • وقد يفعل بعض الناس الخير لانه خير بما تمكن في نفوسهم من حب الفضيلة بالتربية الحسنة او العادة وهم قليلون

فحب الشهرة الذي يعدُّه الدين من قبيل المجد الباطل ويعتبره العلم من الاوهام الفارغة ويعدُّه اهل الحقيقة من قبيل العبث انما هو من اكبر دعائم الفضيلة ومن أقوى لوازم العمران • فالرجل القويُّ اذا لم يكن متديناً ولا طلاباً للشهرة فانه بعيدٌ عن الفضيلة مضرٌّ في جسم العمران

مستقبل الاسلام

للاستاذ مرجليوث — في جامعة اكسفورد

الاستاذ مرجليوث مستشرقٌ كبير ذو اطلاع واسع في تاريخ الاسلام وهو من المتضلعين باللغة العربية وآدابها . اذا قرأت عبارته لا تشك ان كاتبها من اقطاب اللغة العربية لبلاغتها ومتانتها وخلوها من شوائب العجمة — فضلاً عن معرفته اللغات الشرقية الاخرى . وللاستاذ المذكور ابحاث في الاسلام والمسلمين والآداب الاسلامية تدلُّ على اعتداله ودقة نظره . وقد اطلعنا على رسالة له في « مستقبل الاسلام » وهي مقالة تليت بالانكليزية في أحد المجامع العلمية الكبرى فأردنا تلخيصها ليطلع القراء على رأي هذا العالم في هذا الموضوع المهم قال :

« قال برايس السيامي المؤرخ في خطاب القاه بالامس ان الاسلام لم يبق من عمره الاَّ قرنان . فظن الناس لاول وهلة أنه يتكلم بالاحاجي لغرابة هذا الرأي عند العارفين . لان المسلمين وان كنا لا نستطيع تعيين عددهم تماماً فهم لا يقلون عن ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس . والاسلام غالبٌ في أفريقيا وشائعٌ في اسيا ومعروفٌ في أوربا وأميركا . ولم يبدُ منه مايدلُّ على توقف انتشاره وخصوصاً في القرن الماضي لانه نهض فيه نهضة جديدة . وقد قال شاتليه في كلامه عن الاسلام في القرن التاسع عشر « ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يرتقي وينتشر الآن في الهند والصين وأما الاديان الوطنية

الاخرى فانها آخذة في الانحلال » . ويرى أحد كبار المستشرقين أن الاسلام سيعم الهند كلها لان جماعة كبيرة من الهنود يعتنقون الاسلام ليتحرروا من قيود الديانة البرهمية وكهانها . وقد أيد هذا القول السير الفرد ليل بابحاثه الاسيوية سنة ١٨٩٩ وانتشر الاسلام مؤخراً في بلاد الصين حتى أوجس أهل أوربا من انتشاره مخافة أن يصير ديانة المملكة فيحمل أهلها على الممالك النصرانية في أوربا مثل الحملات الصليبية في العصور المظلمة . نعم ان تلك المخاوف لم تتحقق ولكن كاهون يقول في كلامه عن الصين سنة ١٩٠٠ ان تذمر المسلمين هناك قد يأول الى ثورة . ومع ذلك فالاسلام ينتشر في الهند والصين ومستعمرات هولندا بالموعظة الحسنة . وأما في أفريقيا فانتشر بعضه بالحسنى والبعض الآخر بالسيف وخصوصاً في عهد الدراويش . وظن بعضهم أن سيره توقف بعد ذهاب المهدوية والحقيقة أنه لا يزال آخذاً في الانتشار . على أن انتشاره أضعف مما كان منذ بضع عشرة سنة ولكنه ليس آخذاً في الانحلال على الاقل

« على أن بعض دعاة النصرانية كالمبشرين ونحوهم ينقلون في أخبارهم عن بلاد الاسلام ما يوافق رأي بريس المذكور . فقد تنبأ أحد المبشرين في اسيا الصغرى سنة ١٨٧٠ ان الاسلام لا يلبث أن يذوب ذوبان الثلج بين يدي العلم والتمدن والنصرانية . ونقل الدكتور بروين في كتابه عن العرب والافريكان أن بعض الاعراب قال له « ان الاسلام يذهب بذهاب الدولة العثمانية » وقال لنز في ختام كلامه عن سياحته في تومبكتو « ان الاسلام قد يبقى اذا ترك لنفسه وأما اذا احتك بالتمدن الحديث فانه يموت لا محالة » وقس على ذلك أقوال كثيرين من هذا القبيل . كما اننا لا نعدم وسيلة لايراد أراء القائلين أن الاسلام خالد لا نهاية له

« وليس من غرضي تمحيص هذه الآراء لان المستقبل لا يعلمه الا الله . ولكنني اعلق على ما تقدم بعض الملاحظات للبحث في ما يعنون بزوال الاسلام وما المراد بأسباب انحلاله . فأذكر ملاحظاتي الخصوصية التي لاحظتها في أثناء زيارتي البلاد الاسلامية واشير الى ملاحظات علماء الافرنج الذين قضوا اعمارهم في الشرق : لا يخلو قول القائلين بسرعة ذهاب الاسلام من وجه يستدعي النظر اذا استطاعوا ان يثبتوا خلوه

من عوامل تنازع البقاء التي في النصرانية واليهودية وغيرهما من الاديان الاخرى — ذلك ما يزعمه بعض الكتاب استناداً على بعض ما شاهدوه . قال بيشون الالماني سنة ١٨٨١ في كلامه عن تأثير الاسلام في حياة أصحابه « ان كل مايحتاج من الاعمال في الاستانة الى تعقل وذكاء يتولاه المسيحيون من الافرنج وغيرهم . فشركات البواخر يتولى شؤونها اليونان والارمن والفرنساويون والنمساويون والروسيون . والاسطول العثماني يديره ضباط انكليز . وفي الجند العثماني ضباط من الالمان والفرنساويين والانكليز . والسكة الحديدية بناها مهندسون من الانكليز والفرنساويين والالمان . والتلغراف يديره البولنديون والايطاليان » وكتب المستر دوايت بعد ذلك بعشرين سنة « ان المسلمين في الاستانة يشتغلون بتقطيع الحطب وحمل الماء والعتالة وسوق الحمير واذا تعاطوا التجارة اكتفوا باصغرها .. وان الجيش العثماني يقوده ضباط مسيحيون » وقال نحو ذلك في المالية وغيرها من المصالح العظمى واطلق حكمه هذا على سائر البلاد الاسلامية وخصوصاً فارس . وبين تقدم المسيحيين على المسلمين في المناصب والاعمال وهو ينسب ذلك الانحطاط الى اسباب متصلة بالاسلام نفسه لا توافق روح التمدن ولذلك تنبأ بذهابه . ولكني أرى المسألة تفتقر الى البحث بامعان وروية اكثر مما توهم حضرته . لان البلاد الشرقية التي لم يدخلها التمدن الحديث كالحبشة مثلاً والمسلمون فيها تحت سلطة المسيحيين نرى المسلمين فيها أرقى من المسيحيين عقلاً وأدباً . فقد كتب رويل في سياحته الى الحبشة سنة ١٨٣٨ ان الاحباش المسلمين أقدر على العمل وأسمى مدارك وأكثر تهذيباً وعلماً من الاحباش المسيحيين . وقال نحو ذلك أيضاً فون هوغلين سنة ١٨٦٨

وهناك أدلة كثيرة على ان الدين لادخل له في تقدم الامم أو تقهقرها الا قليلاً فلابد من البحث عن أسباب أخرى لما ذكره بيشون ودوايت في ما تقدم . وبعض هذه الاسباب واضح يظهر لأقل تأمل . ويقال بالاجمال ان ما ينسب لبعض الطوائف من التقدم بمخالطتهم أهل أوربا انما سببه اجتماعيٌّ لا دينيٌّ . فان المعاهدات التي تقضي بحماية وكلاء المصالح الاجنبية في مراكش انتفع بها اليهود اكثر من انتفاع المسلمين . لان

اليهود علائق باوربا ليست للمسلمين . ويؤكدون ان خوف الفرس من جرائد أوربا هو السبب في تقديم المسيحيين في المعاملة على المسلمين . وكتب فمبري سنة ١٨٧٥ عن الاسلام في القرن التاسع عشر فقال ان سبب تقدم المسيحيين في الاستانة على المسلمين ان المسيحيين لا يخدمون في العسكرية فيتفرغون للعمل في اسباب التعيش وأما المسلمون فانهم عرضة للخروج من بلادهم في كل يوم

« وزد على ذلك ان المسلمين في أبان تمدنهم كانوا يستخدمون في مصالح الدولة اليهود والمسيحيين دون المسلمين . لان أهل الذمة من الجهة الواحدة أقرب الى طاعة الرؤساء من المسلمين أهل الدولة . ومن الجهة الاخرى ان ضعفهم بالنظر الى الحكام دعاهم الى اتقان أسباب التعيش باكتساب ثقة الحكومة والمسلمون في غنى عن ذلك. ولا تزال هذه الخطة جارية في الحكومات الاسلامية الى الآن على انهم لا يفعلون ذلك لامتياز المسيحيين بقواهم أو مواهبهم ولكن النهضة المصرية قضت باحتكاك المسيحيين باهل التمدن الحديث قبل المسلمين ففاقوهم في الاقتدار على العمل . وأعرف جماعة كبيرة من المسلمين على جانب عظيم من الذكاء والنشاط والهمة والاقدام وصدق المبدأ ونحوها من المناقب العالية . وفي اعتقادي ان رأي فمبري في نسبة هذا الاختلاف في القوى الى اختلاف المواطن بين أوربا وآسيا أقرب الى الحقيقة من نسبته الى اختلاف المذاهب بين النصرانيه والاسلام . ولا عبرة في ما يرتأيه البعض ان النصرانية ستحل محل الاسلام قريباً لان النصرانية في زعمهم توافق التمدن والاسلام لا يوافقه . فانا مع ما نراه من اهتمام الجمعيات المسيحية في نشر النصرانية بين المسلمين فغاية ما يمكننا ان نقول عن مسعاها انه لم يحبط حبوطاً تاماً

« قال الرحالة سفين هيدن في اثناء سياحته في آسيا « ان مساعي دعاة النصرانية في كشغر ذاهبة ضياعاً » وذكر انه لقي ثلاثة من اولئك الدعاة فأخبره احدهم انه قضى في عمله هناك عشر سنوات فلم يستطع تحويل مسلم واحد الى النصرانية ولم يكن رفيقاه اقل فشلاً منه . ويقال نحو ذلك في اكثر اعمال المبشرين في البلاد الاسلامية . اما في بلاد الفرس فقد ذكر الدكتور ادمس ان البابية كانت وسيلة للانتقال من الاسلام الى

النصرانية . وقد نجح التبشير في الهند بعض النجاح ولكن المسلمين الذين يعتنقون النصرانية ليسوا اقل من البراهمة الذين يعتنقون الاسلام . ويقال بالاجمال ان دعاة النصرانية قد ينجحون في البلاد التي لم يكن للمسلمين فيها دولة في عصر الاسلام لذهاب الانفة بتذكر الاسلاف — ولذلك لم ينجح دعاة المسلمين الى النصرانية في سوريا ومصر ونحوهما

« واما ما لا مشاحة فيه فهو ان السلطة الاسلامية السياسية قد أخذت في التقهقر من مدة طويلة حتى أصبح المسلمون الخاضعون لغير المسلمين (سنة ١٨٧٠) نحو ثلثي المسلمين كافة . وأخذت هذه النسبة في الزيادة بتوالي الاعوام حتى أصبح الآن خمسة اسداس المسلمين تحت سلطة غير المسلمين — منهم نحو النصف تحت سلطة الانكليز والباقون تحت سيطرة روسيا وفرنسا وغيرهما

« والاسلام قد تغيرت احواله اليوم عما كانت عليه في ابانه . ولا بدَّ لبقائه من اقترانه بالعلم الحديث كما فعلت النصرانية وان يفترق عن السياسة مع بعض التعديل في شروطه . ولكن هل اذا حدث ذلك التعديل يبقى على الاسلام خطرٌ ؟ والجواب ان ذلك التعديل سيكون سبباً لطول البقاء لالتئامه بالعلم والتمدن الحديث . وقد أخذ عقلاء المسلمين في التقريب بين الاسلام والعلم ونبغ منهم جماعة من العلماء والادباء لا يقلون عن مشاهير ادباء الافرنج . وفيهم نفرٌ من الناشئة قد ادركوا موضع الداء وعرفوا الدواء فاذا استطاعوا سبيلاً الى المعالجة زادوا الاسلام ثباتاً بين يدي المذاهب الاخرى » . اه ملخصاً

على ان هذا التلقيب ليس خاصاً بلبنان بل هي عادة قديمة • ولو تدبرت تاريخ العرب لرأيت أمثلة كثيرة من ألقاب القبائل على هذا النمط • وهو جار ايضاً في بلاد التمدن الحديث فاهل المملكة يلقبون أهل كل اقليم او بلد بالقاب خاصة تنطبق على بعض ظواهرهم • واليك أمثلة من ألقاب الولايات المتحدة الاميركية فانهم يلقبون أهل كل ولاية بالقاب خاصة :

اسم الولاية	لقب اهلها	اسم الولاية	لقب اهلها
Illinois	Suckers	Ohio	Buckeye
Missouri	Pibers	Indiana	Hoosiers
Louisiana	Pea nut Collectors	New Eng.	States-Yankees
Oragon	Webfoot	Alabama	Yellow limnor
		Wisconsin	Badger

المقامرة والالعاب البيتية

(الاسكندرية) الآنسة ...

قرأت هلالكم الاخير بما فيه من التقريع العنيف على سيدات الاسكندرية خصوصاً من حيث اشتغالهن بالمقامرة حتى جعلن منازلهن مقامر واصبحت احاديثهن محصورة في الربح والخسارة وانا والحمد لله حديثة عهد في هذه المدينة وقد لاحظت ما لاحظتموه من هذا القبيل • فكنت اذا دخلت منزلاً حسبت نفسي ضائعة وربما عدَّني اهل المنزل غير متمدنة • وكنت أتحفز للاعتراض عليهن ويمنعني التهيب لانهن الفئة الكبرى ولم اكتسب دالة تخولني ذلك • حتى اذا جاء الهلال واتفق اني رأيته في منزل بعض اهل الوجاهة في ليلة نصبت فيها مناصب القمار عندهم فتركتهم في لعبهم واشتغلت في مطالعته حتى اتيت الى آخر مقالتكم النفيسة في القمار والبورصة • وكانت صاحبة المنزل قد نهضت عن مائدة اللعب لغرض لها فمرت بي وهمَّت بمخاطبتي على سبيل التجمل لاني ضيفتها ولا حظَّ لي من الاستئناس بالقمار • فوقع بصرها على مقالة الهلال وكنت قد رفعت بصري اليها وأنا ابتسم فادركت اني اشير الى تلك المقالة فابتدرتني قائلة « وما الذي يبغيه الهلال منا ونحن لا نلعب رغبة في المقامرة ولكننا نقضي بها الليالي على سبيل التسلية »

فقلت لها « وأرى الهلال قد ذكر ما تقضى به السهرات من الاجتماعات الادبية

والمباحثات السياسية والالعاب البيتية »

فقالت « لا اعرف لعبة يمكن التسلية بها في السهرات الطويلة غير لعب الورق وهو يعده من القمار ايضاً . وأما الابحاث الادبية والسياسية فانها تتعب العقل »

وبعد جدال طويل تعهدت لها ان اكتب اليكم لتفصحوا لنا عن الالعاب التي اشرتم اليها في الهلال الماضي وقد وعدتني صديقتي المشار اليها انها اذا رأت في تلك الالعاب ما تقضى به السهرات عدلت عن القمار . فجئت اليكم بهذا الرجاء وان كنت اعتقد ان صديقتي انما قبلت مني بهذا الشرط اختصاراً للجدال لتعود الى اللعب . غير اني التمس منكم من قبيل الفائدة العامة ان توضحوا لنا ما اشرتم اليه من الالعاب الادبية

﴿الهلال﴾ نشكر لحضرة الآنسة الادبية لاهتمامها بما كتبناه عن القمار ونرجو ان تثبت على عزمها في تقبيح هذه العادة فلا يسري اليها ميكروبها كما سرى الى سواها من النساء الفواضل فيهون عليها الاعتذار بمثل عذرهن — ولا عذر لهنّ في الحقيقة الاّ ضعف الارادة . والاّ فان المرأة الفاضلة لا يعجزها استنباط الوسائل لتسلية زائريها وليس اكثر من ابواب الحديث . فالسيدة التي لا تستطيع الخوض في المباحثات الادبية او السياسية او الاجتماعية فلا تعدم حديثاً عن الموضة واشكالها والخدام واحوالهم . . . ! . اما الالعاب التي اشرنا اليها هناك فهي مشهورة ومتداولة نذكر اهمها :

(١) لعبة « كيف صاحبتي » وهي ابسطها وذلك ان يخرج احد الحضور من الجلسة فيتفق الباقون في غيابه على شيء يضمرونه له على ان يستخرجه باعمال الفكرة فقد يضمرون له وردةً او كتاباً او رجلاً او امرأةً او اي شيء آخر فاذا عاد اخذ في سؤال الحاضرين واحداً واحداً وله ان يسأل كلاً منهم ثلاثة اسئلة على ثلاثة ادوار فينتقل في الدور الاول على الجميع ويسألهم « كيف صاحبتي » وكل منهم يجيبه بما يشبه ان يكون في الشيء المضمر ولو على سبيل الرمز . فاذا استطاع معرفة ذلك من الدور الاول قاله وجلس وخرج الشخص الذي عرف ذلك من جوابه . واذا لم يكفه الدور الاول لكشف ذلك المضمر دار دورة ثانية وسأل عن صاحبته سؤالاً آخر وهو « ماذا اعمل بها » فيجيبونه بما يقتضيه المقام ثم يدور الدور الثالث اذا لزم ويسأل « اين اضعها » فاذا لم يعرف بعد ذلك عدّ مغلوباً ويندر ان يعجز احد عن كشف المطلوب بعد ثلاثة ادوار

(٢) ويلي هذه اللعبة لعبة اخرى ارقى منها تحتاج الى الالمام بالتاريخ والادب وهي على سبيل الاضمار مثل لعبة كيف صاحبتي لكنهم يضمرون فيها رجلاً معروفاً في التاريخ

او حادثة مشهورة او شيء يتعلق بحادثة مشهورة · فاذا عاد المضمر له الى الجلسة تركوا له الخيار في الاسئلة على ان لا يكلفهم في الجواب الا « نعم » او « لا » · فاذا اضمروا له مثلاً « محمد علي باشا » فعليه ان يسأل اسئلة توصله الى المطلوب · فيسأل اولاً « هل المضمر من بني الانسان » فيجيبه المسئول « نعم » ثم يسأل الآخر « هل هو انثى » فيجيبه « لا » فيعرف انه رجل · فيسأل الآخر « هل هو من اهل القرن الماضي » فيجيبه « نعم » فيسأل الآخر « هل هو حي » فيجيبه « لا » ثم يسأل مثل هذه الاسئلة هل في مصر وهل هو من الحكام وهل مات سنة كذا الى آخر ذلك حتى يتوصل الى انه محمد علي باشا · و يفعل نحو ذلك لو كان المضمر حادثة تاريخية كفتح مصر او مقتل المماليك او غيرها · او شيء يتعلق بحادثة تاريخية كالمقلاع الذي قتل به داود النبي جليات الجبار او سيف الامام علي او خفي حنين او نحو ذلك

(٣) ويلي هذه اللعبة لعبة من نوعها لكنها تحتاج الى معرفة الامثال فانهم يضمرون فيها بدل الشخص التاريخي او الحادثة التاريخية مثلاً من الامثال الدارجة او القديمة كقولهم « كل ديك على مزبلته صياح » او « وافق شنٌ طبقة » ويطلب من المضمر له ان يتفطن لهذا المثل من اجوبة الحاضرين وعليهم اذا سألهم ان يضمّنوا اجوبتهم لفظاً من الفاظ هذا المثل · وقد تكون الاجوبة اشعاراً او آيات وانما يشترط ان يكون في كل جواب لفظ من الفاظ المثل المشار اليه · وربما شرطوا ان يكون في الجواب الاول اللفظة الاولى منه وفي الجواب الثاني اللفظة الثانية حتى يتفطن المسئول للمثل المطلوب

(٤) ومن هذا القبيل لعبة يعوضون بها عن المثل ببيت شعر من الابيات الشائعة · وهذه اللعبة تقتضي معرفة الشعر وكثرة محفوظه · ويجرون في كشف المضمر على نحو ما تقدم في لعبة الامثال وربما استعانوا في مساعدة السائل على معرفة الشعر ان يجيزوا له السؤال عن وزن الشعر او قافيته او نحو ذلك

ويمكن استنباط العاب كثيرة على هذه الصورة مما يلذ ويفيد ناهيك بما هو مشهور من مناشدة الاشعار ومطارحة الامثال غير المباحثات الاعتيادية في الآداب والاخلاق · وغير ما تقتضيه الاحوال من البحث في الحالة الحاضرة كالحرب القائمة اليوم بين الروس واليابان فقد تقضى السهرة بطولها في النظر والبحث عن قوات الدولتين ومستقبل الحرب وغير ذلك · وجملة القول ان المرأة العاقلة اذا ارادت تسلية زائريها بغير المقامرة لا تعدم وسيلة والسلام

على اكمة

الا ايها العصفورُ في مسرح الحزنِ — رويدك قد مثلتَ لي موسم الحزنِ
أراك نظيري تنقل الخطو في الهوا — وتبكي على غصنٍ وابكي على غصن
فهل انت ممن شفَّهُ الصدُّ والنوى — فغادر مأوى المُدْنِ عكفاً على الدمن
يحيّرني منك القنوطُ غباوةً — ويمناك في يسرٍ ويسراك في يمن
الا ليتما لي من جناحيك مسعفٌ — فما كانت الاقدار تهدم ما أبني
ألفتُ الهوى لا كارهاً ما يجرُّهُ — وما تعبُ الفرسان بالضرب والطعن
أبى الدهر الاَّ ان يكونَ معاندي — كأنَّ له ثأراً يحاولهُ مني
ولو خُلِقَ الانسانُ أعظمَ قدرةً — لكنتُ قلبتُ الدهرَ ظهراً على بطن
على انني لم آلُ جهداً وإن تكن — تنوء باثقالي أبالسةُ الجنِّ
اذا انا لم ابلغ من المجد في الصبا — مرامي فلا بلّغتهُ طاعن السنّ
وان وعرتْ في مسلكي سبلُ الغنى — فحسبي سبيلاً نحو آرامنا العنّ
ضعيفٌ رماني حسنهم في غرامهم — فمن واحدٍ يُصبي ومن آخر يُضْني
لقد حالتِ الارصادُ دون وداعهم — فعينٌ الى ظعنٍ وقلبٌ على ضغن
وياطالما حاولت تحويلَ حالتي — ومن عبرتي شأني يعبّرُ عن شاني
وكم غـزلٍ لي بالغزالةِ وابنها — واياهمُ ارجو واياهمُ اعني
وكم عثرةٍ لي لا أرى مَنْ يقيلها — كما عثرالسوريُّ في وهدة الوهن
وكم سهرةٍ سامرتُ فيها مصائبي — بليلٍ طويل مثل بعدهم عني
وكم قد أباحَ الشوقُ ذكرَ نسيبهم — فعلمني الابداعَ في ذلك الفنّ
وكم قربت قامي المثالِ وعودُهم — كما يتراءى البرقُ من خلل المزن
اذا ما دجا ليلي وضاقت مذاهبي — ونام خليُّ البال في مرقدِ الامن
خلوت بنفسي اقتل الهمَّ تارةً — بقتـولةٍ ملّتْ مجاورةَ الدنّ
وما العيش إلاَّ أن تكونَ أحبتي — بقربي ومعها يظلم الدهرُ يظلمني
ولا غروَ ان اطنبتُ فيهم فانني — « ارى البعدلم يخطرْسواهم على ذهني »

(بيروت) — جرجي نخله سعد

يابنتي قومي للصلاة

قصيدة فلسفية من ديوان اوراق الخريف لفيكتور هوكو[(١)]

يابنتي قومي للصلاة · — انظري قد عسعس الليل ، ونزل الضباب على الافق ، وطلع النجم من وراء السحاب كانه دينار · انصتي لم يبق الا مركبة تكرّ في الظلام على بعد · والكل دخل ليستريح · والشجرة على الطريق نفضت غبار النهار بريح المساء (وهي الدبور)

زحزح الشفق عن النجوم ستار الليل وفجر كل نجم كالشرارة الحامية · ورقق المغرب حاشيته الحمراء · وفضض الليل في الدجا وجه الماء · وامتزجت اثلام المحراث بالمسالك وبما حولها من الشوك · واختفى الجميع عن العيان · والتبست الطريق على ابن السبيل

النهار للاذى والتعب والبغض · فلنشرع في الصلاة حيث دخل الليل · ما اصفى الليل وما اوقره ! الراعي يعود والماشية تجأر ، والريح تعزف في نوافذ البرج ، والمياه تركد في المستنقعات · والجميع يتألم ويشكو · لان الطبيعة من شدة تعبها امست في احتياج الى النوم والصلاة والحب

هذه الساعة هي التي يتكلم فيها الاولاد مع الملائكة · واما نحن فنهرع فيها لملاهينا الغريبة · فجميع الاولاد الصغار يدعون في آن واحد بدعاء واحد · وهم راكعون على الارض واعينهم شاخصة الى السماء وايديهم مضمومة وارجلهم حافية · ويطلبون لنا الرحمة من الله تعالى

ثم ينامون · — وحينئذٍ تتناثر احلامهم الذهبية في حندس الليل بعد ان تتولد من هوشات آخر الليل · فاذا رات عن بعد انفاسهم متصاعدةً وشفاههم محمرّةً طارت الى ناموسياتهم كما يطير النحل الى الازهار ورفرفت حولها

فياعجباً لنوم السرير ! وياعجباً لدعاء الصغار ! فهو صوت حنوّ ورأفة لا عدوان فيه · وما احلى هذا الدين الذي يُقرّ العين ويضحك السن ! هذا مطلع النشيد في ليلة السعود · فينيم الولد عقلهُ الصغير في الدعاء كما يضع الطير رأسه تحت جناحه

٢

يابنتي قومي للصلاة · — وادعي اولاً وخاصة للتي هزت الليالي الطوال في سريرك ·

(١) نقلاً عن « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » تحت الطبع

التي التقطتك من عالم الذر وانت نفس لطيفة ووضعتك في الدنيا وصارت لك اماً شفوقة وقسمت لاجلك نصيبها من هذه الحياة المرّة الى قسمين فشربت الحنظل واسقتك العسل

ثم ادعي لي . فاني احوج منها لدعائك . لانها هي مثالك صالحة ، بسيطة ، صادقة ، قلبها صافٍ ، ووجهها راضٍ . شفقت على كثيرين ولم تحسد احداً . عاقلة ، حليمة ، صابرة على غصص الحياة ، متحملة للشر بدون ان تعرف فاعله

طالما قطفت الزهور ويدها الطاهرة لم تمس قشر الشجرة المنهي عنها (١) . ولم تقع بالفخ مع ضحكة سنها . وتنسى دائماً كل ماسلف ومضى . ولا تعرف الافكار الخبيثة التي تمرّ في الذهن كما يمر الظل على الماء

تجيل — واجيلي مثلها دائماً — مافي هذا العالم من الشقاء الملوّث للنفس ، والحظوظ الكاذبة ، والاباطيل الثانية ، وكلّ ما يعقب الندامة وتبكيت الضمير ، والشهوات التي ترغي على القلب كالرغوة ، وخواطر الخجل والمرارة الباعثة على احمرار الوجه

انا اخبر بالحياة ويمكنني ان اقول لك متى كبرتِ واقتضى تعليمك بان الجري وراء السلطة والسعادة والتفنن هو جنون ودناءة . وبان كاس (٢) الانتخابات تدور علينا وتسقينا الخزي بدلاً عن الفخار . وبان الانسان يخسر نفسه في لعب هذا القمار

كلما عاشت النفس تعطشت . والامور وان شفّت بدايتها عن نهايتها وظهرت اسبابها في عاقبتها فالانسان مع ذلك يشيب على الرذيلة وعلى الضلال المنفور منه . من كثرة المشي بتيه الانسان ويداخل عقله الشك . والكل يترك شيئاً على شوك الطريق التي سلكها . فالغنم تترك صوفها والرجل يترك فضيلته

قومي اذاً وادعي لي . وقولي في مقام كل دعاء : « يا الله يا الله ياربنا انت ابونا فارحمنا انك انت الرحيم . فارحمنا انك انت العظيم . » ودعي قولك يذهب الى حيث ترسله نفسك . ولا تقلقي فلكل شيء طريق . فلا تقلقي على الطريق التي يذهب فيها

لا شيء في هذه الدنيا الاّ وله مجرى . فالنهر يجري ملتوياً بين السهول حتى يصب في البحر . والنحلة تعرف الزهرة التي فيها العسل . وكل طائر يطير ويقع دائماً على غرضه . فالنسر يطير ويرتفع نحو الشمس . والعقاب يهبط على المقبرة والخطاف (السنونو) يطير

(١) قيل ان الاديب الماهر في الانتقاد الادبي سنت ريف كان يغازل زوجة فيكتور هوكو ولذا حصل بينهما تقاطع وعداوة

(٢) وهي كاس تجمع فيها الاصوات لانتخاب رئيس المجلس او غيره

في الربيع · والدعاء يصعد الى السماء

فاذا ارتفع صوتك الى الله بالدعاء لي اكون كالعبد الذي جلس في الوادي بعد ان حطّ حمله على حافة الطريق واشعر بخفة نفسي · لان دعاءك يأخذ بيده وهو صاعد جميع ما يثقل على عاتقي من الآلام والاوزار والخطايا

قومي ادعي لابيك · — لاصير اهلاً لرؤية طيف ملاكٍ في المنام كطير الحمام · ولتشتغل نفسي مع اشتغال البخور · امحي خطاياي بِنَفَسِكِ الطاهر ليصير قلبي معصوماً نقياً كأنه صحن الهيكل الذي يغسل في كل مساء

٣

ادعي ايضاً لجميع من يمر على هذه الارض من الاحياء · ولجميع الذين اندثرت مآثرهم بهبوب الرياح وتلاطم الامواج عليها · وللاحمق الذي يفرح بلمعان الحرير وبسرعة عدو الخيل · ولكل من يتألم و يشتغل سواء كان غادياً او بادياً · سواء عمل خيراً او شراً

ادعى للمنهمك في اللذات والعاكف على القبلات الى الصباح · ولمن يتخذ وقت الصلاة ليلهو بالرقص او الجلوس على المائدة · و يشتغل بالفحشاء في الساعة التي تتلو النفس الزكية فيها دعاء المساء واذا فرغت من دعائها رجعت خائفة من ان الله لم يسمع رجاءها

ياولدي ادعي للعذارى المستورات · وللمحبوس في القلعة · وللعواهر اللواتي يبعن اسم الحب الغالي · وللعاقل الذي يستغرق في مطالعاته و يتفكر في الخلق · وللكافر الملعون الذي يطعن في الشريعة المقدسة · — لان الدعاء لا نهاية له · لانك تؤمنين عن الذي يجحد والطفولية تقوم مقام الايمان

ادعي ايضاً للذين هم راقدون تحت حجر القبر · يالها من حفرة سوداء تفتح امامنا في كل آن · جميع هذه النفوس الهالكة مفتقرة لمن يزيل عنها صداء الجسم[1] هل سكوتها دليل على انها لا تتألم ؟ يا اولادي لننظر تحت الارض الشفقة على الاموات

٤

اركعي اركعي على الارض حيث وضع ابوك اباه وحيث وضعت امك امها · حيث يرقد كل من عاش عليها رقدة عميقة حفرة يمتزج فيها الغبار بالغبار · و يجد الانسان تحت ابيه آباءه كالثلج تحت الثلج في بحرٍ لا قعر له

---

(١) معري : تجاور هذا الجسم والروح برهة فما برحت تأذى بذاك وتصدأ

يا ولدي حينما تنامين تتبسمين • فيأتي الطيف وهو فرِحٌ في الظلام الذي غطست فيه • فيجفل من نفحتك ثم يعود اليك أيضاً • وفي النهاية تفتحين عينيك الالهيتين اللتين أحبهما • في الوقت الذي يفتح فيه الفجر على الافق جفنه وله أهداب ذهبية فان الفجر عين الهية ايضاً

ولكن الاموات لو تعلمين ايّ نوم ينامون ! فراشهم بارد وثقيل على عظامهم ولذا شنعهم • والملائكة لا يسبحون وهم يجتمعون حولهم وطيف الخيال يثقل عليهم بجميع ما جنته ايديهم • ليلهم ليس له فجر • والندامة تنقلب دوداً في القبر وتفتت قلوبهم

يمكنكِ بكلمة يمكنكِ بقول ان تجعلي ندامتهم تتخذ لها جناحاً تطير • وان تبعثي بحرارةٍ لطيفة تلذذُ عظامهم • وان تجعلي الشعاع يصيب ايضاً اجفانهم الغامضة وان توصلي لهم خبراً من النور والحياة وشيئاً من الرياح والاحراج والمياه

قولي لي حينما تذهبين وانت طفلة متفكرة تدورين على شاطيء البحر المتلاطم او تحت الشجر الذي يملأ القلب مهابة بظله وبتضارب الرياح عليه ' ألا تسمعين صوتاً يقول لك : يا بنيّ حينما تدعين ألا تدعين لي ؟

هذه شكوى الاموات ! فالاموات الذين يدعى لهم ينبت على قبرهم نبات اشد اخضراراً واكثر ازهاراً • ولكنهم منسيون واحسرتاه ! حتى الشيطان لا يضحك لهم ولا ضحكة استهزاء • ليلهم بارد مظلم • وبعض الشجر الهائل الذي يظلل قبورهم يغرس دائماً عروقه في قلوبهم بلا شفقة عليهم

ادعي ! حتى ان الاب والعم والاجداد الذين لا يطلبون منا الا الدعاء فقط ' يهتزون في قبورهم عند سماع ذكرهم • ويعلمون ان على وجه الارض من يتذكرهم بعد ' ويشعرون بحصول دمعة في عينهم الفارغة كما يشعر ثلم المحراث بتفتح الزهرة

٥

يا حمامتي لا ينبغي لي انا ان ادعي لجميع الهالكين • ولا للاحياء المارقين من الدين • ولا لجميع الذين ضمهم القبر • والقبر اصل المعابد

لا ينبغي لي انا الذي نفسه فانية ' مملوءة بالخطايا ' وفارغة من الايمان ' ان ادعي للجنس البشري • لان صوتي لا يكاد يكفي ليستغفر الله عن ذنوبي

كلاّ بل لو امكن أحد ان يدعي اليوم لهذه الارض الفاسدة لكان أنت • أنت الذي صوتك يسبح • ودعاؤك الطاهر ياولدي يمكنه ان يتكلف بالآخرين

اسئلي هذا الاب العظيم الذي يبسم في أفقك لماذا الشجرة الكبيرة تخنق الشجرة الصغيرة ؟ ومن الذي يميل بالعقل البشري عن الحق الى الباطل

اسئليه هل الحكمة لا تختص الا بالازلية ؟ لماذا نفحته تحطنا ؟ لماذا تحشر الانسانية في القبر بلا انقطاع ؟ الاولاد يسهرون في المكان المقدس على الذين افناهم الاثم . فهم ازهار يعطرونهم وهم بخور يفوح عليهم . وهم اصوات ترتفع الى الله

فلنترك هذه الاصوات العالية تفعل . ولنترك الاطفال جاثين على الركب . أيها المذنبون كلنا ولنا ذنوب كلنا على شفا جرف هار . فينبغي للطفولية ان تدعو لنا الخ . . .

قال ابو عمر بن دراج القسطلي يصف وداعه لزوجته وولده من قصيدة :

ولما تدانت للوداع وقد هفا	بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى	وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب ولحظه	بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت	له أذرع محفوفة ونحور
فكل مفداة الترائب مرضع	وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادني	رواح لتداب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها	جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيوراً فانني	على عزمتي من شجوها لغيور
ولو شاهدتني والهواجر تلتظي	علي ورقراق السراب يمور
أسلط حر الهاجرات اذا سطا	على حر وجهي والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي لوافح	واستوطئ الرمضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلون	وللذعر في سمع الجري صفير
لبان لها اني من البين جازع	وأني على مض الخطوب صبور

وقد عارض ابو عمرو بقصيدته هذه قصيدة ابي النواس التي مطلعها :

تقول التي من بيتها خف محملي	عزيز علينا ان نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب	بلى ان اسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر	جرت فجرى من جريهن غدير
ذريني اكثر حاسديك برحلة	الى بلدة فيها الخصيب امير

عجائب المخلوقات

الفرس النبيه الحاسب

كثيراً ما بحث العلماء في هل للحيوان عقل وهل عقله من نوع عقل الانسان وانما يختلفان في الرتبة او هما يختلفان في النوع أم ليس للحيوان عقل ونحو ذلك من الابحاث التي ليس هنا محل النظر فيها • على انهم توصلوا بالاستقراء الى ان الحيوان أرقى ادراكاً مما كانوا يتوقعون • وقد اشتغل جماعة منهم بتجربة ذلك في الحيوانات المألوفة فوجدوا أرقاها عقلاً الفرس والكلب والهر والفيل • وانها تمتاز عن سائر اصناف الحيوان بالانعطاف الى الاحياء التي هي أرقى منها كما ينعطف الانسان الى المعبودات العليا وقد كتب بعضهم المقالات الضافية في هذا الموضوع



الفرس النبيه الحاسب وصاحبه هرفون اوستن

وانما يهمنا في هذا المقام حكاية فرس نبيه علمه صاحبه الحساب حتى صار يجمع ويطرح

ويضرب • وعلمه حركات كثيرة لا تصدر الا عن عاقل مفكر • وذلك ان رجلاً المانياً اسمه هرفون اوستن يقيم في شمالي برلين تفرغ لدرس طبائع الحيوان منذ اربع عشرة سنة • ولحظ منذ اربع سنوات ان فرساً روسيا من افراسه فيه طبيعة التفكير • فوجه عنايته الى هذا الجواد وأخذ في ترقية تلك الطبيعة فيه فنجح نجاحاً باهراً • وسماه « حنا النبيه » وجرى في تعليمه وتثقيفه على احدث طرق التعليم المدرسي في اوربا بالرسم او الكتابة على الالواح السوداء بالطباشير او بالخرز او بأدوات أخرى لترقية الشعور فيه بالروائح والالوان ونحوها • ووجه عنايته الى تعليمه الحساب بالارقام فعلمه الجمع والطرح والضرب والقسمة وهو يتعلم الآن الكسور العشرية وما وراءها

وشاع أمر هذا الفرس في برلين وتألفت لجنة من علماء الحيوان لمشاهدته وامتحانه فتحقق عندهم انه يفعل ذلك عن نباهة وتفكير وليس عن سليقة او عادة • وقد اخذ بناصر فون اوستن في هذا الشأن وأيد رأيه هرشيلنس اشهر علماء الحيوان في برلين وآل خبرة في المؤتمر الدولي لحماية حياة الحيوان في افريقيا الذي انعقد في لندن منذ بضعة اعوام • وقد رحل شيلنس المذكور الى افريقيا حتى قطعها كلها تقريباً واكتسب اختباراً عظيماً في تدبير الحيوانات • فلما امتحن « حنا النبيه » رآه يجيب على كل مسألة تطرح عليه جواباً لا سبيل الى الشك في انه صادر عن روية وتفكير وهو يقرأ الخط ويعرف قيمة الاعداد او النقود او نحوها واذا نظر الى الساعة عرف الوقت تماماً واذا أريته صورة بعض الاشخاص الذين يعرفهم عرفه حالاً • ولكنه بالطبع لا يظهر معرفته بالنطق ولكنه يجيب على ما يطرح عليه بتحريك الرأس فاذا أراد « نعم » حنى رأسه او أراد « لا » هزه — وهز الرأس علامة النفي في البشر كما لا يخفى • واما الاسئلة الحسابية فانه يجيب عليها بالنقر على الارض بحافره الايمن • واذا أراد تأكيد جواب بما ينوب عن رفع الصوت عند الآدميين رفس الارض بحافره الايسر رفساً شديداً

مثال ذلك ان استاذه أوستن أراد مغالطته بين يدي اللجنة التي تعينت لامتحانه فقال له ان اثنين واثنين يعدلان خمسة فضرب الفرس بحافره الايمن على الارض اربع ضربات ارفق كلاً منها برفسة من حافره الايسر • وامتحنوه ايضاً في القراءة فكان يتهجى كل كلمة تكتب له على اللوح • وذلك ان بعض اعضاء اللجنة المذكورة كتب له على اللوح بعض الالفاظ المألوفة مثل كلب، أو هر ونحوهما فكان الفرس يميز كل لفظ عن سواه تمييزاً تاماً • ثم امتحنوه بعملية حسابية طويلة فاجاب عليها بلا غلط • وجاؤوه بقفة مملوءة خرقاً

بألوان مختلفة وجعلوا يسألونه اخراج خرق يعينونها بألوانها فلم يخطىء في خرقة واحدة . وسألوه عن عدد الحضور وعدد الذين يتقلدون النظارات منهم وعن السيدة التي على رأسها قبعة خضراء فاجاب بكل دقة

على ان هذه الاسئلة طرحها عليه الحضور على سبيل التسلية بعد فراغهم من امتحانه في القراءة والحساب . فلما رأوا غرابة تلك النباهة ارتابوا من ذلك الفرس وظنوا في الامر تلاعباً من اوستن او شيلنس فاحتاطوا لذلك باخراجهما من المكان وعمدوا الى مغالطة الفرس فتقدم اليه أحدهم وبيده ريال وسأله عن الوقت يوهمه انه يريه ساعة فلم يجبه

قضت اللجنة في ذلك الامتحان ساعة وبعض الساعة وقبل انفضاض الجلسة طلب اليه احدهم ان ينظف معلفه بخرقة وانه اذا فعل ذلك كافأه بعلاوة في علفه فتلفت الجواد يميناً وشمالاً حتى وقع نظره على خرقة بين يدي شيلنس فالتقطها بفيه واسرع الى اسطبله واخذ في مسح معلفه بتلك الخرقة حتى نظف تماماً ثم اعاد الخرقة الى اوستن

وكان في جملة الذين حضروا ذلك الامتحان دوق كوبورج غوطا ودوق ورتمبرج والبرنس شيسويغ هولستين والبرنس بلس وكثير من الاشراف المشهورين . وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من الاستاذ ستامف عضو من اكاديمية العلم في برلين والاستاذ ناجل رئيس مدرسة الفيسيولوجيا في برلين والدكتور منتز وغيرهم من العلماء والاطباء . وقد اجمعوا على ان ما شاهدوه من نباهة هذا الفرس انما هو نتيجة تعليم مدرسي مبني على اعمال الفكرة وليس من قبيل السليقة او العادة او التدريب الميكانيكي . وتقدم كل واحد من اعضاء اللجنة المذكورة الى صاحب الفرس واستاذه بعبارات التهنئة لما توفق اليه من نجاح هذا التلميذ

ولما شاع خبر هذا الفرس تسابق الاغنياء الى اقتنائه فطلب بعض الاميركان الى هرفون اوستن ان يبيعه اياه بمبلغ ٧٫٥٠٠ جنيه فلم يقبل وقال انه لا يبيعه باي ثمن كان لانه لايطيق فراقه لما تمكن في قلبه من الاستئناس به . وانما اكتفى هو ورفيقه هرشيلنس بشهادة وقعت اللجنة عليها بما شاهدته من تلميذهما النبيه

وقد خاضت جرائد برلين في شأن هذا الفرس وتجادلت وتناظرت ولكنها اجمعت على ان « حنا النبيه يمثل اعظم حادث يتعلق بعلم النفس في المملكة الحيوانيـة » ونشرت جريدة وورلدوورك الانكليزية رسالة من رجل شاهد ذلك الفرس فاثنى على نباهته

ويبن كيف يجمع الاعداد ويطرحها • فقال انهم يأتونه باسلاك عليها كرات بشكل السبحة يختلف عدد ما في السلك الواحد عما في الآخر • فجاؤه بثلاثة اسلاك في الواحد اربع كرات وفي الثاني ست وفي الثالث ثلاث كرات وعلقوها بين يديه معارضة بعضها فوق بعض وطلبوا اليه ان يجمعها • فضرب بحافره الايمن على الارض ١٣ ضربة • ثم جاؤه بصفيحة عليها الرقم خمسة وسألوه كم واحدة من هذه تساوي عشرين فضرب برجله على الارض اربع ضربات • وعرضوا عليه قطعاً من المعادن الثمينة فميز بين الذهب والفضة والنحاس ودلَّ على الذهب بضربة وعلى الفضة بضربتين وهكذا

ثم ذكر المراسل تعبيره عن احرف الهجاء فقال انه يدل على الاحرف بالاعداد ولكل حرف عنده عدد • فاذا سئل ان يتهجى كلمةً ضرب بحافره ضربات تدل على حروفها • واذا أريته ساعتك وسألته عن الوقت فاذا كانت الساعة ١١ ونصف مثلاً ضرب اولاً ١١ ضربة وصبر قليلاً ثم ضرب ثلاثين ضربة وهي الدقائق • قال الكاتب « وقد يظهر ذلك غريباً ولكنني رأيته بعيني يفعل ذلك • ورأيت فيه نباهة غريبة لتمييز الالوان فوصفوا أمامه أحد عشر لوناً متحاذية واخذ أستاذه يسأله عن لون لون منها وهو يدل عليها بحافره وله مهارة غريبة في اداء الالحان الصفيرية حتى قد يميز بين النغمة واجزائها » • وقاسوا نباهة هذا الفرس بالنسبة الى الانسان فوجدوها تقابل نباهة غلام عمره ١٣ سنة

من حكم الامام علي قوله :

قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه

اذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا اخواتها

من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا

من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها

من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته

ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة

منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا

الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة

الغيبة جهد العاجز

الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها

صحة العائلة

نوم الاطفال

ينام الطفل الصغير طول الليل والنهار « عدا وقت الرضاع والاستحمام ولبس الثياب بشرط ان لا يقلّ معدل النوم عن ١٨ – ١٩ ساعة في اليوم كله . ويقلّ نومه كلما تقدم في العمر فينام الطفل الذي عمره سنة واحدة من ١٥ – ١٦ ساعة وابن سنتين أو ثلاث سنين من ١٢ – ١٣ ساعة وابن اربع أو خمس سنين من ١٠ – ١١ ساعة وابن اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة من ٩ – ١٠ ساعات في اليوم . ولا يأرق الطفل في نومه الا لعلة في صحته أو انه لم يعود النوم في أوقات معلومة . ولذلك يحفظ من الشهر الثاني فصاعدًا نحو ساعة مستيقظًا قبل ميعاد نوم المساء لكي ينام في الليل براحة تامة

ويجب على الام ان تجعل طفلها ينام في أوقات معينة واذا كان كثير الارق في نومه فلا يجوز أن تسقيه منومًا كالخشخاش ونحوه لانه يسمّ الجسم وقد يقتل الطفل الضعيف البنية . وكثيرًا ما تحمل الام طفلها على ذراعيها وتمشي به في ارض الغرفة أو تلقيه على الفراش وتهدهده (الهدهدة الضرب باليد قليلاً قليلاً) أو تهز السرير أو تناغيه الى غير ذلك من الوسائط التي يستعملها النساء لاجل تنويم الاطفال وكلها غير لازمة لانها تتعب الام المرضع وطفلها والافضل ان تبذل جهدها لتنويم الطفل من غير الوسائط التي تقدم ذكرها وتقابل المصاعب التي تلاقيها في هذا السبيل بالصبر الجميل

ويجب ان ينام الطفل في الشهر الاول على ظهره طول الوقت . ولا بأس بعد ذلك اذا كان ينام في بعض الاوقات على جنبه الايمن أو بطنه وهذا التنقل يفيد الطفل فائدة عظيمة ولا سيما اذا كان مصابًا بمرض الكساح أي رخاوة العظام

فانه يخشى عندئذٍ ان يعوج ظهره من النوم على جنب واحد كل الوقت و يبقى كذلك طول الحياة

ولا بد من ان تكون ساعات النوم مرتبة مثل ساعات الطعام · فينام الطفل قبل الشهر الرابع او الخامس في الساعة الخامسة ونصف أو السادسة بعد الظهر· ولا يجوز ان يوقظ غير مرة واحدة أو مرتين في الليل لاجل ارضاعه

و بعد الشهر الرابع أو الخامس ينام في الساعة السابعة بعد الظهر ويغذى مرة واحدة في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً ثم ينام من غير رضاع الى الساعة السادسة أو السابعة من صباح اليوم التالي بحيث يغذى و يرد الى فراشه اذا كان يميل الى النوم · على انه كثيرًا ما يتوقف ترتيب النوم على ترتيب الطعام فيجب الانتباه الى ذلك

وعند ما يبلغ الشهر السادس ينام في النهار نحو ساعة أو ساعتين قبل الظهر ومثل ذلك بعد الظهر بشرط ان لا يطول نومه الى ما بعد الساعة الرابعة لئلا يأرق في الليل · ويداوم على هذه الكيفية طول السنة الاولى والثانية ما عدا النوم بعد الظهر لانه غير لازم الا اذا كان الولد في حاجة اليه

وكلما تقدم الولد في العمر تقل ساعات النوم في الصباح شيئًا فشيئًا حتى يستغني عنها تمامًا · ولا يغذى في الليل الا اذا كان مضطرًا الى التغذية

ويجب ان ينام الولد في السنة الرابعة والخامسة نحو الساعة الثامنة وفي السنة العاشرة أو الثانية عشرة نحو الساعة التاسعة مساء

وفي الاشهر الاولى ينام في سرير هزاز يغطى بناموسية من الشاش أو التول والاخير افضل من الاول لاتساع خلاياه وسهولة نفوذ الهواء فيها لان الهواء لازم للصغار كما هو لازم للكبار · ولا يجوز ان يغطى السرير بملاءة أو لحاف بحجة ان هذه الاغطية تحفظ الطفل دافئًا لانها تمنع الهواء عنه فتغطسه

وقبل تمام السنة بشهرين أو ثلاثة اشهر ينقل الى سرير آخر من الاسرة الثابتة ويجب أن يكون السرير مرتفعًا من جانبيه لوقاية الطفل من السقوط ولا

تستعمل الناموسية الى هذا الحين الا اذا دعت الحالة استعمالها

ومن اقبح العادات واشدها خطرًا أن ينام الطفل مع امه في فراش واحد لانها كثيرًا ما تستغرق في النوم فتنقلب عليه وتقتله أو تجذب الغطاء فوق رأسه حتى يمتنع عنه الهواء فتقطسه . وهب انه نجا من هذه المخاطر فلا ينجو من خطر آخر يتهدد صحته وهو ان نومه مع امه في فراش واحد قد يكون باعثًا على ارضاعه بالليل كلما بكى فيصاب بعسر الهضم ويعيش ممراضًا طول حياته على نحو ماسبق ذكره في فصل الرضاع

ويجب ان يكون فراش الطفل من الصوف أو الشعر في الشتاء ومن القطن في الصيف وافضلها الصوف لانه يغسل بالماء فينظف جيدًا ويفرش فوق الفراش ملاءة من المشمع لمنع نفوذ المواد الفضلية اليه وفوق المشمع ملاءة اخرى من نسيج المصلينا تطوى على مرتين وتغير كلما تبللت . وقبل النوم تدفأ الملاءة على حرارة النار في جميع فصول السنة ما عدا فصل الصيف وقد يستغنى عن ذلك بلف قدمي الطفل بطرف احرام من الصوف الناعم لتخفيف الحرارة

أما المخاد فافضلها ما كان من الريش الناعم ودثارها من الكتان (التيل) الابيض والغطاء خفيف حسب الفصول والاقليم

ولا يجوز ان ينام الطفل في الثياب التي كانت عليه في النهار وأحيانًا يمتنع الولد الكبير عن تغيير ثيابه في المساء وعندئذٍ يجب على الام أن تبذل جهدها لكي تذلل عناده باللطف والملاينة حتى يقدم على تغيير ثيابه اختيارًا لا اضطرارها

أما الغرفة التي ينام فيها الطفل فتتوقف في الغالب على احواله . فان كان يرضع من ثدي امه فالاولى ان ينام في غرفة مخصوصة مع خادمته وفي ساعات الرضاع يؤخذ الى امه لاجل تغذيته . ولا يخفى ما في ذلك من الراحة للام ورضيعها ولا سيما في الليل بحيث لا يكون باعثًا الى ارقها وارضاع طفلها كلما بكى واستيقظ من نومه

وان كان ممن يغذون بالصناعة أي يرضعون من الزجاجة فلا بأس اذا كانت الخادمة أو المرضع تتعهد تغذيته ولكن تحت مناظرة أمه ولا يجوز الاعتماد على الخادمة ما لم تكن أهلًا للثقة (كتاب تدبير الاطفال)

مطبوعات جديدة

❊ صحة المرأة في ادوار حياتها ❊ ان اسم هذا الكتاب يدل على اهميته لان المرأة قوام الهيأة الاجتماعية وعلى صحتها تتوقف راحة العائلة ويحفظ نظام الاجتماع . والكتاب تأليف الدكتور احمد افندي عيسى طبيب باسبتالية المجاذيب بالعباسية سابقاً . ضمنه مختصر القواعد الصحية التي ينبغي ان تعمل بها الفتاة في حال البلوغ والزواج والمرأة في الحمل والولادة والنفاس والرضاع وواجباتها نحو اطفالها الى شيخوختها . وقد فصل كل باب على حدة تفصيلاً حسناً واوضح اقواله بالرسوم والاشكال فجاء الكتاب في ٢٨٠ صفحة كبيرة فيها ستون صورة متقنة . فالكتاب المذكور ضروري للعائلات يجدر ان لا يخلو منه بيت . ويجب ان تطالعه الامهات والآباء لانه يدلهم على امور كثيرة يحسن مداركتها في ابنائهم قبل حدوثها وتعذر معالجتها وهو يطلب من حضرة المؤلف من محل عيادته بعمارة الاوقاف الجديدة بشارع عبد العزيز ومن المكاتب الشهيرة وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد قرشان

❊ الفرسان الثلاثة ❊ اصدرت مطبعة المعارف بالفجالة الجزء الرابع من هذه الرواية التاريخية الشهيرة . ويكفي لاقبال الناس على مطالعتها انها تأليف اسكندر دوماس وتعريب الشيخ نجيب الحداد . وبصدور الجزء الرابع تمت اجزاء الطبعة الثانية من هذه الرواية وثمنها كلها مغلفة بغلاف ملون عشرون قرشاً ومجلدة بقماش وكرتون ٢٤ قرشاً واجرة ارسالها بالبريد ثلاثة قروش وهي تطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف بالفجالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

❊ النوادر المطربة ❊ هو كتاب فكاهي جمعه شقيقنا ابراهيم افندي زيدان من نخبة كتب الادب العربية وهو يشتمل على خمسة اقسام الاول في النوادر الادبية والثاني في محاسن المحبوب والثالث في وصف الشعر والرابع في الغزل والخامس في بعض منظومات لجامع الكتاب . وقد تم طبع الكتاب المذكور وهو يطلب من مكتبة الهلال والمكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة قروش مجلداً واجرة البريد قرش

❊ كتاب التفاحة ❊ هو كتاب فلسفي ينسبونه الى ارسطو الفيلسوف وان العرب نقلوه عنه وعنهم اخذه العالم . فنقل من العربية الى العبرانية فاللاتينية والفارسية واللغات الحديثة . وقد عثر الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير على الترجمة الفارسية لهذا الكتاب في نسخة خطية فعني بنشرها مع ترجمة انكليزية وصدرها بمقدمات وملاحظات تدل على

علم واسع في علوم الشرق وادابه ومعرفة مكينة في اللغة الفارسية فضلاً عن العربية واخواتها

❊ مستقبل الاسلام ❊ هي مقالة انكليزية للاستاذ مرجليوث ايضاً وفيها بحث اجتماعي ادبي مفيد قد نشرنا خلاصته في مكان آخر من هذا الهلال

❊ اثر يهوديٌّ فارسي قديم ❊ واطلعنا من نفثات اقلام الاستاذ مرجليوث ايضاً على رسالة نفيسة بحث فيها بحثًا اثريًا لغويًا في بعض الصكوك الفارسية القديمة الموجودة في بعض متاحف لندن · ورسالة اخرى في آثار خطية فارسية قديمة منها صك مبايعة وصفحة فيها اشعار فارسية مكتوبة باحرف سريانية وقد بين رأيه في قراءتها وتفسيرها

❊ لغات العهد القديم ❊ هي رسالة ضافية للاستاذ المذكور أيضاً في موضوع ذات اهمية كبرى عند علماء النصرانية · ولا يقدم على البحث فيه الا اقطاب العلوم الشرقية لانه يحتاج الى اطلاع واسع في تاريخ الشرق وآدابه ولغاته · وقد وفَّى الاستاذ هذا الموضوع حقه والرسالة في الانكليزية وبما اغتنمنا فرصة لترجمتها وتلخيصها خدمة لقراء العربية · فنثني على حضرة العالم المستشرق على ما يبذله من العناية في خدمة الآداب الشرقية وخصوصاً العربية جزاه الله خيراً

(الالفاظ الايطالية في اللغة العربية العامية المصرية) لا يخفى ان اللغة العامية يخالطها كثير من الالفاظ الاجنبية لما اقتضاه التمدن الحديث من اختلاط اهلها بالافرنج على اختلاف طبقاتهم ولغاتهم · كما دخلتها الالفاظ اليونانية والفارسية وغيرها من لغات العالم القديم في اثناء التمدن الاسلامي — وقد بينا ذلك في كتابنا تاريخ اللغة العربية — وأما اللغات التي اخذ العامة عنها في عهد التمدن الحديث فكثيرة اشهرها اللغتان التركية والايطالية · وقد عني حضرة سقراط بك سبيرو صاحب القاموس الشهير في اللغتين العربية العامية المصرية والانكليزية بجمع الالفاظ الايطالية في رسالة كتبها لها في اللغة الانكليزية وقد قسم الالفاظ المذكورة الى مجاميع باعتبار معانيها كالالفاظ التجارية والصناعية والموسيقية والجغرافية والعلمية ونحوها · ورتب الالفاظ في كل مجموع ترتيباً عمودياً وجعل بازاء كل كلمة بعد لفظها العربي بالاحرف العربية والافرنجية اصلها الايطالي وبازائه معناها باللغة الانكليزية · فالكتاب حسن مفيد ونرجو من مؤلفه ان يتم فضله بجمع ما بقي من الالفاظ العامية من اللغات الأُخرى وخير الاعمال بالاكمال

(كلمات في سبيل الحياة) هي مقالات ادبية فلسفية من قلم حضرة احمد افندي حافظ عوض المحرر في جريدة المؤيد عني بطبعها ونشرها حضرة سيد افندي كامل وقد

اختارها من رسائل حضرة الكاتب لاحتوائها على موضوع واحد هو البحث في شؤون الحياة · وللحافظ افندي شأن في عالم الصحافة واسمه مشهور بين قراء العربية فنثني على اجتهاده وفضله

(جرائد ومجلات) (١) التعاون : هي مجلة علمية ادبية مدرسية تصدر في الاسكندرية مرتين في الشهر لصاحبها عبد الفتاح افندي بركة وخليل افندي القرياني بدل اشتراكها ١٥ قرشاً في السنة (٢) الجهاد : هي جريدة ادبية تجارية سياسية تصدر في نيويورك بامريكا يوم الاربعاء من كل اسبوع لمنشئها مارون افندي خليل الخوري وفيليب افندي حبيب فارس بدل اشتراكها في الولايات المتحدة وملحقاتها اربعة ريالات وفي الخارج خمسة (٣) الصعيد : هي جريدة مصرية تهذيبية ادبية سياسية لصاحبها عبد الفتاح افندي الانصاري تصدر في طهطا بمصر العليا مرة في الاسبوع بدل اشتراكها مئة قرش في العام (٤) چهره نما : هي جريدة فارسية مصورة تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لصاحبها « ع · م · عبد الحميد » بدل اشتراكها ٣ ريالات في مصر و٣ تومانات في بلاد فارس واربعة ريالات عثمانية في الممالك العثمانية وعشر روبيات في الهند وثمانية منات في القوقاز وتركستان وعشرون فرنكا في اوربا · فنتمنى لهذه الجرائد الثبات والانتشار

(كتاب المسؤلية) أعلن حضرة رصيفنا نجيب افندي شقرا المحامي الشهير وصاحب مجلة الاستقلال القضائية انهُ فرغ من تأليف الجزء الاول من كتاب المسؤلية وهو أول كتاب أُلف في هذا الموضوع وستبلغ صفحاته ٣٥٠ صفحة · وسيصدر هذا الجزء في أثناء نوفمبر الجاري و يصدر الجزء الثاني في مثل هذا الوقت من العام المقبل وثمن كل جزء عشرون قرشاً وسنوفي الكتاب حقه في الوصف عند صدوره

(روكامبول) قرظنا في الهلال الماضي رواية روكامبول الشهيرة تعريب طانيوس افندي عبده رئيس تحرير « الشرق » وذكرنا هناك ان ثمنها خمسة قروش والصواب ثمانية قروش مصرية · ونحث الادباء ثانية على مطالعتها لانها من نخبة الروايات

(الكلية الشرقية) هي مدرسة شهيرة في مدينة زحلة بلبنان انشئت سنة ١٨٩٨ وما زالت ترتقي وتتسع حتى اصبحت من اشهر معاهد العلم في سوريا وقد جاءنا برنامجها السنوي لهذا العام وفيه تفصيل قوانينها وشروطها وعلومها واسماء معلميها وتلامذتها ورسوم ابنيتها وتلامذتها · وهو كتاب ضخم يدل على عناية القائمين بشؤون هذه المدرسة فانهم خدموا الامة والانسانية خدمة كبرى فنثني على حضراتهم ثناء عاطراً جزاهم الله خيراً

ملوك الشرق وامراؤه

جودهبور وامراؤها

{ جودهبور } وتسمى أيضاً ماروار من ممالك الهند المستقلة تحت رعاية الانكليز واقعة في راجبوتانا بأواسط الهند يحدها من الشمال مملكتا بيكانر وجيبور ومن الشرق جيبور وكيشاجار ومن الجنوب مملكتا سيروهي وبالنبور ومن الغرب رون كوتش وبعض السند . وجودهبور رملية التربة قليلة الجبال يقسمها نهر لوني الى قسمين متساويين وهو ينشأ من بحيرة بوشكار في أجمير ويمرّ في جودهبور نحو الجنوب والغرب حتى يضيع في بعض المستنقعات في رون كوتش

سكان جودهبور مزيج من الراجبوتيين والشران والبهات والجات والبشناوية والمينية والبييل والبوري من قبائل الهند . وكلهم من البراهمة الا فئة قليلة من المسلمين وأرقى القبائل المشار اليها عشيرة من الراجبوتيين يقال لها راهتور ومنهم الفئة الحاكمة . وقبيلة الشران ومنهم الكهنة وكبار التجار وأهل الثروة . والجات نشابون ويتعاطون التجارة . وأما المسلمون فانهم الجند المحارب . وقد اشتهرت جودهبور على الخصوص بالتجارة وأهلها منتشرون في سائر بلاد الهند ينقلون السلع ويتجرون بها . ويقدرون سكان جودهبور بنحو ثلاثة ملايين منهم ٨٦ في المئة من الهنود (البراهمة) وعشرة في المئة من الجانية (طائفة وثنية) وأربعة في المئة من المسلمين . اكثر محصولاتها الذرة والحنطة وأهم مصنوعاتها الجلد وأدوات النحاس وأصناف الوشي الحريري . وجانب عظيم من الاهالي يحسنون القراءة في اللغة الهندية وفيهم جماعة كبيرة من النساء الشريفات وهذا نادر في الهند

عاصمة المملكة مدينة جودهبور سكانها ٦٠,٤٠٠ نفس وقد بناها راو جودها سنة ١٥٤٩ وجعلها عاصمة مملكته ولا تزال كذلك الى اليوم . وهي محاطة بسور منيع طوله نحو ستة أميال له ستون باباً كبيراً وفيها قلعة حصينة على تل كبير وفي القلعة قصر

المهراجا وحولها قصور فخيمة وحدائق فيحاء. وفي المدينة أبنية كثيرة على نمط جميل واكثرها للمهراجا والشرفاء فضلاً عن الهياكل الفخيمة. وعلى ثلاثة أميال من جودهبور آثار مدينة مندور العاصمة السابقة. وفيها مدرستان كبيرتان احداهما لابناء الاشراف وأهل الثروة والثانية لابناء التجار والصناع. ويندر أن تخلو قرية من قرى المملكة من مدرسة لتعليم الاحداث لغة الوطن

﴿ المهراجا ﴾ قد تقدم أن حكام جودهبور من عشيرة الراهتور الراجبوتيين ويقول مورخو الهند أن الحكم تسلسل في هذه العشيرة من زمن بعيد وتنوقل من فرع الى فرع حتى أفضى سنة ١١٩٤ م الى رئيس العائلة الحاكمة الآن غير ان قدمهم لم ترسخ فيها حتى تولى المهراجا رواتشاندا وهو عاشرهم وحفيده راو جودها الذي بنى مدينة جودهبور وأقام فيها كما تقدم. وفي سنة ١٥٦١ فتحها اكبر خان القائد المغولي الشهير. فدفع أميرها اليه ابنه أوداي سنكه دلالة للخضوع. فلما توفي الوالد أفضت الحكومة الى الابن فأعطى أخته جودهبياي زوجة لاكبر خان المذكور فكافأه هذا الملك بارجاع اكثر البلاد الى حكمه. وأحرز مقاماً عنده فاستخدم ابنه في بعض مناصب دولته وحارب تحت رايته

وفي سنة ١٦٧٩ اكتسح أورانكزيب جودهبور وحمل أهلها على الاسلام قهرًا فتكاتفت العشائر الراجبوتية المجاورة في جودهبور وأودبيور وجيبور وخلعوا نير المسلمين ولكنهم عادوا فاختلفوا فيما بينهم وطال الخصام والنزاع حتى توسط الانكليز في فض الخلاف وأدخلوا جودهبور تحت حمايتهم سنة ١٨١٨ على ان تبقى حكومتها مستقلة وامراؤها من العائلة الحاكمة الاصلية. وفي سنة ١٨٤٣ توفي أميرها ولم يخلف عقباً فأشارت انكلترا أن يختاروا أميرًا من العائلة المذكورة على أن يكون أقرب نسباً من الامير المتوفى فوقع اختيارهم على راجا تخت سنكه والد السير برتاب المنشورة صورته في صدر هذا الهلال. وقد خدم تخت سنكه الانكليز خدماً جزيلة في أثناء الثورات التي حدثت في الهند وكان يدفع للانكليز جزية مقدارها ٩,٨٠٠ جنيه في العام غير ١١,٥٠٠ جنيه نفقات جند غير منتظم أقاموهُ هناك وفي سنة ١٨٧٣ توفي تخت سنكه

وخلفه ابنه الاكبر جسونت ومازال حاكماً الى سنة ١٨٩٨ فتوفي وانتقل الملك الى ابنه المهراجا الحالي . غير أن مقاليد الاحكام كانت في الحقيقة بيد برتاب سنكه ولا تزال كما سترى

﴿ السير برتاب سنكه ﴾ هو ابن راجا تخت سنكه المتقدم ذكره . ولد سنة ١٨٤٥ ولما توفي والده أفضت الحكومة الى أخيه الاكبر مهراجا جسونت كما تقدم وكانت النجابة ظاهرة في برتاب فعهد اليه بتدبير شؤون المملكة وسماه رئيس الوزراء وهو في الثامنة والعشرين من عمره . وكانت الحكومة لا تزال على مجاريها القديمة فأخذ برتاب في تنظيمها على الطريقة الحديثة . ولم يكن فيها خزينة وانما كانت خزينتها عند الصيارف وكان دخلها مع ذلك نحو ٢٠,٠٠٠ جنيه في السنة . فعمل برتاب على تنظيم المالية فانشأ خزينة ووضع لها ميزانية اقتصادية على مثال ميزانيات الممالك المتمدنة وأصلح أبواب الخراج وعدل الضرائب وأنشأ قلماً للمساحة ونظم المحاكم وجعل أساسها نظامات الانكليز في الهند وعدلها حتى توافق طبيعة البلاد وعاداتها وأصلح السجون وغيرها

على أن همه كان منصرفاً بالاكثر الى الزراعة لسعة تلك المملكة وقلة محصولاتها فانشأ الترع وسهل أسباب النقل وأقام المستشفيات والصيدليات في البلاد والقرى الكبيرة . وأنشأ المدارس ووسع طرق التعليم وبذل في ذلك مالم يبذله سواه من ملوك الهند . فمنحته مدرسة كمبردج لقب دكتور في القضاء

ولكن برتاب سنكه ميال من فطرته الى الجندية وفيه شجاعة وبسالة فاقتبس من نظام الجند الهندي الانكليزي ما ساعده على انشاء فرقتين دربهما على النظام الحديث وجعل معظم الجند من الراجبوتيين فعمل في تنظيم العسكرية مثل عمله في تنظيم المالية والقضاء والزراعة

ولما توفي جسونت سنة ١٨٩٨ أفضت أزمة الملك الى ابنه ولم يبلغ الرشد فتوسط الانكليز في تعيين برتاب وصياً عليه وما زال عاملاً في تنظيم الحكومة كأنه هو الملك المطلق فكافأته انكلترا بتعيينه حاكماً على ايدار احدى ولايات كوجرات الكبرى وسمي « مهراجا ايدار » وقد خدم خدماً جزيلة تحت علم انكلترا في كثير من المهمات العظمى وهي لم تدخر وسعاً في الخلع عليه ومكافأته بالرتب والالقاب ومن جملتها

لقب سير ووسام نجمة الهند ولقب مهراجاديراج من أخيه المهراجا السابق وصليب فيكتوريا وغير ذلك بحيث أصبحت ألقابه عديدة . وهذه الاحرف التي تدل عليها في الاصطلاح الانكليزي K. C. B., G. C. S. I., L. L. D., A. D. C.

وترقى في الرتب العسكرية الانكليزية . وقد زار انكلترا في اثناء احتفال الانكليز باليوبيل فرحبوا به وذكرته جرائدهم بكل جميل ونشرت مآثره وأخباره وعددت كثيراً من دلائل شجاعته وبسالته منذ كان طفلاً وأطنبت في ذلك مثل اطنابنا بعنترة العبسي . ومما ذكروه ان قرداً آذى أخاً لبرتاب وهو لا يزال في الرابعة من عمره فهجم برتاب على القرد انتقاماً لاخيه وما زال يصارعه ويهارشه حتى كاد يقضي عليه . ناهيك بما ذكروه من أعماله في الصيد والقنص وفي ساحة الحرب وفي تنظيم الحكومة وغير ذلك . ويعدُّه الانكليز من أعظم رجال الهند اليوم

ابو العتاهية

احد شعراء العصر العباسي الأوّل

ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفي سنة ٢١٠ هـ

(الشعر والموالي) كان الشعر العربي قبل الاسلام خاصاً بالعرب واكثر الشعراء او كلهم عرب وفيهم اليمني والحجازي والنجدي والتهامي وان تفاوتت القبائل في شاعريتها . فذكروا ان اشعر القبائل ربيعة ومنها المهلهل والمرقشان وطرفة وابن قمئة وابن حلزة والمتلمس والاعشى وغيرهم . ثم انتقل الى قيس وفيهم النابغتان وزهير وربيعة ولبيد والحطيئة . ثم استقر في تميم ومنهم اوس بن حجر وغيره ثم صار الى هذيل وغيرها — وكان الشعراء انما ينظمون في الدفاع عن قبائلهم او يتغزلون بمحبوب او يفتخرون ببسالة او نسب او نحو ذلك وقلَّ من كان يتكسب بشعره وقد يكون شاعر القبيلة فارسها او اميرها . فلما جاء الاسلام دهش العرب باساليب القرآن وبالنبوة والوحي واشتغلوا بالغزو والفتح ونشر الاسلام وانصرفت قرائحهم عن الشعر الى الخطابة . فانقضى عصر الراشدين والعرب في شاغل عن الشعر فلما طمع بنو امية في الخلافة واحتاجوا الى

من يؤيد دعواهم كان الشعر في جملة ما تساعدوا به على استنفار الناس وجمع الاحزاب كما بينا ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي — فكانوا يجيزون الشعراء ويحرضون الناس على حفظ الشعر فاشتغل اهل الفراغ في النظم واصبح الشعر من اوسع ابواب التكسب والتزلف فكثر الشعراء على ابواب الخلفاء

وكان العرب قد اختلطوا بالاعاجم في البلاد التي فتحوها في الشام والعراق ومصر وأخذ هؤلاء في التقرب من الفاتحين بما يرضيهم من اسباب الرزق وخصوصاً في الدولة العباسية اذ رفع عنهم الضغط وتقربوا من الخلفاء . فلما رأوا العرب اهل خيال واريحية يتأثرون بالكلام البليغ حتى يقعدهم البيت من الشعر ويقيمهم صرفوا هممهم الى قرض الشعر والاستجداء به مثل اشتغالهم في الادب واللغة والقراءة وغيرها من العلوم الاسلامية والعربية . ولذلك كثر الشعراء في الدولة العباسية من الموالي وهم المسلمون غير العرب

(الشعر والكوفة) ولما عمد المسلمون الى الاشتغال في العلوم الاسلامية كان اول ما احتاجوا اليه ضبط قواعد اللغة وتحقق معاني الفاظها فجرّهم ذلك الى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم فأخذ جماعة منهم في الرحلة الى بادية العرب لالتقاط الاشعار والامثال عن افواه البدو وسموا الاشتغال بذلك علم الادب . ونظراً لقرب البصرة والكوفة من بادية العرب كان اكثر المشتغلين بالادب من سكانهما فزهتا في القرن الثاني وبعض الثالث ونبغ فيهما النحاة والرواة والادباء والشعراء واهل البصرة مقدمون على اهل الكوفة في كل شيء الا الشعر فانه كان في الكوفة اكثر واجمع منه في البصرة . ولما عمرت بغداد في اواسط القرن الثاني للهجرة اخذ اهل العلم في الانتقال اليها وغلب ورود اهل الكوفة الى بغداد لقربهم منها وكان العباسيون يكرمونهم لانهم نصروهم لما قاموا لطلب الخلافة . فقدمهم الخلفاء على اهل البصرة واستقدموهم اليهم ووسعوا لهم . ومن الشعراء الذين نشأوا في الكوفة وانتقلوا الى بغداد ابو العتاهية

(أصل ابو العتاهية ومنشأه) ابو العتاهية لقبٌ غلب على هذا الشاعر كما جرت عادة العرب في تلقيب شعرائهم وادبائهم بلفظ ورد في اشعارهم او اقوالهم او قيل لهم . وأما اسمه الاصلي فهو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . وهو من الموالي وولاؤه في بني عنزة وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي من موالي بني زهرة فهو مولى من الاب والام . وذكر بعضهم ان جده الاعلى (كيسان) من اهل عين التمر فلما غزاها خالد بن الوليد

كان كيسان هذا يتيماً صغيراً يكفله قرابة له من عنزة فسباه خالد مع صبيان من اهلها ووجه بهم الى ابي بكر فوصلوا اليه وبحضرته عباد بن رفاعة العنزي فجعل ابو بكر يسأل الصبيان عن انسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته حتى سأل كيسان فذكر له انه من عنزة فلما سمعه عباد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر فوهبه له فاعتقه فصار من موالي عنزة • ثم انتقل كيسان الى الكوفة في جملة من انتقل اليها من المسلمين في أثناء الفتن والحروب وتوطنها وتعاقب فيها اولاده واحفاده وهم يرتزقون بصناعة الخزف وخصوصاً الجرار الخضر • وكان القاسم والد أبي العتاهية يشتغل بالحجامة ايضاً • وكان ابوالعتاهية في أول أمره يتخنث فيحمل زاملة المخنثين ثم اشتغل بصناعة أبيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه • ولكنه أحسّ من حداثته باقتداره على النظم • وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق وهو يدور بقفص الجرار انه مرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال «يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه ؟ فان فعلتم فلكم عشرة دراهم وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم » فهزأوا منه وسخروا به وقالوا نعم قال « لا بدّ ان يشترى باحد القمرين رطب يؤكل فانه قمر حاصل » وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا :

ساكني الاجداث انتم :

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر • فلما أعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم مثلنا بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة تخجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل ادباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله فيستنشدونه فينشدهم أشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ونبغ في أثناء ذلك بالكوفة ابراهيم الموصلي المغني الشهير وكان في نحو سن ابي العتاهية • فبنيت بغداد وهما في أوائل الشباب ولكن المنصور لم يكن يقرب الشعراء ولا المغنين فلم يرغب الناس في الشعر او الغناء على عهده • فلما تولى ابنه المهدي سنة ١٥٨ هـ انتعش

الشعراء لانه كان يقربهم ويجيزهم فتقاطروا الى بغداد وتزاحموا ببابه وباب ابنيه الهادي والرشيد وحفيده المأمون ومن جاء بعدهم • وتكاثر المغنون في ايامهم أيضاً لارتباط الشعر بالغناء مع ما اقتضاه ذلك العصر من اسباب الترف والقصف • وكان في جملة من وفد على بغداد من الشعراء والمغنين ابو العتاهية وابراهيم الموصلي خرجا معاً من الكوفة حتى أتيا بغداد وكان لكل منهما شأن في مهنته • ومن معاصريهما ابو نواس واشجع السلمي وبشار بن برد وغيرهم

(أبو العتاهية والمهدي) وكان أول دخول أبي العتاهية على المهدي انه جلس مرة للناس في أوائل خلافته فلما آن دخول الشعراء أذن لهم فدخلوا وفيهم اشجع السلمي وبشار بن برد وغيرهما من فحول الشعراء — قال اشجع وهو صاحب هذه الرواية « فاتفق ان جلس بجنب بشار بن برد وسكت المهدي وسكت الناس فسمع بشار حساً فقال لي من هذا فقلت ابو العتاهية فقال أتراه ينشد في هذا المحفل فقلت احسبه سيفعل قال فامره المهدي ان ينشد فانشد :

الا ما لسيدتي ما لها | أدلت فاحمل أدلالها

قال اشجع فنخسني بشار بمرفقه وقال ويحك أرأيت اجسر من هذا ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع • حتى بلغ الى قوله :

أتته الخلافة منقادة | اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له | ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره | لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلو | ب لما قبل الله اعمالها

قال أشجع فقال لي بشار « انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشه » فوالله ما انصرف أحد عن ذلك المجلس بجائزة غير ابي العتاهية »

وأصبح ابو العتاهية من ذلك الحين من أقرب المقربين الى المهدي يدخل عليه ويجالسه وينشده ويصطحبه اذا خرج للصيد أو التنزه أو نحو ذلك • ومما يرويه ابو العتاهية عن نفسه من هذا القبيل قوله : « اخرجني المهدي معه الى الصيد فوقعنا منه على شيء كثير فتفرق اصحابه في طلبه واخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا اليه • وعرض لنا واد جرار وتغيمت السماء وبدأت بمطر فتحيرنا واشرفنا على الوادي فاذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأ الينا فسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا لبذلنا انفسنا في ذلك

الغيم للصيد حتى ابعدنا . ثم ادخلنا كوخاً له وكاد المهدي يموت برداً . فقال له الملاَّح اغطيك بجبتي هذه الصوف فقال نعم فغطاه بها فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غلمانه واتبعوا أثره حتى جاؤنا . فلما رأى الملاح كثرتهم علم انه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عن المهدي والقوا عليه الخز والوشي فلما انتبه قال لي ويحك ما فعل الملاح فقد وجب والله حقه علينا فقلت هرب والله خوفاً من قبح ما خاطبنا به . فقال بحياتي عليك الا ما هجوتني فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسي بأن أهجوك فقال والله لتفعلنّ فاني ضعيف الرأي مغرم بالصيد فقلت :

يا لابس الوشي على ثوبه ... ما أقبح الاشيب في الراح

فقال زدني بحياتي فقلت :

لوشئت ايضاً جلت في خامة ... وفي وشاحين واوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وانا استأهل زدني شيئاً آخر . فقلت اخاف ان تغضب قال لا والله فقلت :

كم من عظيم القدر في نفسه ... قد نام في جبة ملاَّح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله وقمنا وركبنا وانصرفنا »

وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه وقلما طلب اليه شيئاً ومنعه منه . وكان ابو العتاهية مشهوراً بحب جارية للمهدي اسمها عتبة وقد اكثر من تشبيبه بها وهو لا يجسر ان يطلبها من المهدي فاحتال في عيد النيروز فاهدى الى المهدي برنية فيها ثوب مطيب وكتب على حواشيه بيتين يعرّض بطلبها منه وهما :

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهديُّ يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني ... فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فأدرك المهدي غرضه فهمَّ بدفع عتبة اليه . فجزعت الجارية وقالت « يا امير المؤمنين حرمتي وخدمتي اتدفعني الى رجل بائع جرار ومتكسب بالشعر » فأعفاها وقال املوا له البرنية مالاً واوصاه ان يكفَّ عن التشبيب بها

ونال ابو العتاهية لدى الخليفة المهدي من النفوذ غاية ما يمكن ان يناله الشعراء في ذلك العصر حتى كثيراً ما توسط بالعفو عن بعض خاصة الخليفة بأبيات تقع لديه موقع القبول قالوا « دخل ابو عبيد الله (وزير المهدي) على المهدي وكان قد وجد عليه في امر بلغه عنه وابو العتاهية حاضر المجلس فجعل المهدي يشتم ابا عبيد الله و يتغيظ عليه ثم امر به

فجرّ برجله وحبس ثم اطرق المهدي طويلاً فلما سكن انشده ابو العتاهية :

اری الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما انت محتاجٌ اليه

فتبسم المهدي وقال لابي العتاهية «احسنت» فقام ابو العتاهية وقال «والله يا اميرالمؤمنين ما رأيت احداً اشد اكراماً للدنيا ولا اصون لها ولا اشح عليها من هذا الذي جرّ برجله الساعة ولقد دخلت على امير المؤمنين ودخل هو وهو اعز الناس فما برحت حتى رأيته اذل الناس ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت احواله ولم تتفاوت» فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه فكان ابو عبيد الله يشكر لابي العتاهية ذلك

على ان الخلفاء يومئذٍ لم يكن احد يأمن غضبهم وهم في عصر الاريحية والخيال . فاصاب ابا العتاهية غضب المهدي لما بلغه من رجوعه الى التشبيب بعتبة فامر بحبسه فشفع له يزيد بن منصور خال المهدي فاطلقه . وما زال ابو العتاهية يعرف هذا الفضل ليزيد المذكور طول حياته

﴿ ابو العتاهية والهادي ﴾ وتوفي المهدي سنة ١٦٩ هـ فخلفه ابنه موسى الهادي وكان الهادي واجداً على ابي العتاهية لانه كان ملازماً لاخيه هرون (الرشيد) في اثناء خلافة ابيهما . فلما تولى الهادي مدحه ابو العتاهية بقصيدة مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرَّ ما يتوقع
واني على عظم الرجاء لخائفٌ كأن على رأسي الاسنة تشرع
يروّعني موسى على غير عثرة ومالي ارى موسى من العفو اوسع
وما آمنٌ يمسي ويصبح عائذاً بعفو امير المؤمنين يروع

فاذن له بالدخول عليه فلما دخل انشده قصيدة مطلعها :

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

ثم وصف الخمر في بضعة ابيات حتى قال متغزلاً وتخلص الى مدح الخليفة :

ومخضرات زرننا بعد الهدوّ من الخدور
ريا روادفهنَّ يلـ بسن الخواتم في الخصور
غرّ الوجوه محجبا ت قاصرات الطرف حور
متنعمات في النعيـ ـم مضمخات بالعبير

يرفلنَ في حلل المحا سن والمجاسد والحرير
ما ان يرين الشمس الا القرط من خلل الستور
والى امين الله مهـ ربنا من الدهر العثور
واليه اتعبنا المطا يا بالرواح وبالبكور
صعر الخدود كأنما جنحن اجنحة النسور
متسربلات بالظلا م على السهولة والوعور
حتى وصلن بنا الى رب المدائن والقصور
ما زال قبل فطامه في سن مكتهل كبير

فرضي عنه الخليفة واجزل صلته وعاد الى افضل ما كان له عليه . وله فيه قصائد كثيرة منها قصيدة قالها في ولد وُلد للهادي يوم ولي الخلافة ومنها :

اكثر موسى غيظ حساده وزين الارض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد اصيد في تقطيع اجداده
فاكتست الارض به بهجة واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحة علت بها ذروة اعواده
كأنني بعد قليل به بين مواليه وقواده
في محفل تخفق راياته قد طبق الارض باجناده

فأمر له موسى الهادي بألف دينار وطيب كثير

✻ ابو العتاهية والرشيد ✻ لم تطل خلافة الهادي فتوفي سنة ١٧٠ هـ وخلفه الرشيد . ولكنها على قصرها اثرت في قلب ابي العتاهية فلما مات الهادي عاهد ابو العتاهية نفسه ان لا يقول بعده شعرًا . فلما طلب منه الرشيد ان يقول الشعر وابى غضب عليه وامر بحبسه في بيت مساحته خمسة اشبار في مثلها فصاح « الموت الموت اخرجوني فانا اقول كل ماشئتم » فحملوه الى الرشيد فقال اشعارًا غنى بها الموصلي فامر له بخمسين الف درهم

وحظي ابو العتاهية عندالرشيد حظوة كبيرة وكان حظه منه اكثر من حظه من سائر الخلفاء حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر الا في طريق الحج . و عين لهُ الرشيد راتبًا سنويًا مقداره ٥٠,٠٠٠ درهم سوى الجوائز والمعاون وهي كثيرة . وغير ما كان يناله من رجال الدولة والامراء وغيرهم وعطاياهم يومئذ من عشرة آلاف درهم الى خمسين الف درهم ومئة الف درهم . وكان بعض الامراء يجرون عليه الرواتب ايضًا ومنهم الحسن بن

سهل فقد كان يجري عليه راتباً قدره ٣,٠٠٠ درهم في الشهر او ٣٦,٠٠٠ في السنة . واما الجوائز التي كان ينالها موقتاً فلا يمكن تقديرها . ومن امثلة ذلك ان الرشيد امرهُ مرة ان ينشده قوله في عتبة ليغني به الموصلي فقال :

يا عتب سيدتي امالك دينُ　　حتى متى قلبي عليك رهينُ

فانشدهُ اياه فامر له بخمسين الف درهم وقس على ذلك

وقد بالغ الرشيد في اكرام ابي العتاهية حتى اغضب ابنه القاسم مرة من اجله . وذلك ان القاسم بن الرشيد مرَّ في موكب عظيم وكان من اتيه الناس وابو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق فقام ابو العتاهية حين رآه اعظاماً له فلم يزل قائماً حتى جاز فاجازه القاسم ولم يلتفت اليه فقال ابو العتاهية :

يتيه ابن آدم من جهله　　كأن رحا الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك فاخبر به القاسم فبعث الى ابي العتاهية وضربه مائة مقرعة وقال له « يا ابن الفاعلة اتعرض بي في مثل ذلك الموضع » وحبسه في داره فدس ابو العتاهية الى زبيدة بنت جعفر امرأة الرشيد هذه الابيات :

حتى متى ذو التيه في تيهه　　اصلحه الله وعافاه
يتيه اهل التيه من جهلهم　　وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به　　فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه　　من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب اليها بحاله وضيق حبسه وكانت مائلة اليه فرقّت لهُ واخبرت الرشيد بامره وكلمته فيه فاحضره وكساه ووصله ولم يرض عن القاسم حتى برَّ ابا العتاهية وادناه واعتذر اليه

ولابي العتاهية مع الرشيد مداعبات كثيرة يطول بنا ذكرها من اشهرها انه حبسه مرة ثانية لتمنعه عن قول الغزل فكتب اليه من السجن :

اما والله ان الظلم لؤمٌ　　وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي　　وعند الله تجتمع الخصوم
لامرٍ ما تصرفت الليالي　　وامرٍ ما تولت النجوم
تموت غداً وانت قرير عين　　من الغفلات في لجج تعوم
تنام ولم تنم عنك المنايا　　تنبه للمنية يا نؤوم
سل الايام عن امم تقضت　　ستخبرك المعالم والرسوم

تروم الخلد في دار المنايا وكم قد رام غيرك ما تروم
الا يا ايها الملك المرجى عليه نواهض الدنيا تحوم
اقلني زلة لم اجر منها الى لوم وما مثلي ملوم
وخلصني تخلص يوم بعث اذا للناس برزت الجحيم

فامر الرشيد باخراجه

واشهر من ذلك حديث تنسكه وحبسه · وذلك ان ابا العتاهية تنسك ولبس الصوف وترك حضور المنادمة والقول في الغزل · والظاهر انه فعل ذلك هذه المرة عن احساس ديني بعد طول تردده في امر الدين وتقلبه على اطوار شتى وكانوا يتهمونه بالزندقة او الكفر وهو يدفع عن نفسه · فكأنه اراد في اواخر ايامه ان يتوب عما مضى وقد تمكن اعتقاده في الاسلام فتنسك فاستجهله الرشيد وهدده وأمر فضربوه ستين عصا وحلف لا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل · فلما رفعت عنه المقارع قال ابو العتاهية كل مملوك له حر وامرأته طالق ان تكلم سنة الاَّ بالقرآن او بلا اله الا الله محمد رسول الله · فكأن الرشيد تحزن لما فعله فأمر بحبسه في دار وان يوسع عليه ولا يمنع من دخول من يريد اليه · فكان اصدقاؤه اذا دخلوا عليه وخاطبه احدهم في شأن اجابه كتابة على قرطاس كان بين يديه · فلما انقضت السنة عجلوا في اخراجه واستنشدوه فانشدهم ابياتاً قالها في امرأته مطلعها :

من لقلب متيم مشتاق شفهُ شوقه وطول الفراق

وكتبها الى ابراهيم الموصلي فدخل بها على الرشيد وغناه بها · فقال الرشيد لمن هذا الغناء قال الغناء لي واما الشعر فلاسيرك ابي العتاهية · فامر باخراجه وسأل كم ضربناه فقالوا ستين عصا فامر له بستين الف درهم وخلع عليه واطلقه

وعاش ابو العتاهية الى ايام المأمون ومدحه ونال جوائزه وكانت العطايا تتوالى عليه من الخلفاء وابنائهم ورجال دولتهم حتى مات سنة ٢١٠ هـ واوصى ان يكتب على قبره :

اذن حيٍّ تسمعي اسمعي ثم عي وعي
انا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة اسلمتني لمضجعي
كم ترى الحيَّ ثابتاً في ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي

﴿ صفاته وشعره ﴾ كان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة

جعدة وهيأة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم كيف تقول الشعر قال « ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك مالا اريد » وسأله ابنه مرة هل تعرف العروض فقال « انا اكبر من العروض » ولذلك فانه نظم على اوزان لا تدخل في العروض . وسأله بعضهم مرة « اما يصعب عليك شيء من الالفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائر من يقول الشعر او الى الفاظ مستكرهة » قال « لا » قال « اني لاحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة » قال « فاعرض عليّ ماشئت من القوافي الصعبة » فعرض عليه النظم على مثل « البلاغ » فقال لساعته :

ايّ عيش يكون ابلغ من عيـ — ـش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحب البغي ليس يسلم منه — وعلى نفسه بغى كل باغ
رب ذي نعمة تعرض منها — حائل بينه وبين المساغ
ابلغ الدهر في مواعظه بل — زاد فيهن لي على الابلاغ
غبنتني الايام عقلي ومالي — وشبابي وصحتي وفراغي

وقال الاصمعي « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » وقد نظم في سائر ابواب الشعر ونقدم امثلة منها . ومن اقواله في المدح من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وهرون ماء المزن يشفى به الصدى — اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
واوسط بيت في قريش لبيته — واول عزّ في قريش وآخره
وزحف له تحكي البروق سيوفه — وتحكي الرعود القاصفات حوافره
اذا حميت شمس النهار تضاحكت — الى الشمس فيه بيضه ومغافره
اذا نكب الاسلام يوماً بنكبة — فهرون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك — كذا لم يفت هرون ضدّ بنافره

ومن نظمه ارجوزة حكمية تعرف بذات الامثال يقال انه جمع فيها ٤٠٠٠ مثل منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت — ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا — من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني او فذر — ان كنت اخطأت فما اخطأ القدر

لكل ما يؤذي وان قلّ الم　　ما اطول الليل على من لم ينم

ما انتفع المرء بمثل عقله　　وخير ذخر المرء حسن فعله

ان الفساد ضده الصلاح　　ورب جدّ جرّه المزاح

من جعل النمام عيناً هلكا　　مبلغك الشرّ كباغيه لكا

ان الشباب والفراغ والجده　　مفسدة للمرء ايّ مفسده

ما عيش من آفته بقاؤه　　نغص عيش كله فناؤه

ما تطلع الشمس ولا تغيب　　الا لامر شأنه عجيب

لكل شيء معدن وجوهر　　واوسط واصغر واكبر

وكل شيء لاحق بجوهره　　اصغره متصل باكبره

الخير والشرّ بها ازواج　　لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض　　يخبث بعض و يطيب بعض

لكل انسان طبيعتان　　خير وشر وهما ضدان

انك لو تستنشق الشحيحا　　وجدته انتن شيء ريحا

والخير والشرّ اذا ما عدّا　　بينهما بون بعيد جدا

عجبت حتى غمّني السكوت　　صرت كاني حائر مبهوت

كذا قضى الله فكيف اصنع　　والصمت ان ضاق الكلام اوسع

وله اشعار كثيرة في الزهد والتنسك يضيق عنها هذا المكان . و يؤخذ من سيرة حياته انه كان متردداً متقلباً و يغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء و يسعون وراء النفع حيثما كان . على ان في تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد ان امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك . واما تقلب ابي العتاهية فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدّعي انه مولى لليمن و ينتفي من عنزة فلما مات يزيد رجع الى ولائه وعاتبه بعضهم في ذلك وقال له الم تكن تزعم ان ولاءك لليمن . قال « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن وما في واحد انتميت اليه خير ولكن الحق احق ان يتبع »

وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلاً وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

خلاصة مذهب دارون

وهو مذهب النشوء والارتقاء او مذهب التحوّل

توصل العلامة دارون وكثيرون غيره بالبحث استقراءً واستنتاجاً الى القول بوحدة المخلوقات الحية جمعاً اي ان الانسان والحيوان والطير والاسماك والحشرات مشتقة من اصل واحد أو بضعة أصول • وظاهر هذا القول تحكم محض لانه لا يُعقل بالبديهة ولا يسهل اثباته بالبحث لكثرة ما يحيط به من الشبهات وما يقوم دونه من العقبات وما يشجر فيه من الاختلافات ولكن ما لا يُدرك كله لا يترك جله • فالعلامة دارون توسع في هذا البحث اكثر من جميع من تقدموه او عاصروه حتى صار ينسب مذهب النشوء اليه • وهو لم يقطع فيه قولاً محكماً بل جمع نتيجة ابحاثه ومعلوماته ومشاهداته وزفها الى الجمهور بكل تحفظ غير مدع السداد في البحث ولا العصمة في القول ولكنه يثق بصحة الادلة التي بنى عليها مذهبه وهي نشوء الانسان عن الحيوان وهاك ما قاله في هذا الصدد في خلاصة كتابه المسمى «اصل الانسان»



دارون

« ان كثيراً من الآراء التي بسطتها تخمينية للغاية ولا أشكُّ في انه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكنني قد اوضحت الاسباب التي ساقتني الى التمسك براي دون

غيره · بيد ان المقررات الفاسدة قد تدوم طويلاً ويكون ضررها بليغاً في تأخير نجاح العلم · أما الآراء الفاسدة المعضدة ببعض البراهين فضررها قليل لانها معرضة أبداً للتمحيص بالبراهين القاطعة وتمحيصها يسد الطريق المؤدي الى الخطأ وينفتح غالباً السبيل المؤدي الى الصواب

« أما النتيجة التي توصلت اليها هنا والتي يعتقد بها الآن جماعة من العلماء ذوي الاهلية لبت الاحكام السديدة فهي : ان الانسان قد نشأ عن حيوان أحطّ منه بنية : والاركان التي شيدت عليها هذه النتيجة أن تتزعزع ابداً لان المشابهة الشديدة بين الانسان والحيوانات الدنيا في نشوء الأجنة وفي ما لا يحصى من احوال البنية والتركيب من كثير الاهمية وقليلها والاعضاء الأثرية الباقية فيه وتعرّضه من وقت الى آخر للشرود عن المألوف والعودة الى الاصل جميع هذه حقائق لا مراء فيها · وقد عرفت هذه الحقائق من زمن بعيد ولكنها لم تنبئنا بشيء فيما يختص باصل الانسان الاّ منذ عهد قريب »

ولننظر الآن في الادلة على مذهب التحوّل هذا وهي :

اولاً — قابلية التغير — يشترط لارتقاء الانسان ان يكون قابلاً للتغير جسداً وعقلاً وان يكون خاضعاً لنواميس الارث التي بمقتضاها تنتقل التغيرات التي تحدث فيه الى نسله وان تكون هذه التغيرات معلولات للعلل العامة التي يشمل تأثيرها جميع الكائنات الحية فجميع هذه الشروط مستكملة فيه

ثانياً — مشابهة البنية — ان جسد الانسان مركب بوجه عام على مثال اجساد الحيوانات الاخرى ذوات الأثدي فعظام هيكله لها مقابل في هيكل القرد والخفاش وعجل البحر مثلاً · ويتمشى هذا التمثيل على عضلاته واعصابه واوعيته الدموية وخلاياه الداخلية ودماغه وهو يشترك مع الحيوانات في قابليته للعدوى ببعض الامراض مثل الكلَب والجدري والزهري والكوليرا وغيرها مما يدلّ دلالةً قاطعةً على شدة المشابهة بينه وبينها في الدم والانسجة من حيث دقة التركيب والبنية · وزد على ذلك ان القرد معرض للزكام والصرع والتهاب الامعاء وكاتركتا العين والحمى وان العقاقير الطبية تفعل فيه فعلها في الانسان · ومن النظر الى شدة ميل بعض انواع القردة الى شرب الشاي والقهوة والمشروبات الروحية التي تسكر والى الآلام العصبية التي تصاب بها على أثر السكر تتضح لنا شدة مشابهتها للانسان حتى في الذوق والحس العام · وتسطو على الانسان حليات خارجية وداخلية من نفس جنس الحليات التي تنتاب الحيوانات الاخرى من

ذوات الأثدي • ومن غريب نواميس الطبيعة ان الحبل والبلوغ وبعض الامراض تتبع في سيرها المدد القمرية وان ذوات الأثدي والطيور حتى الحشرات تشارك الانسان في الخضوع لهذا الناموس الغامض • ومثله ناموس التناسل فانه يجري على سنن واحد في جميع ذوات الأثدي وجميع ذلك يدل على شدة المشابهة بين الانسان والحيوانات العليا ولا سيما القرود في عموم البنية ودقة الانسجة والتركيب الكيمي والالفة

ثالثاً — مشابهة الاجنة — ينشأ الانسان من بويضة قطرها نحو جزء من ١٢٥ من القيراط وهي لا تختلف في شيء عن بويضات الحيوانات الاخرى • وجنين الانسان في أوائل تكوينه يكاد ان لا يفرق عن اجنة سائر الحيوانات الفقرية ثم يبتدىء الاختلاف فتظهر الاطراف • واذ ذاك تنشأ أرجل العظاية وقوائم ذوات الأثدي واجنحة الطير وايدي الانسان وارجله من صورة أصلية واحدة في جميعها ولا يتضح الفرق بين جنين القرد وجنين الانسان الا في أواخر مدة النمو وحينئذ يستوي جنينا القرد والانسان في اختلافهما عن جنين الكلب • فينتج من ذلك ان الانسان لا يختلف في كيفية نشوئه عن الكلب والطير والضفدع والسمك وبقية الحيوانات التي تحته مباشرة في سلم الكون في كيفية تكوينه وابتداء نموه • وفي الاطوار الاخيرة من نمو جنينه يكون الاختلاف بينه وبين القرد أقل جداً مما هو بين القرد والكلب

رابعاً — الاعضاء الأثرية — لا يخلو جسم فرد من الحيوانات العليا وفي جملتها الانسان من وجود الاعضاء الأثرية فيه كالثندوتين في صدر الرجل والناب الذي يبقى تحت اللثة في المجترات • فهذه الاعضاء وما ماثلها تدعى أثرية لعدم نفعها الآن لذويها مما يدل على أنها لم تنشأ تحت الاحوال الحالية • وهي شديدة التغير لعدم نفعها ويترتب على ذلك عدم خضوعها لفعل الانتخاب الطبيعي واختفائها في غالب الاحيان • ومما يستحق الاعتبار انه مع ذلك تبقى فيها قابلية الظهور ثانية في أوقات مختلفة جرياً على مقتضى ناموس العود الى الاصل • والظاهر ان السبب الاولي في صيرورة بعض الاعضاء أثرية هو عدم الاستعمال لها في أبان الاحتياج اليها وذلك يكون غالباً في زمن البلوغ • وقولنا « عدم الاستعمال » لا يقتصر على نقص عمل العضلات بل يشمل أيضاً قلة توارد الدم اليها أو كونها معرضة لاقل مما يلزم لحفظ كيانها من الضغط المتعاقب عليها ونحو ذلك من الفواعل التي تقلل عملها الخاص وتنتقل هذه الأثريات بطريق الارث الى الاعقاب ويكون ظهورها في نفس المدة التي ابتدأ ضمورها فيها • وفي جسم الانسان عضلات

مختلفة أثرية وعضلات في حالة الضمور الكلي لها مقابل في العجماوات . ومن الأثريات في الانسان عضلات ظاهر جلد الرأس التي لا تفيد الآن الا العجماوات لطرد الهوام ونحوها ومع هذا فقد ورث كثير من الناس هذه العضلات من احقاب بعيدة حتى ان بعضهم يقذف عن رأسه عدة مجلدات بمجرد تحريك جلد الرأس . ومثل ذلك عضل الاذن الظاهرة فان بعضهم ينصبون آذانهم او يحركونها الى الامام اوالوراء مثل سائر الحيوانات ومما يمكن اعتباره أثرياً ايضاً قوقعة الاذن الظاهرة وثنياتها ونواتئها والجفن الثالث المقابل للغشاء الذي تحجب به الطيور احداقها . وينبت في أماكن مختلفة من الجسم عفرٌ من الشعر تمتاز عن الشعر العادي بطولها وثخنها مما يدل على اصلها الحيواني . والظاهر ان ضرس العقل آخذ الآن في الانحطاط وسيصير أثرياً لانه لا ينبت الا في السابعة عشرة ويكون غالباً معرضاً للنقد في المتمدنين خلافاً للمتوحشين فانه فيهم على اشده . وكذلك عظم العصعص فانه يكون بارزاً جداً في اوائل تكوين الجنين وقد شوهد طويلاً بعد الولادة وهو مؤلف من فقرات متلاصقة ولها عضل بحالة الضمور . وقد بقي اعضاء عديدة مما هو أثري في الانسان وعامل في الحيوان اضربنا عن ايرادها اكتفاء بما ذكر — أيكون كل ذلك اعتباطاً ؟

هذه خلاصة الادلة على كون الانسان قد نشأ نشوءاً ولم يخلق مستقلاً . اما كيفية نشوئه فسنفرد لهُ مقالة برأسها ان شاء الله على ان هذا المذهب لا ينافي الدين في حقيقته ولا يناقض هبوط الوحي على الانسان بعد ان صار انساناً . ومن يستوعب الكلام المجازي الوارد عن جبل آدم من تراب والنفخ في انفه يرى له مندوحة كبرى لتطبيق الوحي على الحقائق العلمية لان الله تعالى ليس له يدٌ ليجبل بها ولا فم لينفخ به . بقي ان هذا الكلام مجازي والمجاز خلاف الحقيقة والحقيقة بنت البحث والبحث يوصل الى هذه النتيجة

(القاهرة) خليل سعد

لحوم الابل

استدراك — جاء في صفحة ١٠٤ من الهلال الماضي ان اكل لحوم الابل غير محرم عند الاسرائيليين والصواب انه محرم عندهم

التنويم المغنطيسي
وآخر الآراء فيه

التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) من الفنون الحديثة التي اختلفت آراء العلماء فيها . وعلمنا بالامس ان حضرة نسيب افندي المشعلاني قد درس هذا الفن من باب العلم بالشيء فاقترحنا عليه ان ينفح قراء الهلال بخلاصة ما توصل اليه في هذا الموضوع بعد مطالعة كتب اصحابه فكتب الينا ما يأتي :

التنويم المغنطيسي علمٌ ظاهره غريب وداخله بسيط فاذا سمع احد بنتائجه او شاهد بعضها بين يديه عدَّه من قبيل الشعوذة او خوارق الطبيعة وربما نسبه بعضهم الى اعمال الشيطان وتوهموا في المنوِّم سلطة على الارواح . والحقيقة ان التنويم المغنطيسي علمٌ بسيط للغاية وفيه لذة وفائدة للناس على اختلاف احوالهم وتفاوت طبقاتهم . فالتنويم عبارة عن اشتراك الفكر واستغراقه في موضوع واحد . والفكر او العقل يقسم في البشر الى قوتين عاملة وقابلة وباتحاد هاتين القوتين يقوم الانسان باعماله المتنوعة . فلا تصدر حركة جسدية الا بعد ان تتأثر لها القوة العاملة في الفكر فتؤثر على القابلة فتنتج الحركة . والقوة القابلة لا عمل لها الا التأثر من القوة العاملة ويسمى هذا التأثر « استهواء » وقد يقع في الشخص نفسه فيسمى الاستهواء الذاتي او في شخص آخر ويسمى الاستهواء الخارجي وهو التنويم

وفي الاستهواء الذاتي يحصر الانسان فكره في عمل يعمله او كلام يقوله فلو استطعنا تتبع حركات عقله لمراقبة سيرها منذ تولد الفكر الى وقت حدوث الامر لوجدنا القوة العاملة ترسم الخطة المراد اتباعها وتؤثر بها على القوة القابلة وهذه تدير الحركة . فاذا طرأ على الانسان خطرٌ مثلاً تأثرت القوة العاملة باسرع من لمح البصر وطبعت تأثرها على القوة القابلة فينتج من ذلك اما رباطة الجاش والمقاومة او الخوف والفرار بحسب العامل المتولد في القوة العاملة اولاً

اما في التنويم فان فكري المنوِّم والمنوَّم يتحدان و يبطلان فعل القوة العاملة في المنوَّم فتصير قوته القابلة خاضعة لقوة المنوِّم العاملة وتحل هذه محل تلك في ادارة حركات الجسم . ثم ان مدة تأدية القوة العاملة وظيفتها قصيرة ومدة تأدية القوة القابلة وظيفتها طويلة . اي ان العامل اذا اثر في القابل انتهت وظيفته حالاً كأنه ناقل للتأثير او هو واسطة للنقل

اشبه بثقب الآلة الفوتوغرافية التي يدخل منها النور لرسم الصورة • والقابل اذا تأثر طال شعوره بهذا التأثير كأنه الصفيحة التي ترسم عليها الصورة الفوتوغرافية فتبقى ما بقيت محفوظة • وبناء على هذا التعليل استخدموا التنويم في معالجة الامراض العصبية والردع عن العوائد المضرة • فاذا اصدرت القوة العاملة ارادتها ان يتعافى المريض او ان يقلع عن العادة الفلانية لانها مضرة تأثرت القوة القابلة بتلك الاوامر تاثيرًا يطول حتى يتمكن الوهم من الشخص فيرى نفسه متماثلاً للشفاء حقيقةً ويشفى • او يبقى كارهًا لتلك العادة حتى ينقطع عنها تمامًا • انما يشترط في هذا الشعور ان تثبت القوة العاملة تاثيرها بوضوح وحزم وبدون تقلقل في الراي • لان عدم الاقتناع التام في القوة العاملة يجعل التاثير في القوة القابلة ضعيفًا فيزول سريعًا — فلو نوّم شخصٌ وقيل له ان يعمل العمل الفلاني بالطريقة الفلانية ثم اتى في الوقت نفسه منوّمٌ آخر وقال له ان يعمل نفس الامر بطريقة اخرى اختلط التاثير في القوة القابلة كما لو اخذت صورتان فوتوغرافيتان على زجاجة واحدة • فترى المنوّم يتململ متضجرًا وتظهر على وجهه ملامح الريب والاضطراب • وكثيرًا ما يستيقظ فجأةً في هذه الحالة ويشكو من صداع اليم كأن الاعصاب تأثرت من تصادم القوى

وعلى ماذكر قال مضادو هذا العلم انه مضرٌ لامكان استخدامه في مقاصد رديئة وغايات سافلة كان يؤثر المنوِّم على المنوَّم ويامره بقتل بعض الناس طعنا او بسمّ او غير ذلك • وزعموا ان التنويم يؤثر في عقل المنوَّم فيفعل الامر مدفوعًا بسلطة المنوِّم ليوقعه في شرّ او ينتقم له من عدو • والواقع ان المنوَّم لا يفعل قط ما ليس في طبيعته ولا يرتكب شيئًا يضاد مباديه او لا يرضاه لنفسه اذا كان مستيقظًا • فاذا نوِّم وأمر باجراء شيء من ذلك تحت سلطة النوم اقشعرَّ جسمه واستيقظ للحال • او اذا سئل ان يتمم ذلك بعد استيقاظه فانه يسير بحسب امر المنوِّم في الوقت الذي يعينه له الى المكان الذي سماه حتى اذا بلغ المحل المذكور توقَّف وانمحى التاثير من مخيلته فجأةً • وزعم غيرهم ان نتائج التنويم مخيفة فيجب الابتعاد عنه والحذر منه لانه اذا استسلم الشخص لارادة المنوِّم اصبح اسيره فتصرف في نفسه وجسده كيف شاء — والواقع خلاف ذلك

قلنا ان التنويم مجرد اشتراك الفكر واستغراقه في امرٍ واحد • ويتصل هذا الاشتراك بين المنوِّم والمنوَّم باشعة خفية او حاسة غير منظورة او سيال كهربائي كما تنتقل الرسائل البرقية على طريقة ماركوني فلا يوصلها سلك ولا تراها عين ومع ذلك فالحقيقة ثابتة لاريب فيها • فاذا اتحدت هذه الاشعة وجعلت الفكرين واحدًا نامت القوة العاملة

في الشخص المنوَّم واصبحت قوة عقله متحدة بقوة المنوِّم العاملة فيكيفها كما يشاء . وهي اذا تلقَّت من المنوِّم ارادته حركت جسم النائم فيفعل او يقول ما يامره به المنوِّم ويكون اذ ذاك مع وجوده في حالة النوم الطبيعية غائب الشعور وغير فاقد الحركة فيجري ما اوجده المنوِّم فيه من التصورات او ما يستهويه به في اثناء نومه

فيجدر بنا الآن ان نذكر للتنويم الحقائق الآتية :

١ً لا ينتج عن التنويم المغنطيسي ضرر

٢ً للتنويم المغنطيسي منافع كثيرة

٣ً لا يمكن تنويم شخص الا اذا اراد هو ذلك وساعد المنوِّم عليه

٤ً لا يشترط ان يكون للمنوِّم قوة خصوصية او سلطة مطلقة على المنوَّم

٥ً لا يدل التنويم على ضعف عقل المنوَّم او جسمه فان ضعفاء العقول يصعب تنويمهم . والمجانين لا يمكن تنويمهم مطلقاً مع ان الاذكياء واصحاب الارادة القوية ينامون بسهولة كلية

٦ً يجوز ان الشخص لا ينام من المرة الأولى او الثانية

٧ً لا يشعر المنوَّم متى افاق بتعب او احساس غريب كما يتوهم البعض بل يرى نفسه كما كان قبل التنويم او احسن

٨ً يمكن لكل انسان ذكرًا كان او انثى ان ينوِّم او ينوَّم اذا شاء .

٩ً يمتاز المنومون في سرعة التنويم بما فيهم من المغنطيسية الشخصية ولكن النتيجة واحدة

المغنطيسية الشخصية هي قوة في الانسان تجذب اليه قلوب معارفه فيمتلك ثقتهم ومحبتهم وهي اما طبيعية او اكتسابية . وقد بحث العلماء كثيرًا في تحديد هذه القوة فاجمعوا على ان اساسها الارادة وتكمل باتحاد القوى العقلية . و يغلب في صاحب هذه القوة ان يكون دقيق الشعور ابي النفس ثابت العزم عالماً بنفسه تمام العلم . لان الافكار المتقلبة والثقة المتزعزعة والرأي الضعيف من اعظم المثبطات عن الحصول على هذه الصفة . وتدعى المغنطيسية الشخصية في الدارج « الجاذب » فيقولون « فلان له جاذب قوي » ومعنى ذلك انك اذا قابلته وجدت فيه لاول وهلة ما يستميلك الى مداومة الاجتماع به ويشتد ذلك الميل فيك حتى لا تعود تريد الانقطاع عنه وربما كان سبب هذا الجاذب الجمال او عذوبة اللفظ او حسن التركيب ونظافة اللباس . وللصحة الجيدة دخل كبير في الجاذب او المغنطيسية الشخصية . اما اكتساب هذه القوة فيكون بالتدريب والمزاولة بطريقة يذكرها علم التنويم

❋ درجات التنويم ❋ و يقسم التنويم المغنطيسي الى اربع درجات · (الدرجة الاولى الاستهواء : وهي ان يمثل المنوّم للمنوّم شيئاً بقوة عارضته وفصاحته حتى يجعله يعتقد بما يريده ولو كان ذلك مما لا يسلم به عادة · ويكون الشخص في هذه الدرجة صاحياً لم يفقد شعوره · فيعطيه المنوّم مثلاً شيئاً يقبض عليه بعنف ثم يؤكد له بالاستهواء ان يديه قد التصقتا بذلك الشيء وانه لا يقدر على فصلها معها جاهد فيجرب المنوّم ان يفصلها ولكنه كلما سعى في ذلك زادت يداه التصاقاً فلا يقوى على فصلها · ومثل ذلك اذا امره ان يمد رجله ولا يستطيع ارجاعها او ان يجلس على كرسي ولا يقوى على النهوض عنه الى غير ذلك عن الحركات الجسمية · فترى المنوّم مع وجوده في حال اليقظة التامة قد اصبح شديد التأثر من افكار المنوّم حتى يعمل كل ما يأمره به كأنه امات ارادته الشخصية بالكلية وعلى الغالب لا يطول هذا التاثير في الدرجة الاولى اكثر من بضع دقائق

(الدرجة الثانية) النوم الخفيف : وهو اشبه بمن يحلم في نومه الطبيعي وفي هذه الدرجة يصور المنوّم للمنوّم اموراً غير موجودة او يأمره بامور لم تكن تخطر له قبلاً فيجري تلك الاوامر كانه في حلم · فاذا اتى المنوّم بحجر وقال للمنوّم هذه قطعة من الحلواء كلها فانه يتناولها معتقداً بصحة ما سمع ويقضم منها بلذة كانه يأكل الحلواء حقيقة · او اذا وضع امامه كرسياً وقال له اني واضع امامك دراجة فاركبها نهض المنوّم فركب الكرسي وحرك رجليه صاعداً ونازلاً كانه على مقعد الدراجة · ومتى افاق المنوّم في هذه الدرجة يتذكر شيئاً من فعله كما يتذكر الحلم

(الدرجة الثالثة) النوم الثقيل : وفيه يفقد المنوّم الشعور والادراك تماماً و يصير آلة يديرها المنوّم كيف شاء · فيقوم بما يطلب منه بدون احساس ولا سؤال ولا اعتراض · واذا بُتر عضو من اعضائه او ادخل في جسمه دبوس او آلة اخرى جراحية لا يشعر بالم ولا تظهر على وجهه علامة تدل على التاثر او الاحساس · ومتى افاق في هذه الدرجة لا يتذكر شيئاً مما جرى له او عمله في اثناء نومه

(الدرجة الرابعة) السبات العميق : والغرض منه استطلاع الاشياء البعيدة وتقسم هذه الدرجة الى ثلاثة اقسام : السهل والممكن والمستحيل · فالسهل ان تامر الشخص المنوّم بان يتكلم في لغة يجهلها او يصف لك بلاداً لا يعرفها الى غير ذلك و يشترط ان يكون المنوّم عارفاً بذلك · فمتى نوّم الشخص حصر المنوّم عقله في الوصف او الكلمات المطلوبة فطبعت ارادته على قوة عقل المنوّم القابلة وجعلته يردد الوصف بدقة ووضوح وهو يجهل ما يقوله ·

ويتم ذلك باشتراك الفكرين كما اسلفنا . ويملي فكر المنوِّم بكهربائيته على فكر النائم القابل بعد ابطال العامل منه بالتنويم فينطق هذا كأنه امات دماغه واستعاض عنه بدماغ منوّمه . اما الممكن فهو ان يُسال المنوَّم عن شخص بعيد ويطلب منه ان يصف حالته حين السؤال عنه اذا كان يجهلها المنوِّم والمنوَّم جميعاً . ويتم ذلك بان يجتهد المنوِّم ليجعل القوة القابلة في المنوَّم بغاية ما يكون من شدة الاحساس ويوجهها بدقةٍ الى الشخص المطلوب فيصير العقل متجهاً بكليته الى تلك النقطة لقبول الاشعة المنبعثة منها . ويكون النائم في درجة لا تدرك من شدة التأثر حتى يجتذب اليه اقل اشعة يوصلها البعد مهما كان شاسعاً ويصفها كما لو كانت امامه . ولا تنكر صعوبة هذه الدرجة في علم التنويم غير انها ممكنة وقد جرَّبها ارباب هذا الفن فنجحوا مراراً حتى عدّلوا صحة ذلك بنسبة خمسة في المئة . اما المستحيل فهو ان يطلب من المنوَّم التنبوء عما سيجيء او النظر في المستقبل وهذا لم تنبئ تجربة بعد باحتمال صيرورته لان علم المستقبل لله وحده

(قراءة الافكار) ويشتق من هذه الدرجات او بالحري من القسم الممكن في الدرجة الرابعة قسم آخر يسمى (قراءة الافكار ومراسلتها) ولهذه القوة وصف طويل وبراهين قوية وحجج دامغة نكتفي منها بما يدل عليها : لم يخطر على بال بشر قبل اختراع السلك البرقي ان يتخابر الناس على بعد الوف من الاميال . فلما شاع استعماله واشتهرت القوة الكهربائية وسيرها على الموصل المعدني هان على الناس تصديقه وصاروا يهزاون بمن لا يصدقه . ثم قام ماركوني الشهير فادعى ايصال القوة الكهربائية بلا سلك فكذبه كثيرون ثم ما لبثوا ان رأوا عياناً ما ظنوه من المحال وتقرر في الاذهان ان القوة الكهربائية متى اندفعت نشأ عنها تموّج كتموّج الصوت . فاذا كانت الآلة القابلة مستعدة تناولت تلك التموجات وحصرتها كانها قادمة اليها بالسلك الموصل . ومراسلة الافكار اشبه شيءٍ بتلغراف ماركوني هذا لان للعقل اشعة كهربائية تنبعث منه الى الفضاء حتى تبلغ العقل القابل المستعد لاستقبالها . ولا اقول ان كلّ شخص تفرس في وجه صاحبه يستطيع قراءة افكاره او كل من فكر بصديق بعيد خاطبه عقلياً فاجابه . كلاّ . ولكنني اقول لو اتفق اثنان بعيدان على ساعة معينة يتخاطبان بها عن بعدٍ وحضر كل منهما في غرفته بالوقت المحدد وافرغ دماغه من الافكار الاخرى وخصص تلك الساعة للتفكير بصديقه يشعران بتبادل الافكار او تقاربها . ولو دوّن الاثنان ما يخطر لهما من الافكار في تلك الساعة ثم تقابلا لوجدا المخاطبة دائرة في موضوع واحد ولو لم يتفقا عليه قبلاً .

ويمكن تجربة ذلك بسهولة في كل حين وقد جربها كثيرون ومنهم المستر ستيد صاحب مجلة المجلات فانه كثيراً ما خاطب اصدقاءه في فرنسا وغيرها بهذه الطريقة وكانت النتيجة كانه خاطبهم بالرسائل العادية غير ان هذه الطريقة اخصر واسرع

ومن اغرب ما روي عن مراسلة الافكار ان فتاة في نيويورك لم يبقَ من اسرتها الا اخٌ كانت تحبه محبة شديدة ولا تطيق فراقهُ دقيقة واحدة . فقضت الاحوال مرة انه سافر الى نيواورلينس وترك شقيقته عند بعض الاصدقاء وكانوا يحاولون تسايتها على فراق اخيها وهي لا تفتر عن ذكراه والتشوق الى عودته . وفي مساء اليوم الثالث من غيابه جلست الفتاة بين اعضاء تلك العائلة وقد تجاذبوا اطراف الحديث كالعادة واذا بها قد انتفضت بغتة وسدت اذنيها بيديها وصاحت قائلة « آه ما اقوى هذا الطلق الناري ويلاه قد صرع اخي وهو يناديني ... لبيك يا اخي هانذا قادمة اليك » ثم خطت خطوتين في الغرفة وسقطت مغمى عليها . فنسبوا ذلك الى شدة تعلقها باخيها وانه عارضٌ عصبيٌّ زائل ولكنهم ما اصبحوا حتى جاءتهم رسالة برقية من نيواورلينس تنعي اليهم ذلك الاخ مقتولاً برصاصة اخترقت صدره في الوقت الذي رأته شقيقته او سمعت صوته

(ضرر التنويم ومنافعه) زعم بعضهم ان التنويم يتعب الجسم وينهك القوى ويضعف العقل ويأسر الروح الى غير ذلك والحقيقة انهم لم يذكروا ضرراً يحصل من التنويم . غير انه قد يتفق في التنويم عوارض اثبت البحث الطبي انها نشأت عن خلل في وظائف الجسم وليس للتنويم دخل فيها اكثر من دخل مركبة مات فيها رجل من مرض مزمن أو من انحلال طبيعي — فهل يقال ان ركوبه المركبة اماته . فان نسبة ركوب المركبة الى موت الرجل كنسبة التنويم الى الآفات التي قد تعرض للمنوَّم

أما فوائد التنويم فكثيرة جدًّا لا بأس من ذكر بعضها . منها شفاء الامراض العصبية وتسكين الآلام وتقوية الذاكرة والاقلاع عن العادات المضرة فضلاً عن التسلية والفكاهة . ولا يخفى ان كثيراً من الامراض ينتجها الوهم ويشفيها الوهم فلا تكون الادوية والعلاجات المستعملة لها الا اعتقاد العليل قرب الشفاء فيتوقع ذلك ويشتدُّ فيه هذا الاعتقاد حتى يشفى من توطيد عزمه على الشفاء لامن الوسائل العلاجية . ففي مثل هذه الامراض وخصوصاً الآلام العصبية في الاذن والاسنان والرأس ينوَّم العليل على طريقة خاصة ويؤكد له المنوِّم ان المرض أو الالم يفارقه شيئاً فشيئاً ويستهويه تحت سلطة النوم حتى يرسخ في عقله زوال المرض . فمتى ايقظه وجد العليل نفسه مرتاحاً

لا يشكو ألماً . وقد يتم الشفاء بعد تنويم العليل مرة واحدة وقد يحتاج الى غير مرة حسب الظروف وتشبث فكر المريض بالداء . ولا ينكر الاطباء الجراحون واطباء الاسنان فائدة التنويم المغنطيسي في العمليات الجراحيـة وتفضيله على سائر المخدّرات والمغيات لان اكثرها كالايثير والكلوروفورم وماشا كل تخلّف بعد استعمالها انحرافاً وتوعكاً وقد يتحرك العليل تحت فعلها في أثناء العملية فيعيق الجرّاح . أما التنويم فانه يستخدم في مثل هذه الحال في درجته الثالثة فيشاهد العليل قطع رجله مثلاً وهو يبتسم ولا يتحرك كان رجله ليست من جسمه او كانه ينظر الى شجرة أو جسم آخر لا علاقة له به . ومتى فرغ الجرّاح من عمله أيقظ المريض المنوّم فيستيقظ ولا يذكر شيئاً مما جرى له وقد لا يشعر بالالم البتة

أما فائدة التنويم الادبية فيكفي منها ارجاع الناس عن العادات المضرة كالادمان على المسكر أو التدخين فانهم قد يرجعون عنها بالاستهواء . وقد نوّم بعضهم أحد المدخنين لمثل هذه الغاية فلما أيقظه قدم له سيكارة فاشمأز من النظر اليها وأخذه القيء من التفكير بها وانقطع لساعته عن التدخين . وللتنويم فائدة كبرى في تقوية الذاكرة وترقية الآداب — ادرك نفعها كثيرون فكانوا يذهبون الى بعض المنوّمين المعروفين ويتعالجون عندهم لمثل ذلك . أما استخدام التنويم للتسلية والفكاهة في المجتمعات العائلية فلذيذ ومضحك كتنويم بعضهم واستهوائهم حتى يجروا أموراً ادبية مضحكة مثل ركوبهم على الكراسي وهم يعتقدونها خيولاً او نفخهم في عود وهم يحسبونه آلة موسيقية او صيدهم في قبعة وهم يظنونها بحراً متلاطماً بالامواج الى غير ذلك

وقد يستطيع صاحب هذا العلم ان ينوم نفسه ويحصل على الفائدة المطلوبة . ولربَّ قائل يقول اذا نام انسان وليس من يوقظه فكيف العمل هل يترك الى ان يموت . فجواب ذلك ان التنويم المغنطيسي لا تطول مدته كثيراً فاذا نوّم الشخص وترك نفسه ظل نائماً على الكثير ساعة ثم يتحوّل التنويم الى نوم طبيعي وينتهي بالاستيقاظ كالعادة

(الاشخاص الممكن تنويمهم) من المقرر ان كل ذي عقل سليم يمكن تنويمه ان لم يكن في المرة الاولى ففي الثانية او الثالثة الى الرابعة . وقد تختلف طريقة التنويم فمنهم من تكفيه عملية بسيطة مختصرة ومنهم من يقتضي له عملية أكبر واطول . ولا يؤثر تكرار التنويم على الشخص الواحد مطلقاً فلو نوّم الواحد مرة في اليوم وداوم ذلك عشر سنوات لا يصيبه ضرر مطلقاً . وقد تقدم ان الانسان لا ينام بدون ارادته غير ان

ذلك يصح على التنويم في اول مرة فاذا تكرر تنويمه أمكن منوّمه ان ينوّمه أراد هو أولم يرد قرب منه أو بعد

﴿ وجوب اتقان هذا العلم ﴾ قد يرى دارس هذا العلم انه لازم لكل فردٍ من أفراد المجتمع الانساني • واذا لم يستخدمهُ في جميع درجاته فلا اقل من ممارسته في درجته الاولى • فالاب اذا اتقنه تمكن من تقويم سلوك اولاده واكتساب طاعتهم له والاساتذة يرون فيه سهولة عظمى لادخال تفاسيرهم في عقول التلامذة وافهامهم معانيها • والخطباء والمتشرعون لهم فيه اكبر مساعد على استلفات انتباه السامعين واقناعهم بما يريدون والتاجر يفيده في اقناع زبائنه بجودة سلعه ورخص ثمنها • وبالاختصار فكل انسان ينتفع من درس هذا العلم ويرى فيه تحسيناً للهيئة الاجتماعية وترقية للعقول

هذا ما أمكن اختصاره في وصف هذا العلم ولم نكتب غير الحدود العامة • لانه علم واسع جدًّا لما فيه من القواعد والروابط ولاشتماله على درس المرئيات والبصريات والقوى الدماغية مما تؤلف فيه المجلدات الضخمة وفي النية وضع كتاب عن هذا العلم في اللغة العربية قريباً ان شاء الله

(مصر) نسيب المشعلاني

اقوال العرب في حب البنين

غضب معاوية مرة على ابنه يزيد فارسل الى الاحنف بن قيس فسأله عن رأيه في البنين فقال « ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك » فقال « لله انت يا احنف لقد دخلت عليَّ واني لمملوء غضباً على يزيد فسللته من قلبي »

وقال المعلي الطائي

لولا بنيات كزغب القطا	خططن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع	في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا	اكبادنا تمشي على الارض

اللغة العامة

الاسبرانتو Esperanto

الاسبرانتو لغةٌ وضعها جماعة من ادباء الافرنج لتكون لغة عامة يتخاطب بها الناس على اختلاف مواطنهم ولغاتهم · والغرض منها تسهيل المواصلات التجارية والسياسية ونحوهما بالمخابرة بلغة قريبة التناول يسهل تعلمها في وقت قصير · وقد ذكرنا غير مرة ما كان من اجتهاد اصحاب هذه اللغة في تأييدها وتعميمها · وقد خطوا خطوة مهمة في هذا السبيل فألفوا الكتب لتعليمها وانشأوا الجرائد لنشر اخبارها والمخابرة بها وشكلوا الجمعيات لنصرتها والاتفاق عليها · ومن اكثر الناس سعياً في ذلك الانكليز والفرنساويون ولا ندري ما سيأول اليه امر هذه اللغة · على اننا لا نرجو طول بقائها لاسباب كثيرة لا محل لها هنا وانما غرضنا وصف اللغة المشار اليها وذكر قواعدها وامثلة من الفاظها ولا يخلو ذلك من فائدة وفكاهة

لما كان الغرض من وضع لغة الاسبرانتو تسهيل المواصلات والمخابرات فالواجب الاول على واضعيها توخي اقرب الطرق لتسهيل تعلمها فوضعوا الفاظها على كيفية تقرب فهمها وتسهل حفظها على امم اوربا فشتقوها على الغالب من اصول لاتينية تكاد تكون عامة في لغات اوربا وخصوصاً في فروع اللغة اللاتينية · وجعلوا تهجئتها بسيطة لا تحتاج الى حذف ولا ابدال فالحرف الواحد له نطق واحد حيثما جاء وليس في الكلمة حرف لا ينطق به · وعبَّروا عن الاحرف المركبة في اللغات الافرنجية بحرف واحد فوقه علامة تدل على لفظه · وكذلك الاحرف التي يختلف لفظها باختلاف موقعها من الكلمة فالحرف g يختلف التلفظ به باختلاف موقعه قبل o, a, u او e, i فصاحب لغة الاسبرانتو ميَّز بين النطقين بعلامة كالثمانية توضع فوق الحرف فتدل على انه يُلفظ ليناً · فحرف g بدون علامة ينطق قاسياً كالكاف الفارسية و بالعلامة ينطق كالجيم العربية في لغة اهل الشام · ومثله حرف h بين ان يلفظ هاء او لا يلفظ · وقس على ذلك الحروف المركبة فانهم استخدموا حرف s وفوقه تلك العلامة بدلاً من sh الانكليزية او ch الفرنساوية · واستبدلوا tch بحرف c فوقه العلامة المذكورة واهملوا لفظ c كافاً وعوَّضوا عنها بحرف k

وتوخوا تقليل الالفاظ بحيث لا تزيد الاصول اللفظية في هذه اللغة على بضع مئات يمكن التعبير بها عن كل ما يخطر في البال · والسرُّ في ذلك انهم اصطلحوا على

أدوات اذا ألحقت في اول الكلمة او في آخرها غيّرت معناها تغييرًا يمكن اطلاقه على مجموع كبير من الالفاظ — مثال ذلك ان الاداة mal اذا ألحقت في اول الكلمة جعلتها تدل على ضد معناها الاصلي فعندهم مثلاً granda كبير و malgranda صغير و afabla محبوب و malafabla مكروه وقس عليه . و eto تزاد في آخر الكلمة للتصغير فمعنى knab عندهم صبي و knabeto صبي صغير اي طفل و stono حجر و stoneto حجر صغير . وعكس ذلك ego فانها للتكبير . و ido بمعنى ابن فيقولون cevalo حصان و cevalido مهر . و aro للجماعة فيقولون arbo شجرة و arbaro غابة . و ero للتجزوء فيقولون greno حنطة و grenero دقيق . و ilo للآلة كقولهم kudro خيط و kudrilo آلة الخياطة اي الابرة . و ge توضع في اول الكلمة لجمع الجنسين فيقولون frato اخ و gefratoj بالجمع اخوة واخوات . غير ما توخوه من امثلة ما في اللغات الاخرى مثل re للتكرار و dis للفصل وغيرها

على ان اهم ما وضعوه من اسباب التسهيل انما هو في قواعد اللغة فقد التزموا فيها البساطة والاختصار على قدر الامكان وجعلوها قياسية بلا شذوذ ولا استثناء . فعندهم للتعريف اداة واحدة la سواء كان الاسم مذكرًا او مؤنثًا مفردًا او جمعًا فهي مثل ال التعريف العربية تمامًا . والاسم ينتهي عندهم دائمًا بالحرف o مذكرًا كان او مؤنثًا . والجمع يصاغ بزيادة j في آخر الكلمة . فعندهم patro اب و patroj آباء و patrino ام و patrinoj امهات . والنعت ينتهي دائمًا بحرف a والجمع aj مهما يكن الجنس . وهو يصاغ كذلك من الاسم فعندهم patra أبوي و patrina أمي وكلاهما يجمعان باضافة j في الآخر . والظرف يصاغ بزيادة e بدل a في النعت فيقولون patre ابويًّا

اما الفاظ هذه اللغة فقد توخوا في اختيارها قربها من اصول الالفاظ في لغات اوربا فجعلوا معظمها من اصل لاتيني كما تقدم وبعضها من اصل جرماني او يوناني واليك امثلة من الفاظها :

(١) امثلة من الاسماء

عائلة	familio	ابن	filo
جد	avo	اخ	frato
اب	patro	حفيد	nepo

عم	onklo
ابن اخ	nevo
زوج	edzo
رجل	viro
انسان	homo
سيد	sinjoro
صبي	knabo
خادم	servisto
جار	najbaro
صديق	amiko
كلب	hundo
قطة	kato
حصان	čevalo
بقر	bovo
عصفور	birdo
زهر	floro
حجر	stono
قرية	vilago
مدينة	urbo
وقت	vetero

(٢) امثلة من النعوت

كبير	granda
جيد	bona
شاب	juna
جميل	bela
حر	varma
سعيد	felica
عزيز	kara
محبوب	afabla
وحيد	sola

(٣) وهذه امثلة من الافعال

الكون	esti
القدرة	povi
الواجب	devi
العمل	fari
الزيادة	kreski
القراءة	legi
الكتابة	skribi
الغناء	kanti
اللعب	ludi
العدو	kuri
المجي	veni
الطيران	flugi

(٤) ومن امثلة الاحرف وغيرها

الى	al	لكن	sed
في	en	نعم	jes
على	sur	لا	ne
تحت	sub	الآن	nun
من	de	دائماً	ciam
مع	kun	ايضاً	ankoraŭ
واو العطف	kaj	هل	ĉu ?

والضمائر خمسة فقط للمفرد والجمع وهي mi و ni للمتكلم والمتكلمين و vi للمخاطب والمخاطبين و li و ili للغائب والغائبين · وهي تقوم مقام ضمائر الرفع والنصب والجر في العربية · والاعداد موضوعة على غاية البساطة وهي : ses, kvin, kvar, tri, du, unu dek, nau, ok, sep, ثم تجمع العشرة مع الآحاد هكذا dekunu ١١ ولاجل العقود تجعل الآحاد قبل العشرات على هذه الصورة dudek عشرون tridek ثلاثون وهكذا

واما الفعل فالمصدر ينتهي دائماً بحرف i وتشتق منه ثلاثة ازمنة الحاضر والماضي والمستقبل بابدال i بحرفي as للحاضر و is للماضي و os للمستقبل · فمن فعل fari العمل مثلاً mi faras انا اعمل و vi faris انت عملت و li faros هو سيعمل ويصاغ الامر بحرف u فيقولون faru اعمل · وهناك قواعد بسيطة للازمنة الشرطية وغيرها

والمجهول يصاغ باضافة فعل الكون esti وليس في لغة الاسبرانتو فعل مساعد سواه فيصرف مع اسم المفعول كما في لغات اوربا ولكن على اسلوب ابسط واخصر

وقس على ما تقدم اختصارهم في احرف العطف والجر والنداء وصيغ التفضيل واسماء الموصول والاشارة ونحوها · وقواعد النحو بسيطة جداً يقل فيها الالتباس او الابهام · ويمكن تعليم لغة الاسبرانتو بكتاب لا تزيد صفحاته على مئة صفحة وفيه الصرف والنحو والمفردات والمشتقات وغيرها · وقد لا يحتاج عارف اللغة الفرنساوية او الانكليزية او غيرهما من لغات اوربا الى اكثر من عشرة ايام الى عشرين يوماً لتعلمها بحيث يستطيع الكتابة بها بدون غلط

وهذه جمل قصيرة من لغة الاسبرانتو ننشرها على سبيل المثال ويمكن ترجمتها استناداً الى ما تقدم :

La onklino legas kaj la nevinoj kuras kun la junaj knaboj en la vilago.— Edzo kaj edzino estas geedzoj .— Cu la filino de la najbaro estas granda ? Jes, sinjoro, sed la filino de la servisto estas malgranda kaj malbela.—Cu la felicaj gefiancoj estas ankaraŭ en la gardeno de la maljuna kuzo ? Ne, sinjorino, la fraŭlino estas sola, la fianco estas ce la najbaro.

كتاب النبي الى المقوقس

كتب الينا الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي في اكسفورد أنه أرسل هلال نوفمبر الماضي الى أحد المستشرقين المشهورين يسأله ان يطلع على مانشرناه فيه عن كتاب النبي الى المقوقس ويطلب اليه ان ينشر رأيه في أمر هذا الكتاب . ووعدنا الاستاذ المشار اليه أنه سيكتب الينا برأيه الخصوصي أيضاً في هذا الموضوع . ونبهنا الى مقالة نشرت بشأن هذا الكتاب في المجلة الاسيوية الفرنساوية لسنة ١٨٥٤ أي منذ نصف قرن وتقدم الينا في مطالعتها . فشكرنا فضله على تنبيهنا الى ذلك وعلى مشاركتنا في البحث عن الحقيقة فانها ضالة كل باحث منصف

فاطلعنا على المقالة المذكورة في المجلة الاسيوية الصادرة في دسمبر سنة ١٨٥٤ فاذا هي عبارة عن رسالة من المسيو بلن بعث بها من القاهرة في ١٠ مارس سنة ١٨٥٢ الى المسيو رينو أحد أعضاء المجمع العلمي الفرنساوي يخبره فيها ان المسيو اتيان برتلمي أحد المستشرقين الفرنساويين المقيم في القاهرة عثر في دسمبر سنة ١٨٥٠ بدير قرب أخميم على رق بال فيه آثار كتابة عربية وان الرق المذكور كان ملصقاً بأوراق أخرى قبطية على جلد كتاب قديم فاضطر لفصله واستفراده أن يبله بالماء فازداد بلاء وتهرؤاً . على أنه احتال في حفظه وتسوية سطحيه بضغطه بين صفيحتين من زجاج بحيث يسهل عليه درسه بدون ان يتقطع بين يديه فضلاً عما كان قد ذهب منه

فلما تمكن المسيو برتلمي من تحضير الرق على هذه الصورة أخذ في حل رموزه فلم يجد عليه من الكتابة الا كلمات متقطعة وأحرفاً متبعثرة . وقد نشرت المجلة الاسيوية المذكورة صورة ذلك الرق فاذا هي شبيهة بالصورة التي نشرناها في الهلال الماضي على أجمالها ولكنها أقل وضوحاً منها اذ لم يكن عليها من الكتابة الا أثر ضعيف . كأن صورة الهلال منقولة عن تلك بتصحيح كثير مع حفظ شكلها الاصلي . واسطر الرق المذكور ١٢ سطراً مثل أسطر صورة الهلال . وفي أسفلها ختم مستدير في اعلاه اثر اسم الجلالة . واليك ما قرأه صاحب الاكتشاف يومئذ على ذلك الرق مرتباً على حسب موضعه من الصورة باعتبار الاسطر

١ بسم الله الر . . . حمن الره . . . . محمد عبد الله و

٢ رسوا . . . . . ء . . . يم القبط . . . . . . على

٣ من اتبع الهدى . . . .

٤ . . . .

٥ . . . . . . توكل بالله العظيم في كل الاحوال

٦ فان توليت فعليك بالعدل والقسط

٧ يـ . . هل الكتاب سيروا الى كلمة

٨ سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا . . الله

٩ ولا نعو . . .

ولم يقرأ الاسطر الثلاثة الباقية ولا الختم

قال المسيو بلن انه اهتم بذلك الاكتشاف وأخذ في حل رموز ما أشكل على برتلمي فتبادر الى ذهنه أنه كتاب النبي الى المقوقس فراجع نصوص هذا الكتاب في حسن المحاضرة وغيره من تواريخ المسلمين وغيرهم فاستعان بذلك على اتمام قراءته ورده الى نحو ما كان عليه قبل ان تهرأ . فقرأه كما يأتي مع اعتبار ترتيب السطور في الاصل :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ور

سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على

من اتبع الهدى أما بعد فاني اد
عوك بدعاية الاسلام فاسلم
تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين
فان توليت فعليك اثم القبط
يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سوا بيننا وبينكم الاَّ نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مس
لمون

الله
رسول
محمد

قال الكاتب وان ما يشاهد من هذه الحروف على الرق قليلٌ . وانه انما قرأه بمساعدة النصوص التاريخية . ثم بحث في شكل الخط الكوفي وعصره وفي هل هذا الرق هو النسخة الاصيلة او هو مزوّر . وهاك ما ختم به بحثه قال وهو يخاطب المسيو رينو « والاقرب الى الامكان على ما يظهر لي – الاَّ ما قد يكشفه علمكم الواسع ونظركم الناقد – ان هذا الرق هو الكتاب الاصلي الذي أرسله النبي محمد الى المقوقس وأنه بقي مدة في جملة المحفوظات القبطية في البطريركية فلما اختلت أحوال القبط في أيام الاضطهاد ضاع هذا الكتاب في جملة ما نشتت من أوراقهم وكتبهم وانتقل من يد الى أخرى حتى وقع الى راهب جاهل استخدمه في تجليد ذلك الكتاب ولولا ذلك لم يبق الى الآن »

هذه خلاصة ما كتبه المسيو بلن الى المسيو رينو ولا نعلم ما كان من جواب هذا المستشرق الكبير رحمه الله . ولا ما آل اليه أمر هذا الرق ولا أين هو الآن . فاذا صح

ما تقدم ذكره من خبر اكتشافه فلا بدَّ من أن يكون محفوظاً في بعض المتاحف أو الخزائن اذ لا يعقل ان يعود الى الضياع بعد ان وصل خبره الى المجمع العلمي الفرنساوي واطلع عليه كبار المستشرقين يومئذ. ولا بدمن أن يكونوا قداعادوا النظر فيه وفحصوه وتوصلوا الى الحكم النهائي بشأنه . وعلى كل حال فاننا في انتظار ما سيأتينا به الاستاذ مرجليوث في هذا الشأن فعسى ان يشفع رأيه بما يعلمه من مصير هذا الرق بعد اكتشافه وله الفضل

الكهربائية اصل مادة الكون

أو آخر آراء العلماء في المادة

✻ الجوهر الفرد ✻ الانسان ميال من فطرته الى البحث عن علل الاشياء واقدم ما استلفت انتباهه من هذا القبيل النظر في اصله واصل ما يحيط به من الموجودات الحية وغير الحية فقضى ادهاراً وهو في دهشة مما يشاهده من حوادث الطبيعة . حتى اذا انقضى زمن الدهشة وتعلم الانسان بتوالي الاحقاب اصبح البحث في ذلك من شأن الفلاسفة واقدم من وصل الينا رأيه في اصل الكون اليونان واقدمهم طاليس — قال « الماء اصل كل شيء » ثم قال الذين جاؤا بعده ان اصل الكائنات الماء والهواء والنار والتراب وما زال ذلك الرأي معوَّل اهل العلم حتى نشأت الكيمياء الحديثة المبنية على المشاهدة والاختبار وحللوا الاجسام وارجعوها الى عناصرها الاصلية . فوجدوا ان مواد الارض مؤلفة من عناصر بسيطة بعضها غاز وبعضها سائل وبعضها جامد لا يزيد عددها كلها على ثمانين عنصراً . وان من تركب هذه العناصر بعضها مع بعض تتكون مواد الارض على اختلاف اشكالها واقدارها من الاحياء والجوامد

ثم بحثوا في العناصر المذكورة ودرسوا خصائصها وسائر احوالها فتوصلوا الى القول بوحدة اصلها . ومعنى ذلك انها مركبة من عناصر ابسط منها وربما رجعت كلها الى عنصر واحد بسيط في غاية اللطافة هو المادة الاصلية . وان من تركب جواهر هذا العنصر بعضها ببعض تتكون العناصر التي نسميها بسيطة . ثم نظروا مثل هذا النظر في القوى الطبيعية وهي النور

والحرارة والكهربائية والمغنطيسية والجاذبية فوجدوا انها ترجع الى قوة واحدة اصلية . فاصبح الكون عندهم يرجع الى شيئين اصليين « المادة والقوة » وان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة جداً لا تدرك الا بالوهم سموها « الجواهر الفردة » وان القوة عبارة عن حركة في تلك الجواهر . فاصل الموجودات عندهم (١) المادة ومرجعها الى الجواهر الفردة (٢) القوة ومرجعها الى حركة تلك الجواهر

وما زال هذا هو الرأي المعوّل عليه عند علماء الطبيعة حتى اكتشفوا اشعة رنتجن ثم وقفوا على خصائص الراديوم على ما بيناه في اهلة السنة الماضية . فتغير نظر العلماء في اصل الموجودات فاصبحت الكهربائية عندهم اصل كل شيء . فالجواهر الفردة في اعتبارهم مؤلفة من كهربائية سلبية وكهربائية ايجابية وان اسباب ما يظهر لنا من حوادث هذا الكون عبارة عن افلات الكهربائية السلبية على ما سنبينه في ما يلي وفيه خلاصة ما وصل اليه اهل البحث في هذا الموضوع

الكهربائية من الامور المالوفة حتى عند صغار الطلبة ان الكهربائية نوعان سلبية وايجابية كل منها تدفع نفسها وتجذب رفيقتها وان السلبية اكثر اندفاعاً من الايجابية . فالجسم الذي تزيد فيه الكهربائية السلبية على الايجابية نقول ان كهربائيته سلبية فاذا زادت الايجابية قلنا ان كهربائيته ايجابية . واذا تساوت الكهربائيتان في جسم لم تظهر فيه كهربائية وقيل ان كهربائيته متوازنة — ذلك هو رأيهم في الكهربائية من عهد فرنكلين اي منذ قرن ونصف قرن . ثم قام كلارك مكسويل منذ ثلاثين سنة ووضع رأياً خلاصته ان الكهربائية ليست من القوى الطبيعية كالحرارة او النور وانما هي سائل ينتقل من جسم الى آخر كما ينتقل الماء او نحوه . فالكهربائية عنده لا يمكن توليدها كما تتولد الحرارة وانما يمكن نقلها من مكان الى آخر وهي اصل القوى الطبيعية . فاذا أُطلقت سميت شرارة كهربائية واذا انتقلت فهي مجرى كهربائي او مغنطيسية واذا اهتزت اهتزازاً فهي نور . اما ماهية الكهربائية نفسها فلم يعرفوها

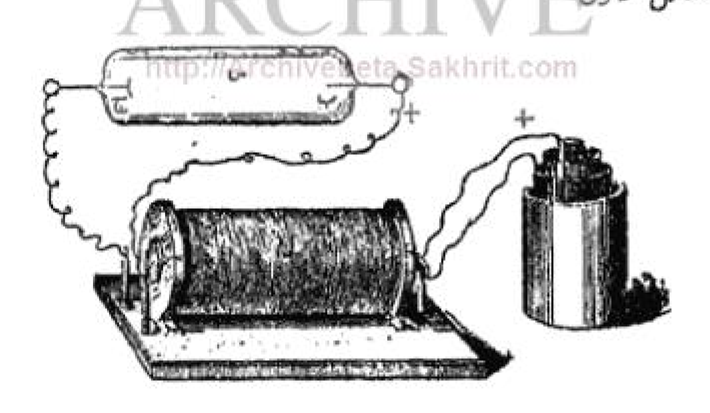
واما اهل الراي الحديث في الكهربائية فقد تقدموا خطوة اخرى فقالوا ان المادة مؤلفة من الكهربائية فقط وهذا ما نريد بسطه في هذه المقالة

اول ما يتبادر الى الذهن في هذا المقام البحث في حقيقة الكهربائيتين الايجابية والسلبية . اما الايجابية فيعترف اهل هذا الراي انهم لا يعرفون ماهيتها ولكنهم يعدّونها من قبيل الايثير الذي يزعمون انه يشغل الفراغ بين الجواهر الفردة وانها مؤلفة من اجزاء صغيرة

كالجواهر المذكورة وان الجوهر ذو جرم معين ولكنه ضعيف المادة لطيفها كأنه لا مادة . وهو تعبير مبهم لا يمكن ايضاحه حتى الآن ولكنهم يتوقعون ذلك في المستقبل

اما الكهربائية السلبية فيقولون انها عبارة عن اجزاء صغيرة جداً يسمونها « الكترون » اذا اطلقت تطايرت بسرعة عظيمة الى كل ناحية حتى تصطدم بشيء فتولد حرارة او نوراً واذا وقعت على جسم كثيف كالبلاتين فان اصطدامها يولد الاشعة المعروفة بأشعة رونتجن . على ان الاليكترونات المشار اليها لا يسهل صدّها لان اكثرها تخترق المواد الجامدة كالخشب والورق وصفائح الالومينيوم ونحوه وذلك لانها اصغر كثيراً من الجواهر الفردة . فان مئة الف الكترون اذا تراصت لا يزيد طول اقطارها جميعاً على قطر جوهر واحد . ونسبة حجم الالكترون الى حجم الجوهر كنسبة واحد الى مئة مليون مليون $\frac{1}{100,000,000,000,000}$ او كنسبة حبة رمل الى الهرم الكبير

ومن الادلة على ان الكهربائية السلبية من قبيل المادة انهم استطاعوا جذبها بالمغنطيس من داخل الانابيب الفارغة المعبر عنها بأنابيب كروكس . وهي عبارة عن انابيب من زجاج مسدودة الطرفين قد افرغوا الهواء منها ووصلوها من طرفيها بقطبي البطارية كما ترى في الشكل الاول



(ش ١) الانبوب الفارغ

فان الانبوب الفارغ (س) في احد طرفيه القطب الايجابي (ب) وفي الطرف الآخر القطب السلبي (ج) وتحت الانبوب الآلة المقطعة للمجرى الكهربائي وبجانبها البطارية الكهربائية . فاذا جرت الكهربائية انطلقت شرارتها داخل الانبوب . فلو علقت فوق الانبوب مغنطيساً اعتيادياً لرأيت الشرارة تنحرف نحوه ويظهر ذلك للعيان . ولزيادة التدقيق

في بيان ذلك اصطنعوا أنبوباً على شكل انابيب كروكس جعلوا في داخله دولاباً يتحرك بأقل الاسباب . واطلقوا الشرارة الكهربائية في داخله من مرآة مقعرة بحيث تجتمع الاشعة في بؤرة تقع على صفيحة منصوبة في منتصف الانبوب (ا ، ب) امام الدولاب المذكور بحيث تحول بين بؤرة الاشعة والدولاب . وجعلوا خارج الانبوب من فوقه مكاناً يعلق به حجر المغنطيس . فاذا اطلقت الشرارة الكهربائية في الانبوب والمغنطيس غير معلق وقعت الشرارة الكهربائية (او حبل الاشعة المنبعث عن المرآة المقعرة) على الصفيحة (ا ، ب) ولم تؤثر على الدولاب . فاذا علّق المغنطيس فوق الانبوب رأيت حبل الاشعة المذكور (ب) قد انحرف نحو المغنطيس فوقع على اجنحة الدولاب وحركه كما ترى في الشكل الثاني .

يختلف مقدار الحركة باختلاف قوة الشرارة وقد تمكنوا بذلك من قياس سرعة الالكترونات وقوتها وكثافتها . وتوصلوا بهذه التجارب الى التمييز بين بعض الاشعة والبعض الآخر . فوجدوا في الشرارة الواحدة ضروباً من الاشعة تتفاوت بكثافتها وقوتها . وقاسوا قوة كل منها وعينوا مقدارها — واليك خلاصة ما عرفوه من خصائص جواهر الكهربائية السلبية وهي الالكترونات نقلاً عن معمل كفنديش الكيماوي في كمبردج :

(ش ٢) انحراف الاشعة بالمغنطيس

(١) ان لكل الكترون قوة معينة للاندفاع وحجماً معيناً مقداره نحو $\frac{1}{800}$ من حجم جوهر من الهيدروجين

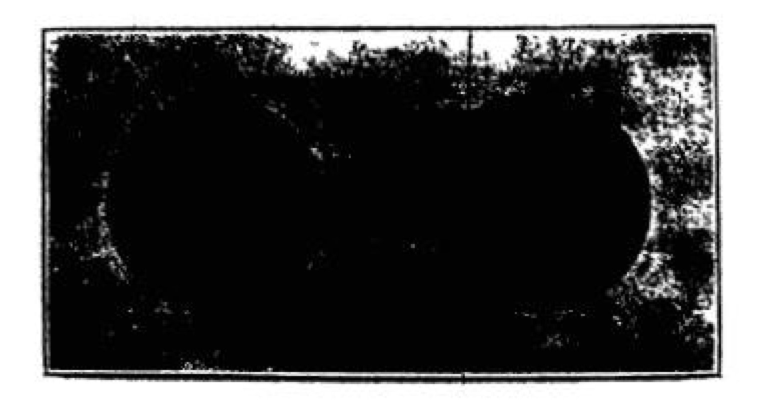
(٢) ان الالكترونات واحدة في خصائصها حيثما وجدت وفي اية مادة كانت

(٣) ان المجرى الكهربائي عبارة عن انتقال هذه الالكترونات بين جواهر المادة . فانها تخترق الاجسام الجامدة وخصوصاً المعدنية فتنتقل من جوهر الى جوهر . واما في السوائل فانها تنتقل مع الجواهر نفسها وهي ابطأ انتقالاً في السوائل منها في الجوامد . كأن الالكترون يسير وهو مثقل بالجوهر كما تجرّ الدابة مركبة ثقيلة في شارع مزدحم بالناس . والمركبات فاذا قطعت الشارع تطايرت بسرعة . وذلك شأن الالكترون اذا انفذ في سائل فانه لا يزال ينتقل مستثقلاً حتى يخرج منه الى جامد او غاز . وهو اشد سرعة في الغازات

بما في سواها ويقدرون سرعته فيها بنحو ١٠٠,٠٠٠ ميل في الثانية او اكثر . ولكنها لا تبلغ سرعة النور

(٤) اذا اصطدم الالكترون بشيء اعاقه او دعاه الى الانحراف في سيره اضطرب الايثير الذي هو سابح فيه وحصل تموُّجٌ يظهر لنا بمظهر القوى الطبيعية وخصوصاً النور

(٥) ان للشرارة الكهربائية قوة اندفاعية تختلف باختلاف كثافة تلك الشرارة وبعبارة اخرى باختلاف عدد الالكترونات فيها . فقوة الاندفاع في الالكترون الواحد قليلة جدًّا ولكنها كثيفة اي انها مجتمعة في حيز صغير بالنسبة اليها . لان قولنا « ان الالكترون $\frac{1}{800}$ من جوهر الهيدروجين» انما يراد به ان في جوهر الهيدروجين ٨٠٠ الكترون وبينها فسحات يشغلها الايثير . فلو اردنا جمع الالكترونات متلاصقة حتى تصير بحجم جوهر الهيدروجين لما كفانا الف مليون مليون منها . فالفسحات بين الالكترونات في الجوهر الفرد كبيرة جدًّا ربما زادت عما بين السيارات بالنسبة الى اجرامها . وفي جواهر بعض العناصر اكثر من ٨٠٠ الكترون في كل جوهر . واكثر العناصر ازدحاماً بالالكترونات الاورانيوم والراديوم واشباههما . فربما احتوى الجوهر منها على ٢٠٠,٠٠٠ الكترون . ومع ذلك فالفسحات بينها لا تزال كبيرة . فالظاهر ان الطبيعة لا تقبل التقارب بين اجزائها اكثر من ذلك . على ان هذه الالكترونات لا تستقر في اماكنها بل هي لا تنفك عن الافلات الى الخارج . فالمواد المؤلفة من الجواهر الكثيرة الالكترونات على هذه الصورة لا تزال الكهربائية السلبية تنبعث منها على الدوام وهو الاشعاع الذاتي . وكان العلامة كروكس قد اشار الى اشعاع مثل هذه الاشعة في الانابيب المفرغة . واول من اثبت



(ش ٣) الجواهر الفردة من الكهربائية

الاشعاع الذاتي بالتجربة الموسيو بكريل في باريس سنة ١٨٩٦ بعد اكتشاف اشعة رنتجن بسنة

فالجوهر الفرد على رأي اهل هذه الابحاث عبارة عن كتلة من الكهربائية الايجابية قطرها $\frac{١}{٢٠٠،٠٠٠}$ من القيراط وهو حجم الجوهر الفرد على التقريب · ويتخلل هذه الكتلة اجزاء صغيرة من الكهربائية السلبية متساوية حجماً وقوة تتدافع وتتجاذب ضمن تلك الكتلة بدون ان تتعدى حدودها وهي الالكترونات ·وجواهر الاجسام او العناصر على اختلاف اجرامها واوزانها وخصائصها مؤلفة من كهربائية ايجابية وكهربائية سلبية على هذه الكيفية · وانما يختلف بعضها عن بعض باختلاف مقدار ما فيها من الكهربائية السلبية · وبعبارة اخرى باختلاف مقدار الالكترونات فيها بنسبة المقادير التي تتركب بها · فاذا كان في الجوهر الفرد من الهيدروجين ٨٠٠ الكترون ففي الجوهر من الصوديوم ٢٣ ضعفاً اي ٢٣ × ٨٠٠ = ١٨،٤٠٠ الكترون وهي ٢٠٠ ضعف في الزئبق اي ١٦٠،٠٠٠ وقس على ذلك · فاذا زادت الكهربائية فيها عن هذه النسبة افلتت الزوائد على نحو ما يشاهد في المواد المشعة للكهربائية كالراديوم ونحوه

على ان اشعاع الالكترونات لا يخلو منه جوهر بسبب ما بينها من التصادم والتجاذب فيفلت بعضها على الدوام كما ترى في الشكل الثالث · فان النقط البيضاء يمثلون بها آحاداً من هذه الالكترونات قد افلتت من كتلة الجوهر ويعبرون بالاجزاء المظلمة في هاتين الكرتين عن الكهربائية الايجابية وبالاجزاء المنيرة عن الكهربائية السلبية · والكرة المظلمة تمثل جوهراً من الهيدروجين والكرة المنيرة تمثل جوهراً من الراديوم

ثم انهم بتوالي التجربة في الاجسام المشعة وجدوا فيها ثلاثة اشكال من الاشعة تختلف في خصائصها وهي (١) اشعة الكهربائية السلبية او الالكترونات التي نحن في صددها (٢) اشعة تموجية هي عبارة عن تموجات ايثيرية اشبه شيء بأمواج الصوت في الهواء (٣) اشعة مادية يزعمون انها جواهر جديدة حدثت من انكسار بعض الجواهر بالمصادمة كما تتفرتك الاجرام السماوية اذا تصادمت فتتولد منها الرجم والنيازك · ولهذه الاشعة قوة اذا صدمت سطحاً ككبريتيد الزنك ولدت حرارة فالوعاء الذي تنحصر هذه الاشعة فيه ترتفع حرارته · ومن المواد التي تشع مثل هذه الاشعة الراديوم · ويقدرون الجواهر التي تتفرتك من الراديوم في ثانية واحدة بالملايين وهي قليلة بالنظر الى مادة الجسم · ولذلك قالوا ان اشعاع الراديوم لا يقلل شيئاً من وزنه لان الاشعاع المذكور عبارة عن تفرتك جوهر واحد من عشرة

آلاف جوهر في السنة

وقد تمكن بعضهم من التفريق بين انواع الاشعة الثلاثة التي ذكرناها بواسطة المغنطيس وقاسوا كثافتها وقوتها بالنسبة بعضها الى بعض فوجدوا الاشعة الثالثة المشار اليها اكثف من الاولى بنحو ١,٦٠٠ ضعف وذلك ضعفا الوزن الجوهري للهيدروجين . وهذه الاشعة هي التي يعبرون عنها بالهاليوم ومكتشف هذا العنصر حقيقه هو السير رمسي

فالمادة على رأي هؤلاء مؤلفة من الكهربائيتين الايجابية والسلبية (فقط) وهو قول انما ذهب اليه العلماء لتعليل ما شاهدوه من الخصائص الجديدة في الراديوم وغيره . ولا يزال في حاجة الى التمحيص والتعديل بما ينتظر اكتشافه من الحقائق بتوالي التجارب





المُوا — من الطيور المنقرضة في زيلاندة

باب السؤال والاقتراح

الجن واستحضار الارواح والمائدة الناطقة

(القاهرة) علي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية

اني مشتغل بتأليف كتاب من اهم ابحاثه الانسان من مبدأ خلقه الى الان ويتخلل ذلك ابحاث في الارواح والجن ولذلك فكلما طرأ اذني حديث من هذا القبيل اصغيت اليه وتلهفت لسماعه لعلي اهتدي الى ما ينير طريقي في هذه الابحاث وكنت ارجع رجوع القابض على الماء او الحاصد للهواء واتفق لي في أثناء ذلك اني اجتمعت في منزل بعض الاصدقاء بنفر من نبهاء الشبيبة المصرية وبينهم نجل سعادة اطيف باشا سليم فقص علينا انه زار فرنسا مع والده وهلباوي بك المحامي فتفقدوا معاهدها وترددوا الى كثير من مشاهدها فكان في جملة ما شاهدوه رجل فرنساوي مشهور هناك باستحضار الارواح أدخلهم حجرة رأوا في وسطها مائدة ذات ارجل فجلس ذلك الرجل عليها فاخذت تدق دقات تشبه دقات التلغراف • ثم تقدم احدهم فاضمر في نفسه شيئاً يتعلق بوالدته وكانت قد توفيت من عهد قريب فانبأه باسمها وانها والدته وتاريخ وفاتها وانه لا يستطيع استحضارها لقرب وفاتها • ومن الغريب انها كانت عند وفاتها مصابة بالرمد وعلى عينيها عصابة فشاهدها كذلك • ثم تقدم الاثنان الآخران فانبأهما الرجل بما يشبه ذلك عما اضمراهُ

ثم انتقل حضرته الى موضوع الجن فقال انه قرأ في بعض الجرائد الافرنجية ان الافرنج توصلوا الى استحضارها ورؤيتها رأي العين ولها اجسام تتحرك وتتكلم كانها من الانس — فلما سمعتُ ذلك تعاظم استغرابي وجعلت كلما قصصته على اصحابي انكروه او عدوه من قبيل الخزعبلات فارجو منكم الحكم في هذه المسألة فانها من المسائل الخطيرة لعلاقتها بالنوع الانساني

(الهلال) جاءتنا اسئلة كثيرة في هذا المعنى فلم نجب عليها لاننا كتبنا في هذا الموضوع غير مرة فضلاً عن شيوع العلوم الطبيعية في المدارس واستنارة الاذهان بها مما ظنناه يكفينا مؤونة العود الى هذا البحث فلما تكاثرت الاسئلة بهذا الشأن عمدنا الى الجواب عليها :

من الاعتقادات الشائعة عندنا ان الافرنج اهل علم وجدّ لا يأتون عملاً الاّ والحقيقة رائدهم فيه • وهو اعتقاد صحيح من اكثر وجوهه لكنه لا يمنع شيوع الخرافات عند عامتهم واغتنام بعض ذوي الاطماع جهل العامة وسذاجتهم لابتزاز الاموال كما يفعل المشعوذون عندنا بل الافرنج اقدر على سبك الحيلة وطلاء الحقيقة لتقدمهم في اسباب الصناعة واقتدارهم على الاتقان

والحكم في حادثة مفردة وبيان صحتها او فسادها لا يتأتى الاّ بمشاهدة وقائعها عياناً وتفحص الادوات التي استخدمت فيها وتحقق نية الفاعل هل اخلص في عمله ولم يستخدم الشعوذة أم دبر الحيلة قبل مباشرة العمل بالتواطىء مع احد او استخدم وسائل أخرى خفية انطلت على الحاضرين فضلاً عما يختلف فيه المشاهدون من رواية الحادثة الواحدة وما يزيده كل منهم عند قصها على الناس • لا يريد بذلك كذباً او خداعاً — وانما يفعله التماساً لاعجاب السامعين مع تقوية النقط الضعيفة في سياق الحكاية • واذا كرر احدهم رواية تلك القصة مع ما ادخله فيها من الزيادات والمبالغات انتهى به الامر الى اعتقاد صحتها ونسي ما وضعه من عند نفسه • فلو سألت الرفيقين اللذين شاهدا هذه الوقائع مع حضرة الراوي لرأيت في روايتهما اختلافاً كثيراً عن روايته وربما ناقضاها في كثير من الوجوه فالاعتماد على مجرد الرواية في مثل هذه الحوادث لا يكفي للحكم فيها قطعياً وانما ينبغي الرجوع الى النواميس العلمية المقررة التي لا سبيل الى نقضها حتى الآن • وهي لا تساعدنا على قبول مثل هذه الاقوال

على ان مسألة الارواح وتجليها من المسائل التي شغلت اذهان العلماء زمناً فانشأوا الجمعيات وألفوا الكتب والجرائد والمجلات دونوا فيها ألوفاً من الحوادث المسندة الى رواة من اهل الثقة تؤيد القول بوجود عالم الارواح • نذكر منها جمعية تألفت في انكلترا سنة ١٨٨٢ اسمها جمعية البحث عن الارواح جعلت همها جمع الشواهد المعينة بالزمان والمكان نشرت بعضها مجلة المجلات الانكليزية في اوائل عام ١٨٩٢ وعلق عليها منشيء المجلة المذكورة المستر ستد الكاتب الشهير فصولاً مطولة استخرج منها نتائج مرجعها الى

اثبات وجود الارواح حتى رسم روحاً يقال انها ظهرت لبعض الناس

وذهب اولئك الباحثون في ابحاثهم الى ان لبعض الناس روحين ولبعضهم ثلاث ارواح ووضعوا لها نواميس واحكاماً وعينوا اخلاقها وطبائعها . ووصفوا عالم الارواح وصف سائح زار مدينة فباد وهو يصف ما شاهده من الاماكن واخلاق الناس فيها . وقد اتوا على ذلك بالشواهد الطويلة العريضة مؤيدة بالحوادث الواقعية . ولو طالعت ما نشروه من تلك الحوادث لتذكرت حكايات الجان المروية عن العرب أوالمدونة في كتبهم أو ما يسمونه « الهاتف » ولكن اصحابنا اليوم البسوا هذه الحوادث لباس البحث فظهرت مظهر الحقيقة وظلت حوادث الجان معدودة من الخرافات . على ان اهل البحث والتنقيب حملوا على اصحاب هذا الرأي فنقضوه بالادلة العلمية فتضعضع ولكنهم لم يستطيعوا نزع ذلك الاعتقاد من اذهان العامة . ولا يزال جماعة من الكتاب يقولون بوجود الارواح ومن جملتهم المستر ستد صاحب مجلة المجلات

ولكن العلم حتى الآن لا يساعدنا على تصديق هذه الحوادث ولا يجوز لنا من الجهة الاخرى ان ننكر شهادة كل من شاهدها وقصّ علينا خبرها فلا بدّ من اسباب دعتهم الى تصديقها هي في الغالب من قبيل الشعوذة او ان الخرافة لا تخلو من الحقيقة . فمسألة حركة المائدة لم تذكروا كيف كانت تتكلم او كيف كانت تدلّ على الاسماء والاعمار والمشهور من امرها انها تدلّ على الحروف بالدق على الارض باحدى رجليها بعد ان يضع السائلون ايديهم عليها فتضرب عن كل حرف من الحروف الهجائية ضربة الى ان تصل الى الحرف الاول من الاسم او الامر المسئولة عنه فتقف ثم تعود فتطرق مبتدئة بطرقاتها من اول الحروف الهجائية كالاول وبوصولها الى الحرف الثاني من الاسم المسئولة عنه تقف وكذلك الى النهاية فان كان الاسم المسئولة عنه « عمر » مثلاً تتابع الطرقات من حرف الالف الى حرف الظاء وبوصولها الى حرف العين تقف فيكتب الحاضرون الحرف « ع » ثم تعاود الطرقات من أول الحروف الهجائية الى ان تصل الى حرف الميم فتسكت ثم تعاود طرقاتها من الاول مبتدئة من اوّل الحروف الهجائية حتى تصل الى حرف الراء الذي هو آخر احرف كلمة عمر وهناك تصمت صمتاً تاماً

فحركات هذه المائدة لا يخلو من اصل مبني على الحقيقة او شبهها ويدخل في ذلك ما جاء في هذا الهلال عن قراءة الافكار فان في بعضهم قوة على استطلاع افكار الآخرين او سلطة على استهوائهم وكشف مكنونات صدورهم وقد يكفي لذلك دقة احساس الكاشف

فلو كنت في مجلس اصدقاء وقال لك احدهم اضمر في ذهنك شخص احد الحضور وانا اكشف لك المضمر فقد تظن ذلك لاوَّل وهلة مستحيلاً عليه لعلمك انه ليس من قراءة الافكار ولكنه لا يلبث ان يبين لك ضميرك على مشهد من الناس وتكون انت المساعد له على ذلك من حيث لا تدري وذلك بأن تقف انت امامه ويقف هو وراءك مغمض العينين بمنديل جاعلاً كفيه على كتفيك ثم يطلب اليك ان تسير امامه ببطء بين الحاضرين وان توجه ذهنك الى الشخص الذي قد اضمرته ولا تكف عن التفكير به قط فاذا سرتما يقود احدكما الآخر لا يزال هو يدنو بك من هذا وذاك ويلاحظ بكفيه جهة اتجاه حواسك حتى يدرك الجهة التي توجه اليها ذهنك فيعرف الشخص المضمر وانت لا تشعر بأنك ابديت اقل حركة تبين ما في ذهنك وقلما يخيب ظنه الا اذا لم تحسن توجيه ذهنك جيداً وقد جرَّبنا ذلك بنفسنا غير مرة وتحققنا وقوعها مع غير واحد من اصدقائنا

فاذا جلس جماعة حول مائدة ذات ثلاث ارجل ووضعوا ايديهم عليها واضمروا كلهم ضميرًا واحدًا ووجهوا اذهانهم اليه معاً لا يبعد ان تتحرك المائدة حركة هم يعلمون انها تدل على ذلك الضمير ولكنها لا تتعدى هذه الدلالة البسيطة وقد لا تدركها وانما جئنا بذلك تمثيلاً لما قد يقع في مثل هذه الحال

اما الذين يستخدمون الموائد في استحضار الارواح ومخاطبتها وكشف اسرار الناس او ما شاكل فهي من قبيل الشعوذة المبنية على الحيلة اما بالتواطؤ مع احد او بايصال رجل الطاولة بمجرى كهربائي الى مكان آخر وهناك احد المتواطئين فيحرك الطاولة كيف شاء او غير ذلك من اساليب الشعوذة

واما الارواح فلا يراها الا الذي يعتقد قدرة المشعوذ على استحضارها فهو يرى صورة استحضرتها له مخيلته في ساعة تنتبه فيها الاوهام في غرفة مظلمة يجلس فيها الطالب وهو يتوقع ان يرى شبحًا صورته مرسومة في ذهنه — لان الغالب في الناس ان يطلبوا مشاهدة اناس يعرفونهم . فاذا طال انتظاره وتوقعه مجيء الروح تجسمت الصورة التي في مخيلته وهي في الغالب آخر صورة ارتسمت فيها على اثر حادث مؤثر كما شاهد حضرة الراوي والدته والعصابة على عينيها لانها آخر صورة شاهدها بها وتأثر من مشاهدتها

على ان المشعوذ كثيرًا ما يري الطالب صورة يرسمها على مرسح او حائط بالفانوس السحري رسماً ضعيفاً بازار ابيض كأنها شخص خارج من بين الاموات ويوهمه بالفانوس المذكور ان الشبح يخطو نحوه فترتعد فرائصه ويتوهم انه يرى الشخص الذي يطلبه . وبعضهم

يأتي بأناس يلبسهم مثل لباس الشخص المطلوب اذا كان يعرفه والاَّ فيلبسه ثوباً طويلاً كالازار يكسوه من الراس الى القدم . وقد كتب الاستاذ تندل العالم الانكليزي مقالة قص فيها زيارته محلاً يدعي اصحابه استحضار الارواح بيَّن فيها ما يرتكبونه من اساليب الخداع والحيلة في التمويه على الناس في الباس الوهم ثوب الحقيقة . وذكر عالم آخر انه زار محلاً يزعم اصحابه انهم يستحضرون لك روح شخص تعرفه فلا تشك اذا خاطبتها وسمعت جوابها انها الشخص المطلوب تماماً قال « فدخلت غرفة رحبة يقيم فيها من يلتمس ان يرى روح بعض اصدقائه او اقاربه وكانت الغرفة خالية لا نافذة لها ولا باب غير الذي دخلت منه ولم يكن فيها شيء غير الكراسي فجلست على كرسي فاغلقوا الباب وتركوني وحدي والمكان مظلم وكنت قد اعددت شمعاً فصفورياً لاشعله حالما اسمع حركة . فبينما انا جالس سمعت حركة فاشعلت الشمعة ونظرت فاذا بشبح عليه ازار ابيض كالذي تظهر به الارواح عندهم يهم بالنزول الى القاعة من فرجة بين السقف والحائط وحالما رأى النور اسرع بالرجوع والاختفاء ثم جاءني قيم المكان يؤاخذني على عملي لانه مغاير لقوانينهم ولو لم يعلم من انا لبالغ في تأنيبي ولكنه ما لبث ان خجل وتقدم اليَّ ان اسبل ستراً على ما شاهدته فأبى الحق الاَّ ظهوراً »

اما الجن فيقال فيهم ما قيل في الارواح لانها شيء واحد . واما ما رواه حضرته عما شرته الجرائد من استحضار الجن ورؤيتها رأي العين وهي تتكلم وتتحرك فلا عبرة فيه للسبب الذي قدمناه

القاب القبائل

(القاهرة) حسن افندي محمد العامري

قلتم في جوابكم بشان القاب اهل القرى في لبنان ان العرب كانوا يلقبون القبائل على هذا النمط فنرجو ان تاتونا بمثل من تلك الالقاب فانني ممن عني بمطالعة تاريخ العرب فلم اقف على شيء من ذلك

✻ الهلال ✻ سأل معاوية بن ابي سفيان دغفلاً النسابة ما تقول في بني عامر ابن صعصعة . قال اعناق ظباء واعجاز نساء . قال فما تقول في بني اسد . قال عافة قافة فصحاء كافة . قال فما تقول في بني تميم . قال حجر اخشن ان صادفته آذاك وان تركته اعفاك .

ولتر سكوت أنه لا يعرف رجلاً من النوابغ يستطيع التوفيق بين ارادته وقريحته توفيقاً تاماً . وكان شريدان الروائي الانكليزي يستحث قريحته بزجاجة من خمر بورت . وكان فيلدن الروائي يستحثها بالبراندي الممزوج بالماء . وويلكي كولنس كان يجلي ذهنه بالشمبانيا والبرندي . وقد استعان جونسن الانكليزي في تأليف قاموسه بنقوع الشاي . وكان يعتقد شارلس لامب الكاتب الانكليزي ان الخمر تنير ذهنه وتجلي قريحته . واكثر شعراء الانكليز افراطاً في ذلك بيرنس . وكان دارون العالم الطبيعي الشهير ينبه قريحته بالنشوق . على أن المنبه العمومي لقرائح الكتاب والشعراء التدخين كذلك كان يفعل ملتن الشاعر الانكليزي مع أنه لم يكن يشرب خمراً ولا يأكل لحماً . وكذلك بكل المؤرخ فلم يكن يبذل ماله الا في شيئين الكتب والتبغ . ومثله تنيسن الشاعر الانكليزي وشارلس كسلي . ويختلف الكتاب في احتمالهم الضوضاء وهم يكتبون وان كانت القاعدة أن يكتبوا في الهدوء والسكينة . فقد كانت جورج اليوت لا تحتمل صرير القلم على الورق . وكانت السيدة اوليفنت تكتب بين ضجيج الاولاد وقرقعة الآنية . وشارلوت برنتي الروائية الانكليزية كانت كثيراً ما تترك القلم ريثما تقشر البطاطس أو تعالج الطعام على النار ثم تعود الى الكتابة ولا يضرها ذلك . وكان السر وولتر سكوت يكتب والاولاد يدخلون غرفته ويخرجون وهم يصيحون ويضجون وهو لا يمنعهم من ذلك . والخلاصة أن خضوع القريحة للارادة من أثمن المواهب وخصوصاً لكتاب الصحف أو المجلات الدورية

مطبوعات جديدة

﴿ الامتيازات الاجنبية ﴾ هو اول كتاب صدر في هذا الموضوع باللغة العربية والناس في شوق الى مطالعته لان الامتيازات الاجنبية تأثيراً كبيراً في احوال هذه البلاد التجارية والقضائية والسياسية . وليس في العربية كتاب وافٍ في حدودها وشروطها . على ان مرارة الصبر لم تذهب عبثاً لاننا توفقنا بعد طول الانتظار الى كتاب يفي بالغرض تماماً ومؤلفه من اقدر الباحثين في هذا الموضوع نعني به حضرة عمر بك لطفي وكيل مدرسة

الحقوق الخديوية المشهور بابحاثه القضائية والاجتماعية بما ألفه في اللغتين العربية والفرنساوية فضلاً عن معاناة تدريس القانون الجنائي وغيره بمدرسة الحقوق المذكورة سنوات عديدة . وفي الكتاب بعد المقدمة فصلٌ في اصل الامتيازات الدولية وتاريخها وقد تتبع الموضوع الى اصله وحلل مواده تحليلاً تلذ مطالعته . يليه فصلٌ في الامتيازات بمصر قبل المحاكم المختلطة وآخر في الامتيازات بعدها وفصل سريان القانون الجنائي على الحوادث التي تقع خارج القطر وغيرها . و يتخلل الكلام في ذلك ابحاث وانتقادات تدل على علم وفضل واعتدال وروية فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً ونحث الادباء على مطالعة كتابه النفيس

﴿ تاريخ البابية او مفتاح باب الابواب ﴾ البابية فرقة اسلامية ظهرت في بلاد فارس في اواسط القرن الماضي زعيمها رجل من شيراز اسمه ميرزا علي محمد وسمي نفسه الباب وكان لمذهبه شان في تاريخ الاديان . وقد كتب في تاريخ هذه الفرقة غير واحد من كتاب الفرس والافرنج ولم يكتب عنها في العربية الا شذرات متناقضة لا تشفي غليلاً والناس في تشوق للوقوف على الحقيقة . فاستنهضت الاريحية حضرة العالم الفارسي زعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد مهدي خان رئيس الحكماء الايراني نزيل القاهرة صاحب جريدة حكمت الفارسية لتدوين تاريخ هذه الفرقة باللغة العربية وفي كلامه فصل الخطاب لسعة علمه ودقة نظره ونزاهته وصدق لهجته . فضلاً عما اخذه عن المرحوم والده شفاهاً لانه رأى الباب و باحثه بمحضر ناصر الدين شاه ملك الفرس السابق وهو ولي عهد . وقد قصد حضرة المؤلف مدينة عكا بنفسه وعاشر البهاء خليفة الباب هناك وعاشر ابناءه وخيرة اتباعه وطالع كتبهم ودرسها جيداً ثم الف في تاريخ البابية كتاباً سماه « باب الابواب » فجاء كتاباً ضخماً فاختصره في كتاب سماه « مفتاح باب الابواب » وقد طبعه في نحو ٤٥٠ صفحة . وفي صدره مقدمات جليلة وفصول وافية في اصول الديانات الشهيرة في العالم وهي سبع البوذية والبرهمية والفتشية والزردشتية والاسرائيلية والنصرانية والاسلامية وفصلٌ في من قام بدعوة المهدوية والعيسوية . واستغرقت هذه المقدمات مئة وعشر صفحات . ثم تقدم الى ترجمة الباب من ولادته الى وفاته و يتخلل ذلك بيان تعاليمه واحكامه وشرائعه واقواله ومراسلاته مما لم يسبق نشره قبل الآن . و يدخل في ذلك أيضاً كتبه الى ملوك اوربا واوامره لاتباعه وتاريخ البابية منذ ظهرت في بلاد فارس حتى انتشرت في اميركا وغيرها . والكتاب حسن السبك متقن الطبع وثمن النسخة في القطر المصري عشرون قرشاً وفي الهند ثلاث روبيات وفي روسيا روبلان وفي بلاد فارس تومان وفي سائر

الاقطار خمسة فرنكات · و يطلب من مكتبة الهلال بمصر وفي الهند من ادارة جريدة حبل المتين . فنحث طلاب الادب على مطالعته لانه فريد في بابه وقد اعلن سعادة المؤلف انه جعل ما يتحصل من ثمنه وقفاً لاعالة الملهوفين واعانة المنكوبين جزاه الله خيراً

﴿ جمعية احياء التمثيل بالاسكندرية ﴾ تالفت هذه الجمعية بالاسكندرية في اوغسطس سنة ١٩٠٣ برئاسة حضرة مصطفى افندي طاهر واسمها يدل على موضوعها · وقد جاهدت في سبيل بقائها ونموها جهاداً حسناً فانقضت سنتها الاولى وقد رسخت قدمها وظهرت ثمارها فمثلت اربع روايات جديدة واجادت في تمثيلها واصدرت تقريرها الأول وبينت فيه اعمالها ودونت حسابها · ويستدل من مجمل ذلك على نشاط القائمين بشؤونها وتفانيهم في الخدمة العمومية لانها انما تعمل سعياً في سبيل البر ولا غرض لها غير ذلك . فمثل هذه المشروعات يجب تعضيدها والأخذ بناصرها لان في انشائها نصرة للفضيلة وفي بقائها دليل على نمو الحاسة الادبية وحجة تفحم الذين يشكون قلة اسباب التسلية الادبية في الاسكندرية ويجعلون ذلك ذريعة لتحليل المقامرة — فنثني على القائمين بمهام هذه الجمعية ونرجو ان يكونوا قدوة لسواهم في انشاء امثالها لما في ذلك من اللذة والفائدة والخدمة العمومية

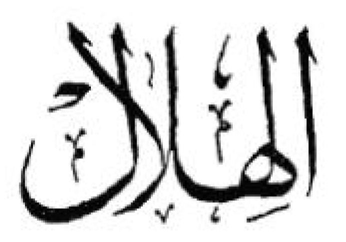
﴿ الارجوزة المصرية ﴾ نظم حضرة اخنوخ افندي فانوس المحامي الشهير ارجوزة تبحث في تاريخ اليابان وأسباب تقدمها وان كثيراً من الشرائع الدينية نشأت على مقتضيات الزمان والمكان و يتخلل ذلك نصائح للامة المصرية وابحاث في تحرير المرأة واضرار تعدد الزوجات والطلاق والتسري ومباحث أخرى — كل ذلك في ٤٣٠ بيتاً · وقد عرفنا اخنوخ افندي محامياً بارعاً وخطيباً بليغاً وعالماً قضائياً ولم يكن يخطر لنا انه ينظم الشعر ولا هو يزعم ذلك فلما دعت الحالة الى النظم نظم وأجاد · ويدل ذلك على ان أصحاب العقول القوية لا يعجزهم الاجادة في اي موضوع وجهوا اليه افكارهم · وفي الارجوزة كثير من الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية فنحث على مطالعتها

﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس تأليف القاضي أبي المحسن التنوخي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ وهو من خيرة كتب الادب العربية .

وكثيراً ما تشوقنا الى مطالعته لما نعرفه من شهرة مؤلفه وما يرويه كتاب العرب المتقدمين من أقواله . وكانت نسخه الخطية قليلة فعني حضرة محمود افندي رياض نجل السيد ابراهيم بك عبد العزيز في نشره عن نسخة خطية كانت عند المرحوم جده بعد مراجعتها على نسخة أخرى في دار الكتب الخديوية . صدر الجزء الاول من هذا الكتاب في العام الماضي وقد صدر الآن الجزء الثاني وهو من كتب الادب التي يجب اقتناؤها ويباع في مكتبة الهلال وثمن الجزئين عشرة قروش وأجرة البريد ثلاثة قروش

﴿ تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ﴾ ليس بين قراء الهلال من لم يعرف هذا الكتاب لما نشرناه من فصوله في أهلة السنين الماضية . فالكتاب المذكور قد تمّ طبعه كاملاً على ورق صقيل نظيف وهو يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الادب عند الافرنج وما يقابله من ذلك عند العرب في ابان تمدنهم الى عصورهم الوسطى وما اقتبسه الافرنج عنهم في الادب والشعر في نهضتهم الاخيرة وخصوصاً على يد فيكتور هوكو . ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف ووصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته وغير ذلك . وقد عرف القراء بلاغة «المقدسي» مؤلف هذا الكتاب مما نشر في الهلال من نفثات أقلامه غير مرة فلا حاجة بنا الاطناب . والكتاب ٢٧٢ صفحة كبيرة ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة عشر قرشاً أو أربعة فرنكات وأجرة البريد قرشان أو نصف فرنك

﴿ السر المكنون في ابحاث الطاعون ﴾ هو اوسع كتاب صدر في العربية بهذا الموضوع لمؤلفه الدكتور اسماعيل بك رشدي حكيمباشي مديرية اسيوط بحث به في الطاعون وانواعه وتاريخه القديم والحديث وخصوصاً في مصر وعدواه ومكروبه . وقد اوضح ذلك برسوم عديدة بيَّن فيها انواع هذا المكروب واشكاله وتبايناته واحواله وبحث في طريقة جني الدم لاكتشاف ميكروب الطاعون وتلوينه واستنباته وحياته وطريقة العدوى به وعواملها واسبابها الشخصية ومدة الحضانة واعراض الطاعون وعلاجه والتطهير منه واحكام ذلك بالنظر الى السفن واحكام خصوصية للبلاد الخارجة وما يتعلق بالحج وغير ذلك مما يدلُّ على طول باع حضرة المؤلف في هذا الموضوع



الجزء الرابع من السنة الثالثة عشرة

١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٥ و ٢٥ شوال سنة ١٣٢٢

شريعة حمورابي ملك بابل

اقدم شرائع العالم — كتبت نحو سنة ٢,١٥٠ قبل الميلاد

عثر الباحثون في انقاض بابل وما جاورها من اطلال تلك المملكة القديمة في العراق على نصب (مسلة) من الحجر الاسود الصلب مخروطي الشكل طوله سبعة اقدام واربعة قراريط ومحيطه ستة اقدام وقيراطان عند القاعدة وخمسة اقدام واربعة قراريط عند القمة عليه نقوش بالحرف المسماري • وجدوا هذه المسلة في بلاد السوس من خوزستان في آخر سنة ١٩٠١ وعرفوا من حل رموزها انها شريعة لمملكة بابل تشتمل على قوانين مدنية وتجارية وجنائية وضعها الملك حمورابي قبل شريعة موسى بثمانمئة سنة او اكثر وبين الشريعتين مشابهة في كثير من النصوص • فاهتم علماء الآثار في هذا الاكتشاف اهتماماً كبيراً وقابلوا بينه وبين سائر الشرائع القديمة مقابلة تاريخية تحليلية فرأينا ان ننقل نص تلك الشريعة الى اللغة العربية مع خلاصة ما علقوه عليها من الملاحظات

ولا بدّ لنا قبل الشروع في ذلك من تمهيد في كيف اكتشفوا ذلك النصب ومن هو حمورابي وما هي لغة بابل وما هو الحرف المسماري فنقول :

(بابل والقضاة فيها) البابليون من اقدم الامم المتمدنة وقد انشأوا حضارة ما بين النهرين ووضعوا علوماً هامة ورصدوا الكواكب واخترعوا المزاول واسسوا الطب

قبل الميلاد بقرون كثيرة • وكانت لهم عناية كبيرة في وضع الشرائع • وكان القضاء عندهم من شؤون الكهان فيقيم الكاهن في حجرة عند باب الهيكل وهو القاضي وبين يديه الكتاب والاشياخ • وكان البابليون يتقاضون الى الاشياخ او يستشيرونهم في القضاء او يستشهدونهم كما كان يفعل اليهود في مثل هذه الحال على نحو ما ورد في سفر راعوث (ص٤ ع ٢-٩) وكان القضاة تحت سيطرة الملك وهو يوليهم ويشرف على اعمالهم • وكانت احكامهم تتناول سائر فروع القضاء من اكبر الجرائم الى اصغر المخالفات ولم يكونوا يبرمون حكماً او يعقدون عهداً الا كتبوا به صكاً او عقداً • وقد عثروا على الوف من هذه العقود في اطلال بابل • والعقد عبارة عن قرميدة عليها نقش بالحرف المسماري يوردون فيه صورة العقد ان كان زواجاً او بيعاً او رهناً ويستشهدون الآلهة ويذكرون اسم الملك نائباً عنها ثم اسماء الاشياخ للشهادة ثم التاريخ • وكانوا يؤرخون قديماً بحادثة تحدث في تلك السنة فيقولون مثلاً كتب هذا العقد في السنة التي بني فيها الهيكل الفلاني او حفر فيها النهر الفلاني او حدث فيها الطوفان الفلاني • وكان ذلك شأنهم في عصر حمورابي اي في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد ثم صاروا يؤرخون بجلوس الملك • فبعد الفراغ من الحكم ينقش الصك (او يطبع) على طين رطب ثم يذيل بالختام اصحاب الشأن او تطبع فيه اظفار ابهامهم • ثم يشوى في موقد صغير حتى يتصلب ويحفظ مع سائر العقود

واذا تقاضى اثنان على شيء جاءا به الى ما بين يدي القاضي فاذا لم يكن حمله ممكناً جاءا بجزء منه فان كان عقاراً حملا تلمة منه او كان بناء اكتفيا بحجر من احجاره • واذا لم يرض المتقاضيان او أحدهما بحكم القاضي رفع دعواه الى سواه حتى يبلغ الى الملك نفسه • وقد يرفع الرجل ظلامته رأساً الى الملك • وسترى من نص شريعة حمورابي اهتمام الملك في ما يرفع اليه من تلك الظلامات وربما احال النظر في القضية الى بعض امرائه او عماله ممن هم أولى بذلك لقربهم من مكان الحادثة

(حمورابي وعصره) قد تقدم انهم كانوا يؤرخون في عصر حمورابي ببعض الحوادث مما لا يستطاع معه تحقيق التاريخ • وأما عصره فقد استدلوا عليه من قرائن تعدُّ عند علماء الآثار من الادلة المقبولة — وذلك انهم قرأوا في ما نقشه الملك نابونيدوس ملك بابل في منتصف القرن السادس قبل الميلاد على بعض آثاره ما معناه « وأعاد نابونيدوس بناء هيكل الشمس في صفارة وكان قد بناه شقاشلتي بورياش بن كدر بمل قبله بثمانئة سنة » اي ان ذلك الهيكل بني سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد • ووجدوا

على آثار نابونيدوس أيضاً عبارة أخرى معناها ان بورنا بورياش ملك بابل أعاد بناء هيكل أور بعد حمورابي بسبعمئة سنة • وبورنا بورياش هذا من عائلة شقاشلتي بورياش المذكور وكان قبله بنحو قرن او بعض القرن فاذا أضفنا ذلك الى ما تقدم كان عصر حمورابي نحو ٢,١٥٠ قبل الميلاد أي منذ نيف وأربعة آلاف سنة • وقد ملك من عائلة حمورابي ١١ ملكاً هو سادسهم حكموا جميعاً ٣٠٠ سنة • وقد لوحظ في اسمائهم انهم ليسوا من أهل بابل بل هم جاؤها من الخارج ففتحوها وتوالى حكمهم فيها • ولما كانت تلك الاسماء تشبه ان تكون عربية قالوا انهم من العرب مما لا محل للنظر فيه هنا• وان كنا لا نعلم كيف كانت اللغة العربية في ذلك العصر البعيد وأقدم ما لدينا منها لا يتجاوز زمن الهجرة الا قليلاً أي بعد عصر حمورابي بالفين وسبعمئة سنة واللغة تتغير مع العصور

حكم اول ملوك هذه العائلة سنة ٢٢٩٦ قبل الميلاد واسمهُ شومو ابو وتوالى الحكم في اعقابه حتى افضى الى حمورابي سنة ٢١٩٣ وحكم ٤٣ سنة دوخ فيها البلاد وبنى الهياكل وشاد القصور وسن الشرائع وحارب الاكاديين والعيلاميين (الفرس القدماء) مما يطول شرحه وأهم ما بقي لنا من أخباره وأعماله الشريعة التي نحن في صددها مكتوبة باللغة البابلية بالحروف المسمارية القديمة التي كانت شائعة في عصره

(اللغة البابلية) أو الاشورية أو الكلدانية القديمة هي لغة بابل واشور وفي اعتقادنا انها أم اللغات السامية ويساعدنا على ترجيح ذلك حكاية خلق الانسان وتفرق قبائله بعد الطوفان • وكانت اللغة البابلية مدفونة في الحرف المسماري لا يستطيع احد حلّ رموزها كما كانت اللغة المصرية القديمة مقيدة بالهيروغليف حتى أتيح حلها لغروتفند الالماني ورولنسن الانكليزي كما تأتى لشامبليون الفرنساوي حلّ الكتابة الهيروغليفية • وقد قرأوا ما عثروا عليه منها منقوشاً على اطلال بابل ووضعوا كتب النحو والمعجمات لتعليمها كما تعلم اللغات الحية • فاذا تعلمتَ قواعدها واطلعت على أساليب اشتقاقها وتصريفها تبين لك انها من اللغات السامية وانها كثيرة الشبه باللغة السريانية • ومن خصائصها ان الفاظها تنتهي بالضم فهي من هذه الحيثية تشبه اللغة العربية وخصوصاً بما يتعلق بالاعراب • وأما اشتقاق الفعل فيها فشبيه أيضاً بما في سائر اللغات السامية الا ان صيغه فيها اكثر تركيباً • وقد عثروا على ١٢ صيغة وبينها ما لا وجود له في سائر اللغات السامية وربما كانت في تلك اللغات عند أول عهد انفصالها عن أمها ثم دثرت وتولد غيرها مما لم يكن في أمها ولزيادة الايضاح نذكر تلك الصيغ وهي :

فَعَل نِفعَل فَاعَل شَفعَل إِفتعَل إِفتنعَل إِتفَعَل إِتنفعَل إِفتاعَل إِفتنَاعَل إِستَفعَل أَستَنفعَل

فبعض هذه الصيغ موجود في كل اللغات السامية على السواء وبعضها لا يوجد في غير البابلية الا في العربية كتَفَعَّل وفَاعَل وبعضها موجود في السريانية والعبرانية مثل نِفعَل واتَّفعل وبعضها لا يوجد في غير الاشورية مثل افتنعل واستنفعل وغيرها . وذلك من الادلة على ان اللغة الاشورية اصل وسائر اللغات السامية فروع ولنا في ذلك كلام نرجئه الى فرصة اخرى

والاسم عندهم يعرب اعراب الاسم العربي رفعاً ونصباً وجرًا فيرفع بالضم وينصب بالفتح ويجرّ بالكسر كما في العربية تماماً . اما الجمع فيصاغ بالكسر مثال ذلك « مرُ » (ملك) فانه يتصرف هكذا :

ملكٌ مَرُ ملكاً مَرَ ملكٍ مرِ ملوكٌ مَرِ

واللغات السامية كلها عطل من الاعراب الا العربية والاشورية . وهذا دليل آخر على تفرع اللغة العربية عن الاشورية

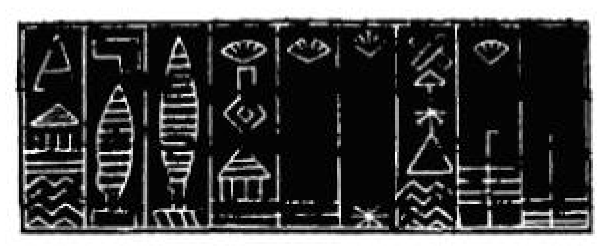
والضمائر عندهم كما في العربية تقريباً فمنها ضمائر رفع وضمائر نصب وضمائر جر . وتتصرف الافعال مع الضمائر كما في العربية مع بعض التغيير فيقولون في تصريف « سبْ » (وثب) جلَسَ في المضارع هكذا :

أَسِبْ	أَجلس	تَسِبْ	تجلس (انت)
تَسِبي	تجلسين	يَسِبْ	يجلس
تَسِبْ	تجلس (هي)	نَسِبْ	نجلس
تَسِبو	تجلسون	تَسِبا	تجلسنَ
يَسِبوا	يجلسون	يَسِبيا	يجلسن
يَسِبا	يجلسان		

وهي اقرب الى التصريف العربي منه الى سائر التصاريف السامية

﴿ الكتابة المسمارية ﴾ هي الاحرف التي دوّن بها البابليون والاشوريون اخبارهم على آثارهم وقد سميت بذلك لمشابهتها المسامير وتسمى ايضاً الاسفينية لمشابهتها الاسافين وهي مقطعية اي ان الصورة الواحدة او الحرف الواحد يدلّ على مقطع او كلمة كالكتابة الهيروغليفية . فعندهم [illegible] تلفظ « قَلو » ومعناها أحرق و [illegible] تلفظ « مرُ »

ومعناها ملك . والبابليون لم يستنبطوا هذه الحروف من عند انفسهم ولكنهم اقتبسوها من امة قديمة كانت تقيم بجوارهم تعرف بالعيلاميين او الاكاديين كانوا يسكنون جبال خوزستان في الاهواز بجوار مملكة بابل . وكان الاكاديون يكتبون بها لغتهم وليست هي من اللغات السامية والمظنون انها من اللغات الطورانية . وكانت تلك الكتابة في عهد الاكاديين اقرب الى الكتابة الصورية منها الى الكتابة المقطعية . اي انها كانت عبارة عن رسوم تدل على اشباهها كالهيروغليف . ثم تغيرت بتوالي الاستعمال حتى بعدت عما رسمت له كما حدث بالهيروغليف في تحوله الى الحرف الهيراتي . على ان بعضها لا يزال يدلُّ على اصله الصوري كما اصاب الحروف الصينية . فاخذ البابليون الحرف المسماري واكثره لا يزال صوريًا وبعضه صار حروفًا ودونوا به لغتهم كما ترى على آثارهم . وكلما تقادم عهد الآثار قربت الكتابة فيها من الشكل الصوري . وقد شاهدنا في المتحف البريطاني بلندن حجرًا يفي الشكل والحجم عليه نقوش اشورية قديمة يقال انها من القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد الكتابة فيها اشبه برسوم الابنية والاشجار كما ترى في الشكل . والظاهر انهم كانوا في اول استخدامهم الكتابة يكتبون بها حفرًا بالازاميل كما كان يفعل المصريون فلما كثرت مدوناتهم واحتاجوا الى تدوين الصكوك والعقود والاخبار ونحوها فطنوا لطريقة تسهل عليهم ذلك وهي ان يكتبوا بها طبعًا بالمسامير على الطين الرطب فيصنعون منه قرميدات يرسمون عليها الكلمات او الاحرف طبعًا بالمسامير بسرعة ثم يشوون القرميد فيجف ويحفظ . فلم يتيسر لهم بذلك حفظ الصور على اشكالها الطبيعية فجعلت الكتابة تبعد عن الاصل رويدًا رويدًا كما ترى



الحرف المسماري القديم بشكلهِ الصوري

وما زال الاشوريون يكتبون بالحرف الاسفيني حتى حمل اليهم الفينيقيون الحروف الهجائية التي استخرجوها من الحرف المصري القديم فاتخذوها وجعلت تتنوَّع عندهم وتتفرَّع تبعًا لناموس الارتقاء العام حتى تولد منها الحرف الارامي اقدم حروفهم الحديثة وهو قريب من الحرف الفينيقي وهاك مثاله

ميتبا زي قرب معنن بر عمرن

لصلم الها لحيي نفشه

اي « العرش الذي قدمه معنان بن عمران للاله صلم لاجل حياة نفسه »

ثم تولد الحرف الاسطرنجيلي وعنه نشأ الحرف السرياني الذي نكتب به اللغة السريانية الآن والحرف الكوفي الذي كانت تكتب به اللغة العربية

فالآثار البابلية الاسفينية تقرب كتابتها من الشكل الصوري كما تقادم عهدها — ومن هذا القبيل شريعة حمورابي فان اكثرها مكتوب بالحرف الاسفيني القديم

(الاكتشاف) ان اكتشاف الآثار المتعلقة بالمعاملات الشرعية في بابل يبدأ سنة ١٨٥٤ وأول من عثر على شيء من ذلك المستر لوفتوس فانه اكتشف قرميدات عليها صكوك وعقود كتبت في حكم ثلاثة ملوك وهم رمسن وحمورابي وشمسوايلونا على انهم لم يتمكنوا من فهم فحواها الا بعد زمن طويل • ثم اكتشفوا قرميدات أخرى وأخرى حتى اجتمع من أمثال هذه القرميدات الوف في متاحف اوربا على بعضها فقرات متفرقة من شريعة حمورابي التي نحن في صددها واستدلوا من لغة تلك الفقرات انها من انشاء قدماء البابليين • وابثوا يتوقعون الوقوف على سائر الشريعة وأخذوا في التنقيب عليها في اطلال بابل وما جاورها • فكان السابق الى ذلك الفرنساويين فان الحكومة الفرنساوية أنفذت سنة ١٨٩٧ الموسيو مورغان للتنقيب في بلاد السوس في خوزستان (الاهواز) عن اثار قدماء الفرس فعثر في آخر سنة ١٩٠١ على حجر اسود صلب وبعد بضعة ايام اكتشفوا قطعتين أخريين وركبوا القطع المذكورة كما كانت فاذا هي حجر واحد مخروطي الشكل علوه سبعة اقدام و٤ قراريط ومحيطه عند القاعدة ستة أقدام وقيراطان وعند القمة خمسة اقدام واربعة قراريط في اعلاه صورة رجل جالس على كرسي هو اله الشمس وبين يديه رجل واقف يقدم له العبادة هو حمورابي • وما بقي من سطح ذلك الحجر مكسوٌّ بالنقوش المسمارية الصورية • وهي تختلف عن الحرف المسماري المرسوم على القراميد والآثار الاشورية بأن هذا يكتب ويقرأ أفقياً من

اليسار الى اليمين كما تقرأ الخطوط الافرنجية • وأما نقوش حجر حمورابي فانها عبارة عن حقول عمودية تقرأ من الاعلى الى الاسفل وينتقل في الحقول من اليمين الى اليسار بما يشبه قراءة الكتابة الصينية وبين الحرفين مشابهة كلية تدل على علاقة بينهما في الزمن القديم

ومن غريب الاتفاق ان القطع الثلاث تلاحمت تلاحماً دقيقاً والكتابة ظاهرة على ذلك الحجر ظهوراً تاماً الا بقعة تشغل مكان بضعة حقول قد محيت عنها الكتابة عمداً لنقش شيء آخر مكانها • والغالب انهم كانوا يريدون نقش اسم الملك الذي نقل هذا الاثر من بابل الى السوس علامة للنظر ثم لم يفعلوا فضاعت الحقول المذكورة ولم يكتب اسم الملك فلم نعلم من هو ولكنهم رجحوا من قرائن أخرى انه ملك عيلامي اسمه شوتروك ناخونت من أهل القرن الحادي عشر قبل الميلاد • فقد فتح فتوحاً كثيرة في مملكة بابل وأراد ان ينقل هذا الحجر لينصبه في بلده فلم يتم له تدوين اسمه عليه • وكأنهُ قدّر لهذا الحجر ان يكون من نصيب أهل القرن العشرين فبعد ان أقام الف سنة في بابل و٣,١٠٠ سنة في السوس نقل الى باريس ونصب في متحف اللوفر • ويعده الفرنساويون من افخم الآثار واهمها • واهتمت الحكومة الفرنساوية بنشر نص الشريعة المنقوشة على ذلك الحجر بصورتها الاصلية تماماً وقد ترجمها الاستاذ شيل الى الفرنساوية ونشرها سنة ١٩٠٢ في مجلد ضخم متقن الطبع والرسوم سماه « نصوص سامية عيلامية » (Textes Elamitiques-Sémitiques) وهي بنود باعداد متسلسلة من ١ — ٢٨٢

(شريعة حمورابي) بدأ حمورابي أولاً بذكر الآلهة انو وبعل ومروداخ وعدَّد مآثرهم على البشر وخصوصاً في توليته حقوق الناس ليأخذ للضعيف من القوي وينصف المظلوم من الظالم • ثم وصف مناقبه وذكر فتوحه وآثاره الاصلاحية في مملكته وعدد فضائله وتعقله وحكمته وقدرته و••• الى ان قال عن نفسه :

« فلما خوَّلني مروداخ (الاله) الحكم على بني الانسان انظر في مصالحهم وادبر شؤونهم بالحق والعدل وضعت لهم الشرائع الآتية وهي :

١ اذا لعن انسان انساناً بغير حقّ فاللاعن يُذبح

٢ اذا رقى انسان انساناً بغير حق فالمرقيّ يمضي الى النهر المقدس ينغمس فيه فاذا اختطفه النهر فالراقي يستولي على بيته واذا دلَّ النهر على براءته ولم يؤذه فالراقي يذبح ويأخذ المرقي بيته

٣ اذا شهد رجل على آخر بما يوجب هلاكه أو شجبه ثم لم يثبت قوله يقتل الشاهد

٤ اذا كانت شهادته حنطة أو فضة فهما اقتضته تلك الدعوى من القصاص تحمله هو

٥ اذا حكم قاضٍ في قضية حكماً مكتوباً ثم ظهر فساد حكمه وكان هو علة ذلك الفساد فيتحمل عائدة الحكم على نفسه ١٢ ضعفاً ويعزل من مجلس القضاء في جلسة عمومية ولا يجالس القضاة في قضية

٦ اذا سرق أحدٌ امتعة الآلهة (الهيكل) او القصر (الملوكي) يقتل ويقتل حاملها معه

٧ اذا ابتاع انسان او استرهن فضة او ذهباً او رقيقاً او غير ذلك من غلام او عبد رجل آخر ولم يعقد البيع ويحضره شيخٌ فان ذلك الرجل يعد سارقاً ويذبح

٨ اذا سرق انسان ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو سفينة من الآلهة او القصر يعوضهُ ثلاثين ضعفاً فاذا كان من الموالي[1] أدى عشرة أضعافه فاذا عجز عن الاداء يذبح

٩ اذا أضاع أحد شيئاً ثم وجده عند آخر فاذا قال هذا انه ابتاعه بمشهد من الاشياخ وقال المالك انه يحضر شهوداً يشهدون صدق ملكيته • فعلى الشاري ان يحضر الرجل الذي باعه والاشياخ الذين شهدوا البيع ويحضر المالك شهوده فينظر القاضي في أدلتهم فاذا شهد الاشياخ والشهود أمام الاله بصدق الاثنين فيعدُّ البائع سارقاً ويذبح ويستولي صاحب المال على ماله وأما الشاري فانه يقبض ما دفعه من اهل البائع

١٠ اذا لم يستطع الشاري احضار الرجل الذي باعه والاشياخ الذين شهدوا البيع وأثبت المدعي ملكيته بالشهود فيعد الشاري سارقاً ويذبح ويستولي المالك على ملكه

١١ واذا لم يستطع المدعي اثبات ملكيته فقد افسد أمانته وافترى كذباً فيذبح

١٢ واذا كان البائع قد مات فللشاري ان يستولي على خمسة اضعاف القيمة من ورثته

١٣ واذا لم يستطع الشاري احضار الاشياخ فالقاضي يمهله ستة شهر فاذا لم تحضر الشهود بعدها فقد أفسد أمانته فتقع العقوبة عليه

١٤ اذا سرق رجل ابن رجل آخر فالسارق يذبح

١٥ اذا أغرى رجلٌ عبداً أو أمة لبعض القصور او لبعض الموالي على الفرار فيذبح

١٦ اذا آوى أحد عبداً هارباً أو أمة هاربة من القصر أو من بعض الموالي ولم يأت بهما حسب أمر الوالي فيذبح

(١) يراد بالموالي هنا طبقة من الناس بين العبيد والاحرار

١٧ اذا قبض أحد في الخلاء على عبد هارب وأرجعه الى مولاه فعلى المولى ان يدفع له شاقلين من الفضة

١٨ فاذا لم يعترف العبد باسم مولاه يؤخذ الى الحكومة للبحث عن اسمه

١٩ اذا اخبأ ذلك العبد في بيته وقبض عليه بيده فذلك الرجل يذبح

٢٠ اذا هرب عبدٌ ممن قبض عليه فعلى هذا ان يحلف باسم الاله لصاحب العبد فيتبرأ

٢١ اذا نقب أحد بيتاً فانه يذبح عند النقب ويدفن فيه

٢٢ قاطع الطريق اذا قبض عليه يذبح

٢٣ واذا لم يقبض عليه فالمسلوب يعترف أمام الآلهة بما سلب منه وعلى المدينة التي سُلب في أرضها أو على صاحبها ان يعوض عليه ذلك

٢٤ فاذا كانت خسارته نفساً فالمدينة أو صاحبها يؤدي مناً من الفضة لاهله

٢٥ اذا أقدم رجلٌ على اطفاء منزل يحترق وطمح بصره الى أمتعة صاحب المنزل وسرق شيئاً منها يطرح في تلك النار

٢٦ اذا أمر ضابط أو جندي بالذهاب في خدمة الملك ولم يذهب بل أرسل بديلاً عنه فانه يذبح ويأخذ البديل بيته

٢٧ اذا أصاب أحد الضباط أو العساكر خسارة في خدمة الملك وصار بستانه وحديقته الى سواه فلما يعود الملك ويسترجع المدينة يعادان اليه

٢٨ واذا كان له ابن يستطيع الاشراف عليهما يعهد بهما اليه

٢٩ اذا لم يكن ابنه راشداً يعطى ثلث الحديقة والبستان لامه وهي تربيه

٣٠ اذا أهمل أحد الضباط أو العساكر بستانه أو حديقته أو بيته وناب عنه في رعايتها وتدبيرها رجل آخر ثلاث سنين فاذا أحب استرجاعها لا تعطى له

٣١ واذا أهملها سنة واحدة فقط فانها تعاد اليه

٣٢ اذا أُسر ضابط أو جندي في سبيل الملك وافتداه بعض التجار وأعاده الى مدينته فاذا كان عنده ما يفي به قيمة الفداء أداه من ماله والا فهيكل مدينته يقوم بفدائه فاذا عجز الهيكل دفعه القصر (الملك) أما بستانه وحديقته وبيته فلا ينفق منها شيءٌ في فدائه

٣٣ اذا أطلق أحد الولاة أو القواد بعض الجند من خدمة الملك وأبدلهم باجناد مأجورين يذبح

٣٤ واذا قبض احدها على عقار ضابط او اساء اليه او أجره او تخلّى عنه في قضية لمن

هو اعلى رتبة منه او سلبه عطية من الملك فانه يذبح

٣٥ اذا ابتاع احد ماشية او غنماً كان الملك قد وهبها الى ضابط فالشاري يخسر مادفعه

٣٦ ان بساتين الضباط والعساكر والاتباع وحدائقهم ومنازلهم لا تباع بالفضة

٣٧ واذا اشترى احدٌ شيئاً منها فالبيع باطل و يغرم الشاري الثمن و يرجع العقار الى صاحبه

٣٨ لا يُلزم احد هؤلاء الثلاثة بتحويل بستانه او حديقته او بيته الى امرأته او ابنته ولالوفاء دين عليه

٣٩ ولكنه قد يوصي لاحدهما ببستان او حديقة او بيت اشتراه وقد يحوله لدين عليه

٤٠ وقد يبيع بستانه او حديقته او بيته الى تاجر او موظف آخر يتصرف به

٤١ اذا اقدم احدٌ على تسييج بستان احد الضباط او العساكر او الاتباع او حديقته او بيته باعواد من عنده ثم عاد المالك الاصلي فعليه ان يدفع ثمن الاعواد المستخدمة لذلك

٤٢ اذا استلم احد بستاناً او حقلاً ولم يزرعه حنطة يعاقب على اهماله و يدفع الى صاحب الحقل ثمن الحنطة باعتبار غلة ذلك الاقليم

٤٣ واذا حرثه وتركه بدون زرع فيؤدي الى صاحبه من الحنطة كما يؤدي جاره ثم يعزق الحقل و يزرعه و يعيده الى صاحبه

٤٤ اذا استأجر احدهم حقلاً ثلاث سنين ولم يزرعه فعليه في السنة الرابعة ان يحرثه و يعزقه و يبذره و يعيده الى صاحبه

٤٥ اذا عهد احدهم بحقله الى مزارع باجرة قبضها ثم اصاب الحقل طوفان افسد غلته فالخسارة على المزارع

٤٦ واذا كانت الاجرة لم تدفع او ابدلت بنصف الموسم او بثلثه فالاثنان يقتسمان ما بقي من الغلة على تلك النسبة

٤٧ اذا اخفق المزارع في سنته الأولى وأجّر الحقل لمزارع آخر فلا يقدر صاحب الحقل على منعه لأن حقله سيزرع وفي الحصاد يستولي على حقه حسب الاتفاق

٤٨ اذا كان على احد الناس دين بفائدة (ربا) واصاب حقله طوفان او تلف حصاده او لم تنم حنطته لقلة الماء فلا يؤدي ما عليه من الحنطة لصاحب الدين بل هو « يغمس صكهُ في الماء » ولا يدفع فائدة تلك السنة

٤٩ اذا قبض احدهم فضة من تاجر على حقل حنطة او سمسم وقال له « ساغرس

البستان حنطة او سمسماً تخذ ما تجده » فلما يزرع المزارع الحنطة او السمسم في الحقل فصاحب الحقل يأخذ حنطة وسمسماً بقطع النظر عما في الحقل ويعطي التاجر حنطة بمقابل فضته وفائدتها فضلاً عن غذاء المزارع

٥٠ واذا أُخذ الحقل وهو مزروع سمسماً او حنطة فيستولي صاحبه على السمسم او الحنطة التي فيه ويؤدي الى التاجر الفضة وفائدتها

٥١ فاذا لم يكن عنده فضة اعطاه سمسماً بقيمة ما عليه مع الفائدة

٥٢ واذا لم يزرع المزارع حنطة او سمسماً لا يلغى عقده

٥٣ اذا تكاسل احد عن تقوية السدود فحدث فتق اغرق الارض بالماء فصاحب الارض التي فيها السد المفتوق يؤدي بدل الحنطة التي غرقت

٥٤ فاذا لم يكن عنده حنطة يباع هو وامتعته ويفرق الثمن على اصحاب الحنطة الضائعة

٥٥ اذا فتح احد قناة للري واهمل سدها فغرق حقل جاره فعليه تعويض خسارته

٥٦ اذا اطلق احدهم الماء حتى اغرق حقل جاره فانه يعوض عليه عشرة « جورات » (كيل) عن كل عشر « جانات » (مساحة)

٥٧ اذا ارعى احدهم غنمه في ارض ولم يخابر صاحبها بذلك فيحصد الزرع ويكلف الراعي باداء عشرين جوراً عن كل عشر جانات

٥٨ اذا ترك الراعي غنمه في حقل ترعاه بعد ان حان خروجها واُقفل الباب فعليه ان يستلم الحقل حتى اذا آن الحصاد كان لصاحبه ستين جوراً عن كل عشر جانات

٥٩ اذا قطع احدٌ شجرة من بستان سواه يدفع نصف منّ فضة

٦٠ اذا اجّر احدهم بستاناً الى آخر على ان يجعله حديقة وغرس فيه الاشجار فيتولى امره اربع سنوات وفي السنة الخامسة يقتسمان النفع وصاحب البستان يختار حصته اولاً

٦١ اذا لم يغرس البستاني الحقل كله فيعدُّ القسم المهمل في حصته

٦٢ واذا لم يجعله حديقة بل غرسه حنطة فيؤدي الى صاحبه من الغلة عن مدة الاهمال بنسبة غلة جيرانه ثم يصلح البستان ويعيده الى صاحبه

٦٣ واذا تركه بوراً فعليه ان يصلحه ويعيده يدفع عن كل سنة عشرة جورات عن كل عشر جانات

٦٤ اذا استأجر بستانيٌّ حديقة ليزرعها فعليه ان يؤدي ثلثي غلتها لصاحبها في اثناء مدة الايجار

٦٥ اذا لم يزرع البستانيُّ الحديقة ونقصت الغلة فالبستاني يعوض على صاحب البستان حصته بنسبة غلة الجار

(وهنا نحو خمسة حقول من تلك الشريعة مطموسة وتحتوي نحو ٣٥ مادة فعوضوا عن بعضها بفقرات قرأوها على قرميدات محفوظة في المتحف البريطاني وهي :

(ا اذا استدان احدهم فضة من تاجر ورهن عنده نخيله على ان يقبض على التمر بدل الفضة ثم لم يرضَ التاجر فصاحب النخل يجمع التمر ويؤدي منه على قدر الدين وفائدتهِ ويأخذ الباقي لنفسه . ب اذا دفع مستأجر البيت اجرة سنة كاملة واخرجه صاحب البيت قبل انقضائها فيعيد اليه فضته . ج اذا كان على احد فضة او حنطة وليس له ما يؤديه منها فيحمل الى الاشياخ اي شيء يملكه ويؤديه الى الدائن وعليه ان يقبله)

١٠٠ ... فيكتب فائدة الفضة بقدر ما اخذه ولما تجري المحاسبة يدفع الى تاجره

١٠١ فاذا لم يلق نجاحاً في المكان الذي ذهب اليه فالبائع (بالمفرق) يرجعهُ الى التاجر بقيمة متساوية

١٠٢ اذا اقرض تاجرٌ بائعاً مالاً لعملٍ فاصاب البائع خسارة فعليه ارجاع المال

١٠٣ فاذا سطا عليه عدوٌّ في طريقه وسلبه ذلك المال فيقسم بالاله فيعفى

١٠٤ اذا استلم بائع من تاجر حنطة او صوفاً او زيتاً او اي شيء آخر للاتجار بهِ فيقيد الاثمان ويعطيها للتاجر ويسترجع ختم الفضة الذي يعطى للتاجر

١٠٥ اذا كان البائع مهملاً ولم يعط الختم للتاجر فالفضة التي لم تختم لا تقيد في الحساب

١٠٦ اذا قبض بائعٌ فضة من تاجر واختلفا فالتاجر يأتي بالبائع امام الالهِ والاشياخ بشأن ذلك فيؤدي اليه ثلاثة اضعافها

١٠٧ اذا تعدَّى تاجر على بائع قد ارجع اليه كل ما اخذ منه ولم يقبل التاجر بما اخذه فالبائع يدعوه الى الاله والاشياخ ويدفع التاجر ستة اضعاف ما اخذه

١٠٨ اذا لم تقبل الخمارة (بائعة الخمر) ثمن الخمر حنطة بل طلبت فضة فتطرح في الماء

١٠٩ اذا اجتمع العصاة في حانة ولم يقبض الخمار عليهم ويسلمهم الى الحاكم يذبح

١١٠ اذا مرقت كاهنة من الكهانة وفتحت حانة او شربت الخمر في حانة تحرق

١١١ اذا اعطت خمارة ستين « كا » من « اوسكاني » للشرب ففي الحصاد تسترجع ٥٠ كا من الحنطة

١١٢ اذا سلَّم مسافرٌ فضة او ذهباً او جوهراً او اساوراً الى رجل على ان يوصلها الى

منزله فاخذها لنفسه طولب بخمسة اضعافها

١١٣ اذا كان لاحدهم حنطة او فضة على آخر واستولى على ذلك من اهرائه او خزائنه بدون علمه فيرجع ما اخذه و يضيع الحق الذي له

١١٤ اذا حجز احد على آخر ولم يكن له عليه دين فيؤدي له عن كل حجز منّ فضة

١١٥ واذا حجزهُ وله عليهِ دين ثم مات المحجوز في بيت الدائن موتاً طبيعياً ضاع حقه

١١٦ واذا مات من الضرب ونحوه فالحاجز يدعو تاجرهُ للمحاسبة فاذا كان المحجوز حرًّا يذبح ابنه (ابن الحاجز) واذا كان عبداً يدفع ثلث منّ فضة ويخسر كل ما كان له

١١٧ اذا استدان احد مالاً من آخر ثم اعطاه امرأته او ابنه او ابنته في مقابل الدين فانهم يخدمون في بيت الدائن ثلاث سنوات وفي الرابعة يطلقون

١١٨ اما اذا اعطاه بذلك عبداً او امة واخرجها التاجر فباعها بالفضة فما عليه شيء

١١٩ اذا اخذ رجلٌ فضة ثمن امة ولدت له اولاداً فصاحب الامة يرجع المال الذي اخذه من التاجر وتصير الامة حرة

١٢٠ اذا خزن رجل حنطته في مخزن رجل آخر وتلفت او نقصت فيطلب حنطته امام الاله وصاحب المخزن يؤديها

١٢١ اذا خزن رجلٌ حنطة عند آخر فاجرة المخزن خمسة « كا » من الحنطة عن كل جور في السنة

١٢٢ اذا اراد رجل ان يستودع رجلاً آخر فضة او ذهباً او غيرها فليفعل ذلك بحضور الاشياخ و يكتب العقد

١٢٣ فاذا لم يكتبه وانكرهُ ذاك فلا حق له

١٢٤ واذا كتب العقد وانكر الرجل طالبه واخذ حقه منه

١٢٥ اذا اودع احد امتعته في منزل وفقد بعضها او كلها بالسرقة او غيرها فعلى صاحب المنزل ان يؤدي ما فقد و يطالب السارقين بما سرقوه

١٢٦ اذا ادعى احدٌ ضياع الوديعة او بالغ في ما ضاع منها فعليه ان يأتي بماله ويثبت ماضاع و يأخذ بدله

١٢٧ اذا اتهم احد كاهنة او زوجة رجل آخر بدون حق يحاكم و يكوى في جبينه

١٢٨ اذا تزوج رجل امرأةً ولم يكتب العقد فالزواج باطل

١٢٩ اذا وجدت امرأة مع غير زوجها فالاثنان يوثقان و يطرحان في الماء

الأ اذا استبقى الزوج امرأته وعفا الملك عن الرجل

١٣٠ اذا تعدّى رجل على امرأة لا تزال في بيت ابيها «واضطجع في صدرها» يذبح والمرأة بريئة

١٣١ اذا خانت المرأة زوجها ولم توجد مضطجعة مع آخر تقسم بالاله على براءتها وتعود الى زوجها

١٣٢ اذا اتُّهمت امرأة برجل ولم توجد مضطجعة معه فانها تخوض النهر المقدس لاجل زوجها (فاذا غرقت كانت مجرمة والأ فلا)

١٣٣ اذا أُسر رجل وفي بيته طعامٌ وهجرت امرأته البيت ودخلت بيتاً آخر فانها تحاكم وتطرح في الماء

١٣٤ واذا لم يكن في البيت طعامٌ فلا لوم عليها

١٣٥ اذا أُسر رجل وليس في بيته طعام ودخلت امرأته بيتاً آخر وولدت فيه اولاداً فاذا عاد زوجها عادت اليه والاولاد يلحقون بأبيهم

١٣٦ اذا فرَّ رجلٌ من مدينته واختفى ودخلت امرأته بيتاً آخر ثم عاد وطلبها فلا حقَّ له بها

١٣٧ اذا اراد رجل تطليق امرأته او ام ولده وكان له منها اولاد فعليه ان يعيد الى كل منها مهرها وحق التمتع بزرع ارضه وهي تربي اولادها فاذا ربتهم تستولي على سهم مثل اسهمهم من الارث ولها ان تتزوج من شاءت

١٣٨ فاذا لم يكن له منها اولاد فيعطيها «حق العروس» ويرجع اليها المهر الذي اتت به من بيت ابيها ثم يطلقها

١٣٩ فاذا لم يكن هناك حق عروس اعطاها مناً من الفضة

١٤٠ واذا كان مولى اعطاها ثلث منّ من الفضة

١٤١ اذا ارادت الزوجة الخروج من بيت زوجها وكانت مبذرة خليعة واهملت زوجها تحاكم فاذا قال زوجها انها طالق ذهبت ولم تأخذ شيئاً وان لم يقل ذلك فله ان يتزوج باخرى وتبقى الاولى امةً في بيته

١٤٢ اذا ابغضت امرأة زوجها وقالت له «لستُ لك» فينظر في سبب بغضها فاذا وجدت حريصة وان زوجها اهملها فلا لوم عليها بل تأخذ مهرها وترجع الى بيت ابيها

١٤٣ واذا لم تكن حريصة وخرجت من البيت واسرفت واهملت زوجها تطرح في الماء

١٤٤ اذا تزوج رجل امراة اعطته جارية لها اولاد فلا يجوز له ان يقتني سرّية

١٤٥ واذا تزوج امراة لم تلد له اولاداً جاز له ان يقتني سرية لكنها لا تكون بمنزلة الزوجة

١٤٦ اذا تزوج رجل امرأة ومعها جارية ذات اولاد ثم ارادت الجارية ان تجعل نفسها في منزلة مولاتها فمولاتها لا تبيعها بالفضة بل هي تكبّلها بالحديد وتعدها من الاماء

١٤٧ واذا لم تلد اولاداً باعتها مولاتها بالفضة

١٤٨ اذا تزوج رجل امرأة فأصابها مرض يسوغ له ان يتزوج بغيرها ولكنه لا يطلقها بل تعيش في بيته وهو يعولها بقية حياتها

١٤٩ فاذا ابت هي البقاء عنده دفع اليها مهرها واعادها الى بيت ابيها

١٥٠ اذا اعطى رجل امرأته حقلاً او بيتاً او امتعة بعقد مختوم ثم مات فلا حق لاولادها بما اخذته بل هي تعطيه لمن شاءت منهم وليس لاخوته

١٥١ اذا عاقدت المرأة زوجها على ان لا يفي بها ديناً كان عليه قبل زواجها فليس للدائن ان يقبضها وكذلك اذا كان على المرأة دين قبل الزواج فزوجها في حلٍّ منه

١٥٢ اما اذا حدث الدين بعد الزواج فكلاهما مسئول

١٥٣ اذا قتلت المرأة زوجها من اجل رجل آخر تخوزق

١٥٤ اذا عرف الرجل ابنته يطرد من المدينة

١٥٥ اذا خطب رجل فتاة لابنه وعرفها الابن ثم وجد مستلقياً « في صدرها » فالرجل يوثق ويلقى في الماء

١٥٦ واذا لم يعرفها الابن واستلق في صدرها يدفع نصف منٍّ من الفضة ويعيد اليها كل ما جاءت به من بيت أبيها وتتزوج من شاءت

١٥٧ اذا اضطجع رجل بعد أبيه في صدر أمه يُحرق الاثنان

١٥٨ اذا وجد رجل بعد ابيه في صدر امرأته وكانت قد ولدت له أولاداً يقطع ذلك الولد من بيت أبيه

١٥٩ اذا اتى رجل الى بيت حميه بامتعة له وأدّى « حق العروس » ثم طمحت انظاره الى امرأة أخرى وقال لحميه « لا أريد ان أتزوج بابنتك » فوالد الفتاة يستولي على كل ما جاءه بهِ الرجل او أدّاهُ

١٦٠ واذا فعل الرجل ذلك وقال الحمو للرجل « لا أزوجك بابنتي » فعليه ان يقدم مثل ما قدم له ويعطيه للرجل

١٦١ واذا فمل الرجل ذلك ووشى به بعض اصدقائه حتى ابى حموه ان يزوجه فانه يقدم ما يقابل ذلك وصديقه لا يتزوجها

١٦٢ اذا تزوج رجلٌ امرأة وولدت له اولاداً ثم توفيت فليس لابيها حقٌ في مهرها بل لاولادها

١٦٣ واذا ماتت ولم تلد له اولاداً فاذا كان « حق العروس » الذي دفعه الى حميه قد ارجع اليه فالمهر لابيها وليس لزوجها

١٦٤ واذا كان حموهُ لم يرجع اليه « حق العروس » فانه يسقط ذلك من قيمة المهر ويعطي الباقي لابيها

١٦٥ اذا وهب رجل حقلاً او بيتاً لاحد ابنائه واعطاه عقداً بذلك فبعد وفاة الأب يقتسم الابناء تركته وتبقى الهبة لصاحبها

١٦٦ اذا زوج رجل ابناءه الا واحداً لصغره ثم مات الاب فعند اقتسام التركة يفرد للعزب قيمة حق العروس فضلاً عن سهمه من التركة ويزوج

١٦٧ اذا تزوج رجل امرأة وولدت له اولاداً وتوفيت وتزوج سواها وولدت له اولاداً فمتى توفي الرجل يقتسم الاولاد تركته على السواء الأ المهرفان اولاد كل امرأة يقتسمون مهرها

١٦٨ اذا اراد رجل ان يتبرأ من ابنه وقال للقاضي « أنا اتبرأ من ابني » فينظر القاضي في الاسباب فاذا لم يجد ما يوجب ذلك لم يجوزه و يبقي للولد حق البنوة

١٦٩ واذا وجد الولد مستوجباً النبذ اعترض على نبذه في المرة الاولى فاذا عاد الى ذلك الذنب اجاز نبذه والتبرؤ منه

١٧٠ اذا ولد لرجل اولاد من زوجته واولاد من جاريته ودعا اولاد الجارية اولاده فاذا مات اقتسموا ماله على السواء ولاولاد الزوجة التقدم في انتقاء الاسهم

١٧١ واذا لم يدعُ اولاد الجارية اولاده في حياته فالارث لاولاد الزوجة . واما الجارية فتعتق هي واولادها ولا يكون لاولاد الزوجة حق في استخدامهم . والزوجة تاخذ مهرها وما عقد لها به زوجها وتقيم في بيته ولا يجوز لها ان تبيعه بل يبقى لاولادها بعدها

١٧٢ واذا كان زوجها لم يعقد لها على شيء يعاد مهرها اليها وتاخذ من الارث مثل سهم احد الاولاد فاذا آذاها اولادها حتى اضطروها للخروج من البيت فالقاضي ينظر في الاسباب فاذا وجد الاولاد مخطئين بقيت في البيت . واذا هي ارادت الخروج من

تلقاء نفسها تركت لاولادها كل ما عينه زوجها لها وانما يبقى لها المهر الذي اتت به من بيت ابيها وتتزوج من شاءت

١٧٣ اذا تزوجت تلك المرأة رجلاً آخر وولدت منه اولاداً ثم ماتت فاولادها القدماء يرثون مهرها مع هؤلاء

١٧٤ فاذا لم تلد لزوجها الجديد فمهرها لاولادها

١٧٥ اذا تزوج عبدٌ من عبيد القصر (الملوكي) اومن عبيد الموالي فتاة من بنات الاحرار وولدت له اولاداً فليس للعبد المذكور حقٌ في استخدامهم

١٧٦ واذا دخلت تلك الفتاة بعد زواجها الى بيت ذلك العبد ومعها مهر من بيت ابيها وبنيا بيتاً وملكا عقاراً ثم توفي العبد فامرأته تستولي على مهرها وكل ما اكتسباه منذ تزوجا يقسم الى قسمين يستولي مولى العبد على قسم والمرأة على القسم الآخر لاولادها • واذا لم يكن لها مهر تكتفي بنصف التركة

١٧٧ اذا ارادت ارملة ذات اولاد ان تدخل بيتاً آخر فلا تستطيع ذلك الاَّ بمصادقة القاضي بعد ان يتفحص ما خلفه زوجها الاول فيجعله لاولادها بعقد مكتوب وتقيم هي في البيت الجديد مع زوجها ولا يجوزلها بيع شيء مما لاولادها• ومن اقدم على ابتياع شيء منه اضاع فضته لان العقار يرجع لاصحابه

١٧٨ اذا استولت الكاهنة او الناسكة على مهر من ابيها بعقد لايخولها حق التصرف بذلك المهر حسب اختيارها ثم مات ابوها فلاخوتها ان يستولوا على مهرها من حقل او نحوه ويدفعوا اليها كل عام من الحنطة والزيت والصوف ما يكفيها • فاذا لم يعطوها ذلك يرجع اليها حقلها وتعهد به الى من يتولى زراعته لحسابها فتتمتع بريعه وليس لها ان تبيعه او تحوله الى احد بل يرجع اخيراً الى اخوتها

١٧٩ اما اذا خولها ابوها حق التصرف بمهرها فمتى مات ابوها جاز لها ان تورث مهرها لمن شاءت

١٨٠ واذا لم يكن للناسكة مهر من ابيها جاز لها ان تستولي على سهم من تركته كاحد الاولاد تتمتع به في حياتها فاذا ماتت كان لاخوتها

١٨١ اذا نذر الاب بتولية احدى بناته للاله ولم يعطها مهراً ثم مات فلها ان تستولي من تركة أبيها على ثلث سهم الابن تتمتع به في حياتها ثم تتركه لاخوتها

١٨٢ اذا لم يوص الاب بمهر لابنته (زوجة مرودوخ بابل) فبعد وفاته تستولي

على ثلث حصة الابن ولها ان تتصرف بما تملكه وتعطيه لمن تشاء

١٨٣ اذا اعطى الاب لاحدى بناته من جواريه مهراً بعقدٍ وزوّجها فبعد موته لا يكون لها شيءٌ من تركة ابيها

١٨٤ واذا لم يزوجها ولا اعطاها مهراً فبعد وفاته يعطيها اخوتها مهراً على نسبة ثروة ابيهم ويزوجونها

١٨٥ اذا تبنى أحدهم طفلاً وسماه باسمه ورباه فلا يسترجع

١٨٦ اذا تبنى احدهم طفلاً ثم آذى ابويه يرجع الولد الى بيت والدهِ

١٨٧ ان ابن نزيل القصر وابن الناسك لا يسترجعان

١٨٨ اذا تبنى احد الصناع ابناً وعلمه صناعته لا يسترجع

١٨٩ واذا لم يعلمه الصناعة يرجع الى بيت ابيه

١٩٠ اذا احتضن احدهم طفلاً ورباه ولم يعدّه من ابنائه يرجع الى بيت والده

١٩١ واذا تبناه ورباه وبنى بيتاً وصار له اولاد آخرون وأراد ان يتبرأ من ابنه المذكور لا يستطيع بل يأخذ هذا الابن من مال ابيه ثلث حصة الولد ويذهب . وأما العقارات فليس له منها شيءٌ

١٩٢ اذا قال ابن نزيل القصر او ابن الزاهد لحاضنه او حاضنته « لستَ ابي او لستِ أمي » يقطع لسانه

١٩٣ واذا احتقر بيت احدهما وأراد الذهاب الى بيت والدهِ تقلع عيناه

١٩٤ اذا عهد ابوان بابنهما الى مرضع ومات بين يديها فارضعت من لبنها طفلاً آخر بغير علمهما تحاكم ويقطع ثدياها

١٩٥ اذا ضرب الولد اباه تقطع يداه

١٩٦ اذا فقأ احدهم عين رجل حرّ تفقأ عينه

١٩٧ اذا كسر احد عظم رجل حرّ يكسر عظمه

١٩٨ اذا اتلف احد عين مولى او كسر عظمه يغرم مناً من الفضة

١٩٩ اذا اتلف عين عبد او كسر عظمه يدفع نصف ثمنه

٢٠٠ اذا خلع احدهم سن رجل من طبقته يخلع سنه

٢٠١ اذا خلع سن مولى يدفع ثلث منّ من الفضة

٢٠٢ اذا ضرب رجل رجلا اعلى رتبة منه يجلد جهاراً ستين جلدة بسوط

من جلد البقر (كرباج)

٢٠٣ اذا ضرب رجلٌ ابن رجل حرٍ مثلهُ يدفع مناً من الفضة

٢٠٤ اذا ضرب مولى مولى يدفع عشرة شواقل فضة

٢٠٥ اذا ضرب احد العبيد ابن رجل حرّ تقطع اذنه

٢٠٦ اذا تشاجر رجلان وجرح أحدهما الآخر يقسم الضارب انه لم يتعمد جرحه ويتكفل بمعالجته على يد طبيب

٢٠٧ واذا مات من جرحه يقسم أيضاً فاذا كان حرًّا يدفع نصف منّ فضة

٢٠٨ واذا كان ابن مولى دفع ثلث منٍ من الفضة

٢٠٩ اذا ضرب رجل ابنة رجل حرّ فاسقطت سقطها من ضربه يدفع عشرة شواقل فضة ثمن السقط

٢١٠ واذا ماتت تذبح ابنته

٢١١ واذا كانت المرأة من الموالي يدفع الضارب خمسة شواقل

٢١٢ واذا ماتت يدفع نصف منّ من الفضة

٢١٣ واذا كانت امة وأسقطت يدفع الضارب شاقلين من الفضة

٢١٤ واذا ماتت دفع ثلث منّ من الفضة

٢١٥ اذا عالج طبيب رجلاً فشفا جرحه بسكين من معدن أو شقّ له دملاً بسكين من معدن أو شفى عينه يقبض منه عشرة شواقل فضة

٢١٦ واذا كان المريض من الموالي يدفع خمسة شواقل

٢١٧ واذا كان عبداً فصاحبه يدفع شاقلين من الفضة

٢١٨ واذا عالج الطبيب مريضاً بسكين من معدن أو فتح له دملاً فاتلف عينه تقطع يداه

٢١٩ واذا عالج الطبيب عبداً فاماته عوض على صاحبه بعبد مثله

٢٢٠ واذا أتلف عينه فقط دفع نصف ثمنه

٢٢١ اذا عالج الطبيب عظماً مكسوراً أو شفى لحماً مريضاً فله خمسة شواقل فضة

٢٢٢ فاذا كان المريض مولى دفع ثلاثة شواقل فقط

٢٢٣ واذا كان عبداً فصاحبه يدفع عنه شاقلين

٢٢٤ اذا عالج طبيب بيطريّ ثوراً أو حماراً لجرح أليم وشفاه فصاحبه يدفع سدس شاقل فضة

٢٢٥ وإذا أماته غرم بربع ثمنه

٢٢٦ اذا وسم واسمٌ عبداً بسمة العبيد الذين لا يباعون ولا يوهبون تقطع يده

٢٢٧ واذا أغرى أحدهم واسماً على ان يسم عبداً بتلك السمة فالمغري يذبح ويدفن في بيته ويقسم الواسم انه لم يفعل ذلك عمداً فيعفى

٢٢٨ اذا بنى بناءٌ بيتاً لرجل فله عن كل « سار » (مساحة) شاقلين فضة

٢٢٩ فاذا جاء البيت مختلاً وسقط على صاحبه وقتله يقتل البنّاء

٢٣٠ واذا سقط على ابن صاحبه وقتله يقتل ابن البنّاء

٢٣١ واذا سقط على عبده وقتله يعوض عليه بعبد مثله

٢٣٢ واذا اتلف بسقوطه أمتعة فيعوض البنّاء عن المتلف ويبني البيت من ماله

٢٣٣ اذا شاد البنّاء بيتاً ولم يحسن بناءه وسقط أحد جدرانه أقامه من ماله

٢٣٤ اذا بنى نجّار لرجل سفينة محمولها ستون طناً فاجرته شاقلان من الفضة

٢٣٥ فاذا جاءت السفينة مختلة وتعطلت في تلك السنة فالنجار يتفحص السفينة ويرمّها من ماله ويعيدها الى صاحبها

٢٣٦ اذا أجّر الرجل سفينته الى نوتي فاغرقها من اهماله فعليه مثلها

٢٣٧ اذا استاجر احدهم سفينة وسقها حنطة او صوفاً او تمراً او غير ذلك وغرقت من اهمال النوتي فانه يغرم السفينة ومحمولها

٢٣٨ اذا اغرق النوتي سفينة ثم اخرجها من الماء يدفع نصف ثمنها

٢٣٩ اجرة السفينة ستة جورات في السنة

٢٤٠ اذا صادمت « نخيرتو » (ضرب من السفن) « مكيلبتو » (ضرب آخر) فصاحب السفينة الغارقة يطلب ما خسره امام الاله ويقوم صاحب السفينة الاخرى بتأديته

٢٤١ اذا حجز احدهم ثوراً يدفع ثلث منّ فضة

٢٤٢ اجرة ثور الجرّ ستة جورات حنطة في السنة

٢٤٣ اجرة البقرة الحلوب ثلاثة جورات حنطة في السنة

٢٤٤ اذا استاجر احدهم ثوراً او حماراً وافترسه الاسد في البرية فلا يطالب به

٢٤٥ اما اذا مات من ضرب المستاجر او اهماله فيعوض الخسارة بمثلها

٢٤٦ واذا استاجر ثوراً وكسر رجله او قطع قفا عنقه عوض بدله

٢٤٧ واذا خلع عينه دفع الى صاحبه نصف ثمنه

٢٤٨ واذا كسر قرنه او قطع ذيله او اتلف كامه يدفع ربع ثمنه

٢٤٩ واذا مات الثور بضربة من الاله فيحلف المستاجر على ذلك و يعفى

٢٥٠ اذا هجم ثور معتوه على رجل وقتله نطحاً فتلك حادثة لا جزاء فيها

٢٥١ فاذا كان صاحب الثور عارفاً بميل ثوره الى النطح ولم يفلّل قرنيه ولا حبسه فاذا نطح رجلاً حرًّا وقتله دفع نصف منّ فضة

٣٥٢ فاذا كان المقتول عبداً دفع ثلث منّ

٢٥٣ اذا عهد احدهم بحقله الى آخر ليقيم فيه ويزرعه واعطاه حبًّا لغرسه وثيراناً فاذا سرق الحب او الغرس تقطع يداه

٢٥٤ واذا استلم الحب وأتعب الثيران غرم بحنطة معزوقة

٢٥٥ واذا اجّر الثيران للجرّ او سرق الحب يدفع عن كل مئة «جان» ستين جوراً

٢٥٦ فاذا لم يقم بالتعويض أُقيم في الحقل مع الماشية

٢٥٧ اجرة الفاعل في الحقول ثمانية جورات حنطة في السنة

٢٥٨ واجرة الراعي ستة جورات في السنة

٢٥٩ اذا سرق احدهم ساقية يدفع ثمنها خمسة شواقل فضة

٢٦٠ واذا سرق شادوفاً او معزقة يدفع ثلاثة شواقل

٢٦١ اجرة راعي الماشية ثمانية جورات قمح

٢٦٢ اذا ... انسان او ثور او .. (ممحو)

٣٦٣ اذا اضاع ثوراً او خروفاً كان في عهدته غرم بمثله

٢٦٤ اذا استرعي راعٍ ماشيةً وقبض اجرته فاذا نقصت الماشية او تناقصت الذرية فعليه القيام بما تعهد به

٢٦٥ فاذا كذب الراعي او غشّ او باع يعوض عشرة اضعاف ما اخذه

٢٦٦ اذا اصيب القطيع بضربة من الآلهة او سطا عليه اسدٌ فالراعي يقسم امام الاله وهو بريء

٢٦٧ فاذا كان الراعي هو السبب في الخسارة فعليه تعويضها

٢٦٨ اجرة الثور للدراس عشرون «كا» من الحنطة

٢٦٩ اجرة الحمار للدراس عشرة كا آت حنطة

٢٧٠ اجرة صغار الدواب للدراس كا واحد من الحنطة

٢٧١ اجرة الماشية والعربة (للنقل) والسائق ١٨٠ كا حنطة في اليوم

٢٧٢ واجرة العربة وحدها ٤٠ كا حنطة في اليوم

٢٧٣ اجرة الفاعل من اول السنة للشهر الخامس ست حبات فضة في اليوم ومن الشهر السادس الى آخر السنة خمس حبات في اليوم

٢٧٤ اما اجور الصناع فللخزاف خمس حبات فضة وللخياط خمس وللبناء ... وللنجار اربع حبات والحبَّال كذلك ...... في اليوم

٢٧٥ اجرة ... ثلاث حبات فضة في اليوم

٢٧٦ اجرة مخيرتو (سفينة) حبتان ونصف

٢٧٧ اجرة السفينة التي تحمل ستين طنًا سدس شاقل فضة في اليوم

٢٧٨ اذا اشترى احدهم عبدًا واصيب العبد بمرض قبل مضي الشهر اعاده الى البائع

٢٧٩ اذا اشترى احدهم عبدًا وعليه دعوى فالبائع مسئول عنها

٢٨٠ اذا اشترى احدهم عبدًا في بلدٍ وجاء بلدًا فيها مولى العبد فطلبه فاذا كان من مواليد ذلك البلد اعتق مجانًا

٢٨١ واذا كان غريبًا يحلف الشاري عما دفعه فيؤديه صاحب العبد و ياخذ عبده

٢٨٢ اذا قال العبد لمولاه «لست مولاي» يحاكم وتقطع اذنه

(انتهت الشريعة)

وبعد الفراغ من نص الشريعة على هذه الصورة ذكر حمورابي اعماله وصدق خدمته لمروداخ باصلاح شؤون مملكته وتأمين شعبه وافتخر على سواه من ملوك الارض واطنب بتعقله وحكمته وتقواه وصلاحه وذكر فضله خصوصاً بوضع هذه الشريعة ثم استمطر الرحمة عليه وطلب مساعدة الآلهة له في اعماله في كلام يطول ايراده — وسنأتي في الهلال القادم على ما نرى تعليقه من الملاحظات الاجتماعية والقضائية على هذه الشريعة

نشوء الانسان

كما يعلله أصحاب مذهب الارتقاء

لامراء في كون الانسان خاضعاً للتغير والنشوء جسداً وعقلاً بدليل ما يشاهد من اختلاف الأبنية والامزجة والعقول والسحنات حتى انك لا ترى شخصاً يماثل آخر ولو فتشت الكون قاطبة • وقد تقدم لنا كلام مستفيض في عدد سابق عن قابلية الانسان للتغير والنشوء فلا حاجة هنا الى التكرار • أما أسباب هذا التغير فلا تزال محجوبة عنا وقد يكشفها المستقبل القريب وغاية ما نعلمه الآن ان لها علاقة بالاحوال الخارجية التي تعرض لها كل نوع عدة أجيال متوالية وذلك من مثل البيئة والمعيشة والجهاد في سبيل الحياة ويعزز ذلك مانشاهده من تغير الحيوانات الاليفة عن البرية لزيادة تغير احوال هذه عن أحوال تلك • ونعلم أيضاً ان تقلب الاحوال يؤثر على الانسان نفس تأثيره على الحيوان فلا غرابة ان يكون الانسان قد تغير كثيراً عن حالته الاصلية منذ أول نشأته بل الغرابة ان يكون قد خلق مستقلاً وحافظ على تمام كيانه رغماً عن تقلبات الايام التي تفوق الحصر عداً مع اننا نرى الارتقاء سنة في المخلوقات واضحة النتيجة في جميع الناميات • ويمكن رد أسباب هذه التغيرات الى بضعة فواعل رئيسية يتفرع عنها ويشاركها كثير غيرها وهي (١) فعل الاحوال الطبيعية مباشرة (٢) فعل طول الاستمرار في استعمال الاعضاء أو اهمالها (٣) توقف النشوء بحيث يترتب عليه ضمور أو فقد الاجزاء (٤) تشارك التغيرات (٥) اتحاد الاجزاء المتماثلة (٦) تباين الاجزاء المتعددة وتنافر الاجزاء المتباينة (٧) التأثير الميكانيكي للاجزاء بعضها على بعض كضغط المهبل على جمجمة الجنين في الرحم (٨) ظهور بعض الصفات المفقودة عوداً الى الاصل كظهور عفر طويلة من الشعر في ابدان قصيرة الشعر مما يدل على ان الانسان متسلسل من أصل ذي شعر كث. ولنبحث الآن في الفواعل الاربعة الرئيسية وهي :

أولاً — فعل الاحوال الطبيعية مباشرة : لا ينكر ان لتغير الاحوال تأثيراً على الاعضاء ولكن لم يتمكن احد حتى الآن من اقامة الدليل الكافي على مبلغ ذلك التأثير كأن يقدر مثلاً مبلغ تأثير سكن الجبال العالية في إطالة القامة او مقدار فعل الهواء التي في مرونة الكريات الدموية ولكن لا خلاف في النتيجة المحسوسة وهي ان جو الجبال

العالية يؤثر في اطالة القامة والهواء التي يحسن الدم وبالتالي عموم الصحة

ثانياً — فعل الاستمرار في استعمال الاعضاء أو اهمالها : من المعلوم ان الاستعمال يقوي العضلات والاهمال يضعفها فاذا تلفت العين فغالباً يضمر العصب البصري واذا تعطل عمل احدى الكليتين تقوم الاخرى به علاوة على عملها الخاص فتتضخم . والعظام تتخن وتطول من حمل الاثقال والكف تعرض بالاستعمال وتصغر بالاهمال وهكذا . وكلنا يعلم ان صانعي الساعات والحفارين ومن ماثلهم من أصحاب الحرف التحديقية يكونون في الغالب حسراً على حين ان الذين يعيشون في الخلاء ولا سيما المتوحشين على الجملة طويلي البصر . وطول البصر يميل بلا ريب الى الانتقال بالارث كما يعلم من انحطاط المتمدنين عن المتوحشين في حدة النظر وسائر الحواس وذلك لان الذرائع التي للتمدنين فضلاً عن الامن وسعة العيش تجعلهم في غنى عن التوسع في استعمال حواسهم كالمتوحشين الذين نظاراتهم عيونهم وحراسهم اذانهم وادلائهم انوفهم فتقوى حواسهم بالاستعمال المستمر

ثالثاً — توقف النشوء : توقف النشوء والارتقاء هو غير توقف النمو كما يتبادر الى الذهن لان الاجزاء التي تتوقف عن النشوء تستمر في النمو مع بقائها في ما يختص بالارتقاء على حالتها الاصلية كما يشاهد في أدمغة المعتوهين (الميكروسفال) اذ تكون جماجمهم اصغر حجماً وتلافيف ادمغتهم اقل اشتباكاً وبشتد بروز النواتي التي فوق حواجبهم مع استطالة الكفين فيشبهون أحط الناس خلقاً . ولا يمكنهم تحصيل قوة النطق ولا الانتباه طويلاً . وهم أقوياء البنية وذوو نشاط وديدنهم التقليد ويحبون القفز وتسلق الاشجار ويصعدون السلالم سعياً على الايدي والاقدام ويعكفون على شم مايصل الى ايديهم قبل أكله ويميلون الى القذارة وبعضهم كث الشعر الى بالغ الحد فيشبهون القردة في غالب اخلاقهم . فأنى اتتهم هذه الاخلاق القردية ان لم تكن في أصل الطبع فاظهرها اختلال الوضع

رابعاً — تشارك التغيرات : قد تشتد العلاقة بين بعض التراكيب في البنية حتى اذا تغير جزء منها شاركه الآخر في التغيير مع جهلنا غالباً أسباب ذلك . وللابنية المتشابهة كالاطراف قابلية لان تتغير معاً فاذا شذت عضلات الذراع عن حالتها الاصلية تميل الى مشابهة عضلات الساق والعكس بالعكس . ومن المعلوم ان العلاقات متبادلة بين اعضاء النظر والسمع وبين الاسنان والشعر وبين لون الجلد ولون الشعر وبين

اللون والبنية . فمن اشتد بياض لونه كان في الغالب ضعيف البصر وقد شاهدت ذلك كثيراً بنفسي والغالب في الهر ان يكون اصم اذا كان لونه ناصع البياض ولا بد للزمان ان يكشف لنا نواميس هذا الارتباط ويوضح لنا سبيل الارتقاء بلا ريب ولا مراء

هذه أهم اسباب التغيرات التي طرأت على الانسان فضلاً عن التغيرات الفجائية التي ندعوها ذاتية لجهلنا أسبابها فقلبته فتقلب لانه ليس في استطاعته ان يتغلب . ولكن لماذا لم ينحط في تقلباته عوضاً عن ان يرتقي الى انسان يتطال الى الرئاسة على جميع ما حوت الاكوان . هذا سؤال يتضح لنا الجواب عليه مما يلي —:

الانتخاب الطبيعي — ومقتضاه بقاء الانسب فالافراد الذين يكونون أقوى بنية واوفر عقلاً يقوون في الجهاد لاجل الحياة على من هم اضعف بنية وأحط عقلاً فيبقى منهم عدد اوفر ويخلفون نسلاً أكثر مما يخلفه غيرهم ويورثون اولادهم متانة البنية وجودة العقل فيتحسن النسل بالانتخاب الطبيعي على حد تحسينه بالانتخاب الارادي كما لو انتقينا اجود افراسنا وازوجناها ببعضها لانتجت نسلاً فائقاً في الجودة . فينتج من ذلك ان الكائنات باسرها ومن ضمنها الانسان آخذة في الارتقاء قسراً لا طوعاً لان الضعيف يذهب فريسة القوي والقوي يذهب فريسة الاقوى كما يشاهد في مملكتي الحيوان والنبات فلا يبقى في الطبيعة الا الانسب سواء كانت مناسبته في بدنه او حيلته او منعته لاي سبب كان . ويهمنا الآن ان نرى كيف سبق الانسان للرضوخ الى فعل الانتخاب الطبيعي بعد ان انتصب وحلت عقدة لسانه ونرجيء الكلام على حالتيه هاتين الى ما بعد ذلك

من المقرر ان الانسان ضرب في الارض طولاً وعرضاً سعياً وراء رزقه فجاب اطراف المعمور ومرّ في حرٍّ وبردٍ وشدةٍ ورخاء وراحةٍ وعناء يستحثه التكاثر على الانتشار حتى ضاقت به البسيطة بما رحبت . فكان كلما زاد بقعةً ينتجع رزقها الى ان تضيق بنسله الدائم التكاثر فيرحل عنها الى غيرها مخلفاً فيها كفوءها وهكذا فمرّ في جهاد دائم مع البيئة والطبيعة هذه تقتله بوعرها و بلقعها وتلك تقرصه ببردها وتشوبه بحرّها فنهض الاقوياء على اشلاء الضعفاء . وكان كلما مرّ الزمان زاد خبرة في تحصيل الغذاء ودفع الاذى فاتسع نطاق علمه تدريجاً موروثاً فتقلب في اطوارٍ عديدة حتى انتهى الى ماهو عليه الآن

انتصاب القامة — اذا التفتنا الى الشمبانزي والاورانج وهما اقرب المخلوقات الى الانسان رأينا هذه القردة تمشي على اطراف ايديها الخارجية اي على عُقَل الاصابع مما يدل على انها اقل مناسبة للمشي من ارجل الكلب مثلاً ولكنها بغاية المناسبة لتسلق الاشجار . وهي تمسك الاغصان والحبال بنفس الطريقة التي نستعملها نحن اي بالابهام مقابل الاصابع . ويمكنها رفع الاثقال المعتدلة الى افواهها وكسر النواة بالحجر . وفتح الاصداف بالابهامين واستخراج الشوك والحسك والحلميات من ابدان بعضها ودحرجة الحجارة او رميها . وقد كان الانسان مثلها حيواناً شجرياً اي متسلقاً الاشجار يدبُّ على الاربع فتغيرت عليه الاحوال فاختلفت طرُق تحصيل قوته وكيفية دفاعه فانتصبت قامته تدريجاً . ويمكننا حتى الآن ان نقتفي اثار انتصابه ولو جزئياً . واول داعٍ لذلك استعمال يده التي تعمل طوع ارادته كما يشاهد الآن في اخوته القرود وكان كلما زاد استعمالها في الدفاع رمياً بالحجارة او طعناً بالعتل وما اشبه ذلك كلما مال الى تقليل تسلق الاشجار وجنح الى تحصيل القوت بطريقة استعمال اليد . ولكي تتحرر الذراعان والجزء الاعلى من القامة يلزم ان يعتمد على قدميه ولذلك غلظت القدمان وتغير إبهامها فوهنت فيه قوة الإمساك طبقاً لمبدإ توزيع الاعمال ولو كان الغورلا قد انقرض لكان الاعتراض على امكان انتصاب القامة قوياً ولكن لا يزال هذا الحيوان حياً وهو الآن في حالة وسطى بين ذوات الاربع وبين الانسان لانه يقف على قدميه ويعدو بهما عدواً متثاقلاً باقل ثبات من الانسان . وبانتصاب القامة واستعمال اليد تحدث تغيرات لا تحصى في الجسد فتتغير السلسلة الفقرية ووضع الرأس ويتسع الهيكل وتثبت القدمان ويضمر الناب لعدم استعماله في الدفاع والنهش لقيام اليد مقامه . ويعزز ذلك ما يشاهد من ضمور ناب ذكور المجترات بعد نبت قرونها . وكلما ضعف استعمال عضلات الفكين بتناول الاطعمة السهلة المضغ يأخذ شكل الجمجمة في الاقتراب من شكل جمجمة الانسان الحالية . وبنمو القوى العقلية ينمو الدماغ والعمود الفقري الحامل للجمجمة . ومن المقرر علمياً ان الجمجمة تتأثر ويتغير شكلها اذا نمت القوى العاقلة او انحطت كثيراً مع بقاء الجسم على حاله او اذا نما الجسد او انحط كثيراً مع بقاء القوى العاقلة على حالها . فيرى ان انتصاب القامة وفقد الذنب ليس بالامر المستغرب لان اقرب القرود الى الانسان لا اذناب لها ويمكنها ان تمشي على الاقدام . اما النطق الذي يعدُّ من مميزات الانسان فيترتب على اتساع الادراك وانتصاب القامة واستعمال اليد بحيث يكثر الاختراع والحاجات ويدعو ذلك الى لزوم

التوسع في التفاهم عما هو عليه الآن في القرود التي لها لغة مختصرة تتفاهم بها

اما جوهر القوى العاقلة في الحيوان فلا يختلف في شيء عنه في الانسان اذ الفرق في الكم لا الكيف . ومن يراقب اعمال الحيوان اجمالاً يرها صادرة عن تعقل ولا سيما فيما يختص بحفظ كيانها

قد تقدم لي كلام مستفيض منذ نحو ثلاث سنوات في الضياء الاغر عن القوى العاقلة في الحيوان فارجيء البحث في ذلك الى فرصة اخرى ريثما يتحقق النبأ الذي وافتنا به مؤخراً جرائد اوربا عما يبديه فرس هرفون اوستن الالماني من الذكاء والتعقل في معرفة الاعداد وتمييز الالوان وهوية الاشخاص الخ . مما ان ثبت اثبت قطعياً ان للحيوان عقلاً متصرفاً وليس غريزة او سليقة كما يسميه علماء الحيوان ولكنه مظروف في ظرف لا يقوى معه على السعة واظهار المدارك العقلية طالما هو مقيد بالاحوال الحالية . وعليه فلو استتبت للقرد نفس الاحوال التي نشأ في وسطها اخوه الانسان لاقتسم الارض معنا وزاحمنا في تقدم العمران

(القاهرة) خليل سعد

الحصار في الحرب

شروطه وقوانينه

نظراً لتحدث الناس بحصار بورارثر في الحرب الجارية ننشر شروط الحصار وقوانينه نقلاً عن كتاب « حقوق الملل ومعاهدات الدول في الحرب » قال :

لا يخفى ان غاية كل مقاتل الاستيلاء على مواقف العدو ومواقعه المحصنة التي هي ركن مكين له في دفاعه . فالاستيلاء عليها يكون اما بحصارها براً أو بحراً أو باطلاق القنابل عليها

(فالحصار البحري) — هو قطع كل اتصال عن الثغور أو المرافيء تجارية كانت أو بحرية وعن مصاب الانهر اذا كانت خاصة بالعدو . والحصار يجب ان يكون بالدوارع الحربية ولا يجوز الاستعانة بمراكب قرصانيـــة . ويجوز التضييق على المحصورين وتعجيزهم حتى يضطروا الى التسليم صاغرين

ويحق للمحاصر الترخيص للسفن المحايدة بالدخول الى الحصون المحصورة . وقد صار للحصار اهمية كبرى في الجيل التاسع عشر وحدث مرارًا كثيرة . وقد تقرر في معاهدة الاستانة سنة ١٨٨٨ بان ترعة السويس هي محايدة ولا يجوز لاي دولة كانت حصارها ...

وكثيرًا ما يرافق الحصار الهجوم على الحصون والقلاع للاستيلاء عليها عنوة واقتدارًا بدون انتظار مفاعيل المجاعة

وأهم حصار حدث في هذا القرن المنقضي حصار سباستبول ١٨٥٤ — ١٨٥٥ وحصار بلافنا ٧٧ - ١٨٧٨ اما البروسيانيون في حربهم السبعينية فقد اكتفوا بتطويق المدن المحصورة وباطلاق القنابل عليها بدون هجوم أو اقتحام على اسوارها ... وبالطبع يحق للمحاصر اطلاق القنابل على حصون العدو وقلاعه ليلاً ونهارًا واحيانًا على المدينة نفسها خوفًا من اطالة الحصار . وهذه الطريقة كثيرًا ما تلقي الرعب في قلوب المحصورين فيحملون قائدهم على التسليم . وقد أوصلت الاختراعات الحديثة رمي القنابل الى درجة فائقة من الاصابة مما جعل لهذه الطريقة خطارة كبرى

وجاء في البند الخامس عشر من تعليمات مؤتمر بروكسل بأنه لا يجوز اطلاق المدافع على مدينة غير محصنة أو مدينة قد استسلمت وفتحت أبوابها للعدو وانما كل مدينة تظهر ثباتًا أو دفاعًا حق الهجوم عليها وجاز حصارها وقد أجمع المتشرعون بالنهي عن اطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك فى الحرب أو الثغور التجارية الغير المحصنة الا اذا كان ثمة ضرورة حربية فوق العادة

وجرت العادة أن يخطر المحاصر أرباب السلطة المحصورة بعزمه على رمي المدينة بالقنابل بدن وجوب تعيين الساعة لكي تتمكن النساء والاطفال والشيوخ من الالتجاء الى ملجأ أمين ولكي تصان كنوز العلم والصناعة والمتاحف في حرز مكين . وهذا الاخطار لم توجبه شرائع الحرب ولكنها عادة جارية . والمفاجأة جائزة اذا وجبت وطالما لم يتم تطويق المدينة لا يحق للقائد المحاصر منع النساء والاطفال

عن الخروج منها

ولما حاصر الالمان مدينة باريس ١٨٧٠ أمطروها ناراً حامية بلا انذار الامر الذي أوجب اعتراض معتمدي الدول الذين ظلوا في العاصمة فأنفذ أقدمهم رتبة الى البرنس بسمارك احتجاجاً على ذلك العمل فأجابه بسمارك بأن الانذار ليس واجباً في شرائع الدول ولا هو عادة من عادات المحاصرين

قال العلامة بونفيس « قد أجمع الكتبة والشراع قبل الحرب السبعينية على وجوب تصويب المدافع على الحصون والقلاع وثكنات الجنود أو كل ما يتعلق بالحركات الحربية فقط كذلك فعل الفرنساويون والانكليز في حصار سباستبول اذ المدينة لا يمسها ضرر رغماً عن اطالة الحصار ولا نذكر متشرعاً تجاسر على القول بأنه يجوز اطلاق القنابل على مباني المدينة المحصورة وعلى معالمها وقصورها اجباراً للجند المحصور على التسليم ومع ذلك قد أجاب الجنرال دي فردر الالماني نواب مدينة ستراسبورج جواباً غريباً حيث قال رداً على اعتراضهم « أنا أعلم أن اطلاق المدافع على مدينتكم تمكنني من قلاعكم وحصونكم فعليكم اجبار القائد على التسليم » ومن الغريب أن المسيو روسين جاكمين المشرع البلجيكي (وزير ملك سيام حالاً) قد أيد هذا الرأي

ولكن اعترض عليه أكثر الشراع حتى من الالمانيين مثل بلونتشلي وجافكن ومارتنس الروسي وغيرهم ويخشى مع ذلك أن يحذو غير الالمان حذوهم في الحروب المستقبلة . فتكون قد تقهقرت المدنية خطوة الى الوراء

وعليه كيفما كانت الحالة فعلى المحاصر أن يجتنب هدم المباني التي لا يفيد تدميرها شيئاً وخصوصاً المعابد والهياكل والكليات والمدارس والمتاحف والمستشفيات على شرط ألاَّ تكون حوّلت بطريقة ما الى ما يعدُّ من مباني الدفاع ويجب على المحصور ان يرفع على قمة تلك البناية علامة ظاهرة يعرفها العدو المحاصر . وقد جرت العادة أن تنصب راية بيضاء عليها رسم الصليب الاحمر فوق المستشفيات وراية بيضاء على الكنائس والمدارس وقد تقدم أنه يجب حينئذ الامتناع من استعمال تلك الابنية لغاية حربية

والا فانها تخسر ثقة العدو ويحق له تدميرها

وقد أجمع الفرنساويون على اتهام الالمان بعدم مراعاتهم تلك القواعد الانسانية في حربهم السبعينية . وكتب العلامة مازير من المجمع العلمي الفرنساوي في مجلة العالمين في ١٥ اكتوبر ١٨٧٠ أن الالمان في حصارهم ستراسبورج تركوا الحصون وصوبوا مدافعهم على المدينة فمطروها بقنابل محرقة وأصابوا الكنيسة الكتدرائية المشهورة ومكتبتها ومستشفياتها . واعتذر الالمان بأن ذلك حدث خطأ من فرق المدفعية فرد حجتهم قائلاً أن خرائطهم كانت دقيقة واضحة فلا يحتمل هذا الغلط وعليه فانهم أحرقوا عمداً ٤٠٠ الف مجلد والفين وأربعمائة مجلد خطي من مكتبتها وقد انتقدت جرائد الالمان نفسها على هذا الصنيع الهمجي

ولكن لما وصلوا الى أسوار باريس أول قنبلة سقطت كانت بجانب البانتيون ولم يستبقوا كنيسة سان سليس وكلية السوربون وكلية الحقوق ومأوى العميان واكثر المستشفيات فاعترضت حكومة الدفاع الوطني على هذا العمل فاحتج الالمان أنه يصعب اصابة الرمي على بعد ٧ أو ٨ كيلومترات . .

ولا يخفى أن الامراض قد تكثر في أيام الحصار و يشتد الضيق والجوع على النساء والاطفال والشيوخ فيضطر القائد المحصور الى اخراجهم من المدينة فيردهم المحاصر على أعقابهم كي يحملوا المحصورين على التسليم . وبحث الشراع فيما اذا كان يجوز اتيان مثل هذا الامر فأجازه بعضهم ومنعه آخرون ولكن الفئة الكبرى ذهبت بجوازه

وأما معتمدو الدول وقناصلها فيحق لهم البقاء في المدينة المحصورة اذا شاؤوا ولهم الخروج منها عند الحاجة ولكن لا يحق لهم المداومة على مراسلة حكوماتهم سرًّا بواسطه الرسل الخاصة . . كذا فعل بسمارك ١٨٧٠ في حصار باريس مع معتمدي الدول الذين بقوا فيها ولم يأذن لهم بمخابرة دولهم الا برسائل جلية مفتوحة على انه اذن في ذلك لمعتمد الولايات المتحدة فقط لغاية سياسية كانت في النفس . انتهى

الشعر العلمي

اتخذ حضرة سليم بك عنحوري الشاعر الدمشقي الشهير خطة جديدة في النظم توخى فيها التعبير عن الحقائق العلمية في قالب شعري يزينهُ الخيال على أسلوب جميل. ومن نظمه قصيدتان احداهما في الشمس عدّد بلسانها ما مرَّ عليها من الادهار منذ كانت سديماً حتى صارت كوكباً . والأُخرى عن لسان الارض والقمر ضمنها ما يعرف من الحقائق الرياضية والطبيعية عن هذين السيارين الى اليوم قال :

الشمس

انا مجلى الكون أُمُّ العالمين(١) مَن نظيري
كلُّ موجودٍ بنوري يستعين في الامورِ
بي ومني كُوِّن الافق المبين مذ دهورِ
لي نظامٌ كم حوى من ملايين ذات نورِ
كلها يجري على مرِّ السنين في قصوري(٢)

كل جرمٍ وحيوةٍ وضياءْ جاء عني
كلُّ ما في الارض طرًّا والهواءْ بعض فني
كلهم يحظى باسي لاجفاءْ لا تجني
أُنعشُ الافلاك عفوًا لارجاءْ لا تمني
أملأُ الارجاءَ صبحاً ومساءْ بالحبورِ

اين حسنُ الغيد من حسني الخصيب وهو باهرْ
هنَّ من ماءٍ مهينٍ لا لهيبْ دام زاهرْ
ذاك حسنٌ زائلٌ عند المشيبْ فهو قاهرْ
وجمالي سرمديٌّ لا يغيب ظلَّ حاضرْ

---

(١) كنايةٌ عن انفصال سائر الاجرام المشتمل عليها النظام الشمسي من الشمس ذاتها

(٢) جمع قصر ويراد بها هنا الابراج والمنازل الفلكية

ان يحل لحظك في وجهي العجيب بلَّق نوري

السديم (١) الاب والام الفضا طاب اصلي
حملت بي منذ بدء الارتقا طال حملي (٢)
ولدتني ذات حرٍّ وضيا زاد فضلي
وانا انتجت اجرام السما دون بعلِ
معجزاتي مالها قط انتها في عصوري (٣)

ألَّهوا الزهرة ثم المشتري عن ضلالٍ (٤)
قد عَمُوا عن مجد عرشي الاكبرِ ذي الجلالِ
ما درى غير مجوس الاعصرِ كُنْهَ حالي
عبدوا مذ الهوفي عنصري باحتفالِ
(لزرادشت) أفضي با سراري عن سروري

حول عرشي موكبٌ فيه غدا مثل محور (٥)
حفَّ بي منجذباً حتى السدى (٦) كل مفخر
كل لونٍ من سنى وجهي بدا فهو مصدر (٧)
هو مرآة البرايا والهدى عنه يؤثر

(١) قد اشتهر المذهب السديمي وكثرت انصاره وخلاصته ان السديم وهو الضباب الرقيق اصل الموجودات كلها (٢) ان الزمان الذي مرَّ بين وجود الشمس في حالتها السديمية وبين صيرورتها ناراً ملتهبة هو ملايين من السنين وهذا المراد من قوله « طال حملي » (٣) لم يطلق اللانهائية لمعجزات الشمس وانما قيدها في عصور حياتها لانها سوف تبرد بعد احقاب متطاولة فيبطل تأثيرها (٤) ان الفينيقيين والرومانيين بل اكثر امم الارض القدماء عبدوا الكواكب اما المجوس فقد تفردوا بعبادة النار التي ترمز عن النار الالهية التي مصدرها الشمس وقد جاءهم بها مشترعهم زرادشت على زعمهم واعتقادهم (٥) ان الشمس قطب دائرة نظامها وكل الاجرام تجري حولها

(٦) السدى سدى الليل او هو السدى عامةً (٧) ان نور الشمس اصل الالوان كلها ولذلك تعليل لا محل له هنا

كلُّ من يطلبُ من دوني جدا   في غرورِ

غانيات الغرب تجلو غمّها   بابتسامي
بينما في الشرق اشباه المهى (١)   في منام
كلما الارضون ألوت جرمها   عن مقامي
زارها ليلٌ بهيمٌ عمّها   بالظلام
والدُّجى يكسب صبحاً قسمها   في المسيرِ (٢)

قد يحولُ البدر ما بيني وبين   بنت مهدي (٣)
كرةٌ يُحجبُ عنها ساعتين   نورُ نجدي
فيقول الناس جهلاً حلّ حَين (٤)   برج سعدي
حيث حوتٌ شدقه كالرافدين (٥)   ثار ضدي
يزعج الافق عويل الثقلين (٦)   لثبوري

وانا اضحكُ في كبد السماءْ   الف مرّهْ
انظر الاولاد تبكي والنساءْ   بالمسرّهْ
يزعرون الحوت هرجاً ومواءْ (٧)   مثل هرّهْ
مشهدٌ يطربُ طفلات الضياءْ   في المجرّهْ (٨)

---

(١) المهى بقر الوحش كانت العرب تشبه بها حسان النساء (٢) في هذه الابيات الخمسة تعليل لتسبب الليل عن انحراف وجه الارض عن الشمس وانه عند ما يستقبلها القسم الغربيُّ من الكرة تظهر الصبح في افقه بينما يكون الظلام قد شمل القسم الشرقيَّ منها (٣) بنت مهدها الارض وفي ذلك كناية عن الكسوف

(٤) الحين . الهلاك (٥) الرافدان دجلة والفرات (٦) الثقلان الانس والجن (٧) المواء صوت الهرة وهي السنور (٨) يريد بطفلات الضياء الانجم الصغار التي تتألف منها المجرّة المعروفة بدرب التبان والدرب الحليبية وقد كان يزعم القدماء من العرب انها نهر في السماء . وفي هذه الابيات حكاية الخرافة الشائعة عند العامة ومدارها ان الكسوف ناشئ عن ابتلاع الحوت لقسم من الشمس فهم يصعدون الى السطوح رجالاً ونساء يزاطون ويصرخون ويضربون بالمطارق ليخيفوا الحوت فيفلت

افدآءٌ عمكم يا أغبياءُ بالشعور

كما ابذله نوراً ونارْ للعوالمْ
نافدٌ من قوَّتي فالاقتدارْ غير دائمْ
سوف يفضي بي الى كهف البوارْ وهو قاتمْ
وساغدو بعد طول الاشتهارْ حلمَ حالمْ
كما رُكّبَ للتحليل سارْ ذا مصيري[1]

منتهى العالم محوٌ وزوال في الحقيقهْ
كما تنظر يمسي كالخيال بدقيقهْ
وثبات الخلق في حال محال بالسليقهْ
تطلب الانفسُ عكس الانتقال لا طريقهْ
انما العلة طبعاً لن تزال في ظهورِ[2]

الارض والقمر

(الارض)

انني بين الدراري كتلةٌ جرمها سيارْ[3]
قذفتني من حشاها شعلةٌ تدهش الابصارْ[4]
أقامُ بينها برّةٌ تقذف الابكارْ

الشمس من فمه ويهرب وفي قوله «ساعتين» لا يريد الحصر بل التقريب والتمثيل فان الكسوف قد يبقى اقل او اكثر

(١) ان العلماء يثبتون ان الشمس تفقد كل يوم بالاشعاع قسماً من حرارتها فسوف يأتي زمان ولعله بعد ملايين من السنين تنفد منها الحرارة فتصبح باردة مظلمة وبزوالها يزول النظام الشمسيُّ بما في اجرامه من الكائنات الحية (٢) ان المادة ثابتة لا تزول في مذهب الماديين واما في رأي اهل الدين فلا شيء يبقى الا الله وهو العلة لكل المعلولات ٣) اشارة الى كونها من سيارات النظام الشمسي (٤) أي انها في الاصل جذوةٌ مقذوفة من جوف الشمس النارية

قد عرتني مذ رمتني حيرةٌ تجلب الاكدارْ
فاذا ضلّت عن امّ طفلةٌ كيف لا تحتارْ

حيرةٌ قد سببت لي دورةً والمشي واجفْ[1]
حول ذاتي لستُ اهدا لحظةً كالرحى الطائف[2]
والاسى يذكي بجوفي لوعةً جمرها قاذف
يبخارٍ صار منهُ حقبةً مدمعي واكفْ[3]
ذي نواميسٌ براها حكمةً فاعلٌ مختار

كل يوم رحتُ اطوى مرَّةً حيزي الفارغْ[4]
ولهيبُ الشوق ينشي ديمةً ذيلها سابغْ[5]
بالنار قد اعارت مقلةً مدمعاً سائغْ[6]
بردت وجهي وقلبي حرقةً ذائبٌ زائغْ
فهو مصهورٌ ويبدي قشرةً بحرها زخّارْ[7]

ابتغي العود الى حجر ذكاء[8] فهو يحييني
هي أُمي عاملتني بالجفاء عند تكويني
ابعدتني وهي تهفو للقاء كي تربيني
وانا العمياءُ من فرط البكاء لا تدانيني
لستُ ارجو في خلاي الاهتداء منتهى الادوار[9]

---

(١) تعليل الاسباب دوران الارض (٢) اشارة الى استمرار دورتها دورة رحوية على محورها الموهوم (٣) اشارة وتعليل تخيليٌ لوجودها في دورها الاول دائمة المطر (٤) اشارة الى انها تتم دورتها على ذاتها مرَّة كل أربع وعشرين ساعة ضمن حيزها الوهمي في الفضاء (٥) تعليل شعري لدوام تراكم السحب بافاقها في دورها الاول (٦) تعليلُ الاسباب بدورة سطحها وتصلبه في دورها الاول مع بقاء باطنها ذوباً نارياً (٧) تعليلُ الاسباب مغموريتها بالماء في دورها الثاني (٨) ذكاء من أعلام الشمس (٩) دلالة على استحالة انضمام الارض الى الشمس ما دام ناموس الجاذبية موجوداً

كل عام بطوافي اقترب من مغانيها[١]
وفؤادي من هيامي يضطرب لتسلا فيها
ثم يبدو حيثما لم احتسب لي تجنيها
وعجيب ان عيني لم يغب وجهها تيها[٢]
وكلانا حبوه مغترب وهو جار الدار

خدع الوهم عقول القدماء هالهم امري
صيّروا قرناً لثور فوق ماء مركزي الدهري[٣]
ثم قالوا هي سطح ذو استواء قام كالقصر
راسخ الاركان والسقف السماء شمسها تجري
جاءهم من بعد (غاليلو) الذكاء مزق الاستار[٤]

كرة تظهر شبه الاستواء في استدارتها[٥]
قد بدا في قطبتيها انزواء عند دورتها[٦]
عالم الافلاك اضحى باهتياء حين رؤيتها
في ضلال وازدواء وعماء إثر فرقتها
ولذا اوفد عنه للعزاء ابهج الاقمار

القمر

هو منها بان عنها وانفصال بعد ماضات[٧]

(١ اشارة الى دوران الارض حول الشمس مرة في كل عام (٢) اشارة الى تقابل وجهي الارض والقمر كل يوم مع حيلولة الابعاد الشاملة الفاصلة بينهما

(٣) ان القدماء كانوا يقولون ان الارض مسطحة والسماء سقفها وهي قائمة على قرن ثور واقفث في الماء فاذا اتعبه حملها نقلها الى قرنه الآخر ليستريح فيحدث الزلزال عن هذا الانتقال وان الشمس تجري من شرقها الى غربها نهاراً ثم تخترق باطنها ليلاً لتعود الى مشرقها في الصباح (٤) غاليلو رجل ايتاليّ هو اول من قال بدوران الارض حول الشمس (٥) اشارة الى كون كروية الارض غير تامة (٦) اشارة الى تسطح قطبتيها (٧ اشارة الى انفصال القمر عن الارض

قد لمت عنهُ بهاتيك العلل | حينما حلّت
نسيت منهُ وليدًا مذ رحل | عينهُ أُعلّت[1]
مذ رأتهُ مقبلاً عاش الامل | والمنى جلّت
هي بنتٌ لم يهذّبها الازل | تعشق الزوّار

يا لهُ غرًّا رآها فاستهام | ندَّ عنهُ الصبر
راح يجري حولها تحت الظلام | ساهرًا للفجر
بطوافٍ بالغٍ حدَّ التمام | مرّةً في الشهر[2]
وسناهُ مرسلٌ يهدي السلام | عن إبان البدر[3]
أبوما بينها عقد وئام | ثابتًا ادهار

كان قبل اليأس من عقد الولاء | مغرمًا ناحل
فاغتدى مذ سرّهُ حسن الرجاء | مزهرًا كامل
بنفحُ المحبوب شوقًا بالضياء | راجيًا آمل
يطمع الاثنان يومًا باللقاء | والمنا شامل
انما الدهر عذولٌ ذو رياء | ماكرٌ غدّار

قد تناست في هواها امها | غادة الافلاك
لم تعد تبكي وتشكو همّها | ثغرها الضحاك[4]
بل ازاحت بالتصابي غمّها | في دجى الافلاك
هو يرجو بعد حين ضمّها | والرجا افّاك
تجتليه الشمس نورًا عمّها | بغية الاصهار

من جرى هذا تراهُ ناحلاً | اكثر الاوقات[5]

---

(١) تلميح الى أقوال العامة ان البدر أعور حسبما يظهر للعين المجردة

(٢) اشارة الى دورة القمر الشهرية حول الارض (٣) أي لا يكون ضياء القمر ساطعاً شاملاً الاّ عندما يكون بدراً (٤) يشير بثغرها الضحاك الى ازهرار الارض واكتسائها بالنبات بعد ان جفّ ماؤها وقل مطرها

(٥) تعليلٌ شعريٌّ لوجود القمر ناقصاً اكثر ليالي الشهر

ثمَّ حيناً تلتقيه شاغــلاً عالم الاموات[1]
فيناديهِ الهوى مستعجلاً «لُمْنى نهزات»
«سوف صرف الدهر يمسي زائلاً وهو ذو غفلات
«قم بنا واسرع الينا مقبلاً وابعث الانوار»

ينفخُ الحبُّ به روح الحيوة بعد ما قد زال
يبتغي من بعد ما امسى رفاتْ بعثهُ في الحال[2]
فيلبيه عـلى اثر العظات ملؤهُ آمال[3]
يلبس الارض على رغم العداة بالضيا سربال
هكذا حال الهوى بالمعجزات يمنح الاعمار[4]

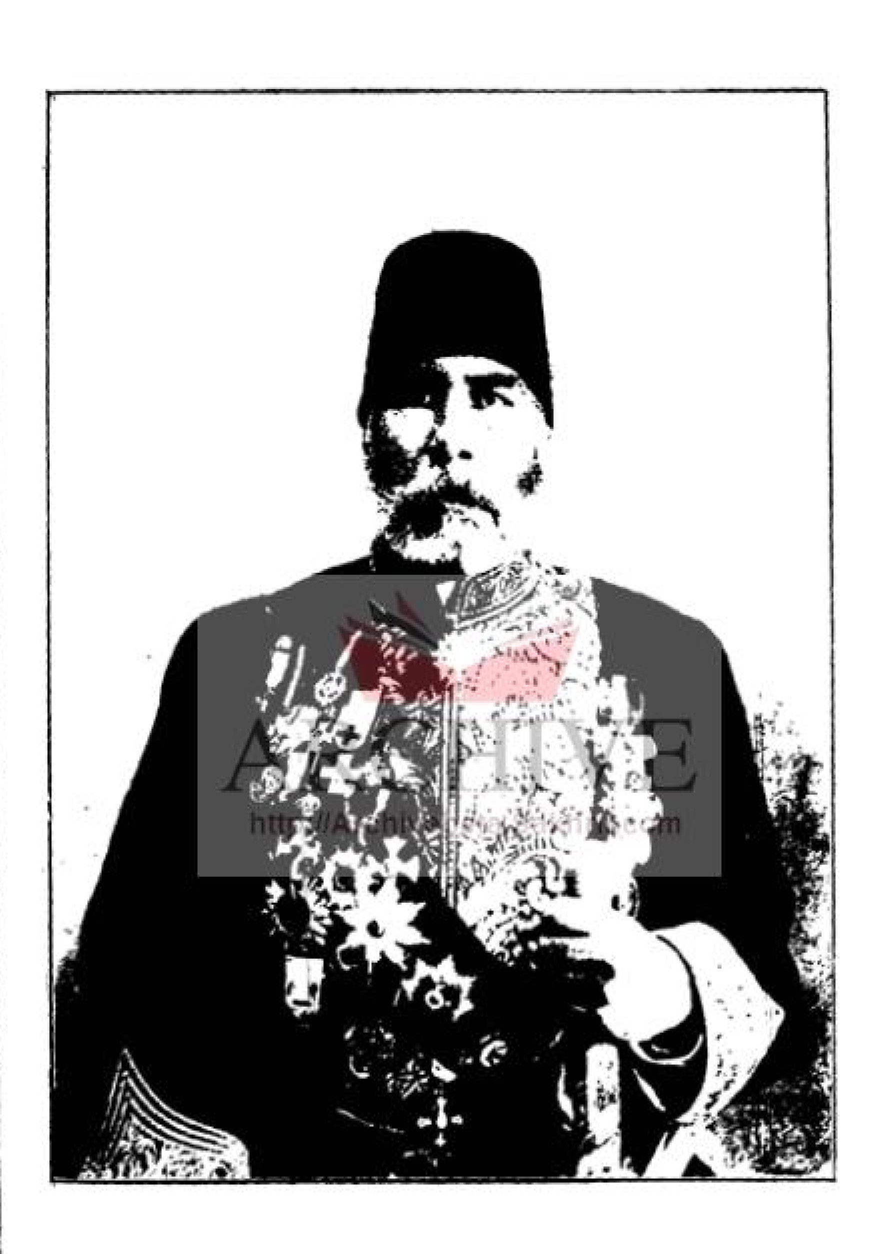
الشمس

واطلعنا لحضرة الياس افندي فياض الشاعر العصري على قصيدة عن لسان الشمس وخالقها ضمنها حكمة وعظة وختمها ببيت مديح واحد يغني عن مئة بيت وهو اسلوب جديد في الشعر • والقصيدة هي :

قال ربُّ الوجود للشمس يوماً وهي تفترُّ في الوجود زُهاء
أيها القوة التي قد بعثنا ها الى الكون تبهرُ الاقوياء

---

(١) اشارة الى محاقه (٢) الرفات بقايا الامم • والبعث النشور اي تجديد الحيوة بعد الموت بأعجوبة ومعجزة (٣) يريد بالعظات ما قاله الهوى منادياً وهي الادوار الموضوعة بين هلالين (٤) يريد ان الحب الذي هو قوام العمران وركن سعادة الانسان هو الذي يجدد حيوة القمر في كل شهر بما يوحي اليه من آياته منتعشاً بأمل الانضمام الى الارض حبيبته وأمه وهذا الانضمام يرجحه أهل العلم بل يجزمون به في هذه الايام



احمد باشا المنشاوي

المحسن المصري الشهير

احمد باشا المنشاوي

ولد نحو سنة ١٨٣٤ وتوفي سنة ١٩٠٤

لم يبق قارئ من قراء اللغة العربية في الاعوام الاخيرة لم يعرف اسم المنشاوي ولم تخلُ جريدة من جرائدها من ذكره مرة او غير مرة على اثر احسانه الذي لم يسمع بمثله في هذه البلاد منذ عدة قرون . ولولا ان خطة الهلال لا تؤذن بذكر تراجم الاحياء او اعمالهم لما خلت اعداده من ذكر مآثره وتعداد احساناته لانه لم يكد يمض شهر لم يأت فيه بمبرّة من وقف او انعام حتى بلغت قيمة ما اوقفه نحو نصف مليون جنيه غير ما كان آخذاً فيه من المشروعات الخيرية العظمى وقد حال الاجل بينه وبين اتمامها فتوفي بغتةً بالسكتة القلبية في مساء الاثنين ١٩ دسمبر الماضي وله من العمر نحو سبعين سنة

نشأ المنشاوي كما ينشأ اكثر اولاد الاغنياء في مصر وخصوصاً في الاقاليم . فلم يتعلم علماً وانما كان همه جمع الاموال واقتناء الاطيان وقد نبغ في عصر النفوذ والوساطة وهو ذكيٌّ كبير النفس شديد الوطأة وتولى وكالة دائرة الخديوي اسماعيل فساعده ذلك على الاستكثار من الثروة باقتناء الاطيان الواسعة . والحقوق يومئذ لم تتعين حدودها وانما كانت القوة هي الغالبة — وهل اغلب ممن يضرب بسيف اسماعيل في ذلك العصر . وكانت البلاد في رخاء والفلاح جاهل جبان والحكومة استبدادية ورجالها اهل مطامع واكثرهم من اولاد الفاتحين او المغاربين من رجال محمد علي وقد جاؤُوا ضفاف النيل وهي كالخراب فعمروها واستأثروا باكثر خيراتها — ولم يكن ذلك عندهم بالامر المنكر . فاشتهر بين رجال تلك النهضة جماعة هم وجهاء مصر واهل ثروتها واكثرهم من العائلة المالكة او من يمتُّ اليها بقرابة او ينتمي اليها بولاية اوخدمة وقلَّ فيهم من اثرى بالحق والعدل والعامة يومئذ لا ينكرون ذلك ولا يكبرونه بل كانوا يتفاخرون بالانتماء الى اولئك الوجهاء او الاختصاص بهم على نحو ما كان الناس في العصور الوسطى . وما زلنا في نحو ذلك الى عهد غير بعيد وخصوصاً بعد الاحتلال فعرف الناس ما لهم وما عليهم ولا سيما الفلاح . وهي اول مرة عدَّ نفسه فيها من

جملة الناس اذ انكسرت عصا الوساطة وتقلص ظل الدالة والوجاهة وتعينت الحقوق وعملت الحكومة على صيانتها . وبعد ان كانت الثروة محصورة في فئة من الوجهاء واهل النفوذ تفرقت في اهل القطر حتى يندر ان ترى فلاحاً لا يملك عقاراً يستغله لنفسه . وبعد ان كان الفلاح ضيعة الباشا او البيك او خادمه اصبح وهو يعلم ان الناس انما يتفاوتون بمناقبهم وحسناتهم وان صاحب الحق سلطان ولو كان فقيراً . فذهبت سيطرة الاغنياء والامراء وذهبت هيبتهم في غير الحق وخصوصاً بعد ان اودع بعضهم السجون كما يودع اضعف الرعية . فصغرت النفوس المتكبرة واذعن الاكثرون للحق واقتصروا على التمتع بغناهم واركنوا الى السكينة فخمد ذكرهم . فمن كان منهم كبير النفس طلاباً للنفوذ تأبى نفسه البقاء في زوايا النسيان اخذ يسعى في الشهرة من طرق اخرى كما فعل المنشاوي . فانه لما تحقق ذهاب النفوذ القديم واصبح لا يملك ان يضرب رجلاً او يحبس غلاماً خاف على الشهرة ان تضيع فتنحصر نفسه الكبيرة في حيز لم تتعوده فعمد الى التوسيع عليها من طريق هو افضل الطرق واشرفها واجداها نعني به الاحسان على حد قول الشاعر

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسانُ

واول ما ظهر اسم المنشاوي في عالم الصحافة مع الاطناب والاعجاب في اثناء الحوادث العرابية (سنة ١٨٨٢) لان مسيحيي الارياف وخصوصاً في الوجه البحري اصبحوا بعد ضرب الاسكندرية وتقهقر العرابيين في رعب شديد وكانوا تحت رحمة الخفراء . ولتمثيل حالهم ننقل مارواه رجل مسيحي فرَّ من الاسكندرية على اثر اطلاق القنابل الانكليزية عليها وطلب النجاة فركب القطار مع عائلته في عربة من عربات الفحم وبعد وصوله الى مأمنه وصف حاله وحال الناس من الرعب قال :

« وقد كان وصولنا الى طنطا بعد ظهر ذلك اليوم (الثلاثاء) فأسكنا النساء والاطفال في بيت احد معارفنا واقمنا الليل ويوم الاربعاء وليله وفي يوم الخميس (١٣ لوليو) عزمنا على السفر فخرجتُ صباحاً لاستعلم عن ميعاد قيام القطار ولم اتجاوز البيت حتى رأيت البلدة تضج بالغوغاء وعلا صراخ النساء وتجمع الناسُ في الازقة

والشوارع يدفع بعضهم بعضاً فسألت عن السبب فأخبرني بعضهم ان الحرب صارت قريبة من طنطا فلذلك ثار المسلمون على النصارى يذبحونهم اينما وجدوهم وينهبون محلاتهم فعلمت انها فتنة تماثل فتنة ١١ يونيو

« ولم اكتف بهذا الفكر دون الوقوف على الحقيقة فتوجهت الى ديوان المديرية وقد اخذ مني الانذهال كل مأخذ وشملت الرعدة جميع اعضائي بوقوع نظري على المناظر الدموية ومشاهدة بني الانسان يقتلون ويجرُّون على الحضيض من ارجلهم كالبهائم المأخوذة للسلخ بعد الذبح

قال « وكان المتجرئون على هذه الفظائع وارتكاب هذه القبائح خفراء المديرية وبعض رعاع اهل طنطا فقد رأيتهم رأي العين رافعين الهراوي على اكتافهم وواقفين للفارين بالمرصاد لا ينجو منهم هارب ولا يرحمون ملتجئاً فسألت عن المدير اين هو وماذا يفعل في مثل هذه الحالة فقيل لي انه مريض او متمارض وقد لزم الفراش فسألت عن وكيله فقيل لي انه موجود في المحطة فانطلقت اليها مسرعاً لاقف على الاحتياطات التي اتخذها لمنع هذه الثورة فوجدته جالساً على كرسي ومن حوله جم غفير من خفراء المديرية (الطوافة) ذوي « النبابيت » وكان من يأتيه من الاروام وغيرهم من المسيحيين مستجيرًا يدفعه الى بعض هؤلاء الخفراء ليوصلوه الى حيث يأمن السوء فيأخذونه ويسيرون به وهو اصفر اللون خافق القلب وبعد ان يبتعدوا به بعض خطوات يقفون ويوقعون به ضرب الهراوي ولكم الايدي ولا راحم له ولا مجير . ثم انهم لا يرفعون ايديهم عنه حتى يقضي عليه وبعد موته تستلمه طائفة ثانية فمنهم من يجرُّه من رجليه ومنهم من يعمد الى رأسه فيضربه بالهرواة حتى تتناثر اجزاؤه ويصير القتيل جسماً بلا رأس . وكل ذلك شاهدته عياناً وما راءٍ كمن سمع » (انتهى عن مصر المصريين)

في مثل هذه الحال يذكرون للمنشاوي مأثرة تداولتها الصحف وذكرت فضله فيها — وذلك انه آوى في منزله مئات من الغرباء المسيحيين وغيرهم واكرمهم وردَّ عنهم الاذى . فلما انقضت الحوادث عرفت الدول له فضله فأنعمت عليه بالوسامات

ونحوها وطار ذكره في العالم المسيحي وتحدثت به جرائده حيناً . ويقول الذين ينتقدون اعماله انه لم يفعل ذلك لمجرد حبه الانسانية وان العرابيين لو رأسوه لانحاز اليهم وانه لم يأخذ بناصر المسيحيين الا بعد تحققه فوز الانكليز وكان يزداد رعاية لهم كلما دنت الجنود الانكليزية منهم — ومهما يكن السبب فقد اتى عملاً مجيداً والناس قلما يعملون خيراً لمجرد حب الخير

ثم سكنت الاحوال وانقضت القلاقل واستتب الامن والظاهر ان المنشاوي كان يتوقع ان ينال من المحتلين بما اتاه من حماية المسيحيين نفوذاً مثل نفوذه في عصر اسماعيل فخاب امله فحوّل عنايته الى اكتساب ذلك بتقربه من الجناب العالي وكان ما كان من حادثة الثور المشهورة التي اراد التقرب بها من سموّه فآلت الحادثة الى حبسه كما هو مشهور. فأحسّ المنشاوي بخلويده مما يروي مطامعه و يؤيد نفوذه و يوسع شهرته فأصبحت نفسه الكبيرة محبوسة محصورة فعمد الى التوسيع عليها بالشهرة — وما تملك اعناق العباد الا الاحسان . فأخذ في ذلك مأخذاً لم يسبقه اليه احدٌ في هذه البلاد وكانت ثروته قد بلغت مبلغاً طائلاً وخصوصاً بعد ارتفاع أسعار الاطيان والاملاك في الاعوام الاخيرة وتقدر أطيانه بعشرة آلاف فدان من أجود أطيان الغربية وغيرها فلا تقل قيمتها عن مليون جنيه فضلاً عن أملاكه العقارية واكثرها في مدينة طنطا وقيمتها تقرب من ذلك . وقد بلغت غلته ١٢٥,٠٠٠ جنيه في العام ولم يسمع بمثل هذا الدخل لاحد من أهل الزراعة بمصر

فلما حدثته نفسه بالاحسان — ومهما يكن السبب الذي حمله عليه — وجه عنايته الى ما يعود بالنفع الصحيح على هذا القطر فجعل اكثر احسانه في سبيل نشر العلم والصناعة واعانة الفقراء واقامة شعائر الدين فبلغ مجموع الوارد الموقوف على ذلك نحو ٤٠,٠٠٠ جنيه منها ريع خمسة آلاف فدان وقفها في أواخر العام الماضي على أن تفرق كل سنة على هذه الصورة :

جنيه مصري	
٥,٢٥٠	لنشر العلم بانشاء المدارس . وقد أحال النظر في ذلك وتدبيره الى جمعية العروة الوثقى . منها ٢٥٠ جنيه تدفع لنظارة المعارف لتعليم الاولاد المعلمين

جنيه مصري	
	في مدرسة طنطا الاميرية واشترط ان كل فتاة تخرج من مدرسة البنات يصرف لها خمسون جنيهاً الى مئة لتبتاع بها جهازاً لزواجها وهي مبرة تذكر . ومن ذلك المبلغ ٣,٥٠٠ جنيه تنفق لمدرسة محمد علي الصناعية و٤٠٠ جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية
٢,٠٠٠	لطلبة العلم بالجامع الاحمدي بطنطا غير الخبز الجاري لهم
١٠٠	لعلماء ومجاوري جامع سيدي ابراهيم
٠٥٠	لقوم يقرأون القرآن كل ليلة جمعة عن روحه وروح حرمه
٢٥٠	ثمن خبز لفقراء دمياط
١,٠٠٠	تنفق على المسجد الذي أوصى بانشائه في طنطا لطلبة العلم كما سيأتي
٥٠٠	تنفق على مدفنه ومدفن حرمه لقراء يقرأون كل ليلة القرآن وثمن فواكه ومرطبات للفقراء . منها عشرة جنيهات ثمن ثلج
١,٠٠٠	صدقات العيدين منها ١٥٠ جنيهاً ثمن لحم للفقراء و ٦٠٠ لكسوتهم
٢,٠٠٠	لنفقات المستشفى المسمى مستشفى منشاوي
١,٥٠٠	للتكيه ثمن طعام وكسوة للمقيمين فيها ولقاصدي الحج
١,٠٠٠	للمكاتب التي أنشأها ببلاد دائرته ومزارعه لتعليم الاطفال
٧٣٢	ثمن طعام للضيوف الواردين على القرشية
٢,٠٠٠	لأقربائه الأقربين على شرط ان لا يرتكب أحد منهم محرماً
٥٠	لمشائخ الطرق المعلومة بمصر
١٥٠	لخدمة المسجد الاحمدي والكفيفي البصر
١,٠٠٠	لاقامة الشعائر الدينية بمساجده في الجهات
٢٤٠	لعلماء الجامع الاحمدي الذين لا ينالون مرتباً من الحكومة
٢,٠٠٠	تنفق على اشخاص مقربين منه ومن حرمه ويستمر ذلك لاولادهم بعدهم
٢١,٠٩٢	الجملة

وقد طلب من الحكومة اعفاء ٦,٠٠٠ فدان من اطيانه من الضرائب ليتبرع بريعها على الفقراء

ووهب عدة فدادين وابنية في طنطا وغيرها لعمل البر منها :

(١) قطعة في طنطا لبناء مسجد

(٢) « « « لمنافع المسجد

(٣) « « « لبناء مدفن له ولحرمه

(٤) « « « لبناء ملجأ للفقراء وعابري السبيل

(٥) « « « لبناء مستشفى باسمه

(٦) « « « لبناء ملجأ ومدرسة لليتامى والمساكين وتعليمهم

(٧) « « « لبناء مدرسة للتعليم والتربية

(٨) « « « لبناء مدرسة للصنائع للبنين والبنات

(٩) قطعة ارض وهبها للجمعية الخيرية الاسلامية لتبني مدرسة فيها

(١٠) قصره في القرشية وهبه أيضاً لهذه الجمعية • وتقدر قيمة هذه الهبات بنحو عشرين الف جنيه ما عدا نفقات مبانيها

وقد جعل النظر في هذه الاوقاف لنفسه في أثناء حياته فاذا توفي صار النظر فيها الى حرمه وحضرة بسيوني بك الخطيب ومن بعدهما الى ذرية بسيوني بك فاذا انقرض جميع الموقوف عليهم يأول ريع هذا الوقف نصفه الى الدولة العلية ينفق في مصالحها وعلى الاولاد الذين قتل آباؤهم في الحرب والنصف الآخر لجمعية العروة الوثقى الاسلامية • واوصى لمن قضى في خدمته عشرين عاماً بمعاش كامل ولمن خدم عشر سنين بنصف معاش • وان يؤخذ من ريع الاطيان الموقوفة نصف جنيه من كل فدان لاجل تسليفه للمزارعين المجاورين له بدون ربا • وكان في نيته مشروعات أُخرى لم يتمكن من اتمامها وفي جملة ذلك أنه كان مفكراً في انشاء مدرسة كلية كبرى فعاجله الاجل قبل اخراج هذا الفكر الى حيز العمل • فضلاً عن تبرعاته الوقتية للمشروعات الوطنية وغيرها كالسكة الحجازية وغير ذلك مما يفوق الحصر

وهو حائز على رتبة روملي بكلربكي والوسام المجيدي الاول ووسام الاسد والشمس من شاه العجم واوسمة كثيرة من ملوك اوربا وجمعياتها • وقد توفي عن ولدين أحدهما في سجن طرا والثاني يقيم في القاهرة وابنة متأهلة بقريب وكيله بسيوني بك الخطيب

الاشهر الشمسية

《 فونديلك · اميركا 》 شكري افندي أبو خزعل

و 《 سلينا كروس · المكسيك 》 سعيد افندي اسبر عبود

نراكم تسمون الاشهر الشمسية باسمائها الافرنجية (يناير فبراير مارس الخ) فلماذا لا تسمونها بأسمائها العربية (كانون شباط اذار الخ) والهلال من انصار النهضة العربية ويحث على احياء هذه اللغة

《 الهلال 》 يتبادر الى أذهان كثيرين من أهل اللسان العربي ان استخدام كتاب مصر للاشهر الافرنجية (يناير فبراير الخ) خروج عن حرمة هذا اللسان لانها أسماء افرنجية ويزعمون ان الاسماء السورية أي التي تستخدم في سوريا والعراق (كانون شباط الخ) عربية . والحقيقة ان هذه ليست من العربية في شيء بل هي عبرانية أو كلدانية وبعضها فارسي ولكننا ألفناها لكثرة ورودها في كتب المسلمين لان المؤلفين الذين ذكروها منهم أكثر عدداً من الذين ذكروا تلك . والسبب في ذلك ان الاشهر السورية دخلت اللسان العربي قبل الافرنجية لانها كانت شائعة في العراق وسوريا وهما أول ما فتحه العرب من البلاد المتمدنة . ولما نشأ التمدن الاسلامي كان اكثر المؤلفين من أهاليها . وأما الاسماء الافرنجية فقد دخلت اللسان العربي على طريق الاندلس فاستخدمها الاندلسيون على أثر تمدنهم وهو تابع لتمدن العراق وكتاب الاندلس قليلون فلم يشع استعمالها . ولعلها جاءت مصر مؤخراً على يد أهل البندقية لما كان لهم من العلاقات التجارية بمصر في الاعصر الوسطى . ثم تمكنت بعد ذلك بما أدخلته الحكومة المصرية في عهد العائلة الخديوية من الاصطلاحات الافرنجية فشيوع الاشهر الافرنجية على أقلام الكتاب في مصر لا يعدُّ خرقاً في اللغة العربية فانهم أكثر امم الشرق دفاعاً عنها وحرصاً على صيانتها

واليك تحليل معاني الشهور السورية والافرنجية :

《 الاشهر السورية 》 (١) شباط . هو الشهر الحادي عشر من الشهور العبرانية ولم يرد ذكرهُ في التوراة الا مرة واحدة في سفر زكريا ص ١ ع ٧ وأصل

لفظه في العبرانية والسريانية يفيد السوط أو الضرب بالسوط ولا نعلم العلاقة بين هذا المعنى واسم الشهر

(٢) اذار . هو الشهر الثاني عشر من السنة العبرية الدينية وأصل معناه في اللغات السامية الحصاد او البيدر والظاهر انهم أرادوا به في الاصل الشهر الذي يحصل فيه الحصاد

(٣) نيسان . هو أول الشهور العبرية ويمكن رده الى (نص) في العبرانية ومعناها زهرة . ويظهر من دخول لفظ نيسان في اللسان العبراني بعد السبي أنها ليست عبرانية الاصل وقد تتبعها بعضهم الى أصل فارسي قديم مركب من لفظين (نَوْ) جديد و (اسان) يوم أي اليوم الجديد وهو في لغة الزند (نواسان) اليوم الجديد و يراد به أوَّل يوم من السنة الجديدة لان نيسان أوَّل شهور السنة عندهم

(٤) ايار . هو الشهر الثاني من السنة عندهم مشتق اما من (أور) في العبرانية أشرق فهو شهر الاشراق أو من أصل فارسي معناه الربيع

(٥) تموز . هو بالاصل اسم لاله سوري يماثل الاله ادون في فينيقية وكانوا يحتفلون به احتفالهم بادون . ويظن بعضهم أن عبادة هذا الاله مقتبسة من المصريين القدماء وعندهم أن تموز هو الاله المصري (أوزيريس) المشهور لاتفاقهما في معظم طرق الاحتفال والعبادة . وكانوا يحتفلون بعيد تموز في الهلال الذي يظهر في شهر يوليو فسموا ذلك الشهر تموز ولا يزال

(٦) آب . هو اسم كلداني الاصل ولم يستعمله العبرانيون الا بعد السبي وكانوا يسمون ذلك الشهر قبلاً الخامس لانه الشهر الخامس من سنتهم الدينية . وأما وجه تسميته آب فان هذه اللفظة مقتطعة من (أبيب) صنبلة و يريدون بها الاثمار عند نضجها وفي القاموس « الأبُّ الخضر والكلأ أو المرعى أو ما أنبتت الارض » والواقع ان في هذا الشهر تنضج الاثمار تمام نضجها

(٧) ايلول . اختلف العلماء في تحليل هذه اللفظة فقال بعضهم أنها كلدانية وقال آخرون أنها فارسية وكلاهما لم يأتنا بالادلة القاطعة على أصلها

(٨ و ٩) تشرين (الأول والثاني) . هو مشتق من أصل كلداني معناه الابتداء ووجه تسميته به أنه أوّل السنة المدنية عندهم كما أنه الشهر السابع من السنة الدينية . وقد وجدوا اسم هذا الشهر محفورًا على آثار مدينة تدمر مع أسماء خمسة أشهر أخرى

(١٠ و ١١) كانون (الاول والثاني) هو كلمة سريانية والاصل في معناها فصل الشتاء على ما رواه القاموس فسموا اكثر أشهر الشتاء مطرًا به وهما الكانونان (دسمبر وينايز)

(١٢) حزيران . لم نقف له على اشتقاق صريح ويغلب على الظن أنه سرياني

﴿ الاشهر الافرنجية ﴾ (١) يناير . سمي كذلك نسبة الى يانوس اله روماني ذي وجهين يريدون أن هذا الشهر ذو وجهين يودع السنة الماضية بوجه ويقابل القادمة بآخر

(٢) فبراير . كانوا يقيمون فيه احتفالاً سنويًا يدعونه فبرواليا

(٣) مارس . نسبة الى مارس والد رومليس باني رومية ولهم على ذلك حكاية لا محل لها هنا وكان هذا الشهر أول شهور السنة عند الرومانيين قديمًا

(٤) ابريل . هو لفظ مشتق من أصل لاتيني يفيد الفتح وقد سموا هذا الشهر به لزعمهم أن الارض تفتح فيه صدرها لاستقبال الاثمار الجديدة

(٥) مايو . سماه روملس حفظًا لذكر كبراء دولته وكانوا يسمون مايورس

(٦) يونيو . وهذا أيضًا سماه روملس بهذا الاسم حفظًا لذكر رجاله لانهم كانوا له عونًا في الحروب وهم من أواسط الناس وكان يسميهم يونيورس

(٧) يوليو . سمي بذلك نسبة الى يوليوس قيصر الشهير لانه ولد فيه وكان يسمى قبلاً كوينتيليس أي الخامس

(٨) أوغسطس . سماه بذلك أوغسطس قيصر الامبراطور الروماني نسبة اليه لانه كان شهر نعيم عليه وعلى جنوده تمت له فيه فتوحات كثيرة وكان يسمى قبلاً سكستس أي السادس . ولكي لا يقال ان شهره أحط مقامًا من شهر يوليوس

قيصر فحط ذلك من مقامه تناول يوماً من فبراير فأضافه الى شهره فصار أوغسطس ٣١ يوماً مثل يوليو وأصبح فبراير ٢٨

(٩ و١٠ و١١ و١٢) سبتمبر واكتوبر ونوفمبر ودسمبر . وهذه الاشهر الاربعة تدل اسماؤها على ترتيبها في السنة القديمة التي وضعها روملس فان أوّل تلك السنة مارس كما تقدم فيكون سبتمبر السابع واكتوبر الثامن ونوفمبر التاسع ودسمبر العاشر وهي معاني ألفاظها في اللغة اللاتينية

أصل سكان أميركا

(حلوان) م . بك ش . و (طنطا) سعد افندي بنايم

ذكر التاريخ ان كولمبوس لما اكتشف اميركا وجد فيها أناساً سماهم الهنود فمن أين توصل هولاء الى تلك القارة ومتى كان ذلك

(الهلال) قد تقدم لنا في الهلال ابحاث في هذا الموضوع غير مرة ونشرنا أيضاً أقوال اهل البحث فيه واليك خلاصتها مما جاء في رسالة للمحترم افندي خليل عبده في كرينفيل بأميركا قال :

«نزح هولاء الهنود الى هذه القارة في أزمنة مختلفة منها قبل الميلاد ومنها بعده . ويغلب على الظن من الآثار الجيولوجية وآثار حضارتهم انهم اتوا هذه القارة في نحو القرن العشرين قبل الميلاد اذ كانت المهاجرات عامة . ففي نحو ذلك الزمن نزح ابراهيم من العراق الى سوريا والرعاة أتوا الى مصر . واليونان والرومان نزحوا الى اوربا . وفي ذلك الحين جاء سكان اميركا في السفن من طريق سيبيريا مجتازين جزر كوريك وهم اقدم سكانها . ثم شاركهم في الانتجاع الى هذه القارة اليابانيون والتتر والصينيون وبعض امم الفيلبين بازمنة مختلفة . ومنهم من جاءها تائهاً زمان الانواء الشديدة في البحر مما يعبر عنه الاوربيون بالتيفون . ومن السفن نوع يسمى تجونك وهو بيوت صينية بجميع لوازمها محملة على السفن . فالمظنون ان عدة من

التجونك جاءت هذه القارة بازمنة مختلفة قديماً مدفوعة بالانواء من الصين الى بريتش كولمبيا والى سواحل كاليفورنيا والمكسيك

« هذه اخص ضروب المهاجرة الى هذه القارة قديماً قبل اختراع الخطوط الهيروغليفية الصينية واليابانية على ما يظن وقبل عصر تمدن الصين القديم . والتار سكان سيبيريا لم تكن عندهم كتابة لا قديماً ولا حديثاً . وهذا هو السبب في بقاء سكان الولايات المتحدة وكندا بلا اثر يخبر عن اصلهم . وبعبارة اخرى لا اثر للتمدن عندهم كغيرهم من هنود جنوب اميركا والمكسيك لانهم كانوا وهم في اسيا من الهمج عيشتهم بدوية يقتاتون على الصيد والقنص . وكانت الاسكا مطروقة عندهم فيأتون منها الى كندا ثم تطرقوا الى الولايات المتحدة بتوالي الاجيال فعاشوا على ما كانوا عليه في بلادهم من الهمجية فلم يبق اثر لتمدنهم . اما هيئات رؤوسهم الطبيعية وبعض اسماء الاعلام عندهم ونوع معيشتهم فتشابه بعض ما في قبائل سيبيريا . ولكن لغتهم احادية المقطع قاصرة لا يمكن المشابهة بينها وبين لغات اهل سيبيريا الاّ قليلاً جداً كما انه لا تقترب لغة زنوج افريقيا من لغة قدماء المصريين مع انهم متجاورون مثل هنود كندا والولايات المتحدة الاميركية .

« أما هنود المكسيك واواسط اميركا فاكثرهم من جالية الصين واليابان وجزائر الفيلبين وترى عندهم التمدن قديماً جداً . واقدم تمدنهم كاقدم تمدن الصينيين وكذلك كتابتهم ونوع ابنيتهم وخرافاتهم وهيآتهم الطبيعية ولغاتهم وعباداتهم وفيها مثل عبادة كونفوشيوس وبوذا . اما علماء الآثار منذ ايام كولمبوس فكانوا يرون تمدن هؤلاء الهنود وتمدن شرقي اسيا نوعاً واحداً ولكنهم لم يتوفقوا الى بينة قاطعة أو نص صريح يقطع باصلهم الى هذه الايام . على انهم عرفوا ذلك الآن

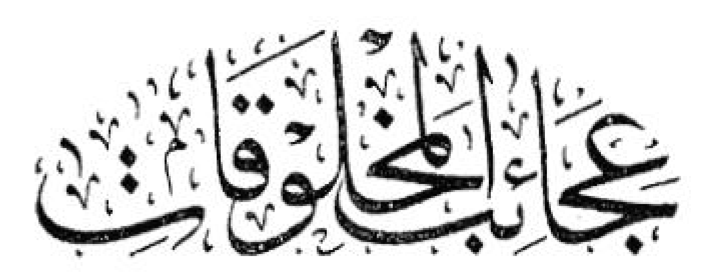
« واول من طرق هذه القارة من سكان غربي اسيا الفينيقيون — قدموا اليها في نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى القرن الرابع قبله . فهم اول من قدم الى هذه القارة من النوع الابيض أو القوقاسي . ويقال ان بعض فضة هيكل سليمان جاء بها الفينيقيون من هذه القارة اي من ارض بيرو وما يقال له الان الجمهورية الفضية .

وان حزقيال النبي ذكر في قوله عن صور في القرن السادس قبل الميلاد ان تجارة صور الفضة من «ترشيش» وليست ترشيش على ما يظن الا اواسط اميركا وان الفينيقيين بعد ذلك سموا اسبانيا ترشيش . أو انهم سموا قارة اميركا ترشيش بعد ان عرفوا اسبانيا بهذا الاسم . وبما ان اسبانيا تكثر فيها الفضة فيرجح ان الفينيقيين سموا اميركا باسم اسبانيا لغنى ارضها بالفضة كما سمى اميركا اهل الصين بهوتشنغ»

ثم ذكر الادلة على قدوم الفينيقيين والصينيين الى أميركا قبل كولمبوس فليراجع ذلك في السنة التاسعة من الهلال

«مقابلات عمومية بين قوات الدول»

الممالك	عدد السكان	الميزانية بملايين فرنكات	الجيش وقت السلم	الجيش وقت الحرب	السفن الحربية	التجارة السنوية	مليارات فرنك
فرانسا	٣٨٠٠٠٠٠٠	٣٥٠٠	٥٦٥٠٠٠	٤٤٠٠٠٠٠	٤٣٠	«	٩
انجلترا	٤٧٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٧٠٠	«	٢٠
المانيا	٥٥٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠	٥٨٠٠٠٠	٤٥٠٠٠٠٠	٢٥٠	«	١١
روسيا	١١٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٢٨٠	«	٤
النمسا	٤٦٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠	٣٥٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠	١٤٥	«	٤
ايطاليا	٣٢٠٠٠٠٠٠	١٧٠٠	٢٨٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠	٢٢٠	«	٣
اميركا	٧٨٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠	٨٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٣٠٠	«	١٠
تركيا	٣٠٠٠٠٠٠٠	٦٠٠	١٨٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	١٠٤	ملايين	٨٠٠
اليونان	٢٣٠٠٠٠٠	١٠٠	٢٦٠٠٠	٨٠٠٠٠	٥٠	«	٢٠٠
البلجيك	٦٧٠٠٠٠٠	٤٠٠	٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠		«	٥٥٠٠
هولاندا	٥٠٠٠٠٠٠	٣٠٠	٢٦٠٠٠	١٥٠٠٠٠	١١٠	«	٦٠٠٠
اسبانيا	١٨٠٠٠٠٠٠	٩٠٠	١٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	١٢٠	«	١٦٠٠
مصر	٩٨٠٠٠٠٠	٣٠٠	١٧٠٠٠			«	٩٠٠
اليابان	٤٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠	٢٧٣٠٠٠		١٢٠	«	١٣٠٠



العصافير النسّاجة والخيّاطة

لا يعجب الانسان مما يراه كل يوم من ظواهر الطبيعة لانه تعوَّد رؤيتها وهكذا كل من شاهد امرًا ولم يعمل فكرته فيه لا ينتبه لما فيه من عجائب التركيب · ولو امعن نظره لدهش بما هنالك من دلائل الحكمة وعجيب الصنعة · فان اوراق الشجر التي تتساقط بين ايدينا بالمئات والالوف ولا نعبأُ بها لو تفحصتَ واحدة منها بالميكروسكوب لرأيت في نسيجها تركيبًا عجيبًا · والجمادات اذا تأملت تركيبها بالميكروسكوب رأيت اكثرها مؤلفًا من بلورات بديعة الشكل · ويقال نحو ذلك في سائر المخلوقات

فقد تعودنا رؤية العصافير تطاير في حدائقنا وترتزق من فضلاتنا ونحن لا ننتبه لها الاَّ اذا اطربنا تغريدها فنلتفت اليها حينًا ثم نتناساها · اما اذا أُتيح لنا درس طبائعها فنرى في كل شيء منها عجبًا · ومن اغرب طبائعها تفننها في بناء عشاشها وهو موضوع هذا الفصل

ان ابسط العشاش ما تبنيه العصافير الاليفة في ثقوب الجدران او السقوف بطينٍ او قش او بهما معًا في شكل الكهف · ثم العشاش كالدهاليز تدخل فيها الانثى من ثقب ضيق الى خلاء كروي الشكل او اسطوانيه يسع بضعة عشر فرخًا تتراكم بعضها فوق بعض · وما في هذه العشاش وامثالها مما يدعو الى الاستغراب وانما الغرابة بما يأتيه بعض العصافير البرية من بديع الصنعة في بناء تلك العشاش على اشكال هندسية جميلة · فمنها طيور تصنع عشها كالجراب تحيكه من قطع القش وتقيمه بين بضعة اغصان · وقد يكون كروي الشكل او اهليلجيه او مخروطيه وله فوهة يدخل منها العصفور الى فراخه · ولو تأملت في جدار العش لرأيته دقيق الصنعة عجيب الصورة · ومن العصافير المشهورة ببناء عشاشها على هذه الصورة نوع يسمَّى تتموس (Titmouse) ومن تبايناته عصفور يعرف بطوبل الذيل وآخر يسمَّى الرقاص او المعلَّق لانه ينسج عشه بشكل مخروطي ويعلقه من قمته بغصن ويفتح في جانبه فوهة ذات عنق يدخل منها الى العش

واغرب من ذلك ان بعض هذه العصافير تصنع لعشاشها ابواباً تقفلها عند الحاجة فهي من هذا القبيل ارقى «عقلاً» من بعض قبائل الآدميين في اواسط افريقيا الذين لا يصنعون لمنازلهم ابواباً . وذكر الموسيو جيردن في كتابه المسمّى «طيور الهند» نوعاً من العصافير اذا آن زمن التفريخ حبس الذكرُ الانثى في عشها واقفل عليها باباً من الطين في بعض جوانبه ثقبٌ ضيق للتنفس ولكي تتناول الانثى الطعام منه بمنقارها . وهمُّ الذكر في اثناء ذلك أن يحمل الى زوجته الطعام مما يلتقطه من الحب ونحوه فتخرج منقارها من الثقب وتتناول ما يحمله اليها بمنقاره فهو لا يلام على فظاظته بحبسها باكثر مما يمدح لحنوه في خدمتها . ولا تزال «الزوجة» محبوسة حتى يتم التفريخ فيتعاون الزوجان على كسر ذلك السجن

وذكر سونرات الرحالة في سياحته الشهيرة طيراً سماه تُتموس الراس (Cape Titmouse) يصنع عشه بشكل القنينة الضخمة او الجرّة . وبجانب الفوهة جيبٌ يجثم فيه الذكر في اثناء التفريخ لحراسة امرأته واولاده وهم في داخل العش . لان الانثى اذا آن وضع البيض دخلت العش واحتبست فيه لا تخرج منه الى تمام التفريخ . وزوجها بدلاً من ان يقفل عليها بالطين فانهُ يدفع الاذى عنها بحراستها في ذلك الجيب كالخفير



(ش ١) العصفور النسّاج وعشهُ ذو الجيب

واذا اراد الزوجان الخروج لغرض ضرب الذكر بجناحيه فوهة العش فتنطبق على ما فيه من الفراخ لحين رجوعهما ويكون في امن من الاعداء في اثناء غيابهما

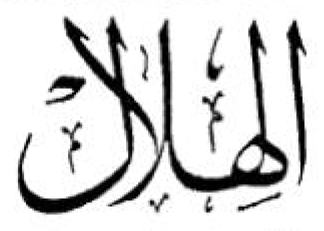
والتموس الراس هذا طباع اجتماعية غريبة فانه يعيش اسراباً يتألف من عشاشها شبه مدينة عامرة حول جزع شجرة ضخم . وقد يجتمع حول ذلك الجزع نحو ٣٠٠ عش صغير فاذا فرضنا في العش الواحد ذكرًا وانثى كان عدد سكان تلك « المدينة » ٦٠٠ نفس . وقد عني الموسيو لفاليان اثناء سياحته في افريقيا بنقل مدينة مثل هذه حملها بضعة رجال من مكانها واقتضى لنقلها في القطار الحديدي مركبة خاصة . فاذا نظرت الى تلك العشاش عن بعد خلتها سقوفاً معلقة بجزوع الشجر والعصافير تلعب فوقها

واغرب مما تقدم ذكره من طبائع الطير ونباهته ضرب من العصافير الطويلة الذيل يسمى بالاصطلاح العلمي (Sylvia sutoria) يخيط عشه خياطة قد يعجز البشر عن تقليدها بالابر المعروفة . وهو عبارة عن ورقة رمحية الشكل كبيرة الحجم ثابتة في منبتها من الغصن يخيط العصفور عليها ورقة اخرى اصغر منها بقطع من عيدان دقيقة على اسلوب عجيب كما ترى في الشكل الثاني

وبعد الفراغ من خياطة العش يحشيه بالقطن لتضع الانثى بيضها عليه ومتى تمَّ التفريخ قضت الفراخ ايامها الاولى على ذلك الفراش الناعم في بيت معلق في الهواء يتحرك باخف نسيم . وفي المتحف البريطاني امثلة من هذا العش والشكل الثاني صورة واحد منها

(ش ٢)
عش العصفور الخياط

الروزنامة السورية للمطبعة الادبية صدرت هذه الروزنامة الشهيرة لسنة ١٩٠٥ وما يقابلها من التاريخين الهجري والرومي وهي سنتها السابعة والثلاثون وقد عرف القراء مزاياها بما فيها من ذكر الاطعمة اليومية على قفا الورق وقد زادتها المطبعة الادبية تحسيناً فاتقنت طبعها بالالوان المذهبة فضلاً عن وضوح الارقام . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة قروش صاغ واجرة البريد قرش ونصف



الجزء الخامس من السنة الثالثة عشرة

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٥ و ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٢

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



محمود باشا سامى ابارودی

رسمه منذ بضع وعشرين سنة

محمود باشا سامي البارودي

ولد سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٤

لم تخلُ مصر في عصر من عصورها القديمة او الحديثة من طبقة في اهلها من «المولدين» وهم المولودون فيها من آباء غرباء حتى في عهد الفراعنة والارجح ان الفراعنة انفسهم غرباء الاصل . وتوالى في وادي النيل طبقات شتى من المولدين ممن نزح اليها على اختلاف عصورها وفيهم الفرس واليونان والرومان والعرب والترك والبربر والجركس والديلم وغيرهم . وكل فئة اذا طال مكثها عدّت نفسها وطنية وعدّت القادمة بعدها غريبة . وآخر فئة توالدت في مصر الجركس والاتراك من بقايا المماليك . والغالب في المولدين من هؤلاء غموض منشأهم لان رباط العائلة كان ضعيفاً فيهم . والرجل منهم انما ينتسب الى مالكه او رئيسه او يعرف بلقب يلقبونه به . فلم يعد تحقيق تلك الاصول ممكناً فيهم

والبارودي صاحب الترجمة من مولدي الجركس بمصر ويؤخذ من صحيفة كانت عنده نشرتها مجلة المنار انه ينتسب الى نوروز الاتابكي الملكي الاشرفي واصله أحد رجال الملك الاشرف قايتباى المحمودي المتوفى سنة ٩٠١ هـ ونستغرب ثبوت هذه النسبة للاسباب التي قدمناها من ضياع اسم العائلة عندهم حتى نوروز هذا فانه لا ينتسب الى ابيه وانما يعرف بانتسابه الى الملك الاشرف ومنها اسمه «الملكي الاشرفي». وقد كان في ذلك العصر جماعة يعرفون بهذا الاسم كل منهم ينتسب الى صاحبه مثل نوروز المنصوري نسبة الى الملك المنصور ونوروز التمرعلائي الاشرفي برسباي نسبة الى الملك الاشرف برسباي وقس على ذلك . وقد بلغنا نقلاً عمن عرف البارودي وعاشره انه كان شديد الحرص على معرفة نسبه وتتبعه الى اصله فبذل مبلغاً طائلاً من المال في سبيل البحث عنه في انحاء القطر ومراجعة النصوص والسؤال من اهل العلم والسن — قالوا انه انفق في ذلك نحو ثلاثة آلاف جنيه

على اننا لا نرى لصحة هذه النسبة البعيدة أو فسادها دخلاً في تقدير فضل الرجل

لأن المرء باصغريه وبما يحدث على يديه . ولكن المشهور ان الفقيد هو محمود باشا سامي ابن حسن بك حسني وكان ابوه هذا من امراء المدفعية في الجيش المصري وجده عبدالله بك الجركسي من الكشاف في اوائل عهد محمد علي والكاشف يشبه مأمور المركز اليوم . وانما اضيف الى اسمهم لفظ البارودي نسبة الى ايتاي البارود لانها كانت في التزام احد اجداده في عصر الالتزامات

ولد صاحب الترجمة في سرايه بباب الخلق سنة ١٨٤٠ وتلقى مبادىء العلم في المدارس الحربية التي انشأها محمد علي وخرج من المدرسة سنة ١٨٥٥ في اوائل ولاية سعيد باشا . وكان من نعومة اظفاره ميالاً الى الادب والشعر فرغب في آداب اللغة العربية فاحرز منها شيئاً كثيراً وظهرت ثمار قريحته وامتاز شعره بالسهولة والبلاغة من عهد شبابه على قلة النابغين من الشعراء في ذلك الحين . فهو من اقوى اركان النهضة الشعرية الاخيرة بمصر

وكان مع ذلك كبير المطامع في طلب العلى — وذلك نادر في الشعراء لرقة احساسهم ولطف مزاجهم وانصراف قرائحهم الى الخيال — ولم يبال بركوب البحار في طلبها فرحل الى الاستانة يلتمس بها منصباً وكان يتكلم التركية وهي لغة اهل الطبقة العليا بمصر في ذلك الحين ولا تزال عند بعضهم الى الآن . فانتظم في كتابة السر بنظارة الخارجية . وكانت اللغة التركية يومئذ في ابان نهضتها فتبحر في أدبها وشعرها حتى نظم فيها القصائد وتعلم الفارسية لمطالعة آداب الفرس واشعارهم ونفسه تحنُّ الى مصر حنين كل من يقيم فيها ويتعود ماءها واقليمها . فاتفق ان الخديوي اسماعيل باشا شخص الى الاستانة سنة ١٨٦٣ على اثر ارتقائه الاريكة الخديوية فدخل صاحب الترجمة في بطانته ورجع معه الى مصر وعاد الى الخدمة العسكرية . فترقى في سنة واحدة الى رتبة بكباشي وانتدب مع جماعة من الضباط لمشاهدة بعض الحركات العسكرية في فرنسا وسافر منها الى لندرا وعاد الى مصر فرقاه الخديوي سنة ١٨٦٥ الى رتبة قائمقام في آلاي الفرسان ثم الى رتبة اميرالاي

ولو أردنا تفصيل ما تقلب فيه من المناصب لطال بنا الكلام فنقول بالاجمال انه

ذهب في جملة الجيش المصري الذي أرسلته مصر لمساعدة الدولة العلية في اخماد ثورة كريد سنة ١٨٦٨ ولما رجع الحق بالحرس الخديوي (الياوران) فأحبه اسماعيل وزاده من قربه فجعله كاتب سره الخاص . ثم عاد الى العسكرية بعد سنتين وكان الخديوي ينتدبه في كثير من الامور المهمة الى الاستانة وغيرها . حتى اذا انتشبت الحرب بين الدولة العلية والروس سنة ١٨٧٧ أنفذت مصر نجدة من جيشها كان المترجم في جملتها مع فرقته وعند رجوعه رقي الى رتبة اللواء . ولم تمنعه رتبة العسكرية من الخدمة في المناصب الادارية فعين سنة ١٨٧٩ مدير الشرقية . واضطربت مصر يومئذ وهي السنة التي اقيل فيها اسماعيل فسبق اقالته اثارة الخواطر بالمنافسة التي جاشت في نفوس الامراء على الولاية وبما كان من تداخل الدول الافرنجية بشؤون مصر الادارية فانتدبت الحكومة صاحب الترجمة لرئاسة الضبطية لحفظ الامن وهدأ الخواطر . فلما أقيل اسماعيل وتولى المغفور له توفيق باشا الخديوي السابق أعاده الى المناصب الادارية فجعله وزيرًا وقلده نظارة الاوقاف فأصلح شؤونها ونظمها — والمرء يتقلب في مناصب شتى ولا بد من شيء يعلق به ذهنه مما ترتاح اليه نفسه أو يدفعه اليه ميله ولهذا الميل دخل كبير في شؤون الامم لان الملك أو الامير اذا كان ميالاً مثلاً للعلم نشط أهله ورفع شأنه واذا كان من أهل اللهو رغب الناس في الملاهي . ويقال نحو ذلك في سائر المناصب الادارية وقد تقدم ان المترجم كان مغرمًا من صغره بالعلم والادب فاهتم في أمر الكتب المبعثرة فى المساجد وجمعها في مكان واحد فلما أخذ المرحوم علي باشا مبارك في انشاء دار الكتب الخديوية كانت هذه الكتب من جملة ما نقلوه اليها

فلما تحركت الخواطر وهبت النفوس في الثورة العرابية كان لصاحب الترجمة شأن كبير في ذلك والناس بين متهم ومبرىء . وقد ذكرنا رأينا من هذا القبيل في تاريخ مصر الحديث وفي الهلال السابع عشر من السنة التاسعة . وخلاصة ذلك ان المترجم كان من جملة المنشطين للحزب الوطني في مطالبهم سرًّا لانه كان ناظرًا للاوقاف كما تقدم فكان يحضر مجلس النظار وهواه مع العرابيين وهو يعتقد ان مطالبهم عادلة .

ورجال المطامع يغتنمون هذه الفرص لنيل المناصب الكبرى وكثيراً ما كانت امثال هذه الحركات سبباً في انتقال الملك من دولة الى دولة اذا وافقت الاحوال وتوفرت الرجال . وفي تاريخ مصر امثلة كثيرة من هذا النوع . اما المترجم فقد كان طامعاً في منصب نظارة الجهادية وما وراءه فكان ينقل الى عرابي ورفاقه من قرارات ذلك المجلس وابحاثه ما يتعلق بهم ليحذروه أو يتهيأوا للقائه مما يطول شرحه . وقد نجح في ما كان يؤمله فتولى نظارة الجهادية ثم رئاسة النظار . فكان له النفوذ الاعظم في تلك الثورة واما عرابي فقد تصدر لها وتظاهر بها عن صدق نية و بساطة — وهي بالحقيقة نهضة سياسية عمرانية لو احسن اصحابها استخدامها او لو تصرفوا فيها بالحكمة والتؤدة لعادت بالنفع على الحكومة والاهالي . ولكنهم اختلفت اغراضهم وتباينت مطامعهم وغفلوا عن العواقب ولم يكن ليغفل عنها الدرب الحازم — ولكن قدر فكان

فلما دخل الانكليز مصر وقبضوا على العرابيين وحاكموهم كان صاحب الترجمة من جملة الذين حكم عليهم بالنفي الى سيلان مع زعيم الثورة وما زال هناك حتى ارجع في جملة الذين ارجعوا منذ بضعة أعوام واختصه الجناب الخديوي بارجاع حقوقه ورتبه . وظل بين اهله وذويه حتى توفاه الله في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ وقد كفَّ بصرهُ

هذه خلاصة سيرته السياسية واما سيرته الادبية فجملها انه كان محباً للادب مطبوعاً على الشعر وشعره من الطبقة الاولى بين شعراء العصر بمصر وكلهم يعترفون له بالتقدم والفضل وله منظومات رنانة سارت بذكرها الركبان ومنها ما جرى مجرى الامثال وفي جملتها قصيدة في السيرة النبوية تدخل في نحو ستمئة بيت على روي البردة مطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحدُ الغمام الى حي بذي سلم

واليك امثلة مما بلغ الينا من منظوماته — قال في وصف الليل من قصيدة بعث بها من جزيرة سيلان الى الامير شكيب ارسلان (نقلاً عن المجلة المصرية)

وترى الثريا في السماء كأنها حلقات قرط بالجمان مرصع

بيضاء ناصعة كبيض نعامة في جوف أدحيّ بأرض بلقع

وكأنها أكر توقد نورها ... بالكهرباءة في سماوة مصنع

والليل مرهوب الحمية قائم ... في مسحه كالراهب المتلفع

متوشح بالنيرات كباسل ... من نسل حام بالجبين مدرع

حسب النجوم تخلفت عن امره ... فوحى لهن من الهلال باصبع

وقال من قصيدة يعزي بها رصيفنا خليل افندي مطران صاحب الجوائب المصرية على فقد عمه حبيب باشا

اعزيك لا اني اظنك عاجزًا ... لخطب ولكني عمدت لواجب

وكيف اعزي من فرى الدهر خبرة ... وأدرك ما في طيه من عجائب

فيا صاحبي مهلا فلست بواجد ... سوى حاضر يبكي لفجيعة غائب

وصبرًا فان الصبر اكرم صاحب ... لمن بان عن مثواه اكرم صاحب

ونظرًا لما فطر عليه من الميل الى الجندية فقد اجاد كثيرًا في نظم الفخريات ومنها ابيات يتمثل بها الناس كقوله من قصيدة عارض بها قصيدة ابي فراس

من النفر الغر الذين سيوفهم ... لها في حواشي كل داجية فجرُ

اذا استل منهم سيدٌ غرب سيفه ... تفزعت الافلاك والتفت الدهرُ

وقوله من قصيدة اخرى

وفيت بما ظن الكرام فراسة ... بامري ومثلي بالوفاء جديرُ

واصبحت محسود الجلال كأنني ... على كل نفس في الزمان امير

اذا صلت كف الدهر من غلوائه ... وان قلت غصت بالقلوب صدور

ومن هذا القبيل قولهُ من قصيدة يصف بها الحرب بجزيرة كريد

والخيل واقفة على ارسانها ... لطراد يوم كريهة ورهان

وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا ... يتكلمون بالسن النيران

حتى اذا ما الصبح اسفر وارتمت ... عيناي بين ربي وبين عمان

فاذا الجبال اسنة واذا الوها ... د أعنة والماء احمر قان

وله من الشعر الوصفي قصيدة يصف بها عصفورًا على غصن وقد ابدع فيه قال :

ونبأة اطلقت عينيَّ من سنةٍ كانت حبالة طيف زارني سحرا
فقمت اسأل عيني رجع ماسمعت اذني فقالت لعلي ابلغ الخبرا
ثم اشرأبت فألفت طائرا حذرا على قضيب يدير السمع والبصرا
مستوفزًا يتنزى فوق ايكته تنزي القلب طال العهد فاذكرا
لا يستقرُّ له ساقٌ على قدم فكلما هدأت انفاسه نفرا
يهفو به الغصن احيانًا و يرفعه دحو الصوالج في الديمومة الاكرا
ما باله وهو في امن وعافية لا يبعث الطرف الا خائفًا حذرا
اذا علا بات في خضراء ناعمة وان هوى ورد الغدران او نقرا
ياطير نفرت عني طيف غانية قد كان اهدى لي السراء حين سرا
حوراء كالريم الحاظًا اذا نظرت وصورة البدر اشراقا اذا سفرا
زالت خيالتها عني واعقبها شوق أحال عليَّ الهم والسهرا
فهل الى سنة ان اعوزت صلة عود تنال به من طيفها الوطرا

وكان اذا عارض المخضرمين او الجاهليين جاء نظمه مثل نظمهم متانة وعلوًّا . فمن قصيدة عارض بها دالية النابغة الذبياني قوله في وصف الفرس :

ولقد هبطت الغيث يلمع نوره في كل وضاح الاسرة أغيدِ
تجري به الآرام بين مناهل طابت مشاربها وظل ابرد
بمضمر أرنٍ كأن سراته بعد الحميم سبيكة من عسجد
خلصت له اليمنى وعم ثلاثة منه البياض الى وظيف اجرد
فكأنما انتزع الاصيل رداءه سلبًا وخاض من الضحى في مورد
زجل يردد في اللهات صهيله دفعًا كزمزمة الحبي المرعد
متلفتًا عن جانبيه يهزه مرح الصبا كالشارب المتغرد
فاذا ثنيت له العنان رأيته يطوي المعاهد فدفدًا في فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة شدًّا كألهوب الاباء الموقد
صلب السنابك لا يمرُّ بجلمد في الشد الا رضَّ فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت يوم الكريهة في المجاج الاربد

وله من قصيدة نظمها في منفاه يصف بها حاله هناك

محا البين ما ابقت عيون المهى مني فشبت ولم اقض اللبانة من سني

عناءٌ ويأس و إشتياق وغربة ألا شدّ ما ألقاه في الدهر من غبن
فان أك فارقت الديار فلي بها فؤادٌ أضلته عيون المهى عني
بعثتُ به يوم النوى إثر لحظة فاوقعه المقدار في شرك الحسن
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كلانا عن اخيه بمستغن
ولما وقفنا للوداع واسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
اهبت بصبري ان يعود نعزني وناديت حلمي ان يثوب فلم يغن
وما هي الا خطرة ثم اقلعت بناعن شطوط الحي اجنحة السفن
فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن
وما كنت جربتُ النوى قبل هذه فلما دهتني كدت اقضي من الحزن
ولكنني راجعت حلمي وردّني الى الحزم رأي لا يحوم على افن
ولولا بنيات وشيب عواطل لما قرعت نفسي على فائت سني

وقال من قصيدة يصف بها حرب الروس :

ادور بعيني لا أرى غير أمة من الروس بالبلقان يخطئها العدُّ
جواثٍ على هام الجبال لغارة يطير بها ضوء الصباح اذا يبدو
اذا نحن سرنا صرّح الشر باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وختم شعرهُ بابيات فخرية نشرتها الجوائب المصرية وهي

انا مصدر الكلم النوادي بين الحواضر والغوادي
انا فارس انا شاعر في كل ملحمة وناد
فاذا ركبت فانني زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني قس بن ساعدة الايادي
هذا وذلك دبدني في كل معضلة ناد

ونظرًا لمنزلته الرفيعة في نفوس الشعراء فقد اجتمعوا على ضريحه في الامام الشافعي يوم الاربعين من وفاته الموافق ٢٠ يناير الماضي ورثوه وابنوه مما لم يسبق لهُ مثيل الا ما يقال عن توافد الشعراء لرثاء المعري على قبره · وسننشر امثلة من مراثي البارودي في مكان آخر من هذا الهلال

تاريخ النهضة المالية بمصر

القطر المصري مشهور بخصب تربته وادرار نيله ولكنهُ تقلب في ادوار مختلفة من العسر واليسر والثروة والفقر تبعاً لاحوال حكومته من العدل والظلم او لاحوال اهليه من العلم والجهل . وآخر ادوار عسره وقوعهُ في سلطة الامراء المماليك الى آخر القرن الثامن عشر . ومنه انتقل الى احدث ادوار يسرهِ في نهضتهِ الاخيرة على عهد العائلة الخديوية . على ان هذه النهضة تمتاز عن سائر النهضات بامور كثيرة اهمها انها مؤسسة على قواعد اقتصادية اجتماعية لم يكن يعرفها القدماء . فالثروة في هذه النهضة متفرقة في الناس على اختلاف طبقاتهم وكلهم متمتعون بحريتهم وحقوقهم الكبير كالصغير والغني كالفقير فهي ثروة حقيقية ثابتة . واما في النهضات الماضية فان الثروة انما كان يحرزها اهل السلطة والنفوذ والوجاهة ويبقى سائر الناس خدماً واعواناً لهم فاذا تبدلت السياسة او تقلبت الاحوال اختفت الثروة وعاد الناس الى الفقر سريعاً

تبدأ النهضة المالية الاخيرة بايام محمد علي في اوائل القرن الماضي واعظم دعائمها الزراعة ثم التجارة . ولكل منهما تاريخ سنأتي على خلاصته في ما يلي . ولكننا نقدم الكلام في وصف مصر قبل عهد العائلة الخديوية تمهيداً للكلام في اسباب تلك الثروة :

﴿ مصر قبل هذه النهضة ﴾ كانت مصر في اواخر القرن الثامن عشر في حوزة الامراء المماليك وهم البكوات المصريون وقد اشتغلوا بالتنازع على السلطة عن النظر في شؤون البلاد فذهب الرعايا ضحية تلك المنازعات فآل ذلك طبعاً الى تقاعد الناس عن العمل وفرارهم من وجه الظلم . فانقضى القرن المذكور وسكان مصر لا يزيدون على ٢,٠٠٠,٠٠٠ نفس ومساحة المزروع من اطيانها لا تزيد على مليون فدان وبعض المليون . والارض يومئذٍ ملك الحكومة وليس للناس الا ان يتمتعوا بريعها وللحكومة حصة من ذلك الريع في مقابل حمايتها او اصلاح شؤونها وهو الخراج . على ان فساد الاحكام في عهد المماليك شغل الناس عن الزراعة فقلّت الجباية فتعسَّر جمعها والحكام في ذلك العهد انما يلتمسون السلطة طمعاً بالمال فعمدوا الى طريقة « الالتزام » وهو تضمين الخراج لاناس يتولون جمعه عن الحكومة ويشاركونها في نفوذها فلا يزيدون الاهالي الا ضغطاً وعسفاً — وذلك ان الحكومة كانت تعرض خراج البلاد بالمزايدة لمن يضمنه من اهل النفوذ فيضمن احدهم بلداً او بضعة بلاد . فاذا وقع عليه المزاد اعطاهُ كبير امراء المماليك المعروف بشيخ

البلد عهداً بذلك يسمونه «تقسيط» ويصحبه بأمر يسمونه «فاميك» وهو عبارة عن خطاب من الحكومة الى اهالي البلد الواقع في التزام ذلك الملتزم توصيهم به ان يطيعوا الملتزم ويؤدوا له الخراج · والملتزم يدفع للخزينة في مقابل ذلك مال سنة معجلاً ويقوم مقام الحكومة في السيادة والامارة في البلاد الداخلة في التزامه · وله ما عدا ذلك بقعة من الارض يستغلها لنفسه لا يدفع عنها شيئاً وتسمى اوسية (جمعها اواسي) وعلى الاهالي ان يحرثوها له ويزرعوها ويحملوا اليه غلاتها بلا اجرة · فضلاً عن منافع اخرى · وكان الالتزام في بادىء الرأي لمدة محدودة ثم جعلوه لمدى العمر فلا ترجع الارض للحكومة الا بعد وفاة الملتزم. فكان الانتفاع بغلة الارض مقسوماً بين الحكومة والملتزمين والفلاح عبد رق يعمل بقوته ويشقى بعمله — فهل يلام اذا قعد به القنوط عن العمل او حمله الخوف على الفرار

اما التجارة فقد كانت في زمن المماليك ضعيفة جداً لانها لا تنمو الا في ظل الامن والعدل · فكانت قاصرة على بعض ما يحمل من محصولات هذه البلاد الى اوربا واهمها الحبوب والسكر والرز وما يقربها من واردات السودان كالصمغ والريش والعاج والسن ونحو ذلك وبعض ما يحمل اليها من المصنوعات الافرنجية من ايطاليا وفرنسا والمانيا وغيرها. ذكر فولني الرحالة الفرنساوي في رحلته الى مصر في اواخر القرن الثامن عشر ان تجارة مصر كان معظمها في ايدي السوريين المسيحيين ثم اهل البندقية والانكليز والفرنساويين · وكانت الجمارك يومئذٍ في الاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس والقصير وفي بولاق ومصر القديمة · وكانت الحكومة تضمن دخل هذه الجمارك كما كانت تضمن خراج الارض والغالب ان يضمنها بعض اليهود · فلما افضت مصر الى علي بك الكبير في اواسط القرن الثامن عشر تحولت ضمانة الجمارك الى ايدي السوريين المسيحيين ولم يكن منهم يومئذٍ في مصر الا عائلات قليلة من اهل دمشق وكانوا يتعاطون التجارة فيها · وفي جملة الذين تولوا ذلك الضمان من السوريين رجل شهير من آل فرعون اسمه انطون

على ان الجمارك كثيراً ما كان يتولى شؤونها امراء المماليك انفسهم وخصوصاً في اواخر القرن الثامن عشر · فان ابراهيم بك ومراد بك اقتسما الانتفاع بها مدة فاختص ابراهيم بك بجمرك السويس وعهد به الى عمال يديرونه بالنيابة عنه واستولى مراد بك على سائر الجمارك فضمنها لبعض اهل الوجاهة · وكانت ايرادات الجمارك نحو مليون ريال بوطاقة او نحو ١٢٠,٠٠٠ جنيه اكثرها تجمع من جمرك السويس

مصر في عهد العائلة الخديوية فلما افضت الحكومة المصرية الى محمد علي باشا في اوائل القرن التاسع عشر عزم على تمكين قدمه فيها لانشاء دولة اسلامية كبرى . ولا يكون ذلك الا بالمال والرجال فوجه انتباهه الى استثمار البلاد بالزراعة والتجارة للقيام بالنفقات اللازمة للتجنيد والتجريد في فتح السودان واكتساح الشام وما وراءها فضلاً عما كلفته به الدولة العلية من قهر الوهابيين وحرب الموره وغيرهما . وتوفق الى مشيرين عقلاء حملوه على الطريق المؤدي الى الثروة الثابتة فاصلح الزراعة ووسع التجارة على ما يأتي

الزراعة لما قبض محمد علي على ازمة البلاد شعر بالمضار الناجمة عن استبداد الملتزمين مع اختصاصهم بقسم عظيم من الاطيان بلا ضرائب وهي الاواسي المتقدم ذكرها . فابطل الالتزامات فعادت الاطيان للحكومة واقفل على الملتزمين باب الارتزاق فرتب لهم رواتب يقبضونها من الحكومة تحت اسم «فايض الالتزام» وترك لكثيرين منهم اواسيهم كما كانت من قبل بشرط ان ينتفعوا بها في اثناء حياتهم ثم تأول الى الحكومة بعد موتهم

اما الاطيان التي عادت الى الحكومة فاهتم محمد علي باستثمارها بالحرث والزرع وهما يحتاجان الى الرجال فمسح البلاد سنة ١٨١٣ ولم يدخل في المساحة الا القرى التي كانت تزرع في ذلك العهد وهي لا تزيد على ربع ما يزرع الان . وفرق جانباً كبيراً من الارض الممسوحة في الفلاحين القادرين على الاستعمار . فاعطى بعضهم ثلاثة افدنة وبعضهم اربعة او خمسة وليس اكثر . فقبل الفلاحون تلك العطايا رغم ارادتهم وهم يفضلون رفضها خوفاً من عجزهم عن تادية خراجها اذ لم يتعودوا العمل لانفسهم . واعطى جانباً آخر من تلك الارض الى مشائخ البلاد لا يزيد مقداره على اربعة في المئة من مساحتها سموها «مسموح المشائخ» . وعين لهم رواتب يقبضونها من الحكومة ليساعدوه في تعمير القطر بحمل الفلاحين على العمل . واعطى قطعاً من الارض الممسوحة ايضاً لبعض كبار رجاله مكافأة على بعض الاعمال . وبقي بقاع كثيرة من البلاد لم تدخل في المساحة ولا يمكن الانتفاع بها الا بعد التعب لبعدها عن النيل فسميت ابعديات فوهبها محمد علي لرجاله المذكورين واشترط عليهم اصلاحها واستثمارها ولم يضرب عليها ضرائب بالكلية . واعطى لاعضاء العائلة الخديوية ابعديات كبيرة تسمى في اصطلاحهم «جفالك» وهي اكبر من الابعديات كثيراً

اما الابعديات التي استولى عليها اهل الوجاهة وكبار الفلاحين واصبحت بعد زمن قصير صالحة للزرع اخذ اصحابها في تاجيرها او تضمينها ومحمد علي يريد ان يستغلوها

بأنفسهم . فلما رآهم لا يصغون اصدر امرًا عاليًا سنة ١٨٣٨ ينهي اصحاب الابعديات عن تاجيرها و يامرهم ان يستثمروها بأنفسهم

وظلت الابعديات والجفالك معفاة من الضرائب الى زمن سعيد باشا فضرب عليها سنة ١٨٥٤ اموالاً عشورية اي صاروا ياخذون منها عشر حاصلاتها وكذلك اطيان الاواسي . وصارت تسمى هذه الاطيان من ذلك الحين اطيانًا عشورية

اما الاطيان الممسوحة التي وزعت في الاهالي فتوالى عليها في عهد محمد علي احوال مختلفة من ثقل الخراج وضرب الضرائب . فضلاً عن ذهاب كثيرين من الاهالي في الحروب لبلاد العرب والسودان والمورة والشام فيطول غيابهم والخراج مفروض على ارضهم فآل الامر الى تراكم المتأخرات عليهم والحكومة في حاجة الى النقود للقيام بمشروعاتها العسكرية وغيرها فاضطر محمد علي الى نحو ما اضطر اليه المماليك قبله من الالتزام فعهد سنة ١٨٤٠ الى بعض كبراء دولته وامراء مملكته وقواد عساكره ممن اثروا في خلال ذلك من غنائم الحرب وغيرها ان يضمنوا خراج تلك الارض فيديرون زراعتها و يستغلونها بشرط وفاء ما عليها من المتأخرات وما يستحق عليها من الضرائب الجديدة وتوعدهم باشد العقاب اذا لم يقبلوا وسميت تلك الالتزامات «عهد سنية» والفرق بين العهد والالتزامات ان المتعهد لم يكن له ان يجبر المزارع على دفع ما هو مربوط على قطعة الارض التي بيده في دفاتر التاريع ولم يكن للفلاح شان في الارض التي يستغلها بل هو اشبه باجير عند صاحب العهدة

فلما تولى عباس باشا الاول رأى لاولئك المتعهدين نفوذاً خاف منه على سلطانه فاصدر سنة ١٨٥٠ امراً بحل تلك العهد وارجاع الارضين الى اصحابها . ولم ينفذ ذلك الامر نفوذاً تاماً الاَّ بعد زمن . فالارض التي مسحت ووزعت على الاهالي لاستغلالها تأخذ عليها الحكومة ضريبة تعرف بالخراج وتسمى الاطيان الخراجية والابعديات والجفالك الخارجة عن المساحة التي انعم بها محمد علي على الامراء والوجهاء والكبراء لما ضربت عليها العشور عرفت بالاطيان العشورية

على ان بعض أصحاب الاطيان الخراجية تقاعدوا عن استغلالها وعجزوا عن اداء خراجها فاصدرت الحكومة سنة ١٨٥٥ امراً تأذن به لمن عجز عن استغلال أرضه ان يتخلى عنها كلها او بعضها . فترك الاهالي جانباً كبيراً من اطيانهم بلغت مساحة ما هو منها في الشرقية والدقهلية فقط ٦٦,٨٦٦ فداناً فكيف في سائر انحاء القطر . وسميت هذه الاطيان «متروك» اشارة الى تركها وعرفت سائر الاطيان باسم «مرغوب» . فقلت بذلك ثروة الاهالي وقلت

الضرائب لان الاطيان المتروكة دخلت في املاك العائلة الخديوية وبعض أعيان البلاد بالبيع او الانعام وتحولت الى أطيان عشورية . وانعمت الحكومة ببعضها سنة ١٨٦٧ على العساكر الاتراك الذين انفصلوا عن خدمة الجيش بعد انقضاء الحروب ليزرعوها ويعيشوا من ريعها واعفتها من كل ضريبة لمدة ثلاث سنوات ثم ضربت عليها الضريبة العشورية

وكانت الحكومة قد انعمت باطيان أُخرى على قبائل العربان المنتشرين حوالي القطر المصري ليزرعوها وانعمت بمثلها ايضاً على بعض المرفوتين من خدمة الحكومة وغيرهم ليعيشوا بها . وما زال الانعام بالارضين جارياً الى آخر ايام اسماعيل سنة ١٨٧٩ فاصدرت الحكومة قراراً من مجلس النظار ان لا تعطى الاطيان بعد ذلك بطريق الانعام . ثم زيدت الضرائب العشورية وكانت قد بلغت مساحة الاطيان المنعم بها بالطرق المتقدمة نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ فدان واصبحت الاطيان التي تبيعها الحكومة تعدُّ من جملة الاطيان الخراجية من ذلك الحين

اما الاطيان الخراجية التي بقيت في ايدي الاهالي فكانوا يعملون بها و يستغلونها وهي ليست ملكاً لهم بالمعنى المألوف الآن بل هي للحكومة وانما للفلاح ان يتمتع بريعها كما تقدم فلما غرقت مصر في الديون على عهد الخديوي اسماعيل وعجز عن تسديدها — وكانت الحكومة العثمانية قد اصدرت سنة ١٨٦٧ ارادة شاهانية ترخص للاوربيين بامتلاك الارضين في سائر انحاء المملكة العثمانية ما عدا الحجاز وان يعاملوا في اداء الضرائب عليها مثل سائر الاهالي مع جواز التصرف بالايقاف والهبة والايصاء على ان يكون تقسيم ما يتركونه من املاكهم بعد الوفاة بحسب الشريعة العثمانية — رأت الحكومة المصرية ان تسدد ديونها بمال تأخذه من اصحاب الاطيان في مقابل تمليكهم اياها . فاصدرت سنة ١٨٧١ لائحة المقابلة وهي ان يدفع ارباب الاطيان اموال ست سنوات عن عموم اطيان القطر المصري وسمت هذا المال « مقابل » او « مقابلة » على ان يدفع دفعة واحدة او على دفعات في مدة لا تتجاوز ست سنوات . وفي مقابل ذلك يخفض مجموع المال السنوي الى النصف على الاطيان تخفيضاً مؤبداً . ومتى تم دفع المقابلة اصبحت الاطيان ملكاً صحيحاً لاربابها يجوز فيها التوارث والهبة والاسقاط والوصايا والوقف . على ان الدفع لم يتم كلّه واعترض ذلك حوادث مختلفة لا محل لذكرها هنا وانتهت بامر عال سنة ١٨٩١ تخوّل الملكية الصريحة في الاطيان الخراجية سواء كان اربابها قد اتموا دفع ما عليها من المقابلة او لا

فترى مما تقدم ان القسم الاعظم من اطيان القطر المصري اتصل الى اصحابه مجاناً وكان

اكثره بعيداً عن النيل يصعب ريّهُ فلما تحسن الري وخصوصاً بعد عهد الاحتلال اخصبت تلك البقاع واصبحت ذات قيم كبيرة واهتم الناس في الزراعة واصلاح الارض البور الخارجة عن الزمام وهي من املاك الميري وقد تقدم انها ابطلت الانعام بها سنة ١٨٧٩ وفي تلك السنة نشرت انها تبيع منها لمن يريد فاقدم الناس على ابتياعها وتصليحها

على ان الحكومة رأت بعد ذلك ان في القطر المصري كثيراً من البراري وحواجز الجبال ومنابت الاخراس والاحطاب القابلة للاصلاح والاستعمار والاستثمار مما لم يسبق له حصر في المساحات العمومية ولا هو داخل في الزمام (المساحة) بوجه من الوجوه ولا هو من املاك الميري فسموه «خارج الزمام» واستصوبت الحكومة اعطاء هذه البقاع بلا ثمن لمن شاء واصدرت بذلك امراً عالياً سنة ١٨٨٤ فأقدم الناس على الطلب وتألفت لذلك الشركات واشهرها شركة السير قسطنطين زرفوداكي التي تألفت سنة ١٨٨٦ فأعطتها الحكومة ٤٩,٠٠٠ فدان في براري حوش عيسى والبوطة بمديرية البحيرة ثم عرفت هذه الاطيان بالاطيان النوبارية نسبة الى الترعة النوبارية التي مرت فيها فأحيتها واصبح معظمها خصباً · وقس على ذلك بقاعاً اخرى احياها الآخرون فزادت مساحة الارض الزراعية في القطر المصري بالتدريج حتى بلغت ما هي عليه الآن

﴿ مساحة الاطيان الزراعية ﴾ كانت مساحة الارض المزروعة في عهد المماليك لا تزيد على مليون فدان وبعض المليون فلما تولى محمد علي مسحها سنة ١٨١٣ واعطاها الى الفلاحين كما تقدم واخذت مساحة ما يزرع منها تزداد حتى بلغت سنة ١٨٢١ نحو مليوني فدان متفرقة في المديريات على هذه الصورة نقلاً عن فيلكس منجن في كتابه المنشور سنة ١٨٢٣

فدان			
١٩٤,١٥٠	منوف	٧٠,٢٠٠	الفيوم
٢٢٥,٩٦٠	غربية	٥٥,٠٠٠	الاطفيحية
١٠٠,٧٩٢	البحيرة	١٦٦,٤٦٠	بني سويف
١٦١,٢٠٤	الشرقية	١٤٨,٣٤٠	المنيا
١٥٥,٨٦٠	المنصورة (الدقهلية)	١٧٨,٥٨٤	اسيوط
٨٠,٠٠٠	القليوبية	١٩٠,٤٠٠	جرجا
٨٥,٩٠٠	الجيزة	١٤٣,٩٩٠	اسنا
		١,٩٦٦,٨٤٠	الجملة

ثم أخذت مساحة الارض الزراعية تتسع تدريجاً بالاسباب التي اتخذها محمد علي

من تحريض الناس على الزراعة وتسهيل الري حتى بلغ ما احتفره من الترع نحو اربعين ترعة بين كبيرة وصغيرة مجموع مكعبها جميعاً ١٠٤,٣٥٦,٦٦٧ متراً مكعباً ناهيك بما بذله من العناية في انشاء الجسور والقناطر والسدود وغيرها • فلا عجب اذا بلغت مساحة الاطيان المزروعة التي كانت تأخذ عليها الحكومة الاموال حوالي سنة ١٨٤٠ ضعفي ما كانت عليه قبل بضع عشرة سنة واليك تفصيل ذلك نقلاً عن كتاب الدكتور كلوت بك

فدان		فدان	
٣٠٠,٠٠٠	منوف	١٢٤,٠٠٠	الفيوم
٤٥٠,٠٠٠	الغربية	١٤٨,٢٠٠	بني مزار
٢٤٥,٠٠٠	البحيرة	١٣٩,٤٠٠	بني سويف
٣٦٠,٠٠٠	الشرقية	١٥٢,٨٠٠	المنيا
٣٢٠,٠٠٠	المنصورة	١٦١,٠٠٠	الفشن
٢٩٠,٠٠٠	القليوبية	٨٤٦,٨٢٦	اسيوط وجرجا واسنا
٢٥٤,٠٠٠	الجيزة	٣,٧٩١,٢٢٦	(الجملة)

وبمقابلة مساحة اطيان كل مديرية على حدة بين ما كانت عليه سنة ١٨٢١ وما صارت اليه سنة ١٨٤٠ يتضح لك مقدار ذلك النجاح • وذكر كلوت بك ما عدا هذه المساحة أطياناً غير مزروعة أكثرها في اعتباره قابلة للغرس وفيها كثير من الاباعد والجفالك ومجموع مساحتها ٣,١٥٧,٧٧٤ فداناً فيكون مجموع مساحة الاطيان التي يمكن غرسها واستغلالها في القطر المصري نحو ٧,٠٠٠,٠٠٠ فدان وسترى أنها زادت على ذلك الآن ومعظم هذه الزيادة في السنين الاخيرة • أما قبل ذلك فكانت الزيادة بطيئة • واطلعنا في كتاب الاطيان والضرائب لجرجس حنين بك على احصائية عن اطيان مصر لسنة ١٨٧٤ مجموع مساحتها ٤,٦٢١,٨١٦ فداناً • وظلت الزيادة بطيئة الى آخر القرن الماضي فلم تزد بعد ٢٦ سنة الا نحو ٥٠٠,٠٠٠ فدان فصارت سنة ١٩٠٢ نحو ٥,١٦٥,٠٠٠ فدان ثم زادت في العام التالي سنة ١٩٠٣ زيادة فاحشة فقد جاء في ذلك الكتاب النفيس ان مساحة اطيان القطر لتلك السنة ٧,١٧٥,٢١١ فداناً وذلك فوق ما قدَّر كلوت بك امكان بلوغ مساحة اطيان هذا القطر اليه • ولا تزال المساحة آخذة في الزيادة لما تبذله الحكومة من أسباب احياء الموات بالري وغيره وبما يتألف من الشركات لهذه الغاية

(عدد مالكي الاطيان) ثم ان عدد مالكي الاطيان تختلف نسبته الى مساحة الاطيان باختلاف السنين على ان عدد المالكين كان قليلاً في أوائل هذه النهضة وهم عبارة عن جماعة الحكام ومن يلوذ بهم او ينتمي اليهم • ثم أخذ في الزيادة بالتدريج بانتشار الحضارة ورسوخ الحقوق الفردية والحرية الشخصية • فقد رأيت في ما تقدم أن محمدعلي فرق الاطيان الممسوحة في الفلاحين وهي قليلة بالنظر الى مابقي غير ممسوح ووهب معظم الباقي الى رجال دولته وأمراء عائلته وهي الابعديات والجفالك • فربما ملك الواحد منهم مئة الف فدان او اكثر او أقل وخصوصاً أعضاء العائلة الخديوية مما لا يمكن حصره او تعيينه — مثال ذلك ان املاك اسماعيل باشا الخصوصية بلغت مساحتها ٤٨٥،١٣١ فداناً من اخصب اطيان القطر المصري وهي المعروفة الآن باطيان الدائرة السنية وقد استرهنت لسداد ديون عرفت بديون الدائرة السنية • وبلغت اطيان عائلة اسماعيل المذكور ٤٢٥،٧٢٩ فداناً فضلاً عن القصور والمباني وهي الاطيان التي تنازل عنها للحكومة سنة ١٨٧٨ وعرفت باطيان الدومين • فكأن اسماعيل وعائلته قد استحوزوا على ربع أطيان القطر المصري في عهده وقد بيع معظمها الآن كما سترى • فقس على ذلك أملاك سائر الامراء والوجهاء في عهد الوساطة والنفوذ والدالة • على ان تلك الاملاك الواسعة انحلت بتوالي الاعوام وتفرقت في الناس بطبيعة العمران وقد قل من يملك ٥٠،٠٠٠ فدان حتى في الامراء • ولا تزال المتملكات الكبيرة آخذة في التحول تدريجاً الى عزب صغيرة وعدد المالكين آخذ في الزيادة حتى اصبح اصحاب الاطيان في القطر المصري الآن ١،٠٣٨،٦٨٧ نفساً معظمهم من الوطنيين (وهم ١،٠٢٣،٥٠٢) تليهم الحكومة ثم الافرنج فالدائرة السنية فالدومين فالمعارف والاطيان مفرقة فيهم على هذه الصورة :

فدان	
٤،٧٧٨،٩١٠	اطيان الاهالي والاوقاف
١،٣٣٩،٥٩٩	« الحكومة المعتاد تأجيرها
٦١٢،٥٥٧	« الاوربيين
٢٦١،٥٩٧	« الدائرة السنية
١٥٤،٧١٦	« الدومين
٢٧،٨٣٢	« المعارف والمكاتب
٧،١٧٥،٢١١	المجموع

وجملة القول ان اطيان القطر المصري نهضت نهضة عظمى في القرن الماضي فبلغت مساحتها نحو ستة أضعاف ما كانت عليه من قبل وارتفع سعرها الى ستة اضعافه بارتفاع الاسواق وبالعناية في اصلاح التربة . فقد تقدم بان مساحة الارض الزراعية في أول ولاية محمد علي لم تكن تزيد على مليون فدان الا قليلاً وأخصب الفدادين لا تزيد قيمته على ثلاثين جنيهاً او اربعين في ذلك العهد . فاذا اعتبرنا قيمة مجموع اطيان القطر بالقياس على خراجها رأيناها لا تساوي شيئاً يذكر . لان مجموع خراج مصر سنة ١٧٩٨ على القرى والاوقاف لم يزد على ٨٠,٥٠٠,٠٠٠ ميدة . والميدة في تلك الايام كانت تساوي اربعة سنتيمات تقريباً او كل ٢٨ ميدة تساوي فرنكاً فتكون قيمة الخراج نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . واذا اعتبرنا مقدار الخراج نحو خمس الغلة واعتبرنا الغلة عشر الثمن او جزء من ١٢ منه كانت قيمة اطيان مصر في ذلك العصر نحو ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك او نحو ٧,٠٠٠,٠٠٠ جنيه اوقل ثمانية ملايين جنيه . أما الآن فالاطيان تجاوزت مساحتها سبعة ملايين فدان وفيها ما تزيد قيمة الفدان الواحد منه على ٢٠٠ جنيه فاذا اعتبرنا متوسط الخراج اليوم ٨٥ غرشاً وسرنا على القياس الماضي بلغ متوسط قيمة الفدان نحو خمسين جنيهاً فاذا ضربناها بعدد الفدادين ٧,١٧٥,٢١١ كان المال الحاصل ٣٥٨,٧٦٠,٥٥٠ جنيهاً وهي قيمة أطيان مصر الزراعية الآن على وجه التقريب

واذا أضفنا الى ذلك أثمان الابنية في المدن تضاعفت تلك القيمة . على اننا لا نستطيع تخمين اثمان الابنية الا مما يؤخذ عليها من الضرائب والحكومة لم تفرض ضرائب الابنية الا على ٤١ مدينة ولا تأخذ ضريبة الا على ما تزيد قيمة ايجاره على ٥٠٠ قرش في السنة والضريبة المذكورة ١ من ١٢ من مجموع الايجار . وقد بلغ مجموع ضرائب المباني في السنة الماضية ١٤٣,٣٠٠ جنيه فيكون مجموع الاجور كلها ١,٧١٩,٦٠٠ جنيه ومعدل نسبة اجور البيوت الى اثمانها نحو خمسة في المئة فيكون قيمة هذه المباني ٣٤,٣٩٢,٠٠٠ جنيه . فاذا أضيف اليها ثمن ما لم يدخل في حكم الضرائب تضاعفت هذه القيمة كثيراً . وعليه فاطيان القطر المصري ومبانيه تساوي أكثر من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فكأنها زادت عما كانت عليه في اول القرن الماضي أكثر من خمسين ضعفاً . ولا ننكر الفرق بين قيمة النقود في تلك الايام وقيمتها اليوم ويمكن معرفة النسبة بينهما من النظر الى اختلاف الاسعار وخصوصاً المأكولات فقد كان رطل اللحم الضاني في آخر عهد المماليك سبع ميدات وثمن اردب القمح ٢٤٠ ميدة فاذا قسنا ذلك باسعار اليوم كانت الميدة تساوي نصف قرش مصري فتكون

قيمة الاطيان المصرية قد تضاعفت نحو ٣٠ ضعفاً عما كانت عليه في عصر المماليك

(التجارة) اما التجارة فقد اهتم محمد علي بها مثل اهتمامه بالاطيان حتى أخذ على نفسه ترويج تجارة القطر كما أخذ عليها ترويج زراعته • فعهد بالاطيان المهملة الى رجاله ليزرعوها ويستغلوها واشتغل هو في تصريف حاصلاتها فاحتكر غلات هذا القطر ومصنوعاته وتولى بيعها رأساً للتجار السوريين والافرنج واليونان والارمن • وكان يلاحظ سعر السوق ويهتم به مثل اهتمام سائر التجار في الاسعار • وكثيراً ما كان يربح الارباح الفاحشة وقد يخسر تبعاً لحال السوق • وكان يبيع البضاعة تسليم الاسكندرية فينقلها هو على نفقته في أثناء الفيضان على السفن • وكان له في بولاق وكالات لخزن الاقطان والسكر والكتان والحناء التي ترد من الارياف وعلى تلك المخازن وكلاء لايسلمون منها شيئاً الا بأمر الباشا • وكان يتجر أيضاً بالتبر والعاج وغيرهما من واردات السودان وأصناف أخرى كثيرة • ناهيك بارباح الجمارك وما يرد على مصر من تجارات أخرى • وكان يدون ارباحه من هذه التجارة في دفاتر حكومته • واليك ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٨٢١ وفيها أصناف التجارات ومقدار ارباحها وكيفية الانفاق منها وغير ذلك :

ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٨٢١

الدخل	كيس	قرش
مال الميري	١٣٢,٣٠٨	١٣١
ارباح الاتجار بالقطن والشمع والسكر والكتان والنيلة والعسل والحنا وماء الورد وبزر الكتان والسمسم والقرطم وغيره	٢١,٠٠٠	
ارباح المنسوجات الحريرية والقطنية	٢١,٠٠٠	
ارباح من مبيع الجلود	٨,٠٠٠	
« « « الحصر	١,٢٠٠	
« « الرز	١٣,٧١٤	٢٥٠
« « النطرون	٦٠٠	
« « الصودا	٩٠٠	
« « ملح الامونيا	٢٨٠	
« « القصب (خيوط الذهب)	٤٥٠	

(تابع الدخل)	كيس	قرش
ارباح جمرك السويس	٥,٠٠٠	
« « القصير	١٨	
عوائد بضائع سنار	٢٠٠	
« تجارة دارفور في اسيوط	٢٦٠	
« « « في مصر القديمة	٥٠٠	
« « « في بولاق	٣,٠٠٠	
« « « في دمياط	٣,٦٠٠	
« « « ترعة المحمودية	٥٠٠	
« « « في الاسكندرية	٢,٥٠٠	
« « « على النقود	٣,٥٠٠	
ضمان الملح والمشروبات	٥,٠٠٠	
« المذبح	٣٧٠	
« عوائد التمغة	٧٥٠	
« البنا	١٢٠	
أثمان الاسماك في المنزلة	٨٠٠	
ضرائب بيع الاسماك بمصر وبولاق	١٥٠	
« بيع الحيوانات في امبابه والرميلة	٥٠	
« على الرقاصات والمشعوذين وغيرهم	٣٠٠	
عوائد التوارث	٤٠٠	
« المعديات	٦٠٠	
اجرة نقل البضائع	٤٠٠	
قبالة المشروبات بالصعيد	٣٥٠	
عوائد الاسواق والوكالات في الصعيد وغيرها	١,٤٠٠	
عوائد النخيل	١٠,٠٠٠	
عوائد ادخال الجبوب للقاهرة	٧٢٠	
(جملة الدخل)	٢٣٩,٩٤٠	٣٨١

الخارج	كيس
نفقات الجند	١٠٠,٠٠٠
المرسل الى الاستانة	١٢,٠٠٠
على المعامل واجرة العمال	١٥,٠٠٠
اجرة الموظفين الملكيين	١٦,٠٠٠
نفقات على الملتزمين	٦,٠٠٠
« الجوامع والمدارس الخ	١,٨٠٠
مرتبات الملتزمين	١,٢٠٠
نفقات بيت محمد علي باشا واولاده	٢٤,٠٠٠
هدايا من المشايخ للعربان الخ	١٠,٠٠٠
نفقات الحج	١,٧٠٠
« الكسوة	٣٠٠
« على وادي الطملات للغرس وغيره	١,٤٠٠
(جملة الخارج)	١٨٩,٤٠٠

وكان ينفق الباقي في بناء الثكنات والمعامل والمنازل وغيرها ٠ ولمعرفة حقيقة قيمة هذه المبالغ ينبغي تحويلها الى الفرنكات والكيس يومئذ عبارة عن ١٥٠ فرنكاً فيكون دخل الحكومة المصرية سنة ١٨٢١ نحو ٣٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك نحو ثلثها من الارباح التجارية ٠ ونشر الدكتور كلوت بك ميزانية مثل هذه عن سنة ١٨٣٣ كان مجموع الدخل فيها ٦٢,٧٧٨,٧٥٠ فرنكاً منها نحو ١٥,٠٠٠,٠٠٠ فرنك من التجارة ٠ وبلغ الخارج ٤٩,٩٥١,٥٠٠ فرنك ثلثها لنفقات الجيش

اما واردات مصر وصادراتها على الاجمال فقد تدرجت في الزيادة بتقدم العمارة فبلغ مجموع قيمة الصادر سنة ١٨٣٦ نحو ٤٢,١٥٠,٠٠٠ فرنك وقيمة الوارد ٥٠,٧٨٦,٠٠٠ فرنك ٠ وبلغ عدد السفن التجارية في تلك السنة في ميناء الاسكندرية ١,٢٣٥ سفينة حملت ١٥٣,١٤٨ طناً من الوارد و١,١٤٧ سفينة حملت ١٣٤,٠٠٠ طن من الصادر وهو شيء كثير بالنظر الى ما كانت عليه التجارة من قبل ٠ اما الآن فقد اتسعت التجارة باتساع العمران وتعدد اسباب الحضارة وسهولة النقل في العالم على الاجمال فبلغت قيمة صادرات القطر لسنة ١٨٦٣ نحو ٤,٥٠٠,٠٠٠ جنيه ثم صارت تتدرج في الزيادة الى الاعوام

الاخيرة فتزايدت بسرعة فبلغت قيمة الصادرات ٨,٢٠٠,٠٠٠ جنيه لسنة ١٨٩١ ثم تدرجت حتى صارت ١٥,٣٥٠,٩٠٨ جنيهات لسنة ١٨٩٩ و ١٦,٧٦٦,٦٠٩ جنيه لسنة ١٩٠٠ و ١٧,٦١٧,٠٠٣ جنيهات لسنة ١٩٠٢ وصارت نحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيهات لسنة ١٩٠٣ ويقال نحو ذلك في الواردات فقد بلغت في هذه السنة نحو ١٦,٧٠٠,٠٠٠ جنيه اي نحو تسعة اضعافها في ايام محمد علي واضعاف اضعافها في ايام المماليك • وتعرف حال التجارة ايضاً بمقدار دخل الجمارك بتوالي السنين فانه يتزايد كل سنة عما قبلها • فقد كان مجموع ايرادها على عهد ابراهيم بك ومراد بك في أواخر القرن الثامن عشر نحو مليون ريال ابو طاقة او نحو ١٢٠,٠٠٠ جنيه وأخذ يتزايد بزيادة العمران وكثرة السكان فبلغ ٥٨٥,٠٠٠ جنيه سنة ١٨٨٩ و ٦٥١,٠٠٠ جنيه سنة ١٨٩٠ و ٨٠٨,٠٠٠ جنيه سنة ١٨٩١ وهكذا حتى صار ١,٠٢٤,٤٩٧ جنيهاً سنة ١٨٩٩ و ١,٢٥٨,٠٩٥ جنيهاً سنة ١٩٠٠ وأخيراً ١,٤٤٧,٢٦١ جنيهاً سنة ١٩٠٣ غير ايراد الدخان وهو نحو ذلك أيضاً فقد بلغت قيمته ١,٣٠٤,٠٧٧ جنيهاً سنة ١٩٠٣

وجملة القول ان مصر تضاعفت ثروتها على الاجمال مضاعفة كثيرة وهي ما عبرنا عنه بالنهضة المالية ولو تتبعت تاريخ هذه النهضة سنة سنة لرأيتها تسرع وتبطيء تبعاً لحال البلاد من الطمأنينة او الاضطراب • ولذلك كانت سرعة هذه النهضة على معظمها في الاعوام الاخيرة كما قد رأيت من زيادة الثروة الزراعية والتجارية بغتة

ومن ثمار الطمأنينة والعدالة والحرية والامن زيادة السكان وخصوصاً في بلاد مثل مصر ما برحت منذ قرون عديدة ملجأ للنازحين المستظلين او المرتزقين • وكان النزوح على معظمه خصوصاً في الاعوام الاخيرة فتضاعف عدد السكان كثيراً وبعد ان كان عددهم في اول القرن التاسع عشر نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ نفس اصبح سنة ١٨٢١ نحو ٢,٦٠٠,٠٠٠ وحسب احصاء سنة ١٨٨٢ بلغ ٦,٨١٢,٩١٩ نفساً وبالاحصاء الاخير لسنة ١٨٩٧ ٩,٧٣٤,٤٠٥ انفس • ولا ريب عندنا انه يزيد الآن على احد عشر مليوناً لكثرة من جاء مصر من اهل الهجرة والتجارة ولا يزال يزداد حتى يبلغ عشرين مليوناً او اكثر كما كانت عليه في ابان عمرانها وستتضاعف مساحة ارضها الزراعية فلا يستغرب حينئذٍ قول القائل انها كانت في صدر الاسلام اضعاف ما هي عليه الآن

ومن دلائل نمو الثروة في مصر زيادة دخل الحكومة فقد بلغ ايراد الحكومة المصرية في آخر عهد المماليك ٤,١٥٠,٠٠٠ فرنك (نحو ١٦٠,٠٨٦ جنيه) وبلغ سنة

۱۸۲۱ على عهد محمد علي ۳٦,۰۰۰,۰۰۰ فرنك (نحو ۱,٤۰۰,۰۰۰ جنيه) وصار سنة ۱۸۳۳ نحو ٦۲,۸۰۰,۰۰۰ فرنك (۲,٥۰۰,۰۰۰ جنيه) وبلغ سنة ۱۸٦٤ نحو ٤,۲٥۰,۰۰۰ جنيه وما زال يزداد بزيادة السكان واتساع الارض الزراعية وتقدم التجارة رغم تخفيض الضرائب حتى بلغ سنة ۱۹۰۳ نحو ۱۱,۰۰۰,۰۰۰ جنيه وهو يزداد كل عام عما قبله

وذلك تابع طبعاً لنمو الثروة العمومية في الزراعة والتجارة لان نصف دخل الحكومة تقريباً من ضرائب الاطيان وربعه من الضرائب الاخرى . وتقدم الزراعة بمصر لا يحتاج الى برهان فان الحاصلات تزداد كل سنة عما قبلها فضلاً عن ارتفاع السعر في الاسواق . فقد كان محصول مصر من القطن مثلاً ٤,٦۱٥,۲۷۰ قنطاراً سنة ۱۸۹٤ فاصبح في سنة ۱۹۰۳ نحو ٥,٥۸۹,۰۰۰ قنطار بلغت قيمتها ۱٥,٦۷۷,۰۰۰ جنيه . وكذلك السكر وغيره من المحصولات الوطنية . فقد بلغ مقدار الصادر من السكر المصري في العام المذكور ٤۳,٦٥۰,۸٥۰ كيلوغراماً ثمنها ۸۷۳,۰۰۰ جنيه

﴿ ارتفاع الاسعار ﴾ ومن نتائج اتساع الثروة غلاء الاسعار فتباع السلع باغلى مما كانت تباع به في حال الفقر . ويعبر علماء الاجتماع عن ذلك برخص قيمة الذهب . ولا يضر هذا الغلاء في التجار ولا الصناع لان ارباحهم تزداد بزيادته . فالتاجر الذي كان يشتري الرغيف بعشر بارات وارباحه الشهرية مئة قرش يشتريه الآن بقرش وارباحه الشهرية الف قرش . وكذلك الصانع الذي كانت اجرته خمسة قروش صارت ثمانية او عشرة او اكثر . فالموازنة محفوظة بين الدخل والخرج في من يتكسب من السوق بالبيع والشراء . ويدخل في ذلك المستخدمون في بيوت التجارة فان اجورهم ترتفع بارتفاع الاسعار لتخيرهم في الاستخدام عند من يزيد في راتبهم . وانما يقع الحيف على مستخدمي الحكومة اذا لم تراع الحكومة الاسواق وتزد رواتب مستخدميها على نسبة ذلك . ولا نظنها الاَّ فاعلة ذلك عاجلاً او آجلاً لان العدالة تأمر به وناموس العمران يقتضيه والتاريخ يؤيده — خذ اي منصب اردته من مناصب الحكومة وارجع بتاريخه الى اقدم عصوره واعتبر مقدار راتبه باختلاف تلك العصور فانك تراه ارتفع او انخفض تبعاً لحال الثروة العامة . فالقاضي كان راتبه في صدر الاسلام مئة درهم في الشهر والدولة الاسلامية في اولها ولم تنضج ثروتها ثم اخذ ذلك الراتب ينمو بنمو تلك الثروة حتى اصبح في اول الدولة العباسية ثلاثين ديناراً ثم بلغ في عهد المأمون الى ثمانين ديناراً . وصار في ايام ابن طولون مئة دينار في الشهر ثم انحط بانحطاط الدولة وتقلبت عليه احوال شتى حتى بلغ ما هو عليه الآن وهو لا يزيد على

ثلث تلك القيمة

ويقال نحو ذلك في رواتب الوزراء والكتاب والعمال وغيرهم وقد فصلنا ذلك في الجزء الثاني من تاريخ التمدن الاسلامي . على ان مستخدمي الحكومة المصرية كان لهم في الاعصر الماضية مرافق يستعينون بها على معائشهم غير رواتبهم وابواب يتكسبون منها كالرشوة ونحوها فاذا كان الراتب قليلاً لم تضرهم قلته . واما في هذا العصر فالمستخدمون ليس لهم غير رواتبهم فاذا لم تكن كافية لمعاشهم ساءت حالهم والحكومة غنية والاموال متوفرة في خزينتها تزداد كل سنة عما قبلها

اما غلاء الاسعار في مصر فانه ثابت لاريب فيه وقد تضاعف الآن عما كان عليه منذ عشرين عاماً . فاللحم كان رطله بقرشين فصار باربعة قروش والقمح كان الاردب بتسعين قرشاً فصار بمئة وخمسين والسمن كان الرطل بثلاثة قروش فاصبح بخمسة ونصف والبيض كانت المئة بخمسة قروش فاصبحت بعشرين قرشاً . والبيت الذي كانت اجرته مئة قرش صار بمئتين او ٢٥٠ والثوب الذي كان يباع بمئتين صار بثلاثمئة او اربعمئة وقس على ذلك . ناهيك بما حدث من اسباب النفقة على المدارس وما طرأ على البلاد من الكماليات . اما الرواتب فلا تزال على نحو ما كانت عليه في ذلك العهد . وقد تظلم المستخدمون وتحدثت الجرائد في ذلك والحكومة تنظر فيه والله الموفق في كل حال

القضاء عند البدو في القطر المصري [1]

فطر البدو على حب الغطرسة والتعلق بأهداب الشمم وعزة النفس ولذلك فان ثورة الغضب تثور فيهم لاقل باعث فيحدث بينهم الشغب والتشاجر في أثناء الاشغال او المعاملات أو الاحوال وقد يقع ذلك لغير سبب معقول أو لسوء التفاهم أو لميل طبيعي للشر

وهم يستسهلون الصعب ويبذلون الجهد في الوقيعة بالخصم والاضرار به لا يبالون بوازع أو رادع . وكثيراً ما تنجلي هذه الوقائع عن قتيل أو قتلى فضلاً عن المجاريح العديدين وفي مثل هذا المقام تكون الغلبة طبعاً للاكثر عدداً والاقوى عدة

(١) نقلاً عن كتاب « بدو مصر واحوالهم » لمؤلفه ابراهيم افندي زكي بعزبته بشفا قرون غربية (لم يطبع)

والشكاية عندهم سلاح الضعفاء فقلما يميلون الى رفع شكواهم الى الحكومة الا اذا قتل قتيل فيضطرون الى اخطار الحكومة للتصريح بدفنه ثم يسبلون على حقيقة الواقعة حجاباً كثيفاً من التمويه لاخفاء الفاعل حتى يتمكنوا من الانتقام بايديهم لانهم يستخفون بعقاب الحكومة لطول المحاكمة وما يقتضيه اظهار الفاعل من الادلة القانونية مما لا يستطاع في ظروف الحادثة فيخرج المتهم بريئاً وأولياء القتيل واثقون من صحة التهمة عليه • فلو انتقموا منه بعد ذلك لعرضوا انفسهم للعقاب اذ يسهل على آله اتهامهم لما بينهم من الضغينة التي اصبحت رسمية • فهم يفضلون الكظم حتى يتيح لهم الانتقام بعد مدة ولا سبيل لاتهامهم رسمياً لبعد القرينة الدالة على ذلك

لحب الانتقام طبيعي في نفوس البدو ويقدمون عليه لاقل سبب حتى ان الضعيف منهم يتحمس كثيراً اذا احتقره آخر أو سلب منه شيئاً فيندفع الى الانتقام بكل ما يستطيعه

وحب الحياة فطري في النفس فالمعتدي من هؤلاء البدو يتوقع الخطر على حياته من اخصامه ومهما بالغ في الحذر والاحتفاظ بنفسه لا يسلم منه لان اعداءه في المرصاد يطلبون الثار باضعافه واذا عجزوا عن ايصال الاذى لخصمهم أوصلوه الى اولاده واخوته واذا لم يكن له اقارب فيسرقون امواله أو يحرقون بيته فالمعتدي تكون ساعات حياته كلها هواجس ووساوس واضطراب

فيتغلب عليه الخوف والهلع احياناً فيلتجئ الى رجل قوي الشكيمة كثير العصبية يلوذ بحماه وينقل بيتـه لجواره وصاحب ذلك الحمى لا يمكنه الا حمايته سنة كاملة وهو ما يقضي به عرفهم • فاخصامه يعلنونه بسكوتهم عن المطالبة بالثار في تلك المدة رعاية لحرمة ذلك الحامي وانه بانقضاء تلك المدة ان لم يطرده من جواره جاز لهم الانتقام ولو كان الرجل بين ذراعيه

وبالطبع ان أقارب المعتدي واصدقاءه يشاركونه في ثمار هـذه المتاعب ومتى ضاق ذرعهم عن احتمال هذه المعيشة المنغصة يسعون في التخلص من ربقة هذا العذاب فيحملون المعتـدي على طلب الصلح من أعدائه واعلانهم برضوخه للمحاكمة طبقاً للاصطلاح المعروف بينهم

والغالب ان المعتدى عليهم يميلون الى ذلك اي أنهم يدعون خصمهم على يد الوسطاء الى المحاكمة حسب عادتهم لانهم يرون في ذلك فائدة مادية لهم لان الاحكام في مثل هذا المقام لا تخرج عن تغريم المحكوم عليه على مقدار جرمه كما سيأتي

(المحاكمة) ومتى قرر الوسطاء محاكمة المعتدي حسب اصطلاحهم تدور المخابرات بينهم على من يرضونه من أعيان القبيلة وعقلائها لعقد هذا المجلس • وعلى عمدة القبيلة غالباً ان يختار امثال هؤلاء للحكم في القضايا التي تقع بين افراد القبيلة

وكان في قبيلة اولاد علي منذ عدة سنوات رجل اسمه (بوحجاج) (١) وكان مختصاً بالفصل في القضايا بين افراد هذه القبيلة ومن يرضاه من غيرها ثم رأوه يقبل الرشوة ويحكم في القضايا بحسب اغراضه فنبذوه وعدلوا عن المحاكمة بين يديه وصار حق الحكم في القضايا لمن يختاره المتداعيان ويسمى عندهم « المرضي » فيعقد المرضي مجلساً في منزله يجتمع فيه غير واحد ممن يختارهم هو لمشاركته في نظر القضية ويطلق على هذا المجلس عندهم اسم « الميعاد »

(الميعاد) متى التأم المجلس في محل المرضي او محل آخر يرضاه الخصمان كان اول ما يباشرونه كتابة عقد يعترف فيه الخصمان بقبول حكم الميعاد ثم يستحضر المعتدي شاة او نحوها تذبح في الحال ويصنع منها غداء للحاضرين وذلك من قبيل مقدمة الترضية للمعتدى عليه ويسمونها (كمود)

ثم يسأل المرضي المدعي عن دعواه فاذا انكر المدعى عليه سأل شهود الاثبات فاذا لم يوجدوا طلب تحليف المدعى عليه اليمين التي يرضاها المدعي اما على المصحف او على مقام ولي من الصالحين بشرط ان يشترك ذوو قرابة المدعى عليه في القسم او يحلفوا انه صادق وهو مايسمونه الزكية • ويجوز لاقارب المدعى عليه ان يدافعوا عن قريبهم بكل ما في طاقتهم من وسائل الدفاع لانهم مشاركوه في اداء الغرامة التي يحكم بها عليه كل على حسب درجته من القرابة او حالته المالية

فاذا آنس احد الخصمين من (المرضي) زيغاً عن جادة الحق او محاباة وميلاً الى الطرف الآخر طلب توقيف المحاكمة وأشهد الحاضرين خطاً على النقطة التي وصل اليها التحقيق في القضية لتعرض على « مرضي » آخر اكثر تمسكاً بالحق أو ادق نظراً في تمحيص ظروف الدعوى من شوائب الزور والبهتان • وكذلك اذا أصدر المرضي حكمهُ ولم يرق عند أحد الخصمين جاز له استئناف الدعوى عند مرضي آخر

---

(١) بما ان هؤلاء العرب يبدلون القاف جيماً بلغتهم يلوح لنا ان بوحجاج هذا اسمه الاصلي (بوحقاق) وربما أطلق عليه هذا الاسم لاشتغاله بالحكم والتحقيق

اما مكافأة المرضي على نظره في الدعوى فلا تكون الا بعد الفراغ من الفصل فيها وليست هي أجرة معينة يجب دفعها • والغالب ان لا يدفع للمرضي شيء الا اذا كان فقيراً وذلك نادر لان معظم هؤلاء (المرضين) من اهل اليسار فلا ينتظرون شيئاً من هذا القبيل لان عمدة القبيلة وأعيانها انما ارتضوهم للقيام بهذه المهمة لوجاهتهم وعلو مكانتهم وسمو افكارهم فهم يعتبرون وظيفتهم نصرة الحق واعلاء شأنه فلا تقبل نفوسهم أجراً على ذلك غير المثوبة من الله لاصلاح ذات البين بين الناس — اما الاحكام عندهم فهذا أمثالها

(القتل) جزاء القاتل الحكم عليه بالدية ومقدارها ثلاثة آلاف ريال او ثلاثة الاف شاة او ماية ناقة او القبول بالصنيعة ويلتجئون الى الصنيعة اذا عجز القاتل عن دفع الدية• وهي ان يكون القاتل صنيعة آل المقتول اي مطيعاً لهم في كل حال يشاركهم في السراء والضراء وتكون أمواله في الحال والاستقبال طول حياته تحت تصرفهم يطلبون منها ما شاؤا ومتى تأخر في شيء من ذلك استوجب القتل

واذا كانت الدعوى في قتيل قتل في حفلة فرح ولم يعلم قاتله كان صاحب الفرح هو المسئول عن دمه ويطالب بما يحكم به على القاتل

(المقتول خطأ بغير عمد) بعد تحليف القاتل اليمين التي يرضى بهما آل المقتول بان القتل حدث خطأ وتحليف ال القاتل أيضاً بان هذه اليمين صادقة وان القتل لم يكن مقصوداً يدفع القاتل نصف الدية السالفة الذكر

(الشروع في القتل) اذا شهر بدوي على آخر سلاحاً نارياً ورفع زناده ولم يطلقه غرم ماية ريال للمعتدى عليه وكذلك أيضاً اذا افرغ العيار ولم يصبه

(اتلاف الاعضاء) دية كسر الساق او الذراع نصف دية الرجل وكذلك اتلاف العين اما كسر السن وجدع الانف وقطع الاذن والاصبع فغرامتهما مائتا ريال

(الجراح [1]) يقاس طول الجرح بسلامية سبابة المرضي وتسمى عندهم (النضارة) فكل طول سلامية بفرسين والفرس بعشرة ريالات والريال بنعجة • وهناك طريقة أخرى لمقاس الجرح بحبة الشعير فكل طول حبة بفرس واذا كان المعتدي والمعتدى عليه مجروحين فيجرى المرضي (النضارة) على جروح كل منهما ويقدرها حق قدرها ويدفع

---

(١) كل جرح في الرأس يسمونه بلغتهم (فججخه) بجيم فارسية بعدها خاء

الزيادة من كان جرحه أصغر وأخف ضرراً

واذا كانت الضربة غير ظاهرة ولم يخرج منها دم واحدثت ورماً او احراراً يحكم فيها بنصف الغرامة فيما لو انقطع الجلد وظهر الدم • وبلغني في تقدير اهمية الجرح عند بعض القبائل ان يبتعد المرضي عن المضروب وهو ينظر اليه حتى يختفي أثر الضربة عن بصره ثم يقيس المسافة بخطواته حتى يصل اليه ويقدّر له عن كل خطوة ريالاً

(السرقة) يرد السارق ثمانية أضعاف ما سرقه

(هتك العرض) اذا هتك انسان عرض عذراء يدفع مهرها الذي كان يليق ان يأخذه اهلها لو تزوجت ثم يغرم ثلاثة اضعافه وهو ما يسمونه (كباره) هذا اذا كان اهل الفتاة ضعيفي الحال • اما اذا كانوا اهل عصبية وقوة في قبيلتهم فلا يكون جزاء الفاعل عندهم غير القتل تخلصاً من العار

حمورابي وشريعته

أتينا في الهلال الماضي على ذكر حمورابي ملك بابل وعصره (نحو ٢,١٥٠ قبل الميلاد) فأوردنا نص شريعته في ٢٨٢ بنداً • ونحن موردون في ما يلي بعض ما يستنتج من خلال تلك الشريعة من شؤون التمدن البابلي في ذلك العصر لان شرائع الامم مرآة تمدنها واجمل ممثل لآداب اهلها • ثم نتقدم الى المقابلة بين هذه الشريعة وشريعة موسى :

(١) التمدن البابلي في عصر حمورابي

(طبقات الناس) كان الناس في ذلك العصر ثلاث طبقات الاحرار والعبيد وطبقة متوسطة بينهما عبرنا عنها بالموالي على نحو ما كان عليه العرب في صدر الاسلام فان المولى عندهم أرقى من العبد وأدنى من الحر • واسم المولى عند البابليين « ماشنكك » وفسرها الاب شايل المستشرق الشهير بما يقابل لفظ « مسكن » العبرانية ومعناها صعلوك أو فقير (مسكين) وقد يتبادر الى الذهن انهم يريدون بهذه الطبقة من الناس العامة غير الاشراف ولكننا رأيناهم يعبرون عن العامة

بلفظ آخر هو في لسانهم « مار اومية » أي ابن الأمة أو الصانع . فربما كان أقرب الى ما يعبر عنه عند الرومان بلفظ (Plèbe) على أن المولى عند البابليين كان يقتني العبيد ويملك الارضين وقد يتزوج من بنات الاحرار ولكنهُ أحط منزلة وأقل مسئولية منهم في نظر القضاة . فالمجروح اذا مات من جرح وكان حرًّا فالدية نصف منّ فضة واذا كان مولى فالدية ثلث منّ . واذا عالج طبيب مريضاً وشفي على يده وكان حرًّا دفع عشرة شواقل فضة واذا كان مولى دفع خمسة شواقل أو كان عبدًا فشاقلين . واذا كسر أحد عظم رجل حرّ يكسر عظمه فاذا كان المكسور عظمه مولى يغرم الضارب مناً من الفضة واذا كان عبدًا فنصف منّ وقس على ذلك . ويشبه هذا ما كان عليه اليهود في عصر التوراة فقد ذكروا ثلاث طبقات الاحرار والعبيد وطبقة بينهما يسمونها بالعبرانية (ﮔِر أو غِر) وقد ترجموها بلفظ « غريب » أو أجنبي وكثيرًا ما كان أهل التقوى من اليهود يسمون أنفسهم بهذه الكلمة مضافة الى اسم الله أو الملك فيقولون مثلاً « غِرملك » أو « غِرعشتروت » على نحو ما يراد من قولنا عبد الملك أو مولى اللات أو نحو ذلك . ولكن الماشنكك عند البابليين أرقى في الحياة الاجتماعية من الغر عند اليهود

﴿ المرأة والزواج ﴾ العادة في الامة المؤلفة من طبقات متباينة ان أهل كل طبقة تتزاوج فيما بينها ويندر أن يحصل التزاوج بين طبقة واخرى الا ما قد يقتنيه الاحرار من الجواري على سبيل التملك . ولكن يؤخذ من شريعة حمورابي ان العبيد عند البابليين قد يتزوجون من بنات الاحرار زيجة شرعية ولكن يظهر أن ذلك خاص بعبيد القصر الملوكي أو من جرى مجراهم . والزواج في كل حال لا يعتبر نافذًا عندهم الا بعقد مكتوب شأن أرقى الامم المتمدنة اليوم . والمحافظة على الحقوق الزوجية شرط واجب . وعقاب الزنى القتل ذبحاً أو غرقاً الا اذا التجأت المرأة الى رجل آخر وزوجها غائب في أسرٍ وليس عندها ما تقتات به فان شريعتهم تجيز لها المعيشة في بيت ذلك الرجل عيشة الزوجين حتى اذا عاد زوجها من أسره عادت اليه واذا كانت قد ولدت اولادًا من ذلك تركتهم له . أما اذا كان غياب الزوج فرارا

من الحرب أو نحوه فاذا عاد لا ترجع اليه امرأته — وفي ذلك ترغيب في الشجاعة وعزة النفس

ومن شروط الزواج عندهم ان الرجل يقدم للفتاة مالاً من قبيل المهر الشائع في الشرق يسمونه « حق العروس » أي ثمنها وهي تأتي من بيت أبيها بمال يسمونه المهر (الدوطة) . فكأن البابليين الفوا في حقوق الزواج عندهم بين عادات الشرق والغرب . والمهر وحق العروس كلاهما للمرأة ويحفظان باسمها الى حين الحاجة . واذا لم تتزوج الفتاة فتأخذ المهر من أبيها كانه حقٌّ مفروض لها منذ الولادة . واذا لم تأخذ مهرها فلها سهم في الارث وكذلك حق العروس للشاب فانه يعين للغلام من صغره ليقدمه الى عروسه عند زواجه

والطلاق عندهم في يد الرجل فاذا أراد تطليق امرأته وقد ولدت أولاداً دفع اليها مهرها وقال لها أنت طالق فتطلق . ولكنها تتولى تربية أولادها بنفسها ولها في مقابل ذلك حصة من دخل زوجها . فاذا شب أولادها استولت على سهم مثل أسهمهم من الارث واذا لم يكن له أولاد منها دفع اليها حق العروس وأرجع اليها المهر وطلقها . على ان المرأة اذا ابغضت زوجها لا يعجزها طلاقه بالحق فانها تقول له « لستُ لك » ويتقاضيان الى الكاهن أو القاضي فاذا كان زوجها مخطئاً أخذت مهرها ورجعت الى بيت أبيها واذا كانت دعواها افتراء تطرح في الماء . والرجل ليس مطلق الحرية في الطلاق فهو لا يستطيع تطليق امرأته اذا كانت مريضة بل يتزوج سواها اذا أراد وتبقى هي في بيته باقي حياتها وهو يعولها . واذا أبت البقاء في بيته دفع اليها مهرها وأعادها الى بيت أبيها

والزواج وثيق العرى عند البابليين فان الزوجين حقوقهما متبادلة وواجباتهما مشتركة وكل منهما مسئول عن الآخر حتى في الحقوق المدنية . فاذا كان على أحدهما دين فالآخر مسئول به . فاذا تأخر الرجل عن وفاء دين عليه قبض الدائن على امرأته حتى تفيه . وكذلك المرأة اذا كانت مديونة وعجزت عن الدفع فالدائن يقبض على زوجها حتى يفيه حقه ولو كان الدين قبل الزواج . الا اذا تعاهد الزوجان ان لا يسأل

أحدهما عما على صاحبه من الدين قبل الاقتران . أما الدين الذي يحدث بعد الزواج فكلاهما مسئول عنه

وليس للرجل عندهم أن يقتني سرية الا اذا لم تلد امرأته أولادًا فاتخاذه السرية لاجل النسل فقط ولذلك فالمرأة قد تأتي الى زوجها بجارية تلد أولادًا فلا يجوز له حينئذٍ أن يقتني سرية . على أن الجارية ولو ولدت له أولادًا فليس لها حقوق الزوجة ولا منزلتها واذا ادعت ذلك فلمولاتها أن تكبلها بالحديد وتعيدها الى منزلة الاماء . فالمرأة عندهم مساوية للرجل في الحقوق تتعاطى كثيرًا من أعماله التجارية والزراعية فضلاً عن أشغالها المنزلية . وهي تنتظم في سلك الكهان . وكهانة النساء عندهم أربع درجات (١) الكهانة الكبرى ولا يشترط فيها البتولية ولا تمنع الكاهنة من مهرها الذي هو حق لها من بيت أبيها واسم كاهنة هذه الدرجة في اللغة البابلية « نينان » أي السيدة المقدسة ويشترط في سيرتها الطهارة والقداسة ولذلك كانت الحكومة تحميهن وتدافع عن صيانتهن (٢) كهانة العذارى واسمها « كالاتي » وليس لصواحبها مهرٌ من ابائهن (٣) الكهانة المقدسة ويشترط فيها البتولية فصواحبها لا يتزوجن ويستولين على ثلث سهم الولد من الارث (٤) النذر المؤبد فصاحبة النذر المذكور كالكاهنة المقدسة لكنها ترث من من أبيها ارثًا كاملاً

﴿ التبني ﴾ كان التبني شائعاً عند البابليين في عصر حمورابي فاذا لم يرزق احدهم أولادًا وكان في نفسه ميلٌ الى البنين لغرض من الاغراض أخذ من بعض الوالدين طفلاً يربيه عنده ويتبناه . ولهم في التبني شروط حسنة من جملتها رعاية حرمة الوالدين فاذا تبنى احدهم غلامًا ثم آذى ابويه يرجع الغلام الى بيت ابيه . ويشترط في ثبوت حق التبني ان يسمى الولد باسم الوالد الجديد فاذا رباه وسماه باسمه لا يسترجع . واذا كان المتبني صانعاً فعليه ان يعلم الولد صناعته فاذا فعل ذلك فالولد له . واذا تبنى الرجل ابناً وسماه باسمه ثم تزوج الرجل وولد له اولاد واراد ان يخرج ذاك الولد من بيته فلا يستطيع ذلك الا اذا اعطاه ثلث حصة الولد من مال ابيه غير العقار . على ان الرجل عندهم كان يتبرأ أحيانًا من ابنه لصلبه

ولكنه لم يكن يستطيع ذلك الا بين يدي القاضي فيقول للقاضي « انا اتبرأ من ابني » فينظر القاضي في الاسباب فاذا لم يجد مسوغاً رفض الطلب واذا وجد مسوغاً أجل الحكم لعل الاب يرجع عن عزمه فاذا لم يرجع اجاز له التبرء منه . وأولاد الرجل من جاريته لا يكونون أولاده شرعاً الا اذا دعاهم اولاده فاذا فعل ذلك كان لهم ما لاولاد الزوجة من حقوق الارث واذا لم يدعهم فلا يرثون ولكنهم يعتقون

(الارث) لا يميز البابليون في حق الارث بين الذكر والانثى ولكن للوالد ان يمنع بعض أولاده من الارث اذا اثبت ما يستدعي ذلك على انهم يختلفون عن سائر الامم بمسألة المهر وحق العروس . فان الرجل اذا ولد له اولاد فاول ما يفعله ان يفرض للذكور حق العروس وللاناث المهر (الدوطة) فمن تزوج منهم في حياة والده اخذ حقه أو مهره فاذا توفي الاب فللعزاب من أولاده أن يستولوا على حق العروس أو المهر فضلاً عن اسهمهم من الارث . ثم ان المهر الذي تأتي به المرأة من بيت ابيها فانه ملكها وحدها ويورث على مقتضى ذلك . فاذا تزوج رجل امرأة وولدت له أولاداً وتوفيت فمهرها لاولادها واذا توفيت ولم تلد اولاداً فالمهر يرجع لابيها وليس لزوجها . والهبة كانت عندهم نحو ما هي عندنا الآن فاذا وهب الاب شيئاً لاحد أولاده ثم مات فتقسم تركته على الاولاد وتبقى الهبة لصاحبها

(التجارة) والتجارة كانت عندهم قانونية بعقود وصكوك وعندهم شروط للرهن والوديعة مما لا يقلُّ عما عند الامم المتمدنة اليوم مع مراعاة حال تلك الايام . فالبيع بلا عقد باطل والدين بلا صك لغوٌ . ومن شروط اقتضاء الدين عندهم اذا عجز المدين عن تأدية ما عليه ان يقبض الدائن على امرأة المدين وأولاده فيخدمون في بيته حتى يستوفي حقهُ فاذا لم يفوه يخدمون ثلاث سنوات ثم يطلقون ولو راجعت ما بقي من شروط المعاملة في الزراعة وغيرها لرأيتها لا تقلُّ عدلاً عما نحن عليه اليوم

ومما يعدُّ من حسنات التجارة في ذلك العهد البعيد ان الحكومة هي التي تتولى تسعير السلع أو تقدير اجور الصناع واصحاب المهن حتى الاطباء والبياطرة فقد فرضت للطبيب اجرة وللبناء اجرة وللنجار اجرة والقت عليهم تبعة ما يقع على يدهم من

الخطر اوالضرر فالطبيب اذا عالج مريضاً بسكين من معدن فاتلف عينه بها تقطع يداه والبناء اذا بنى بيتاً وسقط على صاحبه فقتله يقتل البناء . واذا سقط البيت ولم يقتل صاحبه بناه البناء من ماله . واذا بنى النجار سفينة جاءت مختلة فهو مسئول عن تصليحها وقس على ذلك اجور الرعاة والملاحين والدواب والسفن وغيرها مما يطول شرحه وهو مفصل في نص الشريعة في الهلال الماضي . وجملة القول ان الهيأة الاجتماعية البابلية قد بلغت مبلغاً حسناً من النظام والارتقاء منذ اربعة آلاف سنة . وفي شرائعها وآدابها ما يفضل على كثير من شرائع امم هذه الايام

(٢) شريعة حمورابي وشريعة موسى

كان المشهور منذ بضع سنين ان شريعة موسى اقدم الشرائع المعروفة فلما اكتشفوا شريعة حمورابي وتحققوا انها كتبت قبل موسى بثمانمئة سنة قابلوا بين الشريعتين فوجدوا في كثير من نصوصهما مشابهة لا تفسر الا ان يكون مصدرهما واحداً او ان احداهما نقلت عن الاخرى . ونظراً لتقدم عصر حمورابي على عصر موسى رجحوا ان موسى (او واضع شريعته) نقل عن حمورابي . ونحن ذاكرون خلاصة ما بلغوا اليه بالاستدلال التاريخي الاجتماعي في هذا الشأن

(النصوص المتشابهة في الشريعتين) ان الشريعة الموسوية تحتويها الاسفار الخمسة وقد نظر العلماء نظراً تحليلياً في هذه الاسفار فتبين لهم ان ما تتضمنه من الشرائع يدخل في اربعة اقسام : الاول في سفر الخروج من الاصحاح ٢٠ - ٢٣ وقد سموه « كتاب العهد » والثاني في سفر الاحبار من الاصحاح ١٧ — ٢٦ سموه « قانون الطهارة » والثالث سفر التثنية بجملته والرابع خلاصة الشريعة الموسوية ويسمونه « قانون الكهانة »

واهم هذه الاقسام قانون الكهانة لانه يشمل اكثر محتويات الاسفار الخمسة ويرون انه لا يتجاوز في تاريخه زمن عزرا الكاهن في القرن الخامس قبل الميلاد . وأما قانون الطهارة فانه شريعة قائمة بنفسها ولكنها كثيرة الشبه بما في سفر العدد وكتاب العهد من وجوه كثيرة واستدلوا من قرائن أخرى انه من كتابة حزقيال . وسفر العدد هو كتاب الشريعة وقد جمع كثيراً مما جاء في الكتب الاخرى . فلم يبق الا « كتاب العهد » وهو اقدم تلك الاقسام كما يستدل من عبارته العبرانية وقد ورد نصه بين ص ٢٠ ع ٢٢ وص ٢٣ ع ٣٣ من سفر الخروج . وهو عبارة عن مزيج من الشرائع والاوامر

وفيه شبه كبير بما في شريعة حمورابي واليك امثلة من المقابلة بين الشريعتين فضلاً عن المشابهة الاجمالية مع اعتبار ما يستلزمه اختلاف الزمان والمكان واختلاف العقيدة

سفر الخروج	شريعة حمورابي
(ص ٢١ ع ١٢ و١٣) من ضرب انساناً فمات فليقتل قتلاً فان لم يتعمد قتله بل اوقعه الله في يده فسأجعل لك موضعاً يهرب اليه	(٢٠٧،٢٠٦) اذا تشاجر رجلان وجرح أحدهما الآخر يقسم الضارب انه لم يتعمد جرحه ويتكفل بمعالجته على يد طبيب. واذا مات من جرحه يقسم ايضاً فاذا كان حرّاً يدفع نصف منّ فضة
(ع ١٥) من ضرب أباه أو أمه فليقتل قتلاً	(١٩٥) اذا ضرب الولد أباه تقطع يداه
(ع ١٦) من خطف احداً فباعه ووجد في يده فليقتل قتلاً	(١٤) اذا سرق رجل ابن رجل آخر فالسارق يذبح
(ع ١٧) من لعن أباه او أمه فليقتل قتلاً	(١٩٢) اذا قال ابن نزيل القصر او ابن الزاهد لحاضنه او حاضنته «لستَ ابي أو لستِ أمي» يقطع لسانه
(ع ١٨ و١٩) اذا اختصم رجلان فضرب احدهما صاحبه بحجر او لكمة فلم يمت بل القي في الفراش فان قام ومشى خارجاً على عكازه فقد برىء الضارب غير انه يعطيه أرش عطلته وينفق على علاجه	(٢٠٦) اذا تشاجر رجلان وجرح احدهما الآخر يقسم الضارب انه لم يتعمد جرحه ويتكفل بمعالجته على يد طبيب
(ع ٢٠ و٢١) ان ضرب انسان عبده اوأمته بقضيب فمات تحت يده ينتقم منه واما ان قام يوماً أو يومين فلا ينتقم منه لانه ماله	(٢١٧) وأن كان عبداً فصاحبه يدفع شاقلين من الفضة
(ع ٢٢ — ٢٥) اذا اختصم قوم فصدموا امرأة حاملاً فسقط الجنين ولم يتأتَّ ضرر فليغرم الصادم كما يفرض عليه	(٢٠٩ — ٢١٤ و٢٠٠) اذا ضرب رجل ابنة رجل حرّ فاسقطت سقطها من ضربه يدفع عشرة شواقل فضة ثمن السقط

بملء المرأة ويؤدي على يد القضاة وان تأتى ضرر تبيء نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكياً بكي وجراحة بجراحة ورضاً برض

(ع ٢٦ و٢٧) ان ضرب انسان عين عبده او أمته فاتلفها فليطلقه حرًّا بدل عينه وان اسقط سن عبده او أمته فليطلقه حرًّا بدل سنه

(ع ٢٨) ان نطح ثور رجلاً او امرأة فمات فليرجم الثور ولا يؤكل من لحمه ورب الثور بريء

(ع ٢٩ — ٣٢) فان كان ثوراً نطاحاً من امس فما قبل فاشهد على صاحبه ولم يضبطه وقتل رجلاً او امرأة فليرجم الثور وصاحبه ايضاً يقتل وان ألزم دية فليعط فداء نفسه جميع ما يلزمه وان نطح صبياً او صبية فبحسب هذا الحكم يصنع به وان نطح الثور عبداً او امة فليؤد الى مولاه ثلاثون مثقالاً من الفضة والثور يرجم

(ص ٢٢ ع ١) اذا سرق احد ثوراً او شاة فذبحه او باعه فليعوض بدل الثور خمسة وبدل الشاة اربعاً

واذا مات تذبح ابنته واذا كانت المرأة من الموالي يدفع الضارب خمسة شواقل واذا ماتت يدفع نصف منّ من الفضة واذا كانت أمة وأسقطت يدفع الضارب شاقلين من الفضة واذا ماتت دفع ثلث منّ من الفضة واذا خلع احدهم سن رجل من طبقته يخلع سنه

(١٩٩) اذا اتلف انسان عين عبد او كسر عظمه يغرم مناً من الفضة

(٢٥٠) اذا هجم ثور معتوه على رجل وقتله نطحاً فتلك حادثة لا جزاء فيها

(٢٥١ و٢٥٢) فاذا كان صاحب الثور عارفاً بميل ثوره الى النطح ولم يقلل قرنيه ولا حبسه فاذا نطح رجلاً حرًّا وقتله دفع نصف منّ فضة واذا كان المقتول عبداً دفع ثلث منّ

(٢٦٢ و٨) اذا ... انسان اوثور أو .. (ممحو) .. اذا سرق انسان ثوراً او شاة او حماراً او خنزيراً أو سفينة من الآلهة او القصر يعوضه ثلاثين ضعفاً فاذا كان من الموالي ادى عشرة اضعافه فاذا عجز عن الاداء يذبح

(ع ۲ و ۳) ان وجد السارق وهو ينقب فضرب وقتل فدمه هدر فان وجد وقد شرقت الشمس فلا يهدر دمه وانما يعوض وان لم يكن له فليبع في سرقته

(۲۱) اذا نقب احد بيتاً فانه يذبح عند النقب ويدفن فيه

(ع ٥) اذا رعى احد حقلاً او كرماً فاطلق بهيمته ورعت في حقل غيره فن اجود حقله او كرمه يعوض

(٥٧) اذا أرعى أحدهم غنمه في ارض ولم يخابر صاحبها بذلك فيحصد الزرع ويكلف الراعي باداء عشرين جوراً عن كل عشر جانات

(ع ۷ اذا دفع انسان الى صاحبه فضة او امتعة ليحفظها فسرقت من منزله فان وجد السارق عوض مثلين

(۱۲٥ ، اذا أودع أحد امتعته في منزل وفقد بعضها اوكلها بالسرقة او غيرها فعلى صاحب المنزل ان يؤدي ما فقد ويطالب السارقين بما سرقوه

(ع ۸) وان لم يوجد السارق يقدم صاحب المنزل الى الآلهة ليحلف انه لم يمدد يده الى ملك صاحبه

(۱۲۰) اذا خزن رجل حنطته في مخزن رجل آخر وتلفت او نقصت فيطالب حنطته امام الاله وصاحب المخزن يؤديها

(ع ۹) كل دعوى جناية في ثور او حمار او شاة او ثوب او كل ضالة يقال فيها بالاس كذا فالى الآلهة ترفع الدعوى ومن تحكم الآلهة عليه يعوض صاحبه مثلين

(۹ — ۱۳) اذا أضاع أحد شيئاً ثم وجده عند آخر فاذا قال هذا انه ابتاعه بمشهد من الاشياخ وقال المالك انه يحضر شهوداً يشهدون صدق ملكيته . فعلى الشاري ان يحضر الرجل الذي باعه والاشياخ الذين شهدوا البيع ويحضر المالك شهوده فينظر القاضي في أدلتهم فاذا شهد الاشياخ والشهود امام الاله بصدق الاثنين فيعدّ البائع سارقاً ويذبح ويستولي صاحب المال على ماله واما الشاري فانه يقبض ما دفعه من اهل البائع واذا لم يستطع الشاري احضار الاشياخ فالقاضي يمهله ستة شهر فاذا لم تحضر الشهود

بعدها فقد أفسد أمانته فتقع العقوبة عليه

(ع ١٠ و ١١) اذا دفع احد الى صاحبه حماراً او ثوراً او شاة او شيئاً من سائر البهائم ليحفظه فمات او تعيب او غنم ولم يره راء فيمين بالرب تكون بينهما انه لم يمد يده الى ملك صاحبه فيقبلها الصاحب وهو لا يعوض شيئاً

(٢٦٦) اذا أصيب القطيع بضربة من الالهة او سطا عليه أسد فالراعي يقسم امام الاله وهو بريء

(ع ١٢) وان سرق من عنده يعوض صاحبه

(٢٦٣) اذا أضاع انسان ثوراً أو خروفاً كان في عهدته غرم بمثله

(ع ١٣) فان افترس فليأت به شهادة لا يعوض الفريسة

(٢٤٤) اذا استأجر احدهم ثوراً او حماراً وافترسه الاسد في البرية فلا يطالب به

(ع ١٤) ان استعار أحد من صاحبه شيئاً فانكسر او مات وليس ربه معه يعوض

(٢٤٥ — ٢٤٨) اما اذا مات من ضرب المستأجر او اهماله فيعوض الخسارة بمثلها واذا كسر قرنه او قطع ذيله او اتلف كمامه يدفع ربع ثمنه

(ع ١٦ و ١٧) ان راود رجل جارية بكراً لم تخطب فغشيها فليمهرها زوجة له فان أبى ابوها ان يزوجها فليزن له من الفضة مثل مهر الابكار

(١٣٠) اذا تعدى رجل على امرأة لا تزال في بيت أبيها واضطجع في صدرها يذبح والمرأة بريئة

وما خلا هذه النصوص فقد ذكروا مشابهة اجمالية بين شريعة حمورابي وكتاب العهد من وجوه اخرى . منها ان الكتاب المذكور يبتدىء بذكر الاسلوب الذي يعبد به « يهوى » (خروج ص ٢٠) ثم ياخذ في ايراد نصوص الشريعة وينتهي بالموعظة والانذار . وكذلك شريعة حمورابي ففي اولها ذكر عظمة حمورابي ثم الشريعة ويليها الاوامر لمن يأتي بعده بالمحافظة عليها

ناهيك بالمشابهة الكلية في بعض المعاملات القانونية كالتقاضي مثلاً فانه يكاد يكون على اسلوب واحد في الشريعتين وبعض تلك المعاملات ورد في شريعة موسى بصبغته الوثنية . وكان علماء التوراة في ريب من تفسيره فلما اطلعوا على شريعة حمورابي هان عليهم فهمه . ففي سفر الخروج (ص ٢١ ع ٦ وص ٢٢ ع ٨ و ٩) ان السارق او نحوه يأتون به الى الاله او الآلهة ليحلف او ليتلقى الحكم . وهذا يخالف تعاليم اليهود التوحيدية فاضطر المفسرون الى تأويل معنى الآلهة فقالوا يراد بها القضاة . واما في شريعة حمورابي فواضح ان المراد بالآلهة الهيكل حيث كان الناس يتقاضون

ومما يستدلون به على اثبات زعمهم في اقتباس شريعة اليهود من شرائع البابليين ان اليهود لم يكتبوا لغتهم العبرانية الا بعد زمن موسى بعدة قرون وانهم كانوا اذا اضطروا الى مراسلة او كتابة عقد كتبوه باللغة البابلية والحرف المسماري كما كان يفعل البابليون . ومن الادلة على ذلك ان الباحثين في الآثار المصرية عثروا سنة ١٨٨٧ في تل العمارنة على قرميدات مكتوبة بالحرف المسماري علموا من قراءتها انها رسائل سياسية من اسوروبالت ملك اشور وبورنابورياش ملك بابل ومن بعض كبراء فلسطين الى امنوفيس الثالث ملك مصر وكلها باللغة البابلية . فما الذي حمل اهل فلسطين على مخابرة الدولة المصرية بلغة غير لغتهم مكتوبة بحرف غير حرفهم ؟ لا يعلل ذلك الا بان اللغة العبرانية لم تكن لغة كتابية في ذلك العهد والا فلا يعقل ان يكون عند العبرانيين حروف هجائية يكتبون بها لغتهم ويعمدون الى ترجمة رسائلهم الى لغة اجنبية ويكتبونها باحرف اجنبية من اكثر الحروف صعوبة على الكاتبين . ومع قدم عهد اللغة العبرانية في فلسطين فان اقدم اثر وجدوه منها مكتوباً بالحرف العبراني الاثر البرونزي لبعل لبنان

ويستنتجون من ذلك ايضاً ان العبرانيين كانوا ينظرون الى التمدن البابلي نظر الاحترام لانهم كانوا في حال السذاجة والبابليون في ارقى مدارج الحضارة والمدنية في ذلك العصر . حتى اضطرت الامم المعاصرة ان تتعلم لسانهم ليستفيدوا من علمهم كما كان الناس

في عصر الرومان يتعلمون اليونانية لدرس فلسفة اليونان وكما كان الافرنج في الاجيال الوسطى يتعلمون العربية للاطلاع على العلوم الاسلامية وكما نتعلم اللغات الافرنجية اليوم للاطلاع على العلوم الحديثة . فالبابليون كانوا اهل علم وفلسفة يوم كان الناس في ظلمة الجهالة (الا مصر) فكانوا يتعلمون لسانهم لحاجتهم اليه كذلك فعل اهل فلسطين واهل ارمينيا القدماء في وان . فقد وقف الباحثون في تل العمارنة ايضاً على مخابرات من ملك ميتاني احد ملوك ارمينيا في ما بين النهرين مكتوبة باللغة البابلية والحرف المسماري وكذلك فعل الفرس القدماء . وكان الغالب في ذلك الاقتباس ان يقتصر المقتبسون بعد قليل على الاحرف المسمارية وتعود كل امة الى لسانها فتكتبه بتلك الاحرف كما فعل الارمن والفرس في ذلك العهد البعيد فانهم بعد ان تعلموا اللغة البابلية واستخدموها مدة اهملوها وظلوا يكتبون لغاتهم بالاحرف المسمارية وكما يكتب الفرس والترك والهند لغاتهم الآن بالاحرف العربية

فالظاهر ان العبرانيين لم يطل عهدهم بالاحرف المسمارية ولو طال لكتبوا لسانهم بها كما فعل سواهم . ولو عرفوا الحروف الهجائية الفينيقية يومئذ لما عدلوا عنها الى الحرف المسماري على ان استخدامهم اللغة البابلية لم يكن الا يسيراً ولذلك فآثار هذه اللغة في فلسطين نادرة جداً . ولاحظوا في قرميدات تل العمارنة المشار اليها انه لم يرد فيها ذكر بني اسرائيل ولا ما يدل على وجودهم في ذلك العهد وقد تقدم في الهلال الماضي ان بورنابورياش حكم بابل بعد حمورابي بسبعة قرون فالاسرائيليون لم ينزلوا ارض كنعان الا بعد عصر حمورابي بسبعمئة سنة على الاقل

وخلاصة ما يستنتجونه مما تقدم وغيره ان شريعة حمورابي كتبت وانتشرت في العالم يومئذ بانتشار اللغة البابلية والتمدن البابلي قبل عصر موسى بثمانية قرون واليهود لا يزالون على بداوتهم وسذاجتهم فلا يعقل ان تخفى تلك الشريعة على كهانهم او عقلائهم واذا اطلعوا عليها لا يعقل ان لا يقتبسوا منها شيئاً وهي توافق عاداتهم واخلاقهم لان الامتين من اصل واحد

فيرى اصحاب هذا القول ان اليهود اقتبسوا شرائعهم من شريعة حمورابي وطبقوها على ما يوفق حالتهم الاجتماعية وزادوا فيها تعاليمهم الدينية . لان شرائع حمورابي مدنية محضة وضعت لمعاملة الناس في احوالهم اليومية في التجارة والزراعة والتوارث والتقاضي ونحو ذلك ولم يرد فيها ذكر الاله او الالهة الا عرضاً . واما شريعة اليهود فاساسها الدين

وقوانين المعاملة ملحقة به او نتيجة من نتائجه

على ان الحكم القطعي في هذه المسألة لا يزال يفتقر الى درس وتحقيق . ولا ريب ان علماء الكتاب المقدس يهتمون في هذا الامر كثيراً وسنرى ما يكون من نتائج ابحاثهم وتحقيقاتهم ولا نظنهم يتمكنون من الفصل في ذلك فصلاً تاريخياً قبل العثور على آثار أخرى تؤيد احد القولين . والاَّ فاعتقاد اهل الكتاب نزول هذه الشرائع على موسى بالوحي او بالتلقين كافٍ لا نحتاج معه الى نظر او بحث

على ان شريعة حمورابي ليست اصلية في وضعها بل هي مؤلفة من شرائع سابقة لها وانما وصلت الى تلك الحال من الكمال بتوالي الاجيال عملاً بناموس الارتقاء. وقد وجدوا في الآثار البابلية قرميدة هي الآن في المتحف البريطاني مكتوبة باللغة الاكادية التي بطل استعمالها في بابل حوالي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد . وعلى هذه القرميدة فقرات من شريعة كانت قبل حمورابي قد استعان بها وبامثالها على وضع شريعته بالترجمة والتلخيص والتطبيق على احوال عصره . واليك ترجمتها لترى ان حمورابي نقلها الى شريعته بتغيير قليل

(١) اذا قال غلامٌ لابيه « لست ابي » فيكوى ويقيد ويباع بالفضة بيع العبد (راجع شريعة حمورابي ١٩٢ و ٢٢٦ و ١٤٦)

(٢) اذا قال غلامٌ لامه « لستِ امي » يكوى وجهه ويطرد من المدينة ويخرج من البيت

(٣) اذا قالت امٌ لابنها « لست ابني » تخسر بيتها واثاثها

(٤) اذا ابغضت المرأة زوجها وقالت له « لست زوجي » تطرح في النهر (١٤٢ و ١٤٣ من شريعة حمورابي)

(٥) اذا قال الزوج لامرأته « لستِ امرأتي » يدفع لها نصف من فضة (١٣٧ و ١٤٠ حمورابي)

(٦) اذا استأجر انسان عبداً ومات العبد او عطله المستاجر او هربه او امرضه فيؤدي عنه نصف « كا » من الحنطة عن كل يوم (٢٤٥ — ٢٤٨ و ١٩٩ و ٢٥٢ حمورابي)



صحة العائلة

الشاي والقهوة

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي بدمنهور

ان الشاي والقهوة حديثا العهد في الامم المتمدنة لا يتجاوز ظهورهما الف سنة الاَّ قليلاً اما شيوعهما في المدن الكبرى فاكثره في القرنين الاخيرين وخصوصاً في النصف الاخير من القرن التاسع عشر حتى بلغ معدل ما ينفق منهما سنوياً نيفاً وثلاثمائة مليون ليرة ومائة مليون ليرة من القهوة · ومع ذلك فان هذين العقارين مضرَّان · ولبيان ذلك نذكر تركيب كل منهما الكيماوي ثم نأتي على تاثيرهما الفيسيولوجي

١ تركيبهما الكيماوي

(تركيب الشاي) حلل المستر مولر الشاي فوجده يحتوي على ٧٩، زيت عطري و٤٣، شايين و١٧،٨٠ تنين و٨،٥٦ صمغ و٢،٢٢ كلوروفل و٢،٢٢ راتينج و٢٨، شمع و٣ مواد البيومينية و٢٣،٦٠ مواد ملونة و١٧،٠٨ الياف خشبية و٢،٤٨ مواد مختلفة · والمواد الثلاث الاولى عليها يتوقف حسن النقيع · والمادة الفعالة في الشاي الشايين وهو شبه قلوي يشبه الكافيين (مادة القهوة) وتنسب قوة الشاي الى التنين الموجود فيه ويختلف الشاي الصيني عن الهندي بكثرة الشايين في الاول والتنين في الثاني ونقع كليهما عشر دقائق كاف لاستخلاص المادة الفعالة فاذا طالت مدة النقع فلا يستخلص الماء غير التنين وبما ان كثرة التنين تضر بالهضم فالنقع مدة طويلة مضر يجب اجتنابه

(غش الشاي) عمدة اوربا في استحضار الشاي على الصينيين ولذلك اكثر الباعة من غشه حتى ندر وجوده خالصاً · فكثيرًا ما يجمع الصينيون كناسة الشاي فيبلونها بماء الارز ويخلطونها بقشور بعض النباتات واوراقها ثم يصبغونها بالدلغان الصيني ويضيفونها الى اوراق الشاي الاصلي · اما الاوربيون فيغشونه بتنشيف الاوراق المستعملة وبلها بالصمغ والكاد الهندي وتوجيهها وعرضها ثانية للبيع كشاي غير مستعمل · وكثيرًا ما يحضرون اوراق نباتات اخرى كالخوخ البري والزعرور والصفصاف والزان ويبيعونها شاياً · و يصعب تمييز الجنس الجيد من الرديء ولا يستطيع ذلك الاَّ الخبيرون · قال الكلونل قوني بعد

الاختبار الطويل ان احسن جنس من الشاي الاسود هو ما كان ماء نقيعه مسمرًا لامعًا ذا رائحة عطرية ذكية وطعم رقيق لطيف حلو مع قبض قليل وان الذه نكهة ما كانت اوراق نقيعه متقاربة التشابه باللون الاسمر · وهو الجنس المرغوب في البلاد الانكليزية ويوسل منه اليها نحو مائة مليون ليبرة سنوياً · وكذلك في الولايات المتحدة الاميركية والهولانديون والروس مغرمون به كثيرًا و يصيب الواحد منهم سنوياً خمس ليبرات · اما ما يصرف في الصين سنوياً فيبلغ الفي مليون ليبرة و يصيب الواحد من سكانها اكثر من خمس ليبرات في السنة و يبلغ كما يصرف في العالم نيفًا والفين وخمسمائة مليون ليبرة

✻ تركيب القهوة ✻ في القهوة مواد كثيرة مختلفة اهمها المادة الفعالة وهي الكافيين وهو شبه قلوي يوجد في الاوراق اكثر مما في البزور يشبه الثايين بفعله الفسيولوجي والزيت العطري علة رائحة القهوة المعلومة · اذا تعتقت القهوة نقص وزنها نحو ٨ في المائة تخسر في السنة الاولى خمسة في المائة وفي الثانية ٣ في المائة والباقي بعد ذلك · على ان تلك الخسارة لا يعتدُّ بها بالنظر الى ما تكتسبه القهوة من تحسين صفتها وازدياد قيمتها لان الزيت العطري يزداد بتعتيقها فيصير به شربها منعشًا لذيذًا · اذا تحمصت تحمصًا كافياً تكون بالزيت العطري مادة زيتية مرة و يغلب بعض الكافيين واذا كان التحميص غير كاف تخسر جانباً من المادة العطرية ولا يكون نقيعها منعشًا مقبولاً للذوق · فالانسب ان لا يسحق البن الا حين الاستعمال ويجب حفظ المسحوق في زجاجات محكمة السد لمنع الهواء عنه وللبدو في تحميصها حذاقة خصوصية

✻ غش القهوة ✻ تغش القهوة المسحوقة بمسحوق الشيكوريا ولا تعرف الا بواسطة الميكرسكوب · اما النقيع فيعرف غشه من الثقل النوعي لانه اخف من نقيع الشيكوريا وقد تغش بالجذر الاحمر والابيض والشمندور والحمص واللوبية والترمس والقمح والارز والبلوط وقهوة العبيد · ويستعمل اهالي سومطرة اوراقها عوضًا من الشاي لكنها غير لذيذة الطعم لخلو الاوراق من الزيت العطري

٢ فعلهما الفسيولوجي

قرر سمث ورتشاردسن ان جرعات صغيرة من الثايين او الكافيين تزيد عمل القلب والكليتين وافراز الحامض الكربونيكي بالرئتين وتخفض الحرارة وتقلل عمل الجلد وجرعاتهما الكبيرة تسبب القيء والصداع واخيرًا فقد الشعور والموت · شرب الدكتور سمث نقيع ١٦ درهماً من القهوة دفعة واحدة وهي تحتوي على نحو ٧ قمحات من الكافيين فسقط مغشياً عليه ·

واكل فرس بعض الجنود الانكليزية مقداراً كبيراً من الشاي فمات . وقد عرف الناس تاثير الكحول والتبغ والابسنت والافيون في الجسم اما تاثير الشاي والقهوة فلم يدرس الا مؤخراً اذ انتبه اليه العلماء ومشاهير الاطباء . فاثبتوا ان الشاي والقهوة يحدثان اعراضاً خصوصية تدعى « مرض الشاي » لاحظ الدكتور مورتن من نيويورك اعراضاً في عليل كان يعالجه تبين منها ان الشاي مضرٌ فاخذ في درس ذلك على اناس في المدن الكبيرة يعرفون بمنقي الشاي وهذه خلاصة بحثه من مقالة نشرها في مجلة الامراض العصبية والعقلية في اكتوبر ١٨٧٩ قال « ان الافراط بشرب الشاي عند انتقائه يضرّ كثيراً في ممارسي تلك المهنة وهم يعترفون بامراض تعتريهم فيضطر بعضهم لترك هذه المهنة والبعض الآخر يتيقظ في ممارستها وقد تاكدت بالاختبار الطويل انه ما من انسان يشتغل في انتقاء الشاي بضع سنين ولا يصاب بضرر ولا يمكن الحكم لاول نظرة باضرار تحدثها كمية صغيرة من الشاي لان الكمية التي تؤخذ للفحص لا تتجاوز خمس عشرة قمحة وزناً بوضع فوقها نحو ١٦ درهماً من الماء الغالي وتنقع خمس عشرة دقيقة يتناول المنتقي منها بفمه بضع ملاعق صغيرة ويستنشق بعض بخارها . فلذلك لا يحدث ضرراً يذكر الا اذا تكرر كثيراً »

أهم الامراض التي تحدث من استعمال الشاي مشروباً عمومياً الانحطاط العمومي والاوجاع العصبية والدسبسيا والهيبوخندريا والهستيريا وغيرها مما سيأتي تفصيله . وكم من آلام مبرحة يقاسيها الناس ولا يعلمون سببها وما هو الا الافراط من شرب الشاي والقهوة وربما اتخذهما بعض الناس علاجاً لدفع تلك الآلام واليك اعراض التسمم بالشاي قالوا . بعد الشرب بعشر دقائق يحمر الوجه ويدفأ الجسم ثم يخدر العقل كما يحدث في الاماكن العالية اللطيفة الهواء فيرى الانسان نفسه نشيطاً لا يشعر بتعب طلق اللسان رائق العقل متيقظ الذهن — كل ذلك يراه حقائق راهنة لا جدال فيها . ولكن لا تمضي ساعة حتى يبتدىء ردّ الفعل فيشعر بألم في الراس ويتجعد الوجه بارتجاف وخصوصاً قرب العينين ويزرق اسفل الجفن ويحدث رد الفعل هذا بعد ساعتين فنزول الحرارة واحمرار الوجه تدريجاً وتبرد الاطراف وترتعش الاعصاب وينزعج الجسم لادنى حركة ثم ينحط العقل فلا يستطيع اخف الاعمال كانه في ظلام لا يدرك شيئاً ولا يرى شيئاً ويكثر البول وتظهر أعراض سوء الهضم كالقراقر وحموضة الفم ونحوها ومع ذلك فقلما يشعر بالتعب . ثم يعقب ذلك انحطاط عام يدل عليه برد الاطراف والرعشة والتهيج العقلي ولا تحسن الحال الا بعد ايام ويزداد بها الميل لشرب المسكرات . اما فعله المزمن فوجع الرأس وطنين

الاذنين وترى العينان امامهما بقعاً سوداء تذهب وتجيء . ويشعر بالدوار ويستولي عليه الارق فيحلم أحلاماً كثيرة مملة وكثيراً ما يرى تلك الاحلام في اليقظة ثم يحدث سوء الهضم ويستولي على العقل خوف يوهمه قرب وقوع حادث مضر فان كان في قطار يخشى اصطدامه بقطار آخر او في شارع فيخاف شيئاً يدوسه او على جانبي الطريق فيخشى وقوع شيء عليه من السطوح يحطمه ويهرب من كل كاب يصادفه ويخاف الذهاب الى عمله لئلا يخبر بافلاس صديق له . وتخدر رجله احياناً فيظنها شلت وقس على ذلك . وتمتاز الاعراض المزمنة عن الحادة بالدوخة ووجع الرأس والارق وسوء الهضم والانحطاط العقلي وبعلامات في بعض مراكز الشعور ومن هذه الاعراض ما يدل على احتقان الدماغ ومنها ما يدل على اضطراب في الهضم او في الادراك والحس . وتسمى بجملتها أعراض التسمم بالشاي .

وقد اجرى الدكتور مورتن امتحانات عديدة لاثبات هذه الاعراض لفعل الشاي فكانت النتيجة فيها كلها واحدة . وطبع نتيجة امتحاناته على حدة ووزعها على الاطباء لابداء آرائهم فيها فاختبرها كثيرون بانفسهم وصادقوا عليها واعترض عليها آخرون واخصهم تجار الشاي لكن الاكثرية كانت مع الدكتور المذكور فثبت رأيه . قال الدكتور تشاردسن « قد تتولد امراض عصبية ووظائفية من سوائل غذائية تدخل الجسم ومنها الشاي فاذا أفرط في استعماله كان مضرًّا فان شبه القلوي الموجود فيه (الشايين) يؤثر على الجهاز العصبي تأثيراً قابضاً مضرًّا . واعتقد ان الصغار يشعرون باضراره أكثر من الكبار وكلما تقدموا نحو الشبيبة قلت قوة فعله فيهم » . اما في النساء الفقيرات اللواتي يشربن الشاي مع كل طعام فتأثيره عظيم جداً والحالة العصبية الهستيرية الناتجة عنه عمومية ظاهرة للعيان . وأما في انكلترا وأميركا وغيرهما من البلدان التي يؤخذ فيها الشاي كل يوم بعض الظهر فتظهر تلك الاعراض بين الاغنياء أيضاً فيلتجئون الى الاشربة الروحية تخلصاً من تلك فيقودهم شر الشاي الى شر أعظم منه . قال بعض الذين جربوه يصف أعراضه « أشعر بقلة اللعاب وفساد الذوق وزيادة الصفراء وجشاء وقبض واعراض عصبية حادة قوية وأحلام مخيفة »

اما القهوة فهي كالشاي لكنها تؤثر بالاكثر على الجهاز العصبي فتهيج الدماغ المتعب وهو يحتاج الى الراحة اذعاناً للناموس الطبيعي . قال المستر هنري سافيل في كتاب الى بعض انسبائه يقبح فيه عادة شرب الشاي قبل انتشاره في بلاد أوربا « ان بعض أصدقائي يدعوني لشرب الشاي وهي عادة هندية دنيئة جداً فانني على عائلاتكم المسيحية لرفضها

ثم قال « والحقيقة ان الناس انغمسوا في الشرور حتى قبلوا هذه العادات الذميمة » وقال بعض الاطباء يومئذ « يوجد شراب يسبب كل الاوجاع الهيوخندرية يسمونه الشاي وهو عقار دخل حديثاً في طعامنا وولائمنا وزياراتنا » وقال جوناس هانواي « قد خسر الرجال قامتهم والنساء جمالهن باستعمال الشاي »

فاستعمال الشاي او القهوة بكثرة يهيج الدماغ ويحدث ارقاً والاماً عصبية عمومية والتنين الموجود في نقيعه يقلل افراز اللعاب ويضعف الهضم ويشوش عمل الامعاء. ويحسن بنا جمع اضرار الشاي والقهوة بالاختصار وهي ثلاثة: الاول انهما يتلفان القوة الحيوية في الجسم فقد وجد الدكتور سمث والمستر كازو وغيرهما ان المواد الداثرة تزداد في الجسم بفعلهما استدلوا على ذلك من زيادة الحامض الكربونيكي الذي يفرزه شاربوهما اكثر مما يفرزه سواهم. الثاني انهما يفسدان الهضم فاذا اخذ احدهما قبل الاكل والمعدة فارغة يهيجان اعضاء الهضم واذا اخذا مع الاكل يفسدان الهضم بادخال كمية من السائل الى المعدة فوق ما يلزمها وبتمديد المعدة بسوائل ذات حرارة عالية تضعف السائل المعدي وبارسابها الببسين بواسطة التنين الذي يحتويه. ذكر احد مشاهير اطباء اوستراليا في اجتماع بالجمعية الطبية الانكليزية ان الدسبيسيا الناتجة عن شرب الشاي والقهوة مرض شائع جداً في بلاده. وبين السير وليم روبرت ان الشاي والقهوة بكميات صغيرة يضعفان عمل اللعاب في النشاء فيفسد هضم المواد النشوية فيحدث سوء الهضم. الثالث انهما مضران جداً في الجهاز العصبي ويظهر ذلك من ملاحظة تاثيرهما السريع وكلما يهيج القوى الرئيسية فوق قياسها الطبيعي ولا بعوض عما يتلفه ذلك التهيج فرد الفعل يحط تلك القوى تحت قياسها الطبيعي وقد اثبتت التجارب ذلك في شرب نقيع الشاي الثقيل. قد يكون النقيع خفيفاً جداً حتى لا يمكن الشعور برد فعله غير ان الجهاز العصبي يشعر به لدرجة معينة وان كانت لا تشعر اعصاب الحياة الحيوانية ودوام تعاقب ذلك التهيج والانحطاط في الجسم البشري يضر بالجهاز العصبي بازدياد تعرضه للامراض العصبية كالنفرالجيا والنيوراستينا والهستريا وخلافها

اما الاضرار الادبية فكثيرة منها ما قاله بعضهم « ان الاستمرار على شرب الشاي ينتج تاثيراً خصوصياً في الاخلاق » قال احد الممرضين في الامراض العصبية « ان حدة الخلق وتهييج الطبع هما كالدسبيسيا اعراض احدثها الاستمرار على شرب الشاي وفي الاماكن الخيرية في اوربا واميركا يكثر استعماله وخصوصاً في دور العجزة فتكثر هناك

من مجلس الى آخر على مايقتضيه الموضوع الذي يكتب فيه . وربما بلغ ما يشربه من القهوة بضعة عشر فنجاناً او اكثر في اليوم

والشيخ احمد فارس الشدياق كان يكتب غالباً في قاعة الاستقبال فيجلس الى الطاولة يكتب والزائرون بين يديه . واخبرنا صديق لقيه في الاستانة وعاشره طويلاً انه كان يستحث قريحته بالخروج في الهواء المطلق ساعة كل صباح . والغالب ان يمضي الى جسر غلطة فيقف عنده نصف ساعة ثم يعرج الى قهوة يجلس فيها ساعة وهو ينزه عقله ثم يمضي الى مكتبه فيسيل قلمه سهولة وطلاوة وكثيراً ما كان يكتب وهو متكئ على يسراه والقلم في يمناه

وجمال الدين الافغاني قلما كتب وانما كان علمه بالتلقين خطابة أو مباحثة . وكانت عادته اذا جلس للحديث او وقف للخطابة ان يحك أسفل ذقنه بعرض كفه على طول السبابة فيمر كفه على هذه الصورة من اعلى عنقه تحت الفك السفلي نحو الامام مراراً . وكان اذا تناول الطعام اشتغل عن اعمال الفكرة في المواضيع السياسية او العلمية بما يبسط النفس من الاحاديث الفكاهية المضحكة

والشيخ علي الليثي شاعر الخديوي اسماعيل كان اذا خانته القريحة وهو ينظم الشعر عبث بجانب لحيته يحكه

وذكر سليم افندي سركيس في جريدته (الراوي) ان المرحوم الشيخ نجيب الحداد لم تكن تجري قريحته الا اذا كان مكتبه (الطاولة) مشوشاً فاذا رآه مرتباً احتبس قلمه

التلمود وترجمته الى العربية

(الاسكندرية) سليم افندي اسعد

قرأت في بعض الجرائد المصرية ان الدكتور موبال عزم على ترجمة التلمود الى اللغة العربية وان الحاخام باشي اعترضه لمخالفة ذلك للدين او العادة . فما هو التلمود وهل ترجم الى العربية قبل الآن وما رأيكم في ترجمته

(الهلال) التلمود كتاب ضخم يدخل في عدة مجلدات وفيه شرائع اليهود وطقوسهم وتقاليدهم وتاريخهم وآدابهم وعلومهم وأحكامهم الشخصية والمدنية وسائر احوالهم في متن عليه شروح وتعاليق كثيرة . والتلمود نسختان احداهما تسمى البابلية والاخرى

الاورشليمية والفرق بينهما في الشرح لا في المتن وكلاهما في اللغة العبرانية المولدة والآرامية وهي مزيج من العبرانية والكلدانية • وقد طبعت النسخة البابلية من التلمود سنة ١٥٢٠ في البندقية كاملة في ١٢ مجلداً ضخماً وهي أضبط الطبعات واتقنها وتسمى طبعة بومبرج وعنها أخذت سائر الطبعات بعدها • وأما النسخة الاورشليمية فقد طبعت مرتين الاولى في بومبرج سنة ١٥٢٢ والثانيـة في كراكو سنة ١٦٠٩ والكتاب المذكور مع اهميته في علم التاريخ والأدب لم ينقل الا الى بعض لغات أوربا نقلاً ضعيفا

وتحدث الناس منذ عشر سنوات في ما ينسب الى طائفة اليهود من الفظائع الدموية مع احتجاب شرائعهم • فسألنا بعض الادباء عن سبب ذلك الاحتجاب وتقاعد اليهود عن نشر تعاليمهم للملاء كما فعلت الطوائف الاخرى وهل ما ينسبونه اليهم من تلك الفظائع صحيحاً ثابتاً • فكتبنا في الهلال الثامن من السنة الرابعة نبرىء اليهود من هذه التهم وذكرنا حقيقة التلمود وانه منزه عن هذه المفتريات • فكتب الينا غير واحد يشددون النكير على الهلال ويتهمونه بالمحاباة او المجاملة فرددنا في الهلال التالي رداً ضافياً قلنا في جملته :

• (١) ان الهلال يتنزه تنزهاً تاماً عن ان يضحي الحقيقة على مذبح المجاملة أو المسايرة وان ما كتبه في ذلك الجواب انما هو اعتقاده وقد تحققه بالادلة العقلية والنقلية

(٢) ان ما تتناقله الالسنة ويلهج به بعض الناس مما ينسبونه الى اليهود من الفظائع القبيحة انما هو من آثار التعصب الذي صحب رواته في الاجيال المظلمة ولا حقيقة له في كتبهم او قوانينهم

(٣) قلنا في جوابنا السابق ونقول الآن ان وقوع مثل هذه الفظائع من بعض أفراد اليهود لا يستحيل كما انه لا يستحيل حدوثها عن غير اليهود ولكننا ننزه أمة اليهود وديانتهم عن اجازتها او اباحتها بوجه من الوجوه

(٤) هذا ما نعتقده ولا نزال عليه حتى يأتينا حضرات المعترضين بنص صريح في كتب اليهود الدينية أو في وقائعهم الرسمية يثبت على أمة اليهود ارتكابها هذه الفظائع والا فلا عبرة بما تتناقله الالسنة ويبالغ فيه الرواة واذا فرضنا اتهام أحد اليهود بشيء منها فذلك لا يثبت انها قاعدة دينهم ومحور دستورهم »

وخطر لنا من ذلك الحين ان ننقل التلمود الى اللغة العربية ونقتصر منه على المتن وصفحاته لا تقل عن الف صفحة من قطع الهلال • وكانت الشواغل تحول بيننا وبين مباشرة هذا العمل حتى اتفق لنا الاجتماع منذ نحو شهرين بالدكتور شمعون مويال في

بيت احد الحاخامين العلماء فرأينا في خزانته نسخاً من كتاب التلمود بلغته الاصلية فتذكرنا امر ترجمته الى العربية فذكرنا ذلك للدكتور مويال وفاوضناه بشأنه وان نباشر العمل معاً فتردد في بادىء الرأي واستمهلنا ريثما ينظر في الامر ثم جاءنا بعد أيام وقد استحسن المشروع فتداولنا في خطة الترجمة على ان يشترك معنا في العمل حضرة الحاخام المتقدم ذكره واتفق رأينا أن ننقل المتن مع شرح قليل بحيث لا يزيد حجم الكتاب كله على الف ومئتي صفحة نصدرها أجزاء متتابعة تسهيلاً لاقتنائه • ثم أخبرنا الدكتور مويال بعد ايام أنهم يفضلون ترجمة التلمود بشرحه كاملاً على ان تطبع الترجمة والاصل العبراني معاً وانهم قد باشروا العمل • فاعظمنا المشروع ولكن سرّنا استيفاؤه اذ يكون اقرب الى الكمال وقد طمأننا الدكتور انهم دبروا امر النفقة اللازمة • فسكتنا عن حقنا في وضع هذا المشروع لان غرضنا الاول ظهور هذا الكتاب في العربية بعد تقاعد العرب عنه الف وثلاثماية سنة كما ظهرت الالياذة بعد ذلك التقاعد الطويل • وبينما نحن نترقب ظهور الجزء الاول من التلمود قرأنا في بعض الصحف ان حضرة الحاخام باشي اعترض على نقل هذا الكتاب الى العربية فوقع ذلك الاعتراض موقع الاستغراب عندنا لاعتقادنا خلو التلمود مما يخشى نشره وكنا نتوقع من حضرة الحاخام باشي ان يكون في مقدمة المحرضين على نقله • وقد ساءنا ذلك على الخصوص لانه يذهب بما غرسناه في اذهان قراء العربية من حسن الظن في عقائد اليهود • على ان المنع لا تكون نتيجته الا رجوع المشروع الى صاحبه الاصلي وليس لحضرة الحاخام باشي او سواه سبيل الى منعنا من ترجمته ولكننا نود من حضرته ان يوافق الدكتور مويال على ترجمته ليكون ظهور هذا الاثر الجليل برضاه وتحت رعايته

المصحف العثماني

القاهرة — مصطفى افندي حسني

اخبرني صديق انه شاهد عند بعض باعة الآثار الكتابية القديمة مصحفاً بخط الخليفة عثمان بن عفان وانه يساوي مالاً كثيراً فكيف نتحقق صحة هذه النسخة اذا اردنا ابتياعها

الهلال — ان الآثار الكتابية لا يمكن الحكم في صحتها او فسادها الا بالمعاينة ولبعض الناس قدرة عقلية على تمييز هذه الآثار وتعيين اعمارها اكتسبوها بالاختبار الطويل • على ان التاريخ ينير طريق الباحث في مثل هذه الاحوال • فالتاريخ يعلمنا ان الخليفة عثمان لم يكتب قرآناً وانما امر بجمعه فدعا جماعة من الصحابة وهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير

مراثي البارودي يوم الاربعين

ذكرنا في ترجمة البارودي بصدر هذا الهلال ان الشعراء اجتمعوا على ضريحه ورثوه شعراً ونثراً ويضيق هذا المقام عن نشر مراثيهم فنكتفي بمقتطفات منها

قال رصيفنا خليل افندي المطران صاحب الجوائب المصرية وهو الذي دعا الشعراء الى تلك الحفلة من قصيدة مطلعها

مصابك حياً عرا جعفرا وعاديك ميتاً عدا قيصرا

الى ان قال حباك زماناً بجاه الملوك وبطش الاساطين مستوزرا

ونخر الغزاة قروم السرايا وفكر الهداة نجوم السرى

وعزم يكون على أمة قتاماً وفي أمة نيرا

فكنت كما تبتغي عزة وكنت كما ترتضي مظهرا

وكنت معاً فارساً شاعراً وكنت معاً ندساً قسورا

ومنها فلما رقيت الى المنتهى وكدت تجاوز ما قدّرا

عداك الزمان باحداثه بجيشة فانبرت وانبرى

ابان المحبين والآل عنك واقصى الموالي والعسكرا

واسكت افراسك الصاهلات واصمت صمصامك الابترا

الى ان قال رمى بك في السجن من حالق اليف الجناة طريح المرا

واثخن جرحاً فاقصاك عن ثرى مصر مجتنباً مزدرى

وزادك ضيماً فحجب عن عيونك ضوء الضحى مسفرا

وجاز النكال فاردى ابنتيك كما يذبح الذبح او أنكرا

الى ان قال فما كان سجنك الا قراراً وقد تعب الجدّ ان تسهرا

ولا النفي الا خلاة أعدتْ به زمن الادب الازهرا

ولا الغض عما تراه العيون الا وقد ساء ان ينظرا

اذا وسع الارض فكر امرئ فلا بأس للطرف ان يحسرا

على الشمس ان تهدي المبصرين وليس على الشمس ان تبصرا

وفي الختام فيا جسم محمود بت في سكون ويا عين سامي انعمي بالكرى

ويا فكره كم نشدت العلى بلغت مداها فماذا ترى

اطلُّ على هذه الكائنات · من حيث انت باسمي الذرى
اتنظر غير فضاء رحيب · يحاكي النجوم به العثيرا
وتسمع غير شبيه الخفيف · لما اصطكّ منها وما كوّرا
فقل صامتاً وأشر مائتاً · لمن تاه في الارض واستكبرا
علامَ تباذخ هذي الجبال · وفيم تشامخ هذا الورى

ثم انشد الياس افندي فياض قصيدة وهي

يا قبر اتباع الرئيس توافدوا · فانظري أيأذن ان يكون خطابُ
مثلوا كمادتهم لديه وانما · قد حال من دون اللقاء حجاب
قد اوحشت اسماعهم الفاظه · فترا كضوا متشوقين فخابوا
غفلوا وكان كليمهم مستيقظاً · فاستيقظوا واذا الكليم تراب
اخلع حذاءك فالمكان مقدس · فهنا امام الشعر والمحراب
يا كعبة الادباء عفوك عن فتى · ساقته نحو ضريحك الآداب
حسبي بها زلفى اليك وان يكن · من دون مرقاك الرفيع سحاب
قد جئتُ فيمن جاء لحدك راثياً · لكن شعري بالقصور يشاب
فاسمح لروحك ان تشارف منطقي · فيشوق منه رونق وشباب
فرضٌ على الشعراء ذكرك دائماً · ما دام يذكر شاعرٌ وكتاب

ثم قال حافظ افندي ابراهيم من قصيدة مطلعها

ردوا عليَّ بياني بعد محمود · اني عييت واعيى الشعر مجهودي
ما للبلاغة غضبي لا تطاوعني · وما لحبل القوافي غير ممدود

ومنها

لبيك يا شاعراً ضنَّ الزمان به · على النهى والقوافي والاناشيد
تجري السلامة في اثناء منطقه · تحت الفصاحة جري الماء في العود
في كل بيت له ماء يرفّ به · يغار من ذكره ماء العناقيد
لو حنطوك بشعر انت قائله · غنيت عن نفحات المسك والعود
حليته بعد ان هذبته قسما · عقد بمدح رسول الله منضود
كفاك زاداً وزيناً ان تسير الى · يوم الحساب وذاك العقد في الجيد

ومنها

لو انصفوا اودعوه جوف لؤلؤة · من كنز حكمته لا جوف اخدود
وكفنوه بدرج من صحيفته · او واضح من قميص الصبح مقدود

وانزلوه بافق من مطالعه	فوق الكواكب لاتحت الجلاميد
اقول للملأ الغادي بموكبه	والناس ما بين مكبود ومفؤود
غضوا العيون فان الروح يصحبكم	مع الملائك تكريماً لمحمود

باب الاخبار العلمية

﴿ سرعة عدو الحيوانات ﴾ عني ارنست طمسن سيتون الانكليزي بدرس سرعة العدو في ذوات الاربع فوصل الى النتيجة الآتية :

اسم الحيوان	سرعته في الساعة	
الكلب السلوقي	٣٤	ميلاً
فرس السباق	٣٢	«
الظبي	٣٠	«
الارنب	٢٨	«
الثعلب	٢٦	«
الكلب الذي يصيد الثعلب	٢٢	«
الذئب الاميركاني	٢٠	«
الانسان	١٤	«

﴿ اصل العادات ﴾ يغلب في العادات ان يكون اصلها الاقتداء ببعض اهل النفوذ في حركة أو امر لم يتعمدها هو يروى ان بعض روساء القبائل في فيجي كان ماشياً في طريق وعر ووراءه جماعة من الاتباع والرجالة يمشون في اثره فعثرت رجله فسقط ففعلوا جميعاً مثل فعله الا رجلاً منهم فكان نصيبه الاهانة والتوبيخ لانه ظن نفسه اعلم من رئيسه في ما يجب عليه . واخترع بعض حلاقي فرنسا شعرا

مطبوعات جديدة

الخواطر العراب في النحو والاعراب

تأليف جبر افندي ضومط استاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية

يمتاز صديقنا جبر افندي ضومط عن سائر مؤلفي كتب النحو العربي قديماً وحديثاً باطلاعه على اخوات اللغة العربية وخصوصاً العبرانية والسريانية . فقد درسنا هاتين اللغتين معاً في بيروت منذ ١٩ سنة . ثم اطلع على آدابها و بحث في ما بينهما و بين اختهما العربية من العلائق وألف في ذلك كتاباً سماه « الخواطر في اللغة » حلل فيه تصاريف الافعال وما يعرض لها من الاحوال واسباب الزيادة في المزيدات وعلّل اصل احرف الزيادة وعلامات التأنيث والتثنية والجمع وياء التصغير وغيرها وهو بحث فلسفي لذيذ . ثم الف كتابه « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » فبحث في هذا الموضوع بحثاً جديداً لم يطرقه احد قبله . وألحق هذين الكتابين بثالث في « فلسفة البلاغة » واسمه يدلُّ على موضوعه . ناهيك بمؤلفات اخرى في اللغة وغيرها فضلاً عن معاناته التدريس زهاء عشرين سنة في اعظم مدارس سوريا . فنظرُ صديقنا الاستاذ في اللغة العربية وقواعدها واحكامها يختلف عن نظر سائر النحاة سعةً ودقةً مع قربه مما يقتضيه العصر الحاضر من تسهيل طرق التعليم وتقريب القواعد من افهام الطلبة وخصوصاً في النحو بعد ان كُتبت فيه المطولات والمختصرات . فوضع كتابه « الخواطر العراب » الذي نحن في صدده ورتبه على ما يلائم المدارس وقسمه الى فصول وابواب وتمارين وملاحظات وامثلة واجوبة على اسلوب جديد.

فصدَّر الكتاب بتمهيد وحدود واصطلاحات في موضوع النحو والمركب وانواعه والجملة الفعلية والاسمية وقواعدها والمركبات على انواعها والعوامل والمعمولات والمراد بهما وانواعهما وفي المعرب والمبني وشروط البناء واحكام الاعراب والمعربات وانواعها . وفصل في التنوين وانواعه وموانع الصرف وباب في النكرة والمعرفة وشروطها ثم الضمائر واحكامها على اختلاف مواقعها واحوالها واسم العلم وشروطه واسماء الاشارة والموصول . ثم تقدم للكلام في الجملة وانواعها وما تتألف منه وما يطرأ عليها و يعرض لاجزائها واحكام ذلك كله . وقد فصَّل الكلام واحكمهُ غاية الاحكام مما يطول بنا وصفهُ ككلامه في النواسخ وشروطها وافعال المقاربة وافعال القلوب وافعال التحويل وغيرها والجملة الفعلية وفروعها واحكامها . ثم انتقل الى التوابع المعنوية وهي المستثنى والتمييز والتوابع اللفظية وهي النعت والتوكيد والبدل وعطف البيان وعطف

النسق وفصّل احكام كل منها الى آخر ما هنالك من ملحقات النحو والاعراب . وقد جعل في آخر كل درس او فصل امثلة تساعد على فهم القواعد وسؤالات لا يستطيع الطالب ان يجيب عليها الا اذا كان قد فهم الدرس . ويلي السؤالات تمرين او غير تمرين حسب الاقتضاء فضلاً عما يورده احياناً من الملاحظات او التنبيهات على القواعد لزيادة الايضاح . ومما يقرب الكتاب من افهام الطلاب انه مقسم المواضيع واضح التحديد. صفحاته ٣٣٤ صفحة حوت مالا يمكن معرفته الا بمطالعة عشرات من مطولات النحو . فالكتاب جدير بالاعتماد عليه في المدارس الكبرى . وهو مطبوع على نفقة المدرسة الكلية ويعلم فيها ويطلب منها وثمن النسخة ٢٥ قرشاً مصرياً غير اجرة البريد

على اننا نستاذن صديقنا المؤلف بملاحظتين لا يحطان من قدر الكتاب وان كانت ملافاتهما تزيد في قيمته : الأولى انه قلّل من الملاحظات الفلسفية في رد الادوات او الحروف الى اصولها في العربية او في بعض اخواتها كما ردّ « لن » الى « لا أن » لان ذلك ينير طريق الطالب في تفهم معاني تلك الادوات او الحروف فيدرك السبب في اجتماع المعاني المختلفة للفظ الواحد على نحو ما توخاه في كتابه « الخواطر في اللغة » او لعله ترك ذلك لكتاب يؤلفه في علم الصرف لانه اولى بهذه الابحاث . والملاحظة الثانية انه اصدر الكتاب بلا فهرس على الاطلاق فنقترح عليه ان يضع له فهرساً ابجدياً للفصول والادوات معاً وله الفضل

(الاطيان والضرائب في القطر المصري)

كتاب جليل في ٧٦٠ صفحة كبيرة الفه حضرة جرجس حنين بك احد مديري الاموال المقررة بنظارة المالية . وهو أقدر انسان على الكتابة في هذا الموضوع لانه شغله اليومي فضلاً عما توصل اليه من المآخذ الرسمية وغير الرسمية . فمن أراد ان يؤلف كتاباً يبقي به ذكره ويخدم به وطنه فليؤلف في الفن الذي عاناه واشتغل فيه كما فعل مؤلف هذا الكتاب . فقد ضمنهُ اختبار عشرات من الاعوام ودرس سنين كثيرة ومراجعة مئات من اللوائح والمناشير والاوامر العالية فضلاً عن كتب التاريخ وغيرها . فجاء كتاباً وافياً لم يتوفق احد الى مثله في موضوعه . فصدرهُ بتمهيد جغرافي تاريخي ضمنه تاريخ التقسيم الاداري في القطر المصري وجداول اطيان المديريات ومالكيها ومقاديرها وتاريخ جباية مصر ونظام الحكومة وكيف تدرج الى ما وصل اليه الآن منصلاً كل فرع على حدة واختصاصات كل قسم منها وتوسع في تاريخ نظارة المالية وأقسامها وما صدر بشأن ذلك من الاوامر العالية الى

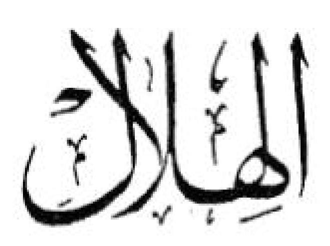
الامر العالي الصادر سنة ١٩٠٤ بشأن الاتفاق الانكليزي الفرنساوي الجديد • وانتقل بعد هذه المقدمات الى البحث في الضرائب العقارية فتكلم أولاً في ايرادات الحكومة اجمالاً ووحدة النقود والتاريخ الرسمي • ثم في فك الزمام العمومي او التاريع فذكر تاريخه وما يتعلق به ومنافع الاراضي وما يتعلق بها من الزراعة وغيرها وأتى على تاريخ الخراج بوجه عام وفصل بين الاطيان الخراجية والعشورية وتاريخ كل منهما والفرق بينهما • ثم بين تسديدات الضرائب وتاريخها وشروطها وقوانينها والاوامر الصادرة بشأنها وانواع المرفوعات المقررة والاجرآت الادارية المتبعة في اخذ الاطيان • وبحث في ابطال زراعة الدخان والتنباك والحشيش البلدي ثم تكلم في عشور النخيل وعوائد المباني بالمدن وعوائد طواحين الهدير • وختم الكتاب بفصول في الضرائب الغير العقارية كالجمارك والمصائد والملح وغيرها • والحقه بفهرس ابجدي غير فهرس المواضيع فتضاعفت فائدته واصبح لا يستغني عنه تاجر ولا مزارع ولا يليق ان تخلو منه مكتبة لانه كنز لا تنفد فوائده فنثني على مؤلفه جزيل الثناء • وهو يطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسون قرشاً والبريد اربعة قروش داخل القطر المصري وثمانية قروش الى الخارج

﴿ رواية اشيل ﴾ هي فاجعة تأدبية شعرية ذات خمسة فصول لناسج عبارتها وناظم ابياتها سعادتلو سليم بك عنحوري الدمشقي الشاعر المشهور نزيل مصر الآن • موضوعها بيان شجاعة اشيل بطل اليونان ومخاطر اظهار عواقب الحسد • وقد مثلت هذه الرواية للمرة الاولى في دمشق سنة ١٨٩٨ ثم مثلت في بيروت وطبعت ونشرت وبين يدينا نسخة منها وقد دلّ سعادة المؤلف على العبرة في موضوعها ببيتين صدّر الرواية بهما قال :

رواية قد حوت احكامها عبرا للحاسدين ونصحاً واضح الجدد
ما اهنأ العيش في الدنيا وابعده عن المفاسد لولا آفة الحسد

فنحث الادباء على مطالعتها لما حوته من العبرة والموعظة ونثني على مؤلفها الفاضل

﴿ تقسيمات المنسي ﴾ لقسطندي افندي منسي شهرة طائرة في فن الموسيقى العربية وهو استاذ بارع في الضرب على القانون والعود وسائر الآلات الموسيقية • وقد قرن علمه بالعمل فألف في الاغاني العربية تقاسيم (الحان) موضحة بالنوط الموسيقي بلغت ١٨ تقسيماً آخرها « تقسيم ليالات منسي نغم جركا » ولا تزال تقاسيم أخرى تحت الطبع وكل ما صدر منها يطلب من مكتبة الهلال وثمن تقسيم ليالات المذكور عشرون غرشاً واجرة البريد غرش فنثني على منسي افندي لتقييد الانغام العربية بالعلامات الموسيقية ونحث محبي الانغام على اقتنائها



الجزء السادس من السنة الثالثة عشرة

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٥ و ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٢



جنكز خان

القائد المغولي الشهير — او اسكندر الشرق

ولد سنة ١١٦٢ وتولى سنة ١٢٠٥ وتوفي سنة ١٢٢٧ م

المغول المغول او المغل قبيلة من التتر في جنوبي بحيرة بيقال وشرقيها في جنوبي سيبيريا وليس بين قراء الهلال من لم يعرف اسم هذه البحيرة في اثناء الحرب الروسية اليابانية . وتاريخ المغول القديم سقيم لانهم لم يظهروا الا بظهور رجلهم العظيم جنكز خان في اواخر القرن الثاني عشر للميلاد . واما قبله فقد كانوا مثل سائر القبائل الرحل يعيشون بالغزو والنهب والصيد في تلك القفار البعيدة عن التمدن وخصوصاً في ذلك العهد . ولم يكن لهم شأن في الدول او الامم لان عددهم حتى في ايام جنكزخان لم يكن يزيد على ٤٠,٠٠٠ خيمة فاذا حسبنا في الخيمة عشرة انفس لم يزد تعدادهم على اربعمئة الف نفس . فلما ظهر ذلك القائد العظيم وفتح ما فتحه من البلاد الواسعة انضاف اليه قبائل شتى من التتر وتسموا باسم المغول فصاروا يعدون بعشرات الملايين

نشأة جنكزخان الاولى كان والد جنكز خان (واسمه ايسوغاي) اميراً على

١٣ قبيلة تحت رعاية الخان الاكبر ملك التتر بعهود متبادلة بينهما · ولد جنكز خان سنة ١١٦٢ للميلاد فسموه تموجين وهو اسمه الذي كان يعرف به في نشأته الاولى · وبعد اربع عشرة سنة توفي ابوه فاستخف رؤساء القبائل لتموجين وتمردوا عليه واصبح كل منهم يطلب السيادة لنفسه · وكان تموجين شديد البطش من حداثته فجمع رجاله وحارب الثائرين وتغلب عليهم · وهذه اول وقائعه فهابه الناس · على انه لم يستغن عن استنجاد الخان الاعظم فانجده واكرمه وثبته في امارة ابيه وازوجه ابنته

وكان تموجين قد شبَّ على ظهور الخيل وتعلم رمي النشاب وضرب السيف والفن الفروسية بسائر فروعها · وكان قوي البدن شجاعاً صبوراً على التعب والجوع والعطش والبرد والالم وقد درب رجاله على مثل ذلك فاجتمعت كلمتهم على نصرته وانقادوا لامره انقياداً غريباً

ولما علت منزلة تموجين عند الخان هاجت عوامل الحسد في اعضاء اسرته وغيرهم من رجال الدولة وكان تموجين قد اغرى الخان باولئك الامراء فضيق الخان عليهم فاوغرت صدورهم فثاروا عليه وشقوا عصا الطاعة وحاربوه وغلبوه فاستنجد تموجين فانجده واعاده الى كرسيه ومثل باعدائه فالقى سبعين رجلاً منهم في الماء الغالي وهم احياء · وهذه اول فظائعه وفاتحة قسوته وسترى من امثلة ذلك ما يشيب له الولدان

فلما ظفر تموجين واظهر القسوة والشدة خافه حموه وحسده فادرك تموجين ذلك وسعى في اصلاح ما بينهما بالحسنى فلم ينجح فعزم على محاربته فتحاربا فانتصر تموجين وقتل حموه في ساحة القتال تخافه الامراء وحسدوه وحاربوه وكان الفوز له · فتولى عرش حميه سنة ١٢٠٥ م وقد تجاوز الاربعين من عمره فاحتفل المغول بتتويجه احتفالاً عظيماً شهده امراء المملكة وعليهم الالبسة البيضاء فمشى تموجين والتاج يتلألأ فوق جبينه وجلس على عرشه وتقدم اليه الامراء والاعيان فهنأوه وبايعوه على انه ملك مملكة المغول كل حياته وانهم ومن يخلفهم من اعقابهم اتباع له ولاولاده

نشأته الثانية وحارب تموجين بعد ذاك حروباً فاز فيها فازداد امراؤه تعلقاً به فاحتفلوا بتهنئته احتفالاً اعظم من ذاك في سهل على ضفاف سلنكا فاجتمع الامراء والخانات فوقف فيهم خطيباً وكان قوي العارضة فابدع · ثم جلس على لبادة سوداء فرشوها له هناك واصبحت تلك اللبادة اثراً مقدساً عندهم من ذلك الحين · ثم وقف بعض الحضور وكان من اهل التقوى والنفوذ فقال « مهما بلغ من قوتك فانها من الله وهو سيأخذ بيدك و يشد

ازرك فاذا فرطت في سلطانك صرت اسود مثل هذه اللبادة ونبذك رجالك نبذ النواة »
وفي هذا القول من حرية البداوة والجرأة مثل ما يروونهُ عن جرأة العرب على خلفائهم
وامرائهم في صدر الاسلام . ثم تقدم سبعة امراء انهضوه باحترام وساروا بين يديه حتى
اقعدوه على عرشه ونادوا باسمه ملكاً على المغول . وكان في جملة الحضور شيخ يعتقدون
فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال « يا اخوتي قد رأيت في منامي كأن
رب السماء على عرشه الناري تحدق به الارواح وقد اخذ بمحاكمة اهل الارض فحكم ان
يكون العالم كله لمولانا تموجين وان يسمى جنكزخان اي الملك العام » ثم التفت الى تموجين
وقال « لبيك ايها الملك فانك تدعى منذ الآن جنكزخان بامر الله » ولم يعد يعرف
بعد ذلك الاّ بهذا الاسم

فلما تمت له السيادة على قبائل المغول وكلهم من اهل البادية اخذ في تنظيم حكومته
وتدريب جنده على قواعد ثابتة . وكان التمدن الاسلامي يومئذ قد نضج وانتشر رجاله في
مدن اسيا وقفارها فاستفاد اهلها منه علماً وشريعة ونظاماً ولو لم يعتنقوا الاسلام . فجنكزخان
كان موحداً ولكنه لم يكن مسلماً فلما اراد تنظيم حكومته وتدريب جنده عمد الى الكتب
العربية والفارسية فنقل منها شيئاً كثيراً الى لسانه كما نقل من كتب اهل الصين فالف
شريعة لمملكته ملخصة من شرائع تلك الامم

فتوحهُ في الشرق فلما تهيأ له انشاء دولته وتنظيمها وتدريب الجند طمحت
نفسه الى الفتوح فتوفق الى ما لم يتوفق له سواه من قواد العالم قديماً ولا حديثاً — لا
الاسكندر المكدوني ولا يوليوس قيصر الروماني ولا نابوليون بونابرت الفرنساوي ولا نادر
شاه الفارسي ولا غيرهم من نوابغ القواد فقد بلغ بفتوحه شرقاً الى البحر المحيط وغرباً الى حدود
العراق وشمالاً الى آخر البلاد العامرة . فانشأ مملكة مساحتها ستة آلاف ميل مربع كما سترى

سار في فتوحه اولاً نحو الشرق الى مملكة الصين العظمى وكان لامبراطور الصين
جزية على المغول يؤدونها كل سنة فلما استفحل امر جنكزخان ابى الدفع ومعنى ذلك الاباء
اشهار الحرب . فحمل جنكزخان بجيشه على الصين واخترق سورها العظيم وامعن فيها قتلاً
ونهباً والصينيون يومئذ اسبق الامم في الاختراعات الحربية فاستخدموا النار اليونانية التي
استعان بها اليونان على دفع العرب وقذفوا على المغول كرات فيها البارود قبل ان يعرفه اهل
الغرب بازمان . على ان ذلك لم يكن ليرد غارات تلك القبائل فما زال جنكزخان زاحفاً
حتى احتل باكين عاصمة الصين وسائر بلادها الشمالية . فازداد ذلك الفاتح رغبة وقوة

فتحول بجنده الجرار نحو الغرب اي غربي بلاده وهي مملكة الاسلام

المملكة الخوارزمية كانت المملكة الاسلامية في ذلك العهد تتنازعها العناصر المختلفة من الامم الاسلامية فالايوبيون في مصر والشام (وهم اكراد) والموحودون في المغرب والاندلس (وهم بربر) والخوارزميون في بلاد الفرس وما وراء النهر (وهم اتراك) ناهيك بالدول الصغرى في بلاد الجزيرة والعراق وغيرها . وقد تمكنت بين ملوك المسلمين عوامل التنازع والخصام مع اجتماعهم على الاسلام — ناهيك بما شغلهم من هجمات الافرنج الصليبيين من الغرب والكرج والارمن من الشمال . وكانت المملكة الخوارزمية اقرب الممالك الاسلامية من المغول وسلطانها يومئذ علاء الدين خوارزمشاه فلما عزم جنكزخان على افتتاح الغرب فاول من لقيه الاتراك

وكانت سلطة علاء الدين خوارزمشاه قد امتدت في أواخر ايامها على معظم العراق العجمي وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وفارس وعلى ماوراء النهر وقسم من افغانستان وبعض الهند . وكانت عاصمة تلك الدولة في مدينة خوارزم ومنها سمي سلطانها « خوارزم شاه » فحمل جنكزخان نحو الشرق وجنده يزيد على ٧٠٠,٠٠٠ مقاتل واكتسح تركستان وما وراءها واوغل فيها قتلاً ونهباً مما تقشعر له الابدان

ومما حمله على ارتكاب تلك الفظائع انه لما وصل بجنده الى تركستان سيَّر جماعة من التجار والاتراك ومعهم الذهب الى سمرقند وبخارا من بلاد ما وراء النهر (تركستان) ليشتروا له ثياباً للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك اسمها اترار وهي آخر مملكة خوارزمشاه مما يلي بلاد جنكزخان . وكان لخوارزمشاه هناك نائب فلما جاءته هذه الطائفة من التتر ارسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر مامعهم من الاموال فبعث خوارزمشاه يأمره بقتلهم واخذ ما معهم وانفاذه اليه . فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئاً كثيراً ففرقه خوارزمشاه على تجار بخارا وسمرقند واخذ ثمنه منهم . وعذره في هذه المعاملة ان المغول كانوا قد غزوا كاشغار وبلاساغون وغيرها من تركستان وصاروا يحاربون عساكره فلذلك منع الميرة عنهم

فتوحه في الغرب فلما قتل نائب خوارزم شاه اصحاب جنكزخان حمي غضبه وجمع من الرجال فوق ما كان عنده وحمل على مملكة الاسلام وكتب الى علاء الدين خوارزمشاه يقول « تقتلون اصحابي وتأخذون اموالهم استعدوا للحرب اني واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به » فلما قرأ خوارزمشاه الرسالة قتل الرسول وامر بحلق لحى الجماعة واعادهم الى

جنكز خان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له ان خوارزمشاه يقول لك « انا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم وافعل بك كما فعلت باصحابك »

وجند خوارزمشاه ٤٠٠٫٠٠٠ مقاتل لملاقاة عدوه — واليك ما ذكره ابن الاثير عن اكتساح التتر بلاد المسلمين وقد كان معاصراً لمعظم تلك الحوادث الهائلة فيظهر لك كيف كان تأثير ذلك في اذهان المسلمين يومئذ قال :

« لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها فانا أقدم اليه رجلا وأؤخر اخرى . فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت امي لم تلدني و ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً الا اني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لايجدي نفعاً فنقول : هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الايام والليالي عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين . فلو قال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فان التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها ومن اعظم مايذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ماخرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها اضعاف البيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بني اسرائيل . ولعل الخلق لايرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا يأجوج ومأجوج . واما الدجال فانه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على احد بل قتلوا النسا والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح . فان قوماً خرجوا من بلاد الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كشغار و بلاساغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند و بخارا وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها مانذكره ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريباً وقتلاً ونهباً ثم يتجاوزونها الى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان واراني‍ة ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر في اقل من سنة — هذا مالم يسمع بمثله . ثم لما فرغوا من اذربيجان واراني‍ة ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز ومن في ذلك الصقع من الامم المختلفة

فاوسعوهم قتلاً ونهباً وتخريباً ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عدداً فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم . واستولى هؤلاء التتر عليها — فعلوا هذا في اسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار مسيرهم لاغير ومضى طائفة اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء واشد — هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة انما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل احداً انما رضي من الناس بالطاعة . وهؤلاء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارة واهلا واعدل اهل الارض اخلاقاً وسيرة في نحو سنة . ولم يبت احد من البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه . ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير واما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير . فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شيء من خارج . واما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئاً فانهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف اباه ولقد بلي الاسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها احد من الامم منها هؤلاء التتر قبحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التي يستعظمها كل من سمع بها » انتهى

فاكتسح المغول او التتر تركستان ينتقلون من مدينة الى اخرى يقتلون و ينهبون ويحرقون ويهدمون لا يخافون وراءهم الا الاطلال البالية فاخربوا سمرقند وبخارا و بلخ وغيرها من بلاد التمدن الاسلامي وكانت آهلة بالعلماء والفقهاء زاهرة بالعلم والثروة والتجارة فخلفوها قاعا صفصفا لا يمكن تعميرها في اجيال . فكانوا اذا فتحوا بلداً قتلوا اهله ونهبوا ما فيه وما لم يستطيعوا حمله احرقوه وهدموا المنازل — من امثلة ذلك انهم لما فتحوا بخارا هرب من بها من العسكر الى القلعة فقال جنكزخان لاهل « البلد لا باس عليكم وانما نطلب اليكم ان تساعدونا على من في القلعة من الجند » فاطمأنوا وساعدوه بطم الخندق حول القلعة فالقوا فيه الاخشاب والتراب واما التتر فكانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن و يلقونها في الخندق . و بعد فتح القلعة اقتسم جنكزخان اهل المدينة بين اصحابه وكان يوماً عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وبقيت بخارا خاوية على عروشها . واقتسموا النساء وارتكبوا منهن العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن انفسهم شيئاً . ثم القوا النار في

البلد والمدارس والمساجد بعد ان عذبوا الناس بانواع العذاب في طلب المال . ثم رحلوا نحو سمرقند نخاف اهل البلد فخرجوا اليهم ليسلموا حرصاً على حياتهم وظل الجند الخوارزمية في المدينة فلما رأى التتر اهل البلد خارجين تأخروا أولاً ثم احدقوا بهم وقتلوهم عن آخرهم وعددهم سبعون الفاً . فلما رأى باقي الاهالي والجند ذلك خافوا . ثم ظن الجند انهم اذا سلموا سلموا لانهم اتراك من جنس التتر فعرضوا التسليم فاظهر التتر القبول فخرج الناس والجند من المدينة بأولادهم ونسائهم فطلب التتر سلاحهم واموالهم فلما سلموا السلاح وضعوا فيهم السيف وقتلوهم عن آخرهم واخذوا اموالهم ودوابهم ونساءهم ثم دخلوا المدينة وفعلوا فيها مافعلوه في بخارا وارتكبوا كل محرم وقتلوا كل من لا يصلح للسبي

ثم أمر جنكز خان بالبحث عن خوارزمشاه والوصول اليه ولو تعلق بالسماء فعبروا نهر جيحون فالتقوا بخوارزمشاه هناك فتفرق عسكره ففرَّ هو الى مازندران والتتر في اثره لا يلتفتون الى سواه فوصل الى طبرستان فنزل البحر بحر قزوين في قارب الى قلعة له هناك فلم يلحقوه ولكنه توفي فيها من الخوف والغم

أما التتر فعادوا الى مازندران فافتتحوها وقتلوا أهلها ثم ساروا الى الري وهمذان ففعلوا كذلك من القتل والسبي ثم ملكوا مراغة ثم خوارزم وغرقوها بسدّ فتحوه عليها . وفعلوا في هذه البلاد ما فعلوه بغيرها من قتل الرجال وسبي الذراري وبقر بطون الحبالى وقتل العلماء والزهاد وتخريب الجوامع واحراق المصاحف مالم يسمع بمثله وقد بلغ عدد القتلى في مدينة مرو وحدها سبعماية الف نفس . وفعلوا نحو ذلك في سائر بلاد خراسان وافغانستان وغيرها

ولما مات علاء الدين خوارزمشاه خلفهُ في الملك ابنهُ جلال الدين شاه سنة ١٢٢٠ هـ فاظهر في محاربة التتر بسالة عظمى لو رافقها التوفيق لانتقم لابيهِ ولكن قدر لهذه الدولة الذهاب فتوالت الحروب بين التتر والمسلمين في أماكن مختلفة بافغانستان والهند وخراسان وغيرها والمسلمون من الجهة الشمالية في شاغل بالارمن والكرج والافرنج وبالتنازع فيما بينهم مما يطول شرحه . وبالجملة تمكن جنكز خان قبل موتهِ من الاستيلاء على كل ما كان في ايدي دولة خوارزم ثم عاد بعسكره للراحة في بعض بلاد الهند فجمعهم في معسكر مساحته ٢١ ميلاً مربعاً ومعسكره الخاص به وبرجال دولته محيطهُ ستة أميال . فجلس جنكز خان على عرشه فوق اللبادة السوداء في فسطاط يضمُّ ٢,٠٠٠ رجل وقد تحولت حالهُ البدوية الخشنة الى حالة أهل المدن الناعمة فتمتع بالملابس الفاخرة

والآلة المذهبة والفرش الثمين مما كسبوه من المسلمين • كما فعل المسلمون قبلهم بدولة الفرس الساسانية • وجاءهُ أولاده وأمراؤه بالهدايا احتفاء به وليهنئوه بالنصر العظيم الذي نالهُ فكانوا يتقدمون اليه تباعاً يقبلون يدهُ • وفي جملة تلك الهدايا هدية قدمها اليه واحد من امرائه هي عبارة عن ١٠٠,٠٠٠ فرس من جياد الخيل • فانطلق لسان جنكزخان حينئذ فوق انطلاقه المعتاد فخطب فيهم • وظل ذلك الاحتفال عدة ايام انغمسوا في أثنائه بالمشروبات والمأكولات وسائر ضروب الملاذ

وحارب جنكزخان بعد ذلك حروباً أخرى انتصر فيها كلها وقتل ونهب واحرق وأخرب مما يعجز القلم عن وصفه وبلغ عدد القتلى على يده نحو ٦,٠٠٠,٠٠٠ نفس وقد اخرب ٥٠,٠٠٠ مدينة وبلغت مساحة مملكته ٦,٠٠٠ ميل

(مناقبه وأعماله) لم يستطع جنكزخان ما استطاعه من الفتوح العظمى الآ بما كان فيه من الاسباب المساعدة على ذلك • فقد كان قوي البدن والعقل حازماً فطناً فصيحاً قوي الحجة صبوراً واسع الصدر مع دهاء وذكاء • وكان مع ذلك شجاعاً عالماً بالحركات العسكرية ولولا ذلك لم يستطع التسلط على قبائل المغول مع ما هم فيه من الشدة والخشونة • ولما فرغ من الفتوح وضع نظام حكومته ودون شريعة بلاده فجعلها صارمة شديدة على ماتقتضيه حال التتر في تلك الايام • فالقتل والزنا وشهادة الزور وسرقة الافراس والثيران واسترقاق المغولي عقابها القتل • والشريعة المشار اليها تحظر على التتري ان يعطي العبد طعاماً او شراباً بدون مصادقة سيده وتفرض على كل مغولي ان يخدم المصلحة العامة بكل ما في وسعه • ووضع للجند نظاماً حسناً وعهد بتدريبه الى قائد كبير وكان الجند التتري مقسوماً الى فرق مئات وألوفاً وعشرات الالوف وسلاحهم الاقواس والسيوف والدروع

وكان جنكزخان يعتقد باله واحد والعرب يقولون انه كان يعبد الشمس ولعلهم قالوا ذلك لان أعماله لا تنطبق على عبدة الاله او ربما قاسوه بسائر المغول في تلك الايام لانهم كانوا مجوساً • على انه كان رفيقاً برجاله معتدلاً من حيث الدين فلم يكن يعترض أحداً في دينه فقد كان بعض أعضاء عائلته مسيحيين و بعضهم يهوداً و بعضهم مسلمين فلم يتعرض لهم في شيء من معتقداتهم • ولم يكن يعرف القراءة او الكتابة وكذلك كان معظم رجاله فلم يخلف احد منهم كتاباً ولا رسالة غير ما نقلوه من الشرائع كما تقدم ولم تدون أفعالهم وأخبارهم الا بعد وفاة جنكزخان بثمان وستين سنة • على ان فتوحهم في بلاد الاسلام أدخلت في خدمتهم جماعة كبيرة من المسلمين ورعاياهم وفيهم الارمن والسوريون والعرب

واليونان والروم والمجر والروس فضلاً عن الترك فتعلموا منهم شيئاً من العلوم بالتدريج كما تعلم العرب العلوم الطبيعية والفلسفة من أهل البلاد التي فتحوها

توفي جنكزخان سنة ١٢٢٧ م وقد بلغ السادسة والسبعين من عمره وتولى الملك ٢٢ سنة وسلطانه نافذ في كل ما فتحه من البلاد فاحتفلوا بجنازه احتفالاً عظيماً ودفنوه تحت شجرة كان يحب الاستظلال بها في حياته وبقي ذلك المكان مزاراً للمغول مدة طويلة . وخلف جنكزخان أولاداً كثيرين كانوا له عوناً في حروبه وادارة شؤون بلاده فلما توفي خلفهُ على الملك ابنه اقطاي وتولى آخرون مناصب أخرى . ومن اعقاب هذا الرجل ورجاله نبغ هولاكو وتيمورلنك وغيرهما من قواد التتر العظام

الشعر العصري

المراد بالشعر العصري الشعر الذي يوافق روح هذا العصر بلفظه وأُسلوبه ومعناه كما يراد بسائر عوامل التمدن الحديث على ان لكل تمدن ولكل عصر روحاً عامة تتجلى في كل اجزائه فاذا قرأت اخبار الامم قديماً وحديثاً رأيت لتمدن كلٍّ منها شكلاً خاصاً يختلف باختلاف العصور ويبدو اثر ذلك الاختلاف في كل ظاهرة من ظواهر ذلك التمدن ادبية كانت أو مادية . والشعر أولى تلك المظاهر بتمثيل احوال التمدن لانهُ ديوان الامة ومعرض آدابها ومرآة عواطفها وانموذج اخلاقها وعاداتها . ولذلك رأيت خلق كل امة مطبوعاً على اشعارها فشعر اليهود دينيٌّ يمازجه الذلّ والانكسار وشعر اهل البادية حماسيٌّ فخري وشعر اهل البذخ والترف مخنثٌ وقس على ذلك . والامة الواحدة يختلف اسلوب شعرها ومعناه من هذا القبيل باختلاف عصورها من البداوة والحضارة من العز والذل من العلم والجهل ويكون في كل حال صورة من صور ذلك العصر

تلك هي القاعدة العامة واذا كانت لاتنطبق انطباقاً تاماً على بعض الامم فلأن هذه الامم تكلفت في شعرها مايخالف المجاري الطبيعية فقيدت قرائح شعرائها بالتقاليد القديمة وحملتهم على تحدي القدماء في اساليب النظم وسبك المعاني — كذلك فعل الافرنج في الاجيال المظلمة فقد كانوا ينشئون وينظمون على اسلوب خاص يعرف بالطريقة المدرسية هو اسلوب اليونان والرومان القدماء . ولم يتخلصوا من قيوده الا في الاجيال الاخيرة بعد

نضج تمدنهم . وكذلك كان العرب في أوائل عهد تمدنهم ولا يزالون الى الآن و« الطريقة المدرسية » عندهم تحدي شعراء الجاهلية وصدر الاسلام في الاسلوب والمعنى فكانهم يغالبون الطبيعة ويقاومون تيارها . فهي تطلب التغيير بتغير الاحوال وهو الارتقاء السائد في عالم الاحياء وهم يريدون بقاء القديم على قدمه كأن القرائح قدّت من جماد مع ان الجماد نفسه خاضع لناموس الارتقاء . ولذلك فمع ما توخاه اسلافنا من المحافظة على الاسلوب القديم والمعاني القديمة فالطبيعة غلبت على ارادتهم لانك اذا تدبرت الشعر القديم والحديث رأيته يختلف باختلاف ادوار التمدن الاسلامي وما قبله . وهي ستة ادوار او اعصر يتفاوت الفرق بينها بتفاوت احوال تلك الاعصر وهي (١) العصر الجاهلي (٢) العصر الاموي (٣) العصر العباسي الاول (٤) العصر العباسي الثاني (٥) عصر الانحطاط (٦) النهضة الاخيرة

(١) العصر الجاهلي — يمتاز الشعر العربي في هذا العصر بسذاجة اسلوبه وقربه من الحقيقة وبعده عن زخرف الكلام وتنميق العبارة شأن البداوة في سائر احوالها فالشعر الجاهلي بدويّ ساذج لانهُ يعبر عن عواطف البدو ويمثل احوالهم . واذا احتاجوا الى تشبيه عمدوا الى ما الفوه من السهول والجبال والماشية والخيل والسلاح ونحوه فاستعاروها وكنوا بها . والبدو اهل ضيافة ووفاء وغزو وفروسية فاذا افتخروا انما يفتخرون بهذه الامور . وكانوا مع ذلك اهل نفوس حساسة يحبون ويبغضون وينقمون ويثأرون فعبروا عن ذلك كله بالشعر الجاهلي البدوي البعيد عن التنميق والزخرفة . فالشاعر الجاهلي يصور الحقيقة كما وقعت في نفسه تماماً فاذا وصف واقعة صوَّرها كما تراءت له بلا مبالغة ولا برقشة . فقصيدة بشر بن عوانة التي نظمها في قتل الاسد مثال ناطق لهذا الشعر وهي :

افاطمَ لو شهدتِ ببطنِ خَبتٍ	وقد لاقى الهزبر اخاكِ بشرا
اذاً لرأيتِ ليثاً زارَ ليثاً	هزبرًا أغلباً لاقى هزبرا
تَبهنس ثم احجمَ عنهُ مهري	محاذرةً فقلت عُقرت مهرا
انل قدميَّ ظهرَ الارض اني	رأيت الارض اثبت منك ظهرا
وقلت له وقد ابدى نصالاً	محددةً ووجهاً مكفهرًا
يكفكف غيلةً احدى يديهِ	ويبسط للوثوب عليَّ اخرى
يدلّ بمخلب وبحدّ ناب	وباللحظات تحسبهنَّ جمرا
وفي يمناي ماضي الحد ابقى	بمضربه قراعُ الموت اثرا
الم يبلغك ما فعلت ظباهُ	بكاظمة غداة لقيتُ عمرا

وقلبي مثل قلبك ليس يخشى　　مصاولة فكيف يخافُ ذعرا
وانت تروم للاشبال قوتاً　　واطلب لابنة الاعمام مهرا
ففيم تسوم مثلي ان يولي　　ويجعل في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس يا ليث غيري　　طعاماً ان لحمي كان مرّا
فلما ظن ان الغش نصحي　　وخالفني كأني قلتُ هجرا
مشى ومشيت من اسدين راما　　مراماً كان اذ طلباه وعرا
هززتُ له الحسام نخلت اني　　سللتُ به لدى الظلماء فجرا
وجدتُ له بجائشةٍ ارته　　بأنْ كذبته ما منته غدرا
وأطلقتُ المهند من يميني　　فقدَّ له من الاضلاع عشرا
فخرَّ مجدَّلاً بدمٍ كأني　　هدمتُ به بناء مشمخرا
وقلتُ له يعزُّ عليَّ اني　　قتلتُ مناسبي جلداً وفخرا
ولكن رمت شيئاً لم يرمهُ　　سواك فلم اطق ياليثُ صبرا
تحاول ان تعلمني فراراً　　لعمر ابيك قد حاولت نكرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرّاً　　يحاذر ان يعاب فمتّ حرا

ومثل ذلك اذا نظموا معركة او حادثة او وصفوا فرساً او ناقة . وفي اشعارهم امثلة كثيرة من هذا القبيل . واما نسيبهم فلا تكلف فيه واتما يعبرون به عما يجيش في نفوسهم فاذا احبوا وصفوا عواطفهم كما هي تماماً . فقصيدة النابغة التي يصف بها المتجردة مثال للوصف الجاهلي الطبيعي وان كان في بعضها ما يخالف آداب هذا العصر وكذلك معلقة امرىء القيس ونحوها من اشعار فحول الجاهلية فانهم يصفون الطبيعة كما تظهر لهم تماماً

و يقال نحو ذلك في ما قالوه من الحكم فعبروا به عن احساسهم ونتيجة اختبارهم كقصيدة زهير التي يقول فيها :

وأعلم علم اليوم والامس قبلهُ　　ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

وقولهم في الفخر والحماسة في قصيدة السموأل وهي اشهر من ان نذكرها ناهيك باشعار عنترة وغيره

(٢) العصر الاموي : وفيه كانت الدولة الاسلامية عربية بحتة فظلت الانفة العربية والحرية الجاهلية ظاهرتين في أشعار العرب مع ما أثر في اذواقهم من بلاغة القرآن وأسلوبه وما عرض لهم من أسباب الحضارة بما شاهدوه من ظواهر العمران في الشام والعراق وفارس ومصر . فالشعر الاموي وسط بين البداوة والترف وقد كثرت فيه قصائد المدح والفخر

لما قام بين قبائل العرب يومئذ من التنازع على السلطة والخلافة وخصوصاً بين مضر واليمن • وفي أيام بني أمية كثر المتكسبون بالشعر لمبالغة بني أمية في تقريبهم والانعام عليهم لانهم كانوا يخافون السنتهم ويحتاجون الى شعرهم في استنهاض الهمم وجمع الاحزاب • فقد جمع الشعر الاموي بين حرية البداوة و بلاغة القرآن مع مسحة من الحضارة • فهو شعر جاهليٌّ منمق أو مصقول • وفي منظومات الفرزدق وجرير والاخطل وذي الرمة أمثلة كثيرة من هذا النوع • أما في وصف العواطف الطبيعية بالغزل والنسيب فظل الشعر في عصر بني أمية مثله في عصر الجاهلية مع ما أثره فيه اسلوب القرآن • واحسن ما نمثل به هذا العصر من الاشعار الغزلية قصيدة مجنون ليلى التي يصف بها عواطفه نحو حبيبته ومنها:

فياليل كم من حاجة لي مهمة ... اذا جئتكم بالليل لم ادر ماهيا

خليلي ان لا تبكيا لي التمس ... خليلاً اذا انزفت دمعي بكى ليا

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

اذا ما جلسنا مجلساً نستلذه ... تواشوا بنا حتى املَّ مكانيا

خليليَّ لا والله لا املك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

وخبرتماني ان تيماء منزل ... لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت ... فما للنوى ترمي بليلى المراميا

فيا رب سوّ الحب بيني وبينها ... يكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا

فما طلع النجم الذي يهتدى به ... ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا

ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا ... سهيل لاهل الشام الا بدا ليا

ولا سميت عندي لها من سمية ... من الناس الا بلَّ دمعي ردائيا

فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها ... عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا

فاشهد عند الله اني احبها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... و بالشوق مني والغرام قضى ليا

اعدُّ الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهراً لا اعد اللياليا

واخرج من بين البيوت لعلني ... احدث عنك النفس بالليل خاليا

اراني اذا صليت يممت نحوها ... بوجهي وان كان المصلى ورائيا

احب من الاسماء ما وافق اسمها ... واشبهه او كان منه مدانيا

خليلي ليلى اكبر الحاج والمنى ... فمن لي بليلى او فمن ذا لها بيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى ... خليلين الا يرجوان التلاقيا
واني لاستحييك ان تعرض المنى ... بوصلك او ان تعرضي في المنى ليا
فانت التي ان شئت اشقيت عيشتي ... وانت التي ان شئت انعمت باليا
وانت التي مامن صديق ولا عدى ... رأى نضو ما ابقيت الا رثى ليا
واني لاستغشي وما بي نعسة ... لعلَّ خيالاً منكِ يلق خياليا
فيا ربّ اذ صيرت ليلى هي المنى ... فزنّي بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها اليَّ واهلها ... فاني بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ... وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليليَّ ان ضنوا بليلى فقربا ... لي النعش والاكفان واستغفرا ليا

(٣) العصر العباسي الاول : انتقل الشعر في هذا العصر انتقالاً واضحاً لفظاً ومعنى • اما لفظاً فلحدوث المصطلحات العلمية والدينية والاساليب الجديدة التي حدثت بترجمة العلوم القديمة ووضع العلوم الاسلامية واللغوية كما بينا ذلك في كتابنا « تاريخ اللغة العربية » • واما معنىً فلان العرب بانتقالهم الى العصر العباسي انتقلوا الى وسط يخالف ما كانوا عليه في عهد الامويين لان دولة بني امية كانت البداوة لا تزال تخامرها وجندها عرب وعمالها عرب وعاصمتها على حدود بلاد العرب وكل شؤونها عربية • اما الدولة العباسية فانها فارسية النزعة وان كان خلفاؤها من العرب وفي أيامها نضج التمدن الاسلامي وعمرت المدن الاسلامية وخصوصاً بغداد وتقاطر اليها الناس من اقاصي المعمور • وتدفقت ينابيع الثروة في أيام المهدي والرشيد والمأمون فانشئت القصور الشماء والحدائق الغناء وشاعت المشروبات واتقنت الموسيقى وانعقدت مجالس الانس وأخذ الناس الى الترف وانغمسوا في القصف والاسراف بما في قصورهم وأسواقهم من الجواري الروميات والسنديات والتركيات الحسان تباع بيع الاغنام

فالشاعر الذي ينشأ بين القصور والحدائق ويلبس الحرير ويتوسد الديباج ويتعود ابهة الدولة وجلال الملك ويعاشر الخلفاء والامراء ويتعود أسباب التأنق والبذخ أقرب الى الرقة والسلاسة من البدوي الذي ينظم الشعر وهو يسوق بعيره في عرض البيداء لا يقع نظره الا على الرمال والجبال ولا أنيس له غير البعير والفرس طعامه اللبن والتمر وضجيعه السيف والرمح • فمزية الشعر في هذا العصر جزالة اللفظ ورقة الاسلوب

ويكثر فيه ذكر الخمر ومجالس الانس والحدائق والقصور والجواري والغلمان وآلات الطرب كالعود وغيره وادوات العلم كالقلم والورق وغير ذلك من أسباب الترف والبذخ . وقد كثر في هذا العصر أيضاً المديح والمبالغة فيه تزلفاً الى اهل الدولة بعد ذهاب انفة البداوة فمدحوا امراءهم وخلفاءهم بما وراء المعقول ولو خالف الدين . مع التوسع في الكناية والمجاز والتشبيه . ومن شعراء هذا العصر ابو نواس واشعاره في وصف الخمر مشهورة وابن المعتز والبحتري وابو تمام وابن الرومي وغيرهم من اهل العصر العباسي الثاني — لاشتراك العصرين في ذلك

فمن أشعار ابي نواس الرقيقة في وصف الخمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً ... وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها ... كمعنى دقَّ في ذهنٍ لطيف

وقوله :

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليلَ دُرٍّ ما لناظمها سلكُ
جرت حركات الدهر فوق سكونها ... فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكأنها ... بقايا يقين كاد يذهبه الشك

وقوله :

مدام تبدَّت من مقام مشرف ... تلوح لنا انوارها ثم تختفي
ولما شربناها ودبَّ دبيبها ... الى موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة ان يسطو عليَّ شعاعها ... فيطلع جلاسي على سري الخفي

ومن أقوالهم في الازهار قول ابن المعتز وفيه تشبيب بالغلمان :

قضيب من الريحان شابه لونه ... اذا ما بدا للعين لون الزمرد
وشبهته لما تأملت حسنه ... عذاراً تدلى في عوارض أمرد

وقول ابي الفضل الميكالي :

سلَّ الربيع على الشتاء صوارماً ... تركته مجروحاً بلا اغماد
وبكت له عين السماء بأدمع ... ضحكت لساجمها ربى الأنجاد
وبدت شقائقها خلال رياضها ... تزهو بثوبي حمرة وسواد
فكأنها بنت الشتاء توجعت ... لمصابها كشقيقة الاولاد
فقنوءُ حمرتها خضاب نجيعه ... وسواد كسوتها لباس حداد

ومن مبالغتهم في الوصف قول ابن هانيء يمدح المعز لدين الله :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار ... فاحكم فانت الواحد القهار

فكأنما انت النبي محمد وكأنما انصارك الانصار

ومن هذا القبيل قصيدة المتنبي السينية المشهورة التي مدح بها محمد بن زريق الطرسوسي ومطلعها :

هذه برزتِ لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيتِ رسيسا

الى ان قال في مدح الرجل وتجاوز الحد :

بشرٌ تصور غاية في آية ينفي الظنون ويفسد التقيسا
وبه يضنُّ على البرية لابها وعليه منها لا عليها يوسا
لو كان ذو القرنين اعمل رايهُ لما أتى الظلمات صرن شموسا
او كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى
او كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه عبدت فكان العالمون مجوسا
لما سمعتُ به سمعت بواحد ورايته فرايت منه خميسا
ولحظت انمله فسلن مواهباً ولمست منصله فسال نفوسا
يا من نلوذ من الزمان بظله حقاً ونطرد باسمه ابليسا
صدق المخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك في طرسوسا

وقس على ذلك اقوالهم في سائر اسباب المدح والترف . وفي مقدمة الالياذة العربية بحث مستفيض في شعر المولدين ونقده من سائر الوجوه

(٤) العصر العباسي الثاني : وهو بالحقيقة لا يفصل من العصر الاول ولكننا اردنا به الشعر الذي أثرت فيه الفلسفة والعلوم القديمة بعد نقلها الى اللسان العربي . وا كثر ما يكون ذلك في شعر ابي العلاء المعري وابي الطيب المتنبي وابن الشبل البغدادي ونحوهم من الشعراء الحكماء . فمن اشعارهم في الفلسفة والحكمة قصيدة ابن الشبل البغدادي الحكيم الفيلسوف المتوفى سنة ٤٧٠ هـ وهاك بعضها :

بربك ايها الفلك المدار اقصد ذا المسير ام اضطرارُ
مدارك قل لنا في اي شيء ففي افهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار
وعندك ترفع الارواح ام هل مع الاجساد يدركها البوار
وموج ذا المجرة ام فرندٌ على لجج الدروع له اوار

وفيك الشمس رافعة شعاعاً ... باجنحة قوادمها قصار
وطوق في النجوم من الليالي ... هلالك ام يد فيها سوار
وشهب ذي الخواطف ام ذبال ... عليها المرخ يقدح والعفار
وترصيعٌ نجومك ام حباب ... تؤلف بينه اللجج الغزار
تمدّ قوامها ليلاً وتطوى ... نهارًا مثل ما طوي الازار
فكم بصقالها صدي البرايا ... وما يصدى لها ابدًا غرار
تبارى ثم تخنس راجعات ... وتكنس مثل ما كنس الصوار
فبينا الشرق يقدمها صعوداً ... تلقاها من الغرب انحدار
على ذا ما مضى وعليه يمضي ... طوال منى وآجال قصار
وايام تعرفنا مداها ... لها انفاسنا ابدًا شفار
ودهر ينثر الاعمار نثرًا ... كما للغصن بالورد انتثار
ودنيا كلما وضعت جنيناً ... غذاه من نوائبها ظؤار
هي العشواء ما خبطت هشيم ... هي العجماء ما جرحت جبار

وهي طويلة وقد نشرناها في بعض اعداد السنين الماضية . ولابن الشبل قصائد كثيرة تدلُّ على اطلاعه الواسع في العلوم الحكمية والاسرار الالهية منها قصيدة رثى بها اخاه قال منها :

نتمنى وفي المنى قصر العم ... ر فنغدو بما نسرُّ نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا ... اقتل الداء للنفوس الدواء
ليت شعري حلماً تمر بنا الا ... م ام ليس تعقل الاشياء
من فساد يجنيه للعالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقاء
نحن لولا الوجود لم نألم الفق ... د فايجادنا علينا بلاء
وقليلاً ما تصحب المهجة الجس ... م ففيمَ الاسى وفيم العناء
واذا كان في العيان خلاف ... كيف بالغيب يستبين الخفاء
ليت شعري وللبلى كل ذا الخل ... ق بما ذا تميز الانبياء
موت ذا العالم المفضل بالنط ... ق وذا السارح البهيم سواء
لا غويٌّ لفقده تبسم الار ... ض ولا للتقي تبكي السماء

ومن هذا القبيل قصيدة ابن سينا في النفس ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقصيدته التي مطلعها :

يا ربع نكرك الاحداث والقدم فصار عينك كالآثار تنهدم

ويتخلل اشعار المتنبي كثير من حكمة اليونان وفلسفتهم واكثرها مقتبسة عن ارسطو وفي اشعار ابي العلاء كثير من آراء الفلاسفة الماديين كما هو مشهور

(٥) عصر الانحطاط : ونريد به حال الشعر في الاجيال الاسلامية الوسطى بعد ذهاب الدول العربية الكبرى لانه انحط في ذلك العصر مثل انحطاط سائر اسباب المدنية ولذلك قلما نبغ شاعر يستحق الذكر في تلك الاجيال . ولو تدبرت منظومات هذا العصر لرأيت الانحطاط ظاهراً فيها . على ان الذين نبغوا من المتأخرين متناهون في الرقة مع التطويل في النظم والاكثار من المقدمات الغزلية في قصائد المدح وبعضهم جعل القاعدة في ماينظمه من قصائد المدح ان يكون نصفها نسيباً والنصف الآخر مديحاً كما فعل ابن معتوق في اكثر مدائحه . ومن خصائص عصر الانحطاط التفات الشعراء الى اللفظ دون المعنى ومثل ذلك حصل للانشاء في العصر المذكور اذ عدل الكتاب عن البلاغة والاسترسال الى التفخيم والتطويل والتسجيع . فصرف الشعراء اهتمامهم الى زخرف الكلام واكثروا من الكنايات والمجازات وتفننوا بانواع البديع بالتجنيس والترصيع . وامام اهل هذه الطبقة عمر بن الفارض صاحب الديوان المشهور ولا نعرف ناظماً ملك عنان اللفظ واتقن ضروب الجناس البديعي مثله وقد طبع ديوانه مراراً وشرحه غير واحد وتداولته الايدي وتحداه اهل ذلك العصر وتناشدوا اشعاره وحفظوها وعلموها لتلامذة المدارس . وشعر الفارض لايخلو من معان شعرية بديعة لولا ولعه بالترصيع اللفظي ولو شوه المعنى او اضاعه كقوله

اوعدوني او عدوني وامطلوا حكم دين الحب دين الحب لي

وقوله سهم شهم القوم اشوى وشوى سهم الحاظكم احشاي شي

وما زال الشعر اللفظي المشار اليه مستحسناً مقبولاً الى اوائل هذه النهضة فاخذ ظل مجده يتقلص لانتشار نور العرفان ورجوع الناس الى الحقائق وادراكهم حقيقة المراد بالشعر كما سترى في كلامنا عن النهضة الاخيرة

(٦) النهضة الاخيرة : وهي الشعر العصري المراد بالذات من هذه المقالة وسنتكلم عنه في الهلال القادم ان شاء الله

الموت الفجائي واسبابه

للدكتور جورج نور في المنصورة

كثرت حوادث الموت الفجائي في هذه الايام حتى شغلت الافكار في هذا القطر وفي سائر أقطار العالم المتمدن فتوفي في هذا الداء حديثاً في مصر رجل السخاء المغفور له منشاوي باشا وكانت وفاته خسارة عظيمة على الامة المصرية. وقد مات في سائر مدن العالم وقرى المعمور ويموت في المستقبل أيضاً من كل طبقات الناس من غني وفقير وعظيم وحقير عددٌ لا يعلمه سوى الخالق القدير. فاذا مات الفقير فجأة لا يشعر به ولا يأسف عليه غير ذويه ومعارفه اما اذا مات أحد الاغنياء أو ذوي المراكز المهمة فالعالم المتمدن يهتز له ويحسبون موته فاجعة فيتناقل نعيه البرق وتكتب عنه الجرائد المقالات الطوال و يتحدث بموته القريب والبعيد وتتجه أفكار العلماء والاطباء للبحث عن المرض واسبابه فيبذلون الجهد لتدبر الوسائط الواقية منه فينتج عن ذلك ازدياد في المعرفة ويكون المتوفى قد نفع الناس بموته كما نفعهم بحياته

أما الموت الفجائي فقديم العهد الا ان حوادثه كانت قليلة جداً ولم يكن سببها في العصر القديم الا الانحلال الطبيعي بعد انقضاء عمر طويل. ولكن بانتشار العيشة المدنية أصبح سبب هذا الموت الترف والرخاء كما يكون سببه الفقر المدقع والمعيشة المملوءة بالكدر والاحزان وكلتا الحالتين تؤثران على القلب فتضعفه وتجعله عرضة للامراض ثم للموت الفجائي

ولا يخفى ان هذه الاسباب قلما تتوفر عند أهل البادية أو القبائل المتوحشة لبساطة لوازم الحياة عندهم أما في الامم المتمدنة فالمدنية تقضي بالترف. وكذلك أسباب الحزن والكدر مع الانفعالات النفسانية فانها تتوفر عند المتمدنين اكثر من سواهم ولذلك كانت الامم المتمدنة عرضة لمرض القلب والموت الفجائي اكثر من سواها. فلنبحث في العوامل التي تتطرق الى حياة الانسان لتضعف قلبه وتعده للموت الفجائي. ولسهولة البحث وايجاز الموضوع نقسم الاسباب الى ثلاثة عوامل رئيسية وهي (١) الوراثة (٢) المعيشة المدنية (٣) تأثير الادوية

﴿ الوراثة ﴾ الوراثة تنطبق غالباً على نظام طبيعي مضطرد وهو ان الجسم الصحيح يلد جسماً صحيحاً . فاذا كان الوالدان ذوي صحة جيدة وكانت اعضاؤهما الرئيسية سليمة ولم يطرأ على الوالدة وقت الحمل طارىء مكدر يؤثر في النفس أو لم تصب بمرض يؤثر على الجنين فالجنين يولد سليم البنية وينمو ويتعافى حتى يبلغ أشده ويكون جسمه قادراً على مقاومة الامراض . أما الاولاد الذين يولدون من والدين ضعيفي البنية أو الذين يولدون من أمهات قد اضناهن الحزن واسقمهن الكدر فانهم يولدون ضعيفي البنية قابلين للامراض . ولذلك يجب على الوالدين الاعتناء بصحتهم وان يحافظوا على العفاف لئلا يتلطخوا بامراض وخيمة فيأكلون الحصرم واولادهم يضرسون . ويجب على الوالدة وقت الحمل أن تجتنب كل الاسباب المكدرة والمحزنة وان تستعمل كل الوسائط من نظافة الجسم وجودة الطعام والرياضة البدنية والعقلية ولتحذر الكسل والترف والخباء لانها تضعف الدم وتؤثر على الجنين

﴿ المعيشة المدنية ﴾ والمعيشة المدنية تتناول المرء في سائر اطوار حياته من الطفولية الى الشيخوخة وعواملها المضادة للصحة عديدة يطول الشرح في استيفائها فنذكر اهمها باختصار فنقول (١) طور الطفولة : فاذا ولد الطفل سليماً واعتني بامرغذائه وتربيته على القواعد الصحية ينمو صحيح الجسم معافى اما اذا اهمل فتضعف بنيته و يصير قابلاً للامراض وهذا الاهمال ناتج غالباً عن امتناع الوالدة عن ارضاع ولدها وتركه لمرضع اجنبية أو للخدم ليعتنوا بلباسه ونظافته وهذه الحالة من اكبر آفات المدنية لانها تضر بصحة الام والطفل معاً لان الولد اذا انقطع عنه الغذاء الذي يتغذاه من والدته (التي قد اكتسب دمه من دمها) يحرم من غذائه الطبيعي ولا يمكنه الاستعاضة عنه تماماً من المرضع وقد شوهد بالاختبار ان لبن الام المرضع يتغير تركيبه في اثناء مدة الرضاع حتى يوافق بنية الرضيع . فالفرق كبير في التغذية والملائمة للرضيع بين لبن أمه ولبن المرضع الاجنبية فضلاً عن الامراض الوراثية التي قد يكتسبها الولد من المرضع . فحرمان الطفل من التغذية لبن أمه من أهم الاسباب الناشئة عن ضعف البنيـة وفقر الدم فتمدّ لمرض القلب وسواه من الامراض

(٢) طور الحداثة والبلوغ : وهو السن الذي يهتم به الوالدون على الغالب ليهذبوا أولادهم و يعلموهم العلوم والفنون العصرية و يؤهلوهم للدخول في الهيئة الاجتماعية والمزاحمة الادبية في المدرسة المدنية وهنا يرتكب الوالدون اغلاطاً عديدة منها أنهم حالما يبلغ عمر أولادهم اربع أو خمس سنين يرسلونهم الى المدارس . وكان الاجدر بهم أن يرسلوهم الى المتنزهات ليلعبوا و يركضوا و يتمتعوا بنقاوة الهواء ونور الشمس فيكسبون صحة ونمواً في الجسم والعقل ومتى بلغ الاولاد السنة السابعة فحينئذ يرسلون الى المدارس اما اذا كان الولد ضعيف البنية فالاوفق ان يعتني بامر صحته اولاً فلا يرسل الى المدرسة ولو بلغ السنة العاشرة . اما سن البلوغ أو الشبيبة فانه شديد الخطر على الشبان والشابات لانه يخشى عليهم فيه من الوقوع في العادات المضرة ولذلك يجب على الوالدين والمعلمين ان يوضحوا للاولاد معنى البلوغ وانهم اذا لم يتحصنوا بالعفاف أراقوا نضارة حياتهم واضعفوا قواهم العقلية والجسدية وهدموا مستقبل حياتهم واضاعوا نسلهم وانه ليس من سبب يؤثر على القلب والجهاز العصبي فيضعفهما اكثر من تأثير العادة المضرة . فيتضح مما تقدم ان الاسباب التي تعد الولد لضعف البنية والقلب في سن الطفولية لغاية طور الشبيبة هي بالحقيقة ناتجة عن اهمال الوالدين وسوء التربية والتهذيب والمسؤول عن ذلك دينياً وأدبياً الوالدون والمعلمون ولذلك يجب أن يكون المعلمون من ذوي الآداب الرفيعة والمبادىء السليمة

أما الاسباب التي تحدث في سن الشبيبة ومنتصف العمر والكهولة فان لم تكن مؤسسة من سوء التربية في صغره فهي غالباً تنتج عن اميال مختصة بالانسان وعن عوامل خارجية كالمعاشرة واقتباس العادات الجديدة غير الحميدة فاذا اعتاد انسان المعيشة الناعمة والسكون يسمن حتى يتشحم قلبه و يصير في خطر من الموت الفجائي وكذلك الذي يعتاد ادمان المسكرات والسهر الطويل والافراط من التدخين . والذي يعتاد قراءة الكتب السافلة المبدأ والذي يعاشر ذوي الخلاعة والفجور فانه يعرض نفسه للانفعالات النفسية والى تهييج مفرط يضر القلب وكذلك الانقباض والكدر الذي ينتج عن الخسارة في البورصة او الميسر فانه يؤثر على الحركة

الدموية بداعي الانفعال والتهيج الذي يحصل مدة اللعب فيؤثر على القلب فيضعفه ويعده للموت الفجائي

وهناك عادات في الملبوسات هي مضرة جدًّا وأهمها يتعلق بالجنس اللطيف أعني بذلك المشد فانه من افضال التمدن العصري ويعرض من يستعمله لفقر الدم والاختلال في انتظام الحركة الدموية وضعف القلب وغيره من الاعضاء الرئيسية فيسقم الجسم . والذي يدفع الجنس اللطيف الى تحمل هذه الاضرار كلها توهمهن ان المشد يكسب الجسم جمالاً فيضحين صحتهن الثمينة ولا يدرين ان الجمال الذي ينتج عن الصحة الجيدة ابهى من الجمال المكتسب بالتصنع

(تأثير الادوية) أما الادوية التي يتعاطاها العموم لاجل معالجة أجسادهم بدون مشورة الطبيب فهي غالبًا الادوية المسكنة للالم والمخدرة للدماغ والاعصاب فيتناولونها بكل ارتياح لانها تخفف الصداع موقتًا وهم لا يدرون انهم يتناولون بذلك سمًّا قتالاً . لان كل المخدرات والمسكنات سامة واكثرها مضعف للقلب كالانتبيرين الذي يشتريه العامة كانهم يشترون الفاكهة وغيره من الادوية العديدة التي لا يجب ان تؤخذ او تباع الا بمعاينة الطبيب بعد الكشف الطبي المدقق . وقد تحقق بالاستقراء في أوربا وأميركا ان الموت الفجائي زاد خمسة وعشرين في المئة باستعمال الانتبيرين فقط فكم يكون تأثير بقية الادوية التي هي على شاكلته . ولذلك يجب على العموم ان يعتبروا الادوية كلها من الكينا الى المسهلات البسيطة سامةً ولا يجوز لاحد ان يدخل جسمه شيئًا منها الا بارشاد طبيب قانوني يعرف تأثير الادوية وكمياتها اللازمة والحالة المناسبة التي يجب ان يعطى بها الدواء فيأمنون كل خطر لان ما يتناوله الانسان من طعام او شراب او دواء يمتص ويصل الى القلب بالحركة الدموية ويؤثر عليه وعلى بقية الاعضاء التي يتركب منها الجسم اما للمنفعة او للضرر . وخلاصة القول ان للوراثة وسوء التربية تأثيرًا أساسيًا لضعف القلب وسلامته وكذلك العيشة غير المنتظمة والعادات المضرة مع معاطاة الادوية السامة فانها من اكبر العوامل المؤدية الى الموت الفجائي وقانا الله شره

باب المراسلات

استحضار الارواح بالتنويم المغنطيسي

حضرة منشىء الهلال

طالعت جوابكم على سؤال علي افندي احمد الشهيدي في الهلال الثالث من اهلة هذه السنة وقد اعجبني ذلك كثيراً وجئت اتحفكم ببعض التفصيل من حيث تطبيق الموضوع على العلوم الطبيعية عند الذين يدعون استحضار الارواح وكيف يتم ذلك وفي اية واسطة فاقول :

ان استحضار الارواح ضربٌ من التنويم المغنطيسي وهو بسيط جداً عند الذين يقدرون عليه . ولما كنت ممن درسوا هذا العلم درساً مدققاً واختبرت صحته بعد تجارب عديدة اجريتها في اشخاص كثيرين من سائر ابواب هذا العلم فتوصلت الى نتيجة اظنها تفض المشكل وهي

ان الذين يستحضرون الارواح فئتان : الاولى كاذبة والثانية تستخدم ما يشبه التنويم المغنطيسي . فالفئة الاولى لا تعلم فن التنويم بل تعوّل على التواطوء والخداع بأساليب تخدع بها البسطاء فنضرب عنها صفحاً . اما الثانية وهي طريقة التنويم فان اصحابه يستخدمون شخصاً من الناس لا فرق في ان يكون انثى او ذكراً ولكن النساء اقدر على ذلك من الرجال لان الشعور فيهن ادق مما في الرجال ويسمون ذلك الشخص الواسطة (مديوم) (Medium) ويشترط في الواسطة المذكورة ان تكون من اصحاب الاوهام والحس الدقيق جداً وتقبل التنويم المغنطيسي بسرعة بعد تجارب عديدة . فينوّم صاحب استحضار الارواح هذا الشخص حتى يستغرق في سبات عميق ويامره بأن يكف عن التفكر في اي شيء كان عنده وان لا يفعل شيئاً غير الذي يامره به هو نفسه . فبعد ان يفعل ذلك يجربهُ عدة مرات لتحقق صدقه اذ قد لا يصدقه . وعند ما يحقق صدقه يستخدمهُ في مخاطبة الارواح ويدفع اليه راتباً كبيراً ليرغبهُ بالعمل . فياخذ مستحضر الارواح هذا الشخص ويضعه في غرفة وينومه التنويم المغنطيسي ويامره بانتظار الاوامر هناك فيمكث وقد

اصبحت القوة العاملة فيه آلة بلا حراك تنتظر الاشارة من صاحب الاستحضار

فاذا أردت مثلاً ان ترى روح شخص تعرفه أو ان تخاطبهُ أمرك مستحضر الارواح ان تدخل الغرفة وحدك او مع صديق لك ويغلب ان يامرك بالدخول وحدك . فتدخل الغرفة المعدة لذلك وتمكث هناك والغرفة في الغالب مظلمة والمراد من ظلمتها تسهيل التفكر لك في الشخص الذي تنوي مخاطبتهُ او رؤيته فينتج من ذلك توجيه فكرك الى الشخص المطلوب فتدخل الغرفة وأنت على هذه الكيفية وعند دخولك الغرفة تشتهي ان تخاطب فلاناً الميت بكذا وكذا وتقول في نفسك انني لو نظرت روح فلان مثلاً لقلت له ما هو كذا وكذا عن حال صديق له او احد من اهله الى غير ذلك . فالفكر العامل فيك يطبع ذلك به طبعاً تاماً ومنه الى الفكر القابل والغرض من ظلام الغرفة ايضاً عدم وقوع نظرك على شيء يلهيك عن التفكر في الشخص الذي تروم مخاطبتهُ فالظلام يعجل عليك التفكر به والشوق الى مخاطبته سريعاً . فتبدا في التفكر به على هذه الصورة . وبعد بضع ثوان يبدا مستحضر الارواح بتنويمك التنويم المغنطيسي بغير كلام تسمعه بل يكلمك بفكره بعد ما يعرف اسمك ولقبك فيقول لك ما معناه « يا فلان نم . . . نم نوماً سريعاً » كما هو معلوم عند اهل هذا الفن ثم يقول لك « متى عددتُ عشرة تنام نوماً سريعاً وثقيلاً » ويبدأ في العد واحد اثنين . . . عدًّا متقطعاً حتى ينتهي الى عشرة ثم يعيد قوله « يا فلان نم » عدة مرات . ثم يعيد الاعداد خمسة اوعشرة او خمسة عشر او اكثر او اقل مكرراً ذلك وينظر اليك ويراقب حركاتك ليعلم اذا كنت قد نمت ام لا . فاذا علم انك نمت أمرك بان تكشف لفلان (الذي هو الواسطة) ما افتكرت في الشخص الذي تريد رؤيته وما تريد منه او تحب ابلاغه له او ما الذي تحب ان تسمعه يخاطبك به لو رايته وكيف كنت تنظرهُ في حياته وكيف كان يظهر وهو حيٌّ — يقول لك ذلك بدون ان يتكلم بل هي مخاطبة من فكره الى فكرك الى فكر الواسطة . فمتى بدأت في مخاطبة الواسطة فكراً أمر صاحب استحضار الارواح الواسطة ان ينقل كلامك الى مائدة معدة في غرفة هناك وعليها آلة شبيهة بالتلغراف أو هي عينها متصلة بسلك الى طاولة امامك في الغرفة لتحريكها وان كل كلمة ياخذها منك عن الشخص الذي ترغب في مخاطبة روحه أو رؤيته بان يضربها كلمة كلمة او حرفاً حرفاً كما تطبع في مخيلته منك على الآلة التي امامهُ فيبدا في الضرب على الآلة ويرسل الكلام الى الطاولة التي هي امامك في السلك الموصل اليها كما تبلغها اليه انت فكراً — تفعل ذلك وانت لا تدري . واذا قلت ان المنوّم لا يقدر ان ينوم جميع الموجودين

في الغرفة واعينهم مفتوحة و يتكلمون اجبتك ان تنويم الجمهور اسهل من تنويم الشخص الواحد وقد ينوم الانسان المئات لا بل الالوف دفعة واحدة بلحظة واحدة ولا يلزم تغميض اعينهم فانهم يا كلون و يشربون و يتكلمون وهم نيام نوماً مغنطيسياً لا يعلمون بذلك البتة . فكما تصور الشبح في فكرك عند دخولك الغرفة المظلمة ترسله الى الواسطة وهذا يرسله الى مستحضر الارواح وهذا يعيده اليك . وقد يعيده اليك من الواسطة رأساً فيريك فكرك بدقة و يريك صورة الشخص المطلوب وقد يصف لك بعض صفاته فتسمع ذلك وانت تعجب . واذا قلت ان الشخص المطلوب لا يتكلم لغة الواسطة او ان الواسطة لا يعرف لغتك ولا سمع بها قلت لك لا يلزم له ذلك فهو في غنى عنها ولا بد لك من ان تتفاهم مع مستحضر الارواح بلغته او بلغتك او بلغة اخرى ليكلمك ولو بواسطة المترجم . واذا خاطبك رأساً بلغة تفهمها انت رأساً فقد لا يحتاج الى الواسطة لياخذ منه فكرك بل بامرك وانت لا تعلم بان تحادث الشخص الذي تريد رؤيته وانك تراه مثل ما نظرته آخر مرة حياً او نحو ذلك فتراه وتكلمه وانت نائم وعيناك مفتوحتان . وتظن انك في يقظة وانت في نوم عميق . واذا كان لا يفهم لغتك فهم ذلك من المترجم عنك لانه يجعلكما تحت سلطة التنويم المغنطيسي فانت تكلم المترجم وهو يبلغ كلامك مستحضر الارواح وهذا اليك بواسطته كلاماً او فكراً والنتيجة واحدة في الحالين . فتنظر الارواح وليس هناك ارواح وترى الرسائل البرقية وليس هناك رسائل وتنظر الاموات ولا اموات هناك . وكل من له خبرة في علم التنويم المغنطيسي يعلم ذلك تماماً و يعلم ايضاً ان استحضار الارواح ليس الا اسماً ثانياً لعلم التنويم المغنطيسي وكذلك ما يسمونه كريستين سينس فهو اسم ثالث للتنويم المغنطيسي . والى هذا الفن يرجع علم قراءة الافكار وهو ايضاً اسم رابع . على ان التنويم المغنطيسي بواسطة الفكر لا يقدر عليه الا البارعون المارسون . ولو اتيح لنا ان نصل الى ادارة الهلال لاجرينا ذلك على مشهد منكم . واذا كان مشعلاني افندي صاحب مقالة علم التنويم المغنطيسي الواردة في الهلال الثالث الذي نحن في صدده قد مارس هذا الفن فانه يفعل ذلك امامكم و يصادق على كلامنا . ولا نظن العالم تندل الذي اشرتم اليه قد رأى اصحاب الارواح المستجلبة بواسطة التنويم المغنطيسي لان هذه لا حيلة فيها غير ما قدمناه . اما الفرقة الاولى التي اشرنا اليها فلا يعتد بها

اما كيفية كشف حال مستحضري الارواح وبيان فساد مزاعمهم بالبرهان فكما يأتي : ادخل غرفتهم مع صديقك او اصدقائك واطلب فلان الفلاني ولا تفكر فيه لا انت

ولا هم — اوصهم بذلك ونبههم اليه واجعل افكاركم تنتقل من شيء الى آخر . ثم فكر انت وهم في ان فلاناً مستحضر الارواح لا يقدر على ما يقول وانه رجل خادع ماكر فهو حينئذ لا يقدر ان يريك روحاً ولا يسمعك صوتاً مطلقاً مهما كان قادراً على اسلوب الحيلة ويرجع بخفي حنين مخذولاً لان تمغنط الانسان لنفسه أقوى كثيراً من تمغنط غيره له والنسبة في ذلك كنسبة واحد الى مائة او اكثر

وعندنا ان علم السحر والرمل وما شاكل مما نسمع به ونعده من الخرافات انما هي من قبيل التنويم المغنطيسي بعينه والشعوذة ضرب منه وان اختلفت عنه اختلافاً طفيفاً من بعض الوجوه فهو هي عينها . والهنود اقدر الناس على التنويم المغنيطيسي والقانه وتكثر ضروب التفنن به عندهم فينزله اهل الاوهام منهم ومن غيرهم منزلة المعجزات وهو سرٌّ بين كهنتهم يتوارثونه ابًا عن جد وحكماؤهم يعرفونه وهو الذي ساعد هؤلاء على اثبات مزاعمهم عند عامتهم . في مصر وسوريا يعرف عند العامة بالسحر وضرب الرمل وكتيبة المحبة والبغضة وما شاكل وعلم الغيب . وهو عند الافرنج تنويم مغنطيسي (هبنوتزم) وعند الهنود الوحي والمعجزات وكان معروفاً عند المصريين القدماء وكهنة اليهود وغيرهم من اهل العلم المعروفين بسحرة فرعون في سفر الخروج . وكانت الكلدان تعرفه والفينيقيون ايضاً واليونان وكل الامم القديمة وكان سرًّا شائعاً بينهم والمصريون اقدر الامم القديمة عليه والهنود اقدر اهل هذا العصر فيه

(كربنفل تكساس . اميركا) ملحم خليل عبده

ملاحظة على حل رياضي

حضرة منشيء الهلال

اطلعت في العدد الاول من هلال هذه السنة على حل رياضي لحضرة ديمتري افندي ما هلي جواباً لسؤال سابق في احد اعداد مجلتكم لحضرة ج . ل . وخلاصة الحلّ ان المجيب توفق لايجاد ضابط تعرف به قسمة الاعداد التي هي دون الالف على ٧ بدون اجراء القسمة فعلاً . على انه لم يتوصل الى ضابط تعرف به قسمة الاعداد على ١٣

وبعد تسريح نظري في ذلك الحل اثنيت على حضرة الفاضل ديمتري افندي ثناء طيباً . ولكني استميح حضرته عذراً اذا وجهت نظره الى كتابي (الاسهاب في مراقي الحساب) فانه يرى في المرقاة الاولى المطبوعة سنة ١٩٠٢ صفحة ٧٠ و ٧١ و ٧٢

باب السؤال والاقتراح

الوطنية المصرية

(القاهرة) محمد افندي مصطفى الحسيني

اشرتم في مقدمة ترجمة المرحوم البارودي ان مصر لم تخلُ في عصر من عصورها من طبقة في اهلها من المولدين حتى في عصر الفراعنة الى المماليك الشراكسة فياحبذا لو توسعتم في ذكر الامم التي نزلت وادي النيل واختلطت بأهله لنرى احقها بالوطنية

(الهلال) ما من بلد كثر فيه الاجانب واختلطوا بأهله من قديم الزمان الى الآن اكثر من مصر. وقد بدأ ذلك قبل زمن التاريخ اذ يستدل من درس اصناف الناس في وادي النيل ان سكانه الاصليين من غير الشعوب القوقاسية وان القوقاسيين نزحوا اليه قبل عهد التاريخ وطردوا اهله واقاموا مقامهم وعمروه قبل عهد الفراعنة . ثم جاء الفراعنة على اختلاف دولهم وعصورهم وهم في الغالب غرباء فتحوا هذه البلاد وانشأوا فيها التمدن المصري القديم وقد جاؤها طبعاً بجند من ابناء جلدتهم ثم نزح اليها اهلهم واقاموا في ظلهم وفيهم الساميون والاثيوبيون والحثيون والعرب والفينيقيون وغيرهم . ومنهم من تولى عرشها واورثه لاعقابه وفيهم من انشأ فيها المتاجر او المعامل او المغارس . ثم جاءها الفرس القدماء في القرن السادس قبل الميلاد ففتحوها وهم يعدون اهلها امة واحدة هي الامة المصرية . وتوسألت كل فرد من افراد تلك الامة يومئذ لما ترددوا في الانتساب اليها فاقاموا بينهم وتناسلوا و بنوا القلاع وسموها باسماء بلادهم . وجاء بعدهم اليونان وتكاثروا خصوصاً في عصر البطالسة وطال مقامهم ورسخت اقدامهم وخلفوا في وادي النيل آثاراً باقية واللغة القبطية لا تزال تكتب بالاحرف اليونانية الى اليوم . ناهيك بما فيها من الفاظ تلك اللغة واصطلاحاتها الدينية والسياسية . ثم فتحها الرومان قبيل التاريخ المسيحي . وجعلوها اهراءهم ومخازن اقواتهم . وفي اواسط القرن السابع للميلاد جاءها العرب وقد اختلطت انساب تلك

الامم بالتزاوج وعرف الحاصل من ذلك بالأمة القبطية وهي الامة المصرية غير من كان فيها من حامية الروم عند الفتح ولم ينضموا الى المصريين لحداثة عهدهم في مصر فكانوا اشبه شي بجيش الاحتلال . اما المولودون منهم فيها فكانوا يعدون انفسهم من اهلها حتى المقوقس نفسه زعيم الحزب الوطني يومئذ فانه من اصل يوناني

فلما رسخت قدم العرب بمصر نزحوا اليها قبائل و بطوناً واختلطوا باهلها فتولدت طبقة من العرب المولدين وهم يعدُّون انفسهم مصريين وانما افترق الاقباط عنهم بالدين . ولما قامت الدولة العباسية وعظم شأن الفرس وتولوا الاعمال في المملكة الاسلامية نزح جماعة منهم الى مصر حتى اذا تولاَّها آل طولون في اواسط القرن الثالث للهجرة جاءها الاتراك من بطانة الخليفة المعتصم بالله واقاموا فيها واختلطوا بالعرب والفرس والقبط . وفي اواسط القرن الرابع جاء الفاطميون من شمالي افريقيا ففتحوا مصر بجند اكثره من قبائل البربر ومعهم جماعة من عرب الاندلس المولدين وفيهم الدم الاسباني او الافرنجي . واستعان الخلفاء الفاطميون في اثناء دولتهم بجنود من الترك والكرد والديلم والارمن والعبيد السودان وغيرهم وكانوا يبتاعونهم او يستاجرونهم فيقيمون بمصر و يتزاوجون و يتوالدون ولاحرج في ذلك حتى الخلفاء فكثيراً ما كانوا يتخذون امهات اولاد من الترك او السودان او الارمن . فالخليفة المستنصر الفاطمي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ كانت امه سودانية . وتزايد وفود الاكراد خصوصاً في عهد الدولة الايوبية ثم تكاثر الاتراك والجركس والارمن والمغول وغيرهم في زمن السلاطين المماليك . فلما تولتها الدولة العثمانية اضيف الى مزيج الامة المصرية جماعة الانكشارية وهم اخلاط من امم شتى وجماعة الارناؤط وغيرهم . حتى اذا اقبل العصر الاخير وهو يبدأ في اول القرن الماضي وفد على مصر جماعات من الاتراك والارناوط والمغاربة واهل مصر يعدُّون انفسهم يومئذ امة واحدة وكل منهم يعدُّ نفسه مصرياً حتى الامراء المماليك فانهم كانوا يعرفون بالامراء المصريين وهم اما جركس او اتراك او نحو ذلك . وهكذا يقال في رجال محمد علي فانهم توطنوا القطر وتناسلوا فيه ومع قرب عهدهم من اصولهم واكثرهم من الاتراك والارناوط والجركس فهم يعدُّون من المصريين ومنهم فئة كبيرة من اهل الوجاهة والنفوذ ونسميهم مولدين بالنسبة الى الذين سبقوهم الى الاندماج في الامة المصرية وجميعهم بالحقيقة غرباء . فانهم تدرجوا من طبقة الغرباء الى المولَّدين ثم الى الوطنيين فترى مما تقدم ان حق الوطنية في مصر انما يكتسب بطول الاقامة وتوالي التناسل . على ان بعض الكتاب يلحقون الدين بالوطنية فمن دان بمذهب اهل الدولة (الاسلام) كان اقرب

عندهم الى اكتساب حق الوطنية . فالتركي او السوري او الجركسي اذا توطن مصر وتناسل فيها وكان مسلماً عدُّوه مصرياً اما اذا كان مسيحيًا او يهودياً ظلَّ في اعتبارهم دخيلاً او غريباً — وهذا حكمٌ شاذ لا ينطبق على قواعد العمران لان الوطنية شيء والدين شيء آخر كما لا يخفى

طائفة البابية وشرائعها

(عكا) خلف افندي الصباغ

قد استفحل امر البابية حتى اصبح الدين في خطر منها والناس مختلفون في حقيقتها واصل نشأتها وتعاليمها فهل لكم ان تنشروا ذلك لنكون على بينة من امرها

(الهلال) البابية فرقة من فرق المسلمين تنسب الى رجل شيرازي سمى نفسه «الباب» وقد نشرنا ترجمة حاله في بعض اهلة السنين الماضية بقلم بعض الذين عاشروا هذه الطائفة وذلك قبل صدور كتاب «مفتاح باب الابواب» للدكتور مهدي خان التبريزي . ونحن ذاكرون في ما يلي اصل هذه الطائفة وترجمة مؤسسها وزبدة تعاليمها واكثر اعتمادنا على الكتاب المذكور

(مؤسس البابية) هو ميرزا علي محمد ولد في شيراز من اعمال فارس اول سنة ١٢٣٥ هـ وابوه ميرزا رضا البزاز . فتعلم في حداثته مبادىء اللغتين الفارسية والعربية واتقن الخط ولما ترعرع ادخله خاله السيد علي الشيرازي في تجارته فتعلم ابواب التجارة ثم انتقل معه الى مدينة بوشهر على الخليج الفارسي وظل عنده الى السنة العشرين من عمره وقد عكف على العبادة والرياضات الدينية . وكثيرًا ما كان يصعد الى سطح القاعة مكشوف الراس فيمكث هناك ساعات والشمس في ابان حدتها وهو يتلو الاوراد والاذكار . فاصابه على اثر ذلك نوب عصبية وانحطت قواه فزجره خاله فعصاه فشاور اخوته وآل بيته فاشاروا بارساله الى كربلاء لعله يشفى من تبديل الهواء ومجاورة مشهد الامامين علي والحسين فسافر واقام في كربلاء وقد امعن في التعبد . والتقى هناك ببعض تلامذة السيد كاظم الرشتي ثم تتلمذ له وحضر درسه ولازمه . ثم انقطع عنه وسار مع بعض الرفاق الى الكوفة وانقطعوا الى الرياضة بقرب مسجد علي . وخرج صاحب الدعوة من تلك الرياضة وقد تغيرت حاله وصرح باقوال تخالف قواعد الاسلام فهجره اصحابه فاخذ يدعو الناس الى نفسه سرًّا

ويظهر التقشف والزهد فمال اليه جماعة من السذج . وكان كلما اطمأن الى احدهم قال له « ادخلوا البيوت من ابوابها » ثم يقول « انا مدينة العلم وعليٌّ بابها » يشير بذلك الى ان بلوغ السعادة الابدية لايكون الا بواسطته . ثم سمى نفسه « الباب » وهجر اسمه الاصلي

واجتمع حول الباب ١٨ رجلاً سماهم « حي » وتلك قيمة هذا العدد بالابجدية وعلمهم شريعته وبعثهم الى الآفاق لنشر دعوته وحرضهم على كتمان اسمه . ثم بعث اليهم ان يبذلوا الجهد في ايراد اسمه على المآذن والمنابر واخذ يتأهب للسفر الى الحجاز لتأييد مشروعه لان المهدي المنتظر ياتي من مكة . فخاطب بذلك بعض اصدقائه فاجتمع عليه منهم جماعة رحلوا معه الى بغداد ثم الى البصرة ومنها اقلعوا في البحر نحو الحجاز سنة ١٢٥٩ ﻫ . ويزعم البابية ان الباب وصل الى الحجاز ونزل مكة واظهر امره فيها . واما المسلمون فبعضهم يقول انه لم يصل الحجاز لان السفينة انكسرت به فنزل بوشهر واقام في بيت خاله حتى رجع . ويقول آخرون انه وصل الحجاز ولكنه لم يجرأ على اظهار نفسه . وفي كل حال فانه اقام اخيرًا في بوشهر وعزم على اظهار دعوته جهارًا فاختار ان يبدأ بمسقط راسه (شيراز) ثم اصفهان مقر العلماء في ذلك العهد . فانتدب من اتباعه جماعة بعث بعضهم الى شيراز والبعض الآخر الى اصفهان

فالذين نزلوا شيراز ذهبوا توًا الى رئيس فقهائها واظهروا له دعوتهم فاكبرها وشاور الفقهاء فشاركوه في الاكبار فعرضوا ذلك على والي المدينة . فاستحضر اولئك الدعاة واستنطقهم في محفل حافل فلم ينكروا شيئًا ولا تلجلجوا بل اجابوا بجأش ثابت ولسان جريء . واستفتى الفقهاء بشأنهم فأفتوا بكفرهم ووجوب قتلهم فتردد الوالي طويلاً ثم اكتفى بقطع العصب الكعبري من كعابهم وسجنهم وبعث يستقدم الباب من بوشهر . فاتوا به مخفورًا فوصلها في ١٩ رمضان سنة ١٢٦١ ﻫ فأنزلوه في دار ابيه التي ولد فيها وامهلوه ريثما يهدأ روعه . ثم استقدمهُ الوالي سرًا وبالغ في اكرامه حتى جثا بين يديه واظهر اسفهُ على ما فرط منه في حقه وحق دعاته واستشفعه باسماء الله ان يغفر له وانه مستعدٌّ لبذل نفسه ونفيسهِ في سبيله ثم تباكى حتى خنقته العبرات . فالتبس على الباب امره وخدع بكلامه فمدَّ يده اليه وانهضه ولاطفه وسأله عن السبب الذي دعاه الى اضطهاد دعاته بتلك القسوة وكيف تحوَّل الى هذا الاعتقاد . فأخبره انه رآه في المنام يخاطبه فاعتقد انه المهدي الى ان قال « وهذه جنودي وما في خزائني طوع امرك وانا خادم مطيع لك » فوعده الباب متى فتح الدنيا ان يوليه مملكة الروم (المملكة العثمانية) فاعتذر انه لم يتبعه طمعًا بالدنيا . ثم اعدَّ له

غرفاً وسيعة في دار امارته فرشها بالاطالس والطنافس واسكنه فيها مع خاصته وتوسل اليه ان يامر دعاته بالتوقف عن نشر الدعوة موقتاً فاجابه

فلما اطمأن الوالي من قبيل دعاة الباب في انحاء المملكة شكل مجلساً من الفقهاء والعلماء والامراء ووجوه المدينة واخبرهم بما فعله بالباب وامرهم ان يمتحنوه ويحكموا عليه بما يرون . ثم دخل ليدعوه الى تلك الجلسة واكد له ان المراد بها مساعدته على نشر دعوته . فاقبل الى الجلسة ثابت الجنان والقى على الحضور خطبة حرضهم فيها على الايمان بدعوته فلم يجيبوه بكلمة وساد السكوت على الجلسة حتى نهض الوالي وطلب من الباب ان يكتب دعوته على صحيفة و يعرضها عليهم . فكتب اسطرًا بالعربية على نهج المناجاة او الدعاء فلم يروا فيها معنى واستخرجوا منها غلطاً لغوياً . فاعتذر انه لم يتعلم في المدارس وانه انما اتاه العلم بالوحي وحرضهم على اهمال اللفظ والاعتماد على المعنى . فضجوا وافتى بعضهم بقتله لانه كافر وثاروا . ثم وقف الوالي ووبخه وشدد النكير عليه وامر به فجرُّوه الى صحن الدار واوقفوه على نطع وربطوا رجليه الى خشبة (فلق او عقدة) وضربوه بالاعواد الصلبة وهو يستغيث فلم يكفوا الضرب حتى استغفر ربه وتاب . فامر الوالي بفك قيوده واركبه على دابة شوهاء وارسله الى المسجد الجديد في وسط السوق الكبير لتشهيره . وكان المسجد غاصاً بالعلماء والفقهاء والاعيان فلما دخل اقبل على رئيس الفقهاء وقبل يده و كرر الاستغفار والتوبة . فامره باعلان توبته على المنبر فصعد وصرح انه تاب وندم وان دعوته فاسدة

✻ منوجهر والي اصفهان ✻ ووفد على شيراز في ذلك العام وباء الكوليرا فخرج الاعيان والامراء من المدينة ومعهم الوالي فرارًا من الداء فاختلت الحكومة واهملت السجون . وكان بعض دعاة الباب الذين سيرهم الى اصفهان قد تمكن من استمالة واليها منوجهر خان حتى صدّق الدعوة . فلما علم منوجهر المذكور بسجن الباب اغتنم اختلال الاحوال بالوباء وانتدب اناساً ارسلهم سرًّا الى شيراز حملوا الباب اليه . فلما علم والي شيراز بذلك امر بنفي اتباع الباب من ولايته . واما الباب فانه نزل على منوجهر صاحب اصفهان وكان حديث العهد بالاسلام واصله من الكرج وقد طمع بانشاء دولة لنفسه فرأى ان تكون تلك الدعوة الدينية اساسها اذ لا تقوم دولة في الشرق الا بهذه الجامعة . فلما جاء دعاة الباب اصغى اليهم وقربهم اليه سرًّا ولما انبأوه بحبسه بعث في استقدامه كما تقدم . وهو مع ذلك يظهر للناس استغراب ظهور هذه الدعوة و يحذرهم منها ثم انبأهم بهرب الباب من سجنه في شيراز وقرب وصوله اصفهان وجعل يلطم خده و يستعيذ و يأسف لضياع الدولة ارهاباً

لهم . فخافوا وبكوا معه ثم استنجدوه لدفع هذه النازلة فاشار بارسال وفد من العلماء والفقهاء لاستقباله وان ينزلوه في دار احدهم ويحترموه لانه من سلالة الرسول وانه متى وقع في فخهم فضحوه بالمناظرة فيسقط فيفتون بقتله او صلبه . فاستحسن القوم رأيه فبعثوا وفداً استقبل الباب وعادوا به الى دار الضيافة . ثم جعل العلماء يزورونه واخيراً طلبوا اليه ان يكتب لهم رسالة يضمنها عقيدته . فكتب تفسير سورة الكوثر فلما راوا ما فيها من الغلط اللغوي والنحوي ضجوا وساروا الى الوالي يستنجزونه وعده فماطلهم فالحوا عليه ان يعقد جلسة للمناظرة فعقدها وجمع فيها الفقهاء وغيرهم وفيهم اعلم علماء ايران . ثم جاءهم الباب فرحبوا به واجلسوه في صدر القاعة ودار الكلام والبحث والجدال وكان الباب اذا اعجزه الردُّ زعم ان مخاطبه لا يفهم الكلام أو ليس من شأنه الخوض في هذا العباب . فطلبوا اليه ان يكتب عقيدته فكتب كلاماً لاطائل تحته فتحققوا جهلهُ فافتوا بقتله ورفعوا فتواهم الى الوالي . فاعتذر ان تنفيذها ليس من شانه ولا بد من اشعار حكومة طهران بذلك على انه امر بسجنه وكتب الى طهران مع الفتوى ان قتل هذا الرجل يخشى منه حدوث ثورة لان قلوب الناس معه وان الافضل بقاؤه في السجن حتي يضعف امره . فاطاعتهُ الحكومة وكان ذلك من اكبر الاسباب في انتشار دعوته اذ لو قتلوه يومئذ لذهب امره ولم يبق لهُ ذكر

على ان الوالي المذكور لم يقنع ببقاء الباب حيّاً في السجن بل خبأه في قصره واطلق لهُ الحرية بكتابة المنشورات وتأليف الكتب واشاع ان الشاه طلبه الى طهران وحبسه هناك . فظل الباب في قصر الوالي حتى مات الوالي وقد قتلهُ بعض رجاله غيرة على الاسلام فخلفه اخوه كركين خان فغير سياستهُ مع الباب واطلع الوزارة بطهران على حقيقة الحال فامرت بنفيه الى اذربيجان فسجنوه في قلعة جهريق بمدينة ماكو. وفي ٥ شوال سنة ١٢٦٤هـ توفي ملك ايران يومئذ محمد شاه وخلفه المغفور له ناصر الدين شاه الملك السابق

❊ قرة العين ❊ وكان الباب وهو في اصفهان قد بثَّ دعاته في انحاء المملكة يدعون الناس بالحسنى فلما سجن في ماكو امرهم بالشدة والعنف . واتفق اختلال احوال المملكة الايرانية وتغير النيات وعصيان اكثر الولايات ووفاة الملك محمد شاه فتمكن بعض دعاته من استمالة رجلين من جند الحراس الموكلين بحراسة الباب فاوصلها اليه اخباره واطلعاه على حال المملكة فامرهم باذاعة مشروعه جهاراً . فاطاعه كثيرون وفي مقدمتهم بطلان احدهما في خراسان اسمه ملا حسين بشرويه الملقب بباب الباب والثاني الملاّ محمد علي البارفروشي بمازندران والثالث

امراة في قزوين فتية بارعة في الجمال اسمها زرين تاج اي ذات التاج الذهبي ولقبوها بعد ذلك ببدر الدجى وشمس الضحى وقرة العين وصديقة طاهرة وعرفت اخيراً بالبهائية . وهي من عائلة عريقة بالعلم والفقه ابوها ملاّ صالح القزويني وعمها ملاّ محمد تقي من اعلم اهل زمانه وزوجها الحاج محمد بن محمد تقي المجتهد . وهي تحفظ القرآن وتعرف التفسير والتأويل واسرار التنزيل . وقرأت تعاليم الباب فمالت اليه وكاتبته فكلفها باظهار الدعوة فلبته فاصغى لها الناس واجتمع حولها خلق كثير فابتعدت عن زوجها حتى خرجت من عصمته بغير طلاق واشتغلت بعقد المجالس والقاء الخطب في السر والجهر وقد حسرت نقابها ومزقت حجابها فازداد الناس افتتاناً بها وبفصاحتها فضلاً عن جمالها . واشارت بنزع الحجاب واخذت بناصر النساء فكثر محبوها من سائر الطبقات . فشق على اهلها امرها فاستحضروها ونصحوا لها فابت الاّ ما كانت عليه . ثم خافت من عمها ان يغلب على امرها بما له من النفوذ فامرت اتباعها بقتله وقتل ابيها وبعلها . فهجموا على الجامع الكبير وقتلوا عمها وهو يصلي في المحراب وقطعوه ارباً ارباً ولم تتمكن من ابيها وبعلها

فهاج الناس وصاحوا الغوث الغوث فخافت على نفسها فخرجت من خدرها كاشفة خمارها وسلكت طرقاً غير مطروقة لتأمن مباغتة القوم وطلبت خراسان لتجتمع فيها بالملاّ حسين بشرويه وسائر الدعاة . فالتقت في دشت بالحاج محمد علي البارفروشي ومعه جند من البابية فبشرها بقرب مجيء الملاّ حسين فبينا منادياً ينادي « عجلوا ايها الناس ان الامام المنتظر قد ظهر » فهرع الناس الى مكان أعدوه لذلك الاجتماع . فنصبوا في صدر المكان منبراً وقفت عليه قرة العين بغير قناع والقت خطبة حثت فيها الناس على الاعتقاد بالباب لان الشريعة المحمدية نسخت بظهوره . فمنهم من نفر وخرج ناقماً ومنهم من آمن وتعلق باذيالها وقبل موطأ قدميها . ثم انتقلت ومعها الحاج محمد علي في هودج واحد الى مازندران وتبعها المريدون حتى نزلوا قرية للاستراحة . فدخلت قرة العين ومعها رفيقها الى الحمام فسمع أهل القرية فتألبوا على القوم وفرقوا شملهم وغنموا ما كان معهم . فافترقت قرة العين عن زميلها لانه سار الى بارفروش وظلت هي سائرة تطوف القرى تبشر الناس بالباب والحكومة تقتص أثرها حتى قبضت عليها وأمرت بحلق أطراف رأسها وربطت بقية شعرها بذنب البغل وجيء بها مجرورة على هذه الصورة الى المحكمة فحكم عليها بالاحراق وهي حية ثم رفقوا بها فخنقوها ثم أحرقوها

(الملاّ حسين) وكانت الحكومة الفارسية قد اهتمت بامر الباب قبل موت المرحوم

محمد شاه فامر ولي عهده يومئذ (ناصر الدين شاه) وهو بتبريز ان ينظر في شأن الرجل فعقد جمعية من العلماء تحت رئاسته واحضر الباب من سجنه لمناظرته وبعد جدال طويل قرر بعضهم بكفره وافتوا بقتله وقرر البعض الآخر بجنونه فاعتمد ولي العهد على القرار الثاني وأمر الحجاب فطرحوه واوثقوا رجليه ولم يكفوا عن ضربه حتى تعهد باوثق الايمان ان لا يعود الى دعوته وأعادوه الى سجنه

على ان دعاة الباب في الاطراف بذلوا مهجهم في سبيل نصرته وخصوصاً الملاّ حسين بشرويه او البشروي الملقب بباب الباب فانه نصره في مازندران بسيفه ولسانه فاجتمع اليه المريدون وعصوا الحكومة • فجندت اليهم الجنود وحاربوهم فتحصن الملاّ وجمع الاسلحة وفرق اتباعه يدعون الناس اليهم وجعل الملا محمد علي المتقدم ذكره مقدساً وسماه « حضرت اعلى » وحجبه عن الناس • فاصبح اذا تجلى عليهم خرّوا له سجداً ووضعوا خدودهم على التراب واختار من رجاله نخبة سماهم باسماء الرسل ووعدهم بالسلطة والامارة • وكانت الحكومة اذ ذاك مشغولة بموت محمد شاه وتولية ناصر الدين شاه • فلما جلس هذا على كرسي الملك بعث الى مازندران يأمرهم بقطع شافة البابيين • فحاربوهم ففرّ جند الحكومة فلحقهم البشروي الى قرية فراد ووضع السيف فيهم ثم عطف على اهل القرية وذبحهم جميعاً واغتنم امتعتهم • فعظم ذلك على الشاه وأمر بجند عظيم انفذه اليهم فكافح البشروي كفاح الابطال فاصيب برصاصتين وكتم أمره وأشار بالرجوع الى المعسكر • ثم أظهر اصابته وانها مميتة فخاف رجاله فشجعهم وأوصاهم ان يطيعوا الحاج محمد علي « حضرت اعلى » وامر ان يدفنوه تحت جدار القلعة ويدفنوا معه سلاحه ويمحوا آثار قبره فقام الحاج محمد علي مقامه فتعبت الحكومة في حربهم فانجدت جندها فانحصر البابيون في قلعة فضيقوا عليهم فضعف ايمانهم بالباب لانهم رأوا كذب مواعيده وصاروا يخرجون ويسلمون • واخيراً اضطر الباقون الى التسليم فخرجوا ومعهم الملا محمد علي فحاكموهم وقتلوهم جميعاً واستولوا على ما في القلعة • وبلغ عدد من قتل في هذه الحادثة ٢,٥٠٠ من البابية و ٥٠٠ من الجند والاهالي • وحدث نحو ذلك في زنجان بقيام الملا محمد علي الزنجاني وقد آل امره الى الخذلان

(مقتل الباب) اما الباب فقد كان في سجنه بجهريق فلما ظهرت الثورة في مازندران ثم في زنجان مع ما نجم عن ذلك من قتل الانفس واضطراب الاحوال تراءى للصدر الاعظم يومئذ ميرزا تقي خان ان يستاصل الشر من جذره بقتل الباب فعرض رأيه على الشاه

فاستصوبه وبعث الى والي تبريز بقتله • فاستقدمه الوالي اليه وحاكمه محاكمة عرفية مع الفتوى وحكم عليه بالاعدام • فطوفوه بالاسواق والشوارع حافياً وعلى راسه طاقية فارسية ومعه الملا محمد علي احد كبار مريديه (غير البرفروشي والزنجاني) مقيداً بسلاسل الحديد حتى وصلوا بهما الى ميدان الثكنة العسكرية الصغرى وفي الميدان ثلاثة طوابير من الجند النظامي فتقدم رئيس الحجاب ومعه امر القاضي باعدام الباب ورفيقه الى الطابور المسمى بهادران وجنده مسيحيون اشوريون لان الفرس يجندون المسيحيين • فامر رئيس الطابور بفرز بلوك عليه ضابط وقسم البلوك الى ثلاثة صفوف واستلم الباب ورفيقه من الحراس واخذهما الى الركن الغربي للميدان وأمر فشدُّوهما بالحبال والاوتاد الى الحائط ووجهاهما نحوهُ • فطلب الملا محمد علي ان يحولوا وجهه نحو الجند ليتلقى الرصاص مواجهة فلم يقبلوا منه • ثم نفخ في النفير فاطلق الصف الاول الرصاص فدوى الميدان واكفهرت سماؤه بالدخان • ثم انقشع عن مقتل الملا محمد علي وهو ينادي الباب قائلاً « مولاي هل انت راضٍ عني » اما الباب فأصيب حبله برصاصة قطعته فاصبح مطلقاً فاغتنم انعقاد الدخان ولجأ الى حجرة هناك اختبأ فيها • فلما انقشع الدخان ولم يروا الباب توهموا انه صعد الى السماء او غاب عن الابصار فاضطرب القائد والضباط خوفاً من الثورة وامر بالبحث عن الرجل فعثروا عليه وربطوه ورموه بالرصاص فاصيب بضع وعشرين رصاصة فمات وسكن جأش الناس • ثم ربطوا الجثتين بارجلهما وجروهما بالاسواق والازقة الى ميدان الثكنة الكبرى والقوهما في خندق وتركتا حتى اكلتهما الكواسر والجوارح

(صفاتهُ ومؤلفاته) كان ميرزا علي محمد (الباب) ربع القامة حنطي اللون عصبي المزاج صفراويه طلق المحيا مقرون الحاجبين • اما مؤلفاته فاغلبها في اللغة الفارسية وبعضها بالعربية وهي حسب سني ظهورها :

(١) تفسير سورة يوسف : جمله ١٢٠ سورة وأرسله في بدء امره الى الحكام والعلماء مع الملا محمد علي البرفروشي وغيره وذكر في آخره انه هو المهدي المنتظر وانه افضل من محمد بن عبد الله

(٢) رسالة على نسق الصحيفة السجادية المنسوبة للامام علي بن الحسين

(٣) تفسير سورة العصر : كتبه باصفهان

(٤) النبوة الخاصة : كتبها باشارة والي اصفهان منوجهر خان

(٥) قدوس الاسماء : من معضلات كتبه واغمضها نهج فيه منهجاً غريباً على قواعد

اسرار الحروف والجفر

(٦) البيان : وفيه شريعته وتعاليمه . وسنفرد لها فصلاً خاصاً نأتي فيه على ذكر الميرزا حسين علي الملقب بالبهاء وتعاليمه

اكل النار

(القاهرة) محمد افندي حسنين بالسكة الحديدية

حدثني صديق انه شاهد بعض المشائخ يأكلون النار وهي في معظم تلهبها فما قولكم في ذلك

(الهلال) كثيراً ما كنا نسمع بما يأتيه بعض هؤلاء من التقام الجمر وغرس الحراب في النحر او الصدر ونحن بالطبع نستغربه ونجتهد في تفسيره وتأويله الى مايطابق العلم حتى أتيح لنا حضور ليلة من هذا القبيل في منزل بعض وجهاء المسلمين في رمل الاسكندرية باواسط أوغسطس الماضي وكانت ليلة حافلة شهدها جمٌّ غفير من الوجهاء وغيرهم فاغتنمنا هذه الفرصة لاعمال الفكرة في اكتشاف سر هذا العمل فتحققنا صدق المثل القائل لا تصدق كل ما تسمع فانك لا تزال تستغرب الحادث حتى تراه فيصغر في عينيك . شاهدنا بعض المشائخ يضربون الدف ويبخرون ويدورون وهم يرقصون ويذكرون باصوات عالية تصمُّ الاذان من ضوضائها وقد كشفوا رؤوسهم وأرسلوا شعورهم منفوشة يلوحون بها وقد اجهدوا نفوسهم بالوثوب وقرع الدفوف وهز الرؤوس وبين ايديهم كوانين النار لاحماء الدفوف عند الحاجة حتى تصبب العرق من وجوههم على اعناقهم وصدورهم وتقطر من زنودهم . ثم طلب بعض الحضور ان يبينوا له كيف يأكلون النار فتناول احدهم شفرة من حديد بينها وبين نصابها سلك مستدق فدفن الشفرة في نار احد الكوانين وهو يطوف ويثب ويقرع الدفَّ ويرغي ويزبد حتى اذا احمرت الشفرة من الاحماء رفعها وأخرج لسانهُ ومرَّها بلباقة بوجهها كما يمر الحلاق الموسى اذا أراد سنه على الجلد فذهب احمرار الشفرة من المرة الثالثة وقد انطفأت حرارتها من اللعاب . ثم أحمى شفرة أخرى على هذه الصورة ومرَّها على زنده والعرق يسيل عليه فانطفأت حالاً

ثم جاء رجل آخر وفي يده حزمة من الشمع الابيض المعروف مؤلفة من ست شمعات وقد أضاءها كلها معاً فتصاعد لهيبها مشتركاً كأنها شمعة واحدة . ولما دنا منا أومأ الينا أن

الساعة

﴿ تبريز اذربيجان ﴾ السيد جعفر بن الحاج علي اكبر خامنة

هل كان انقسام اليوم والليلة الى ٢٤ ساعة بعد اختراع الساعة (الآلة) أو قبله فاذا كان قبله فمن هو واضعه وكيف كانوا يعينون الساعات قبل اختراع الساعة وهل الساعة من اختراع العرب كما يفهم من كتاب تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ الهلال ﴾ ان انقسام اليوم والليلة الى ٢٤ ساعة قديم لا يعرف أوله ولا من وضعه . ولكننا نعلم ان الكلدان حكماء بابل اقدم من ذكره واقتبسه الناس عنهم وكان المصريون القدماء يعرفونه ولعلهم أخذوه عن الكلدان وكذلك فعل العرب واليهود ويؤيد ذلك ان لفظ « الساعة » كلداني الاصل ومعناه في لسانهم « لحظة » أو « مديدة » فاقتبسها العرب والعبران بلفظها ومعناها . والظاهر ان العرب أخذوها عمن هاجر اليهم من جالية الكلدان في الاعصر القديمة وخصوصاً في القرن الخامس قبل الميلاد فراراً من وجه الفرس في جملة ما أخذوه من علم النجوم (راجع تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الثالث صفحة ١١) وسموا كل ساعة من ساعات اليوم باسم . فساعات النهار عند العرب أولها الشروق ثم البكور فالغدوة فالضحى فالهاجرة فالظهيرة فالرواح فالعصر فالقصر فالاصيل فالعشي فالغروب . وساعات الليل أولها الشفق فالغسق فالعتمة فالسدفة فالجهمة فالزلة فالزلفة فالبهرة فالسحر فالفجر فالصبح فالصباح . أما اليهود فأخذوا الساعات عن الكلدان بعد السبي البابلي لان الساعة لم يرد لفظها في كتبهم الا بعد ذلك السبي . وأول من ذكرها دانيال في العدد السادس من الاصحاح الثالث وهو قوله « ومن لا يخرّ ويسجد ففي ساعته يلقى في وسط اتون نار متقدة » اما قبل السبي فلم يكن عند اليهود من اقسام اليوم الا قسماه الطبيعيين الليل والنهار وما يترتب فيهما من حال الشمس كالصباح والظهر والمساء . وكذلك كان شأن اليونان حتى أخذوا التقسيم المذكور عن الكلدان أيضاً . والظاهر ان الكلدان توصلوا الى ذلك التقسيم بالتدريج فقسموا النهار أولاً الى نصفين بالظهيرة ثم قسموا كل نصف

الى قسمين أو ثلاثة حتى انتهى بهم التقسيم الى ستة أجزاء قبل الظهر وستة بعده . والصينيون نهارهم ست ساعات ثلاث قبل الظهر وثلاث بعده

أما قياس الوقت فأقدم وسيلة له ملاحظة الاظلال . فقضى الانسان دهوراً يقيس الوقت بظله أو ظل بيته . أما الساعة بمعنى الآلة التي تقاس بها الساعات فهي بالطبع احدث من تقسيم النهار لانها صنعت لمعرفة ساعاته . واقدم من اخترعها الكلدان أو البابليون واقدم أنواع الساعات الساعة الشمسية وهي في أبسط أحوالها عبارة عن عمود يغرس عمودياً في ساحة معرضة لاشعة الشمس فيقاس الوقت بطول ظله . ثم تفننوا في ذلك حتى صارت الساعة الشمسية من أدق آلات الوقت وقد استخدمها اليهود في القرن الثامن قبل الميلاد كما يستدل من عبارة أشعيا في الاصحاح ٣٨ والعدد الثامن اذ يقول « هاءنذا أرد الظل في الدرجات التي منزلها في درج احاز بالشمس عشر درجات الى الوراء ...... » فكأنهم كانوا يقيسون الوقت بالدرجات . واقدم ساعة شمسية ذكرت في تاريخ أوروبا الساعة التي نصبها القائد الروماني بابيريوس كورسر قرب هيكل كويرينوس في رومية سنة ٢٩٣ ق م . وعلى جدار هيكل الرياح في أثينا اثر ساعة شمسية لايزال باقياً الى اليوم . ولا شك ان العرب استخدموا الساعة الشمسية أيضاً

ثم حدثت الساعة المائية وهي من اختراع الشرقيين نقلها الرومان الى رومية في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد على يد الكاهن العظيم شيبيوناسيكا سنة ١٥٨ ق م ثم شاعت عند اليونان والرومان وكانت عبارة عن وعاء كروي يملأونه ماء وله عنق مثقوب يتسرب منه الماء الى وعاء مثله فيجعلون سعة الوعاء بحيث يحتوي من الماء مايتسرب كله في ساعة أو نصف ساعة أو وقت آخر يعينونه فاذا تم تسرب الماء من احد الوعائين الى الآخر قلبوهما حتى يعود فيرجع الى الاول في نفس ذلك الوقت . ثم رأوا الماء ينقص بالتبخير فعوضوا عنه بالرمل على نفس هذه القاعدة — وهي الساعة الرملية . وكانت الساعة المائية عند انتقالها الى رومية بسيطة كما تقدم فأدخل الرومان فيها الدواليب على ان يكون الماء محركاً لها . وأول من فعل ذلك كتيسبيوس الميكانيكي

الاسكندري سنة ١٤٠ ق م واصطنع لمدرسة الاسكندرية سنة ١٣٥ ق م ساعة تحرك دواليبها بالماء فترفع رقماً صغيراً يدلُّ على الوقت بحسب الساعات

أما الساعات على الشكل المتداول بين الناس الآن فكانت تحرك أولاً بالرقاص أو الاثقال ثم بالزنبلك وهي أحدث عهداً من سائر اصناف الساعات . ويقال أن يوليوس قيصر لما افتتح بريطانيا سنة ٥٥ ق م وجد فيها ساعة من هذا النوع . وأن البابا بولس ارسل الى بيبن ملك فرنسا سنة ٧٦٠ م ساعة تركيبها يشبه هذه الساعات . وأن باسيفيكوس رئيس شمامسة جنوا اصطنع ساعة منها في القرن التاسع . ولكن المحقق عند الباحثين من الافرنج وغيرهم أن العرب أسبق الامم الى أتقان هذه الآلة وأن أول ساعة متقنة تامة التركيب من هذا النوع أنما هي من صنع العرب المسلمين في القرن الثالث عشر للميلاد . غير الساعة التي ذكروا أن هرون الرشيد أهداها الى الملك شارلمان قبل ذلك الحين ببضعة قرون . والظاهر أن ساعة الرشيد لم تكن تامة الاتقان . وجملة القول أن تقسيم اليوم الى ساعات من مخترعات الشرق وكذلك الساعات لقياس الوقت فانها على اختلاف انواعها شرقية الاصل

علم الفلك

(الاسكندرية) محمد افندي منير بكفر عشري

أني شديد الميل الى علم الفلك فأحب أن اطلع على نبذ منه في مجلتكم

《 الهلال 》 ان النبذ القليلة في علم الفلك لا تشفي غليلاً فاذا اردتم الالمام بهذا العلم مختصراً فعليكم بكتاب « محاسن القبة الزرقاء » تأليف المرحوم الدكتور فانديك فانه موضوع على اسلوب يسهل فهمه على المبتدئين . أو طالعوا كتاب مختصر علم الهيأة للسيدة اليزا افرت

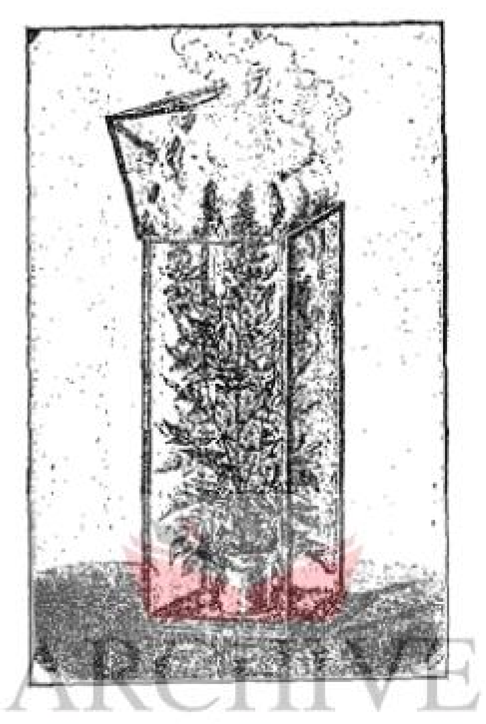
عجائب المخلوقات

النبات المنير

﴿ المفرزات النباتية ﴾ النبات ينمو ويتناسل ويموت كالحيوان وهو أيضاً يتنفس ويفرز مثله . والمفرزات الحيوانية والنباتية منها ما هو عام كاللعاب والعرق والعصارات المعدية والمعوية في الحيوانات العليا وكالبخار المائي في النبات . ومنها ماهو خاص ببعض الحيوانات كالمسك بغزال المسك والعنبر بحوت العنبر . أما النباتات فمفرزاتها كثيرة الاشكال متفاوتة الخواص وفيها النافع والضار فمن الازهار ما تجني النحل منهُ عسلاً ومنها ما ينفث سماً ناقعاً — ذكروا ان جنود خنوفون في القرن الخامس قبل الميلاد أصابت بقرب طرابزون حفراً فيها عسلٌ فتسابقوا اليه واكلوا منه ما شاؤا فتسمم كل من اكل ووجدوا بعدئذ ان في جملة ما جناه النحل من العصارات النباتية الى ذلك العسل عصارة سامة . وكثيراً مايكون في النبات الواحد سمٌ وترياق معاً فالتابيوكا التي يقتات عليها هنود اميركا ويستخدمها بعض أهل العالم المتمدن محاطةٌ من أصل منبتها بسمّ من أقوى السموم فالذين يجنونها يخلصونها من السم واذا أراد الزنوج الانتحار اكلوا الجذر كما هو فيموتون بسرعة

ومن المفرزات النباتية الزيوت العطرية كالنعناع والورد وزهر الليمون وا كثرها طيارة تنبعث عن الازهار في البساتين فتعطر الارجاء وتنعش الارواح . ومنها مايلذ طعمه كالسكر فانهُ كثير في قصب السكر وقليل في سوق الذرة . ومثله المن وهو نوع من السكر تفرزه سوق بعض النبات وأغصانه وفي بلاد الاندس شجر يفرز شمعاً يشبه شمع العسل . وهناك نباتات تفرز الراتنجات والزيوت على أنواعها أشهرها زيت الزيتون وزيت الخروع وزيت بزر الكتان وصمغ الكوتابرخا (الكاوتشوك) ومن هذا القبيل

الشجر الذي يفرز اللبن أو الماء وقد ذكرنا ذلك في غير هذا المكان



دكتامنوس فراكسينلا (النبات المنير)

﴿ النبات المنير ﴾ فقد رأيت ان اكثر المفرزات النباتية تنقطر بشكل سائل يجمد أو يبقى سائلاً وبعضها يتصاعد بخاراً أو غازاً . وبين المتصاعدات الغازية مفرزات قابلة الاشتعال اذا جمعتها في وعاء وأشعلتها اشتعلت حالاً وقد تشتعل من نفسها اذا تكاثرت في فصل حار صاف كما يحدث بالنبات المعروف في الاصطلاح النباتي دكتامنوس فراكسينلا Dictamnus Fraxinella وهي أعشاب يتصاعد عنها زيت عطري رائحته مثل رائحة زهر الليمون أوراقها تشبه أوراق الليمون . اذا أحطت العشب بوعاء من زجاج مضبوط بضع ساعات ثم كشفت عنه الغطاء وأدنيت منه لهيباً حدث اشتعال سريع بلهيب قوي كما ترى في الشكل

واكتشفت الآنسة لينيوس بنت العالم النباتي الشهير نباتاً يبعث في الظلام

شراراً من نار وهي أول من لاحظ ذلك وكانت في بعض البساتين عند الفجر فشاهدت وميضاً يتنقل بين الاعشاب فبعثت الى ابيها وغيره من علماء النبات بشأنه . فلما تحققوا حدوثه عمدوا الى تعليله فقالوا انه شرر كهربائي افلت من النبات . ثم شاهد مثل هذا الوميض العالم هكرن واكد وجوده في نباتات اخرى اما متواصلاً متتابعاً أو متقطعاً . واشهر النباتات التي شاهدوا الشرر يتطاير منها الاقحوان (أو صنفٌ منه) ونبات يعرف بالاصطلاح النباتي باسم (Tagetes erecta) ونبات عباد الشمس . وهو يظهر خصوصاً في الازهار الصفراء اللون عند الفجر أو الشفق



صحة العائلة

القهوة والشاي

٢ — دفع اعتراضات شاربيهما

يقول الذين ينكرون اضرار القهوة والشاي :

أولا . انهما يحفظان القوة : قال الدكتور سمث « يرى شارب الشاي قوة اعصابه تزداد بفعل الشاي لانه يعمل اعماله باكثر سهولة لكنهُ يشعر بعد الفراغ من العمل بانحطاط عظيم جداً مما لو عمل ذلك العمل ولم يشرب شاياً أو قهوة . ويدل ذلك صريحاً على ان الشعور بالقوة لم يكن حقيقياً بل هو شعور كاذب وان شارب الشاي أضعف على العمل تحت تأثير الشاي » وقال أيضاً « ان العمل بعد شرب الشاي والقهوة يعقبه انحطاط كلي بردّ الفعل يشعر به حالاً بعد الراحة ليلاً وهذا البرهان وحده كاف للدلالة على ضرر الشاي ولا اظن الحكيم العاقل يحتاج الى دليل آخر » واذا قيل ان الكمية المستعملة اعتيادياً قليلة لا تكفي لاحداث الضرر . فالجواب ان الاغنياء فضلاً عن استعمالهم اقوى جنس من الشاي فانهم

يتناولونه بجرعات اكبر من التي استعملها الدكتور سمث باختباراته المذكورة وبعضهم يتناول مع كل طعام كمية من نقيع الشاي فيها من الشاي ما لا ينقص عنه قمحات الى ١٤ قمحة

ثانياً . انهما يسكنان الاعصاب المتهيجة : وكيف يسكنان الاعصاب ؟ هل يعطيانها المادة اللازمة لاراحة ماتعب منها وانهكه العمل . كلاَّ . بل يهيجانها تهيجاً موقتاً . غير ان تلك الاعصاب المتهيجة تصبح بعد انقضاء التهييج أحوج الى الراحة . ولذلك يندر خلو شارب الشاي من احد الامراض العصبيةوقد تأكد جمهور الاطباء ان اكثر المصابين بالامراض العصبية من شاربي الشاي والقهوة وكثيرون منهم شفوا تماماً بتركها فقط اذ لم يجدوا بين العقاقير الطبية علاجاً يفي بالمقصود مع البقاء على شربهما

ثالثاً . انهما يساعدان على الهضم : يقول المصاب بالدسبسيا (المسببة عن شرب الشاي والقهوة) « معدتي ضعيفة واحتاج الى فنجان من الشاي لاتمكن من هضم طعامي » فيتناوله و بعد مدة يرى نفسه محتاجاً الى فنجانين أو ثلاثة واذا طال استعماله يجد بعد بضع سنين انه لايقدر على ابتلاع الكمية اللازمة من نقيع الشاي لمساعدة معدته على اتمام عملها كالاول فيتحقق حينئذ ان اجبار عضو من اعضاء الجسم على عمله يخالف كل الاختلاف عن تقويته وتغذيته بالطعام المغذي

رابعاً . انهما يذهبان الصداع : كثيرات من السيدات يشربن قدحاً من الشاي لازالة الصداع الذي ينتابهن مراراً لان الشاي في زعمهن يزيل الصداع فالشفاء التام بشرب الشاي غير ممكن لانه من الاسباب الاولية للصداع وان يكن في استعماله راحة وقتية حال شربه كما ان الدخان والاشربة الروحية من اسباب الرعشة والامراض العصبية وان ظهر انهما يسكنانها وقتاً طويلاً

خامساً . انهما يقومان مقام الطعام : ان كثيرين من الانكليز والامريكين وغيرهم من المغرمين بالشاي يفضلون قدحاً قوياً من نقيعه على اكلة مغذية من الطعام و يرغبون في ابدال نصف غذائهم أو اكثره بقدح من نقيع الشاي . وقد لاحظ

الدكتور أورادج من انكلترا ان النساء الشغيلات في تلك البلاد تورطن في ابدال الطعام بالشاي تورطاً عظيماً ظهرت منه أوضح البراهين واصدق الادلة على فعله المخدر . يرى المغرم بشرب الشاي انه لا يأخذ ما اعتاد أخذه سابقاً من الغذاء فيتبادر الى ذهنه ان الشاي الذي شربه قام مقام الكمية التي نقصت من الطعام . وقد فاته ان الشاي بالحقيقة قد افقده شهية الطعام ولم يقم مقامه كما ظن الا بعد ما يرى انحطاط قواه عما كانت عليه قبلاً . وقد وجد الدكتور سمث أن مدمني الشاي اكثر احتياجاً الى الطعام من غيرهم خلافاً لما زعموا

سادساً . انهما ينبهان القوى العقلية : يغلط القائلون بهذا غلطاً فادحاً فانهم لا يميزون بين السرعة العقلية والقوة العقلية ومع ذلك فغلطهم شائع جداً . المصاب بالهذيان يرتعد خوفاً من الرؤى المرعبة التي تصورها مخيلته الهائجة فيرى ألسنة من نار مصوبة نحوه من كل جهة ويظن كل شبح وحشاً مفترساً وكذلك المصاب بالحمى يهذي كثيراً ويظهر عقله سريعاً نشيطاً والحقيقة انه أضعف مما كان قبلاً لان القوة رفيقة الصحة والعقل الصحيح في الجسم الصحيح فلما ينتبه الدماغ بالشاي والقهوة أو الدخان أو الاشربة الروحية وخلافها لعمل عظيم فوق العادة ترى الشخص يقتحم العمل اقتحاماً . لكن العقل لا يقوى على اتمامه بهدوء وتروٍّ لان قواه العليا لا تظهر في حالات كهذه . احتج بعضهم ان بعض الكتبة والمؤلفين العظام كفولتير ودجونسن وغيرهما كانوا يستعملون الشاي والقهوة ومؤلفاتهم تشهد لهم بطول الباع فنجيبهم ان الفلاسفة المذكورين أصبحوا في سنيهم الاخيرة بحالة عصبية مرة للغاية تسببت عن الشاي والقهوة ولو منعوا أنفسهم من تلك الاشربة لاستفادوا وأفادوا الجنس البشري اكثر كثيراً . هذا فضلاً عن ان مدمني الشاي أنفسهم لا يمكنهم التبصر في كثير من الامور نظراً لحالتهم العصبية فلا يصدقون الا ما يظنونه صواباً سواء طابق الحقائق العلمية والاختبار العقلي أم لا فكأنهم يبلون بداء التعصب الاعمى اذا ذكرت لهم أمراً لم يكونوا يعتقدونه تذمروا وتضجروا كأنك أتيت أمراً فرياً أو قلت قولاً مستحيلاً لا سيما اذا كانوا من الشيوخ المتقدمين في العمر حيث

يصعب انقيادهم لبراهينك الراهنة ولو أجمع الجمهور على تخطئتهم ولا تحسن حالهم الا متى أبطلوا شرب الشاى . تأكد مهرة الاطباء منذ زمان قديم ان التنبيه ليس قوة وان كل ازدياد في القوى الجسدية والعقلية لابد أن يعقبه هبوط وان كل خطيب أو مؤلف يشرب قدحاً من الشاى ليزيد قوته ولكنه يأخذها من قوة مذخرة فيه لمستقبله . وكل تلميذ يجهد قوى عقله وينبه ودماغه بقدح من الشاى اسرقة فرصة من وقت الراحة أوالنوم يسلب رأس مال قواه العقلية فيكونون جميعاً كالباحث عن حتفه بظلافه اذ يقصرون حياتهم بايديهم

سابعاً . انهما بهارات وتوابل ضرورية : يدعي بعضهم ان نفع الشاى والقهوة لا يتوقف على المبادئ الفعالة فيهما بل على مادة اخرى هي الزيت العطري الذى فيه وان الطعام لا يمكن هضمه مالم يشته ويلذ . وبما ان الشاى والقهوة اذا أخذا مع بعض الاطعمة يجعلانها اكثر قبولاً بواسطة الزيت العطري المذكور فهما اذاً من ضروريات الغذاء لجعله شهياً ملذاً يسهل هضمه . والجواب على ذلك ان اللذة ليست قياس المنفعة لان أنواعاً كثيرة من الاطعمة لذيذة وشهية ولكنها مضرة وغير مغذية للجسم . وقد يوجد طعام قليل اللذة وهو نافع فيتضح من ذلك ان التوابل والبهارات غير نافعة بل مضرة

ثامناً . انهما يفرحان ولا يسكران : هذه الدعوى فاسدة لان الشاي والقهوة يسكران حقيقة كالكحول لان السكر حالة بها تشل اعصاب الحس ويظلم العقل وقد نتج ذلك عن الشاي والقهوة مراراً . والسكر بالشاى شائع جداً في اوستراليا ويدعى كل من اعتاد شرب الكوكا في اميركا الجنوبية كوكيرو أى سكير . على ان شاى بارا كواى الشائع في اميركا الجنوبية يحدث هذياناً وارتجافاً وكذلك الشاى الحبشي وهو شائع بين الفقراء وقال عنه وجونسن انه مسكر جداً . كان الدكتور سمث يجرى بعض التجارب لمعرفة فعل القهوة الفسيولوجي فسقط هو ومساعدوه لاحراك بهم لدى شربهم نقيعاً منها . ويعلم الكثيرون ان استعمال الشاى والقهوة ولا سيما منذ الصغر سبب للسكر عظيم الاهمية لان تعود أحد المنبهات يجر الى تعود

الآخر حتى يتوصل الانسان أخيرًا الى أقوى المسكرات . ولذلك فالامتناع الكلي عن المسكرات هو الامتناع عن كل المنبهات والمخدرات وان الضرر الحاصل في ايامنا الحاضرة عن الدخان والشاي والقهوة أشد كثيرًا من أضرار الاشربة الروحية ولذلك يطالب كل عاقل التفات أولي الامر وذوي السلطة الى هذه الغاية و ينصح من يريد الامتناع عن المسكرات أن يكف عن كل المنبهات. عقدت في نيو يورك سنة ١٨٧٩ جمعية غايتها الامتناع عن كل المخدرات والمنبهات كالاشربة الروحية والشاى والقهوة والافيون وخلافها وقد أثرت تأثيرا مهماً جدًا ونشأ لها فروع عديدة في الولايات الاميركية وألوف من الاعضاء وهكذا حدث في انكلترا وأسوج ونروج وسويسرا والامل وطيد أن تحذو سائر أمم الارض حذوهم فتعقد الجمعيات في كل أنحاء المعمور لمكافحة ألاعداء الذين مرّ ذكرهم فتتخلص البسيطة من شرور كثيرة وتخف عن شعوبها ويلات لا يحصى عددها فيربح الوالدون أولادهم والوطن ذويه وتنقرض مملكة الرذيلة وتهلك أمم الآثام والمعاصي و يقوم مقامها شعب قوي الجسم صحيح البنية يرتع في بحبوحة الامن والراحة تحت اعلام التمدن الصحيح والآداب الحقة. حقق الله الآمال

دودة القطن

الوقاية منها او ازالتها اذا ظهرت

جاءتنا رسالة في دودة القطن بقلم حضرة موسى بك غالب مدير تفتيش الوادي، سماها « الفائدة المقصودة في وقاية الزراعة من الدودة » تكلم فيها اولاً عن تاريخ ظهور الدودة وأسباب ظهورها وحقيقة تولدها ثم ذكر الوسائط اللازمة لمنع ظهورها او ازالتها قال :

(الوسائط اللازمة لمنع ظهورها) قد ثبت مما تقدم ايضاحه ان الندوات واستمرار الرطوبة هما الواسطة الوحيدة في تولد الديدان في الزراعة الحالية سواء كانت البويضات موجودة في الهواء الجوي (على رأينا) او ان الفراش يلقي تلك البويضات على اوراق الشجيرات مباشرة كما يدعي البعض فمن اللازم تجنب كل ما من شأنه مساعدة الطبيعة على تولد هذه الآفة المضرة ولذلك ينبغي اتباع الوسائط الآتي بيانها وهي

(١) التبكير بالزراعة أي المبادرة بها بحيث تكون بين اواسط شهرامشير وأواخر برمهات (أواخر فبراير لغاية مارس على الاكثر ، حتى اذا جاء وقت نزول الدوات في شهر بؤونه (أواخر يونيه وأوائل يوليو) تكون الشجيرات قد اصبحت قوية وأوراقها قليلة المادة الفروية فتقاوم فعل الدوات ولا تكون صالحة لتولد الديدان فيها

(٢) جعل الخطوط متباعدة بعضها من بعض بحيث لا يكون بين الخط والآخر اقل من تسعين سنتيمتراً وكذلك الحفر التي توضع فيها البذور بحيث لا يكون بين الحفرة والاخرى اقل من ٤٥ سنتمتراً وبذا لا يقل عدد الشجيرات في الفدان الواحد عن ١٠,٠٠٠ شجيرة ويحسن ان تكون اتجاهات الخطوط من الشمال الى الجنوب وذلك لاجل تسلط اشعة الشمس على كل الشجيرات من جميع جهاتها ومرور الاهوية فيما بينها بطلاقة تامة لكي لا تكمن فيها الرطوبة ولا تكون وسطاً مساعداً لتولد الديدان من البويضات الساقطة عليها بسبب تعرضها للجفاف بحرارة الشمس وتيار الهواء

وان قال بعضهم ان نقص عدد الشجيرات في الفدان الواحد الى هذا الحد مما يوجب عجز المحصول بعد ان كان عددها فيه لا يقل عن ٢٠,٠٠٠ شجيرة فاقول : انه لو قدرنا لمحصول الشجيرة الواحدة ربع رطل زهر أو نحو ١٢ درهم شعر فلا يقل محصول الفدان الواحد على هذا القياس عن ٢,٥٠٠ رطل زهر او ٨ قناطير شعر • وزد على ذلك ان تباعد الشجيرات بعضها عن بعض يزيد في محصولها لاكتسابها الغذاء الكافي من الارض كما هو مشاهد في الحيوانات فان نمو الفرد الواحد يكون اكثر من نمو التوأمين لانفراد الاول بالغذاء واشتراك الثاني فيه

(٣) تقليل الري وتخفيفه بقدر ما يمكن من ابتداء الزراعة لغاية شهر بؤونه أي لغاية ما يمضي اوان الدوة الاولى بحيث لا يكون الري الا على قدر المطلوب الضروري لا سيما وان كثرة الري في الابتداء توجب فقدان المواد المغذية من الارض قبل أوان ظهور اللوزات التي يجب ان تتوفر لها تلك المواد

(٤) الاعتناء الدائم بازالة الحشائش الغريبة من الارض بواسطة العزق حتى تبتدىء الشجيرات بطرح اللوزات على الاقل وذلك مما يساعد على ازالة الرطوبة من الزراعة وحفظ المواد المغذية لها فضلاً عن اكتساب الارض القوة بتعرضها للحرارة والهواء خصوصاً وان العزق يساعد الزراعة على احتمال الظماء وعدم احتياجها للري بسرعة (ازالة الدودة اذا ظهرت) اما اذا فرض وظهرت الديدان في الزراعة بسبب اهمال

احدى الوسائط الموضحة فان نزع الاوراق المصابة لا يفيد الفائدة المطلوبة كما هو محقق عند اكثر المزارعين فضلاً عما في نزعها من الصعوبة وكثرة النفقات كما سبق القول وحينئذ يلزم في هذه الحالة الصبر عليها حتى تتولد وتنفصل عن الاوراق وتنتقل الى الارض للاختفاء فيها من حرارة الشمس مدة النهار (حسب عادتها) ثم تروى الزراعة رياً كافياً بعد هز الشجيرات بواسطة الانفار امام المياه لكي يتساقط ما يكون باقياً منها بالاوراق بحيث يكون الري بين الساعة العاشرة افرنكي صباحاً والرابعة مساء وتعم المياه جميع الارض • وبعد ذلك يجري صرف المياه باية طريقة كانت ولو في نفس المساقى اذا لم يوجد بجوارها مصارف مستعدة لذلك وهذه الطريقة متيسرة لجميع المزارعين وافضل من غيرها حيث يترتب عليها اعدام معظم الديدان ان لم نقل كلها (انتهى)

مقدار الغذاء في المواد الغذائية

باعتبار ما في الرطل الواحد منها (الرطل ١٤٤ درهماً)

١ — اللحوم والالبان

	درهم		درهم		درهم
الزبدة	١٢١	السلمون	٥٢	السردين	٣٧
دهن الخنزير المجفف	١١٩	الضأن	٥١	لحم الحجل	٣٦
الجبن الاميركاني	١٠٨	الكرش (الغمة)	٤٩	« الاوز	٣٦
اللبن (الحليب) المختر	٩٩	النشدة	٤٧	البيض	٣٦
الجبن النمساوي	٩٢	لحم البقر المملح	٤٦	الكلى	٣٤
السجق الخنزيري	٧٩	الكبد	٤٣	السرطان	٣٢
لحم البط	٧٩	لحم العجل	٤٠	الحمام	٣١
ديك الحبش	٦٣	لحم الفراريج	٣٩	لحم الدراج	٢٨
السجق البقري	٦٢	لحم البقر	٣٩	الحوت	٢٣
الخنكليس	٥٤	« الارنب	٣٨	القريدس	١٩
لحم الخنزير	٥٣				

٢ — الحبوب والبقول والفاكهة

	درهم		درهم		درهم
السكر	١٤٠	الكستنا (ابو فروه)	٦٠	كبوش التوت	١٨
دقيق الشوفان (اوتميل)	١٣٤	الزبيب	٥٠	البرتقان	١٨
اللوز البرازيلي	١٣٠	البصل	٤٥	الجزر	١٧
البسلة اليابسة	١٣٠	البطاطس	٣٧	القرنبيط	١٦
اللوز الاعتيادي	١٢٦	الموز	٣٧	الخوخ	١٦
المكرونة	١٢٥	الخرشوف	٣٠	الليمون	١٦
التابيوكا	١٢٥	البسلة الخضراء	٢٨	السبانخ	١٣
دقيق الحنطة	١٢٥	اللوبياء	٢٣	الكرفس	١٣
العدس	١٢٣	الكرنب او الملفوف	٢٣	النعناع	١٣
الاراروط	١٢١	الشمندور (البنجر)	٢٣	الخس	١٠
الرز	١٢٠	التفاح	٢٠	الطماطم	١٠
الفول	١١٦	الفجل	١٩	الهليون	٩
حب اللوبياء	١١٢	الكرز	١٩	اللفت	٩
تمر البلح	١٠٧	الدراقن	١٩	الخيار	٧
التين	٩٩	الكمثرى	١٨	البطيخ	٦
الخبز الابيض	٨٧	البقدونس	١٨	الرمان	٥
« الاسمر	٨١	المشمش	١٨		

المشروبات الروحية (مقدار الكحول فيها)

باعتبار ما في كل مئة درهم من المشروب

	درهم		درهم		درهم
الروم	٧٢	الكونياك	٤٢	البيرا السوداء	٧
البراندي	٥٢	الشرقي	٢٣	البيرا المرة	٦
الوسكي	٥١	الشمبانيا	١٢	« الاعتيادية	٥
الجن	٤٥	خمر التفاح	٦		

نصائح الاشياخ للاحداث نشرت المجلة الكبرى الانكليزية مقالة جمعت فيها اقوال مشاهير الاشياخ من علية القوم في ما حفظ صحتهم واطال عمرهم . ومجملها يؤيد الحديث المشهور « المعدة بيت الداء » لان اساسها البساطة في المعيشة والاعتدال في الطعام والاعتبار بقول احد كبار الاطباء « ان اكثر الناس يحفرون قبورهم باسنانهم » واليك اشهر اقوال أولئك الاشياخ

قال اللورد كويدر المولود سنة ١٨١٠ « لم امسَّ التبغ في حياتي وما كنت ممن اقتصر على الطعام النباتي . واما سبب طول بقائي فهو عدم تدخين التبغ وممارسة الرياضة البدنية في الخلاء والاعتدال في الطعام والشراب

وقال الارل نلسن وهو في السنة الثانية والثمانين من عمره « لم ادخن التبغ مطلقاً ولكنني لست متعففاً عن الملذات وقلما استشرت طبيباً

وقال اللورد غريمتورب وعمره ٨٨ سنة « لم ادخن التبغ مطلقاً »

وقال السير وليم هكنس رئيس الجمعية الملوكية الانكليزية وهو في الحادية والثمانين من عمره « انه قلما أكل اللحم وان اكثر طعامه اللبن ويتناول القهوة وملعقة صغيرة من الوسكي في ماء بارد ولم يدخن التبغ مطلقاً يأكل ثلاث مرات في اليوم وينام تسع ساعات

وقال السير وليم ليس وقد بلغ الثانية والتسعين انه « لم يستخدم التبغ بطريقة من الطرق »

واورد اقوال جماعة آخرين من هذا القبيل وكلهم مجمعون على الاعتدال في الطعام والابتعاد عن التدخين وممارسة الرياضة البدنية

هل الانسان شخصان

اذا عرض لك شيء تشتهيه شعرت في نفسك بميل الى اخذه وقد لا يكون لك حق في ذلك فتشعر بشيء ينهاك عن اخذه فتبقى ساعة وانت تتردد بين الرأيين حتى يغلب عليك احدهما . فاذا غلبت الشهوة فاخذت ذلك الشيء شعرت وانت تاخذه انك اطعت قوة فيك وخالفت قوة اخرى . ويعبرون عن هاتين القوتين بالعقل والعواطف . وقد يحتدم الخلاف بين هذين العاملين احتداماً شديداً حتى يظهر اثره في صاحبها فيصاب بالصداع او بانقباض النفس . ويختلف شعور الناس بهما باختلاف درجات الاحساس فيهم . على انها يتعاظمان في بعض الناس حتى يتوهمهما ذاتين مستقلّين فيه . ومن هذا القبيل ما ذكرته

التواريخ عن بعض المشاهير من عظماء الناس انهم كانوا يسيرون في اعمالهم بمشورة روح يسمعون صوته يعبرون عنه بالهاتف

فبناء على ذلك وامثاله قام في اذهان بعض علماء النفس ان في الانسان غير قوة او ذات · ودارت الابحاث بينهم في هل للانسان ذاتية واحدة او ذاتيتان او اكثر — اي هل في الانسان قوة واحدة تدبر شؤونه او قوتان تتناوبان العمل فيه والتاثير عليه او تعملان معا وهل له وجدان واحد او وجدانان · ولهم في ذلك اقوال عديدة اكثرها مبني على المشاهدة ومسند الى نواميس الطبيعة · وآخر من الف في هذا الموضوع عالمان اميركيان من علماء النفس وهما هرفرد وبال الفا كتاباً كبيراً ظهر بالامس وكان له رنة في عالم الادب الانكليزي لما حواه من الحقائق الجديدة والامثلة الواقعية مما يندر مثاله · ونكتفي في هذا المقام بمثل مما اورداه لاثبات تعدد الذاتيات في الانسان وهو حكاية قسيس انكليزي اسمه القس حنا اصيب بصدمة تغيّر فيها ادراكه وانقلب شعوره على اسلوب غريب وذلك :

ان القس المذكور اسمه توما كرسن حنا من طائفة البابتست · اصله من عائلة عريقة في الحسب والنسب فضلاً عن تقواه وعلمه وقوة عقله وفصاحته وانقطاعه الى واجباته في التبشير والوعظ و يعرف العبرانية واليونانية واللاتينية والانكليزية والالمانية · ولذلك فلم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى صار رئيس كنيسة كبرى · وكان صحيح العقل والجسد لم يظهر في سيرة حياته ما يدل على غير التعقل والتقوى وصفاء الذهن ونقاوة السيرة · ففي سنة ١٨٩٧ بلغ السادسة والعشرين من عمره واتفق في مساء ١٥ ابريل من تلك السنة انه كان راكباً في مركبته فاصطدمت بشيء وانقلبت فوقع القس حنا على ام راسه فاصيب بغيبوبة فحملوه وقد غاب رشده ولم يبق فيه من دلائل الحياة الا تنفس ضعيف جداً · فظنه الاطباء في حالة النزع فحقنوه تحت الجلد بجرعة كبيرة من الستركنين ففتح القس عينيه ونهض بغتة وهجم على احد الاطباء يريد اغتياله · فتوهموا انه في بحران وخافوا منه فتعاونوا عليه فلم يستطيعوا رده وقد اصبحت قوته اضعاف ما كانت عليه من قبل فتكاتفوا حتى غلبوه وشدوه بالحبال الى السرير · فلما ذهبت نوبة الهياج حلوا وثاقه وكأنه كان نائماً وافاق فتلفت يميناً وشمالاً ولم يتكلم ولا ظهر في ملامح وجهه انه يريد التكلم ولا انه يفهم الكلام · ثم علموا ان « حنا » بعد الوقعة غير حنا قبلها وكأنه ولد ولادة جديدة وقد ذهب علمه واخباره وعقله واضاع آدابه وتهذيبه وعاد الى حال الطفولية — يشعر ولكنه لا يفهم ولا يتكلم ولا يميز الابعاد او الاوزان

ولا يستطيع الازدراد ولا يعرف كيف يحرك اعضاءه . ونسي سابق حياته نسياناً تاماً على انهُ كان يمتاز عن الاطفال باقتداره على التقليد بسرعة فاذا علموه حركة كما يعلمونها الاطفال كان اسبق منهم الى فهمها . وكان لاول وهلة يتوهم الاطباء وسائر ما في غرفته صورةً لاجسم لها . ثم جعل يميز تجسمهم وحركاتهم وصار يسمع اصواتهم ويقلدها فاصبح في اليوم الثالث قادراً على التلفظ ببعضها . واول كلمة تعلم نطقها «تفاحة» ثم لفظ «الساعة» . وعلموه الضمائر البسيطة وكانوا يغذونه بالسوائل لانه لا يحسن المضغ ثم تعلمه كما يتعلمه الطفل وكان الازدراد من اصعب الامور عليه . وقدموا له المرآة فلما رأى وجهه فيها قلبها اذ توهم انه يرى رجلاً وراءها كما يتبادر الى اذهان الاطفال في مثل تلك الحال

وخلاصة القول انهُ تدرج من حال الطفولة الى الحداثة الى البلوغ كما يتدرج الاولاد بالفهم والنطق والاختبار ولكن بسرعة عظيمة . فلم يمض عليه أسبوع حتى تعلم القراءة وكلُّ شيء فيها جديد عنده ولم يستطع لفظ ما لم يعلموه اياه ولم يكن يعرف شيئاً عن الدين أو المسيح أو الله . وفي ١٥ مارس اي بعد مضي شهر من وقوعه تعلم الكتابة وقواعد اللغة ولم يعد يغلط في الاملاء أو الاعراب ونضجت فيه قوة الحكم — قضى في ذلك ستة أسابيع تحول فيها من الطفولة الى الشباب وهو في كل حال شخص آخر غير ما كان عليه قبل وقوعه من المركبة وان تشابهت قواه ومداركه في الحالين . فحنا الثاني غير حنا الاول وكأنهما شخصان لا يعرف أحدهما الآخر

ثم بدأ التعارف بين ذينك الشخصين في المنام فاخذ حنا الثاني يرى حنا الأول في الحلم ولما قص رؤياه على أبيه أدرك للحال انهُ يحلم بطفولته الأولى لانهُ رأى في منامه الاشباح التي كان حنا الأول رآها في صباه . ثم تدرج في ذلك فاخذ ماضيه ينجلي لهُ رويداً رويداً ولم يكن حنا الثاني يعرف العبرانية فقرأ عليه بعضهم فصلاً من سفر التكوين فتذكر انه يعرف ذلك من قبل وقرأ ما بعده . وكان اذا سئل عن شعوره فيقول انهُ يشعر بشخص آخر يتكلم فيهِ فيخاف

فرجعت اليه صحته وشفي تماماً وهو لا يزال شخصاً آخر فحملوه الى نيويورك لتبديل الهواء لعله يسترجع رشده . فاخذوه الى نادٍ عام منار بالكهربائية تعزف فيه الموسيقى وقد علت ضوضاء الناس وكثرت جلبتهم وابقوه في وسط تلك الضوضاء ثلاث ساعات ثم أخذوه الى فراشه فنام وأفاق بعد ثلاث ساعات أخر وسأل أخاه « اين انا » — يخاطبه بلسان حنا الأول . فاخبره أنهُ في نيويورك فاستغرب وجوده هناك ولم يفهم كيف

انتقل الى تلك المدينة لانهُ لا يذكر شيئاً مما أصابهُ بعد وقوعه • وسئل عن اليوم الذي هو فيه فقال انهُ ١٥ افريل والحقيقة أنهُ ٨ يونيو • ولما أخبروه انه كان مريضاً ظنهم يمازحونهُ • وكان في الليل الماضي قد دخن تبغاً وهو لم يتعود التدخين من قبل فلما رجع الى حالهِ الاولى في ذلك الصباح استغرب طعم التبغ في فيه — قضى في تلك الحال نحو اربعين دقيقة ثم عاد الى رقاده وأفاق في الصباح وهو حنا الثاني بطباعه الجديدة واخلاقه الجديدة وبما اكتسبه من المعارف في عمره الجديد • فاخذ أطباؤهُ يسعون في ارجاع الرجل الى رشده الاول وفي جملة وسائلهم انهم سقوه القنب الهندي (الحشيش) فنام طول ليلهِ ولما افاق اذا هو حنا الاول ثم عاد فنام وافاق فرجع الى حنا الثاني تردد في ذلك اياماً والاطباء يخبرونهُ بما كان منه في كل مرة لعلهم يسترجعون رشده وبعد تعب شديد اختلط الشخصان وعاد القس حنا الى ما كان عليه في حاله الاولى

نقول: وقد اتفق مثل هذه الحادثة على يد صديقنا الدكتور شميل في القاهرة سنة ١٨٨٧ورأيناها راي العين وقد شرحها في السنة الثانية من الشفاء • وذلك ان رجلاً من أهل القاهرة عصبي المزاج نحيف البدن سنه ٣٧ سنة أصابه وهو في العشرين من عمره نوبٌ تشنجية لازمته بضعة أشهر ثم زالت وعادت اليه بعد سبع سنين على أثر حزنه على وفاة ابيهِ ولم يطل مكثها فزالت بعد ثمانية ايام • وكان قد تزوج منذ بضع عشرة سنة وولد له اولاد كثيرون لم يعش منهم الا بنت وتوفي الباقون بالتشنج • وكان الرجل المذكور حسن العشرة لطيف الخلق متكلماً فصيحاً يعرف العربية والفرنساوية جيداً وبعض الايطالية والفارسية والتركية مع ثبات في مشروعاته الى حد العناد • فعرض له قبل الحادثة بخمس سنوات دعوى مالية مهمة يتوقف عليها مستقبل حياته • وبعد التعب في المحاكات ونحوها خمس سنين خسرها نهائياً في اول يونيو سنة ١٨٨٧ فاصابه في ذلك اليوم ذهولٌ وانقطع عن الكلام • وكان يومئذ في الاسكندرية فسافر بهِ بعض اصدقائه الى القاهرة وعهدوا بمعالجته الى الدكتور شميل فاهتم بشأنه لغرابة الحادثة فبقي الرجل ١٥ يوماً لم يتناول فيها غير الماء والقهوة مع تدخين التبغ — قضى هذه المدة في اختلاط الذهن ولم يكن يستيقظ الا اذا صبوا الماء على راسه فينتبه قليلاً ثم يرجع الى حاله • ورضي اخيراً ان يتناول شيئاً من اللبن • ثم اصابه الرعاف بكثرة ولازمه عدة ايام ولكنه لم يؤثر كثيراً في صحته • وكان في كل مدة اختلاطه يتصور نفسه في اليوم الذي أصيب فيه وفي المكان الذي كان فيه يوم الاصابة • فاليوم يوم الاربعاء اول يونيو والمكان اللوكاندة

التي كان نازلاً فيها بالاسكندرية • وكان وهو في اختلاطه في اطوار واخلاق غير التي كان عليها في حال صحوه • فهو من طبعه لايدخن التبغ فكان اذا اختلط دخنه فاذا صحا من اختلاطه استغرب رائحة التبغ في غرفته ونفر منها وطلب الى اهل المنزل ان يفتحوا النوافذ لتنظيفها من تلك الرائحة • وتقلب على الرجل احوال شتى كلها غرائب وكثيراً ما كان يكشف اموراً حدثت في مكان بعيد وهو في فراشه مما يطول شرحه • وقد تنبأ بيوم شفائه فقال انه سيكون في يوم كذا وتمت نبوته • وجملة القول ان بين هاتين الحادثتين مشابهة من اكثر الوجوه الا ان هذا لم ينس عامه ولا عاد الى الطفولة

فبمثل هذه الحوادث يستدل بعض علماء النفس على ان الانسان شخصان او اكثر • والموضوع لا يزال في حاجة الى التمحيص والتعديل وربما عدنا اليه في فرصة أخرى

مطبوعات جديدة

نجعة الرائد وشرعة الوارد — نبشر المولعين بتحقيق الانشاء العربي وسائر كتاب العربية بصدور الجزء الاول من كتاب «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد» لرصيفنا الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب الضياء ونجعة اللغة وامام الانشاء • والكتاب جامع لما ترادف او توارد في اللغة العربية من الالفاظ والتراكيب فهو اشبه بقاموس معنوي مرتب بحسب المواضيع على نحو ما فعل صاحب الألفاظ الكتابية وصاحب فقه اللغة مع توسع كثير وسلامة ذوق في الانتقاء والتبويب • فقسم الفاظ اللغة وتراكيبها الى مجاميع يشترك كل مجموع منها بصفة عامة • وجعل مركز هذه المعاني الانسان وما يتعلق به من الصفات والافعال ثم ما يكتنفه من الاشياء و يعرض له من الشؤون والاحوال ووصف ما يجد في مزاولة الامور ومعالجة الاشياء وما ينتظم به حال مجتمعه من احكام السياسة والقضاء الى غير ذلك من المعاني التي تعرض في طريق القلم او يحوم حولها الفكر مما لايستغني عنه كاتب ولا شاعر • فاذا اعوز الكاتب او الشاعر لفظ لمعنى في ذهنه استخرجه من ذلك الكتاب • والمترادفات كثيرة في اللغة تتفاوت فصاحة وركاكة وسهولة وغرابة فتخير شيخنا الفصيح المأنوس مما يجوز استعماله بحيث يجد الطالب منها ما شاء من مفرد ومركب وحقيقة ومجاز

وقد قسم الكتاب كله الى اثني عشر باباً (١) باب الخلق وذكر احوال الفطرة وما يتصل بها (٢) الغرائز والمكان وما ياخذ ماخذها و يضاف اليها (٣) الاحوال الطبيعية وما

يتصل بها و يذكر معها (٤) حركات النفس وانفعالاتها ومايلحق ذلك (٥) اصول الانساب والطبقات وما يتصل بها و يضاف اليها (٦) العلم والادب وما اليهما (٧) سياقة احوال وافعال شتى مما يعرض في الالفة والمجتمع والتقلب والمعاش (٨) معالجة الامور وذكر اشياء من صفاتها واحوالها (٩) السائس والوازع وما يعرض في المجتمع من الفتوق والفتن وتداركها (١٠) الارض وجوُّها وما يتعلق بهما (١١) الدهر واحواله (١٢) الشؤون الاخروية · وتحت كل باب من هذه الابواب عدة فصول — فتحت الباب الاول مثلاً فصول في قوة البنية وضعفها وحسن المنظر وقبحه والسمن والهزال والطول والقصر والاطوار والاسنان فقس عليه سائر الابواب · والجزء الاول الذي نحن في صدده يحتوي على الابواب الخمسة الاولى في ٣٢٨ صفحة بقطع الهلال متقنة الطبع مضبوطة بالشكل اللازم وفي حواشيها تفسير الالفاظ الغامضة · والكتاب يطلب من المؤلف ومكتبة المعارف باول شارع الفجالة وقيمة الاشتراك بالاجزاء الآتية ثلاثة فرنكات عن كل جزء · و يباع هذا الجزء بمكتبة الهلال وثمنه ١٦ غرشاً واجرة البريد غرشان

فالكتاب مفيد لهذه النهضة ونرغب الى حضرة المؤلف متى تم طبع الاجزاء كلها ان يذيلها بفهرس ابجدي كامل في جزء على حدة فيجمع بين ما يراد بالقواميس المعنوية والمعجمات اللفظية فيحيا به ذكره ويخلد فضله جزاه الله عن اللغة خيراً

﴿ دليل مصر السودان لسنة ١٩٠٥ ﴾ هو اول دليل وضع على هذه الصورة في اللغة العربية لصاحبيه « ثابت وانطاكي » ويبحث في تاريخ القطرين المصري والسوداني وجغرافيتهما وتجارتهما وزراعتهما وفيه اسماء الموظفين والاعيان والتجار واصحاب الحرف والمهن مع رسوم كثيرين من مشاهير القطرين · او هو عبارة عن اربعة كتب الاول تاريخ القطرين وجغرافيتهما في ١٢٠ صفحة بقطع الهلال · والثاني دليل القطرين وفيه اسماء رجال الدولة وموظفيها وقناصل الدول وتجار المدن الكبرى وصيارفها واطبائها وصيادلتها ومحاميها وسائر ارباب الاعمال والادارات وغيرها في نحو ١٨٠ صفحة · والثالث في رسوم امراء العائلة الخديوية و بعض الاعيان ورجال الاقلام واصحاب المناصب في ١٧٦ صفحة · والرابع هو كتاب طبائع الاستبداد للمرحوم الكواكبي في ٨٥ صفحة · فالكتاب كله ٥٦٠ صفحة كبيرة مع كثير من الرسوم · ومع قصر المدة التي تمكن بها صاحباه من اصداره فقد حوى من الفوائد ما يدلُّ على حزم ونشاط عجيبين ولا ريب عندنا ان دليل السنة القادمة سيكون اوفى مادة واكثر اتقاناً عملاً بسنة الارتقاء والنمو دليل الحياة فنتمنى

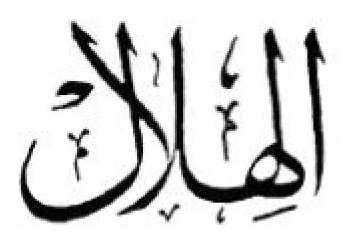
لهذا المشروع النجاح لان الحياة الاجتماعية اليوم في حاجة الى دليل يصدر في كل عام. والكتاب يطلب من صاحبيه ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعون قرشاً واجرة البريد اربعة قروش

(كليلة ودمنة مصورة) هو كتاب ادبي اشهر من ان يعرّف وقد طبع غير مرة آخرها طبعة مزينة بالرسوم صححها وعلق حواشها حضرة احمد افندي حسن طباره محرر جريدة ثمرات الفنون ببيروت فصدرت في ٣٥٠ صفحة مضبوطة بالشكل الكامل ومعها ٨٦ صورة مطبوعة على ورق خاص يمثل حوادث الرواية . والكتاب يطلب من حضرة الناشر وثمن النسخة عشرة قروش مصرية غير اجرة البريد

(كتاب الاملاء) هو كتاب في الحروف والكتابة تأليف حضرة حسين والي ابن الشيخ حسين والي احد علماء الجامع الازهر ومدرس خصوصي في علم الاملاء . صدره بمقدمة في تاريخ الكتابة واصل الخطوط حتى أتى الى الحروف العربية ففصل الكلام في كل حرف منها وخصوصاً في رسم هذه الحروف بحسب مواقعها من اللفظ على اختلاف احوالها وهو اوفى كتاب في هذا الموضوع يدخل في ٢٥٦ صفحة قطع وسط ويطلب من ادارة مجلة المنار بمصر وثمن النسخة عشرة قروش غير اجرة البريد

(دليل القليوبية) هو اول دليل وضع لمديرية القليوبية على حدة تأليف حضرة ناشد افندي رزق نصر ذكر فيه جغرافية هذه المديرية ووصف اهم مدنها وذكر اسماء كبار رجالها من الموظفين والتجار والاطباء والعلماء وغيرهم في ١٦٠ صفحة قطع وسط وهو يطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة عشرة قروش غير اجرة البريد

(جرائد ومجلات) (١) الكلمة : هي مجلة روحية ادبية تاريخية كنائسية تصدر في نيويورك باميركا مرتين في الشهر لمنشئها الاسقف رفائيل هواويني مطران الطائفة الارثوذكسية في الولايات المتحدة . ومدير اشغالها امين افندي ظاهر خيرالله بدل الاشتراك ثلاثة ريالات اميركية في كل الجهات (٢) الشرق والغرب : هي مجلة اسبوعية دينية ادبية تصدر في القاهرة لاصحابها المرسلين الانكليز بدل اشتراكها ٢٥ غرشاً في السنة بمصر والسودان و٣٠ غرشاً في الخارج (٣) التربية : مجلة مدرسية يحررها نخبة من افاضل الكتاب تصدر في مصر مرة في الشهر مديرها محمود افندي عمر الباجوري بدل اشتراكها عشرة غروش في مصر و ١٥ للخارج (٤) الرياض : هي مجلة تهذيبية علمية صناعية اجتماعية تصدر في بني سويف مرة في الشهر لصاحبها حسن افندي صديق قيمة الاشتراك فيها



الجزء السابع من السنة الثالثة عشرة

١ ابريل (نيسان) سنه ١٩٠٥ و ٢٦ محرم سنة ١٣٢٣

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



كارلوس الثاني عشر

القائد الاسوجي الشهير الملقب بالاسكندر

ولد سنة ١٦٨٢ وتوفي سنة ١٧١٨

اسوج — كانت اسوج في تاريخها القديم تابعة لمملكة الدنمارك وقد حاول الاسوجيون الاستقلال غير مرة ففازوا بتلك النعمة فوزًا تامًا في اوائل القرن السادس عشر . واول ملوكها غستاف واصا الملقب بغستاف الاول تولاها سنة ١٥٢١ وجعل اكثر اهلها من الطائفة الانجيلية ثم تولى عليها بضعة ملوك من اهله الى سنة ١٦٣٢ اذ افضت الحكومة الى الملكة كريستينا وكانت كاثوليكية فنقلت الحكومة الى احد اقربائها من عائلة فلاتس وهو كارلوس العاشر . فاستلم ازمة الحكم سنة ١٦٥٤ فحارب الدنماركيين وتغلب عليهم واشهر حروبه واقعة وارسو في بولونيا لانه فاز فيها فوزًا باهرًا واضاف اقليم اسكانيا الى مملكته . وخلفه ابنه كارلوس الحادي عشر سنة ١٦٦٠ وهو غلام فكفلته امه وفي ايامه اضيفت ليفونيا الى اسوج وعقد الصلح بين الدنمارك وروسيا . وبلغ الملك رشده سنة ١٦٧٢ وقبض على زمام الاحكام وكان متسرعًا في اموره فاستنصره لويس الرابع عشر في حروبه سنة ١٦٧٤ فنصره بجند قاسى العذاب والخسران فاغتنم كرستيان الخامس ملك الدنمارك اشتغال عدوه بنفسه وهاجم بلاده يريد استرجاع اسكانيا وكاد يفوز لولم يرجع كارلوس الى صوابه ويلم شعثه ويتولى قيادة الجند بنفسه ويحاربه بعزم شديد . وتوفي كارلوس الحادي عشر سنة ١٦٩٧ وخلفه ابنه كارلوس الثاني عشر صاحب الترجمة

كارلوس الثاني عشر — هو اعظم ملوك اسوج فتحًا وبسالة ولذلك شبهوه بالاسكندر المكدوني بسرعة فتوحه وسعة مطامعه وعدم مبالاته بالاخطار . ولو خدمه التوفيق في آخريات ايامه كما خدمه في اوائلها لتم له فتح معظم اوروبا . ولكنه بلي بعدو شديد ورجل عاقل يعده التاريخ من اعظم رجال العالم نعني به رجل روسيا بطرس الكبير فبعد ان دهش من بسالة كارلوس وتدبيره وخافه على مملكته « تعلم منه كيف يغلبه »

ولد كارلوس المذكور في ستوكهلم في ٢٧ يونيو سنة ١٦٨٢ وتثقف جيدًا وتعلم اهم لغات اوروبا في ذلك العهد واتقن التكلم بالالمانية والفرنساوية واللاتينية . ولما توفي ابوه سنة ١٦٩٧ كما تقدم كان لا يزال في الخامسة عشرة من عمره فعهدوا اليه بتقاليد المملكة والحداثة غالبة عليه فانقطع الى ما يلذ له من المطالعة واللهو وكان فيه ميل شديد الى استظهار تراجم المشاهير وخصوصًا القواد الكبار كالاسكندر وقيصر ونفسه تحدثه ان يحذو حذوهم في الفتح والحرب. فوجه التفاته الى التربية الجسدية فعمد الى الرياضة البدنية في ركوب الخيل والصيد والقنص وربما قضى بضع ساعات في مطاردة دب او خنزير لا يبالي بالحر او البرد فاشتد عضله وتصلب قوي عظمه واصبح معدودًا من اقوياء الابدان وقد نفعه ذلك في حروبه القادمة

وكان على الدنمارك يومئذ الملك فريدريك الرابع وعلى بولونيا أوغسطس الثاني وعلى روسيا بطرس الاكبر فطمع ملك الدنمارك باسوج وحدثته نفسه ان يغتال كارلوس ويفتح مملكته ويضمها الى بلاده كما كانت في عهد أسلافه القدماء وخابر ملك بولونيا وقيصر الروس فوافقاه على عزمه على ان يصيب القيصر حظ من تلك الغنيمة في أعالي أسوج مما يلي بلاده • فبدأ فريدريك بمشروعه وهاجم مقاطعة دوق هولستين من املاك أسوج وراء الدنمارك وعليها صهر كارلوس زوج أخته وهو من الدوقات الذين يتولون الامارات الصغرى تحت سيطرة الملك • ففر الدوق المشار اليه يطلب مساعدة كارلوس في استوكهلم فلبى الدعوة وامر بتجنيد الجنود لمحاربة الدنمارك كانه كان متربصاً ينتظر هذه الفرصة • وكانت انكلترا قد وعدته بالمساعدة عند الحاجة تمهيداً لمطامعها في أوربا في ذلك الحين والتماساً لنقض المحالفة الثلاثية التي تقدم ذكرها بين روسيا وبولونيا والدنمارك • فامدت كارلوس بعمارة انكليزية فيها بوارج هولندية اتحدت بالعمارة الاسوجية فاصبح الاسطول مؤلفاً من ٥٤ بارجة ساروا به الى بحر البلطيق وطاردوا الاسطول الدنماركي الى كوبنهاغن وحاصروا المدينة واطلقوا عليها القنابل فعطلوا بعض قلاعها

وكان كارلوس قد حمل بجند أسوجي آخر على جزيرة جيلاند ونزل الشاطىء في مقدمة رجاله • ومما يذكرونه من دلائل تحمسه وبسالته انه لما رست سفنه قرب الشاطىء لم يستطع الصبر ريثما ينصبون المماشي بين السفينة والبر فوثب يخوض البحر بثيابه وقد غمره الماء الى ذقنه فاقتدى به رجاله وازدادوا حماساً وشجاعة • فلم يستطع الدنماركيون الوقوف امامهم فطلبوا الفرار • فلما رأى ملك الدنمارك شدة بطش كارلوس خافه على مملكته فاخرج نفسه من المحالفة الثلاثية وطلب مصالحته على أن يطلق له السبيل في محاربة بولونيا وروسيا اذا أراد حربهما • وكانت هذه الحرب فاتحة انتصارات كارلوس وقد تفاءل بها خيراً

وتحدثت امم اوربا يومئذ ببسالة هذا الملك الشاب وحماسه ومما يتناقلونه من هذا القبيل انه لما سمع دوي المدافع في جزيرة جيلاند وكان ذلك أول عهده بسماعه سأل احد ضباط الانكليز بجانبه « ما هذا الصفير الذي اسمعه » فاجابه « اصوات قنابل العدو التي يطلقونها على جلالتك » فاجاب على الفور « هذه هي الموسيقى التي سأتغنى بها منذ الآن » وكانه لما ذاق لذة النصر والفتح انتبه لما كان يجول في خاطره من الاقتداء بالاسكندر فاخذ في اعداد نفسه للفتوح العظام فامسك عن شرب الخمر وجعل رقاده ليلاً على رداء كالبساط يفترشه في ارض غرفته او على الارض في الخلاء واتخذ لباساً في غاية

البساطة هو عبارة عن قباء ازرق ازراره من النحاس وعدل عن الملذات والملاهي بالكلية • وكان من فطرته صبوراً على التعب لا يبالي بالبرد ولا الحر مهما يكن من اشتدادها ناهيك بقوة جأشه وبسالته وعظيم تأثيره في نفوس رجاله • فكانوا يستهلكون في طاعته ولو الى الموت وقد أثار في نفوسهم حب الوطن والسعي في مصلحته وتوسيع نطاقه بالفتوح فاطاعوه وكان النصر رفيقهم في اهم المواقع

لما طلب فريدريك ملك الدنمارك من كارلوس الصلح كان بطرس الاكبر قيصر الروس في خليج فنلاند يهدد نارفا وليفونيا (في روسيا الآن) وكان اوغسطس ملك بولونيا قد حاصر ريغا وهي يومئذ من املاك أسوج • فحمل كارلوس على ليفونيا بثمانية آلاف مقاتل لمحاربة قيصر الروس وجيشه يومئذ ثمانون الفاً قد حاصروا نارفا وبطرس غائب • فلم يعبأ كارلوس بكثرة الروس وهم عشرة أضعاف جيشه وكانوا قد عسكروا وبنوا حولهم سوراً فهاجمهم في ۳۰ نوفمبر سنة ۱۷۰۰ بعزم يفل الحديد فاخترق سورهم وانتشبت الحرب ثلاث ساعات انجلت عن فشل الروس وقد قتل منهم ثمانية آلاف وأسر ثلاثون الفاً وغرق بعضهم في نهر نيفا وكانوا قد تزاحموا على جسره فانكسر بهم • واستولى الاسوجيون على مؤن الروسيين وذخائرهم فدخل كارلوس نارفا ظافراً غانماً

وكان بطرس الاكبر قد استقل بسلطة الروس من سنة ۱٦۸۹ وادهش العالم بحزمه وذكائه وتعقله وسياسته مما لم يسبق له مثيل في التاريخ فلم يزعجه خبر هذا الانكسار ولكنه قال « كنت عالماً ان الاسوجيين سيغلبوننا ولكننا سنتعلم منهم كيف نغلبهم » ثم امر بسحب جيوشه من تلك الجهة وعمل على تدريب الجند استعداداً لحرب شديدة

أما كارلوس فبدلاً من ان يغتنم فشل الروس ويواصل السير الى بلادهم قضى ذلك الشتاء في نارفا ثم نهض لمحاربة بولونيا وكان ملكها اوغسطس قد حاصر ريغا ولم يفلح فقهره كارلوس في يوليو سنة ۱۷۰۱ في واقعة دونا واستولى على كل ليفونيا وكورلنده ثم أوغل في بولونيا فدخل وارسو في ١٤ مايو سنة ۱۷۰۲ وصرح انه لا يصالح البولونيين الا اذا خلعوا أوغسطس وانتخبوا سواه فلم يفعلوا فحاربهم في ۹ يوليو قرب كليسو في سهل بين وارسو وكراكو وهزمهم شر هزيمة واستولى على كل ما كان في معسكرهم من المؤنة والذخيرة ثم استولى على بولونيا استيلاء تاماً

أما بطرس الاكبر فكان في اثناء ذلك قد أنفذ جنداً كبيراً لاكتساح الولايات الاسوجية في شرقي البلطيك وضمها الى مملكته فافتتح نارفا وبنى قلاع شلوسلبرج وكرونستاد

وصرف الماء عن مدخل نهر نيفا وبنى هناك مدينة سماها باسمه «بطرسبورج» هي عاصمة مملكة الروس الى اليوم ونقل اليها ٣٠٠,٠٠٠ نفس من اهل موسكو وغيرها من مدن الروس واستحث الناس للمهاجرة اليها والاقامة فيها فتزاحمت الاقدام هناك وتفشى الوباء فاهلك ٢٠٠,٠٠٠ من سكانها فلم يكن ذلك ليثني عزم القيصر فثبت في انشاء مدينته وحمل اليها الصناع وأهل التجارة حتى عمرت وباتت بعد ذلك ما هي عليه



بطرس الاكبر

اما كارلوس فانهُ حارب اغسطس مرة اخرى في بولتسك في مايو سنة ١٧٠٣ وهزمه الى املاكه الاصلية في سكسونيا وحمل امراء بولونيا على خلعه فخلعوه في يوليو وولوا مكانهُ ستانسلاس لزنسكي احد صنائع كارلوس . فشق ذلك على اغسطس فحمل على بولونيا بجيش من السكسونيين افتتحوا وارسو لكنهم مالبثوا ان اضطروا الى اخلائها فامدهم القيصر

بجند روسي عدده ٦٠,٠٠٠ مقاتل فاعادوا الكرة فلم تنفعهم الكثرة لأن كارلوس غلبهم جميعاً وأوقع الرعب في معسكرهم بما آنسوه من سرعة حركته العسكرية فرجعوا الى بلادهم بخفي حنين . فطمع كارلوس في سكسونيا فحمل عليها ولم يستاذن امبراطور جرمانيا وابلى في تلك المقاطعة بلاء حسناً فلم يرَ اغسطس بدّاً من الاذعان لعدوه فصالحهُ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٠٦ وعقد الصلح المعروف بصلح الترانستاد ومن شروطه ان يتخلى اوغسطس عن بولونيا هو واعقابه وان يحل المحالفة بينه وبين القيصر وان يسلم اليه بتكول الليفوني سفير روسيا في درسدن فسلمه اليه وكان اسوجياً وقد خان ملكه فاماته كارلوس بين العجل شر ميتة فعظم ذلك على قيصر الروس وزحف بجيش جرار لاسترجاع ما خسره اوغسطس فجاءه كارلوس سنة ١٧٠٧ في ٤٠,٠٠٠ مقاتل حتى دخل بولونيا فتقهقر الروس الى بلادهم فازداد كارلوس طمعاً فيهم وعزم على فتح موسكو وهي عاصمة المملكة وفيها قوة القياصرة وثروتهم . فلما علم القيصر بعزمه خاف على تاجه فبعث الى كارلوس يعرض عليه الصلح وابرام المعاهدة فاجابهُ « سنبرمها في موسكو » وامر جنده بالزحف عليها سريعاً فاضطرب الروسيون فاستنبط القيصر وسيلة تدلُّ على دهائه وتدبيره نجَّى بها روسيا من بلاء عظيم — ذلك انه أمر بتخريب كل ما بين بولونيا وموسكو من الطرق والابنية والحقول بحيث يستحيل المرور فيها على جيش جرار يحتاج الى المؤونة والنقل . فاضطر كارلوس بعد يأسه من الوصول الى موسكو ان يحوّل اعنة خيله الى بلاد الاوكران في الجنوب الشرقي من روسيا واميرها يومئذ مازيبا زعيم القوزاق وكان في خاطره ان يخلع نير الروس فبعث الى كارلوس يدعوه اليه على نية ان يستعينه في غرضه فلبّى كارلوس الدعوة فعلم القيصر بذلك فسبقهُ وقتل زعماء الثورة ففرّ مازيبا وجاء الى كارلوس شريداً فريداً فاسقط في يده واحس بالفشل . وكان قد بعث الى اسوج ان يمدوه بالجند فامدوه بجيش كبير بقيادة الجنرال لوينهوبت فلقيهم الروسيون في الطريق فحاربوهم في ثلاث مواقع غلبوهم فيها على ما في ايديهم من المدافع والمؤونة فلم يصل منهم الى معسكر كارلوس الا كل طويل العمر وكان الشتاء قد اقبل ببرده القارس في تلك المنطقة الباردة سنة ١٧٠٨ فأثر في الاسوجيين تاثيراً شديداً وفعل فيهم فعل الوباء الجارف فكانوا يموتون بالبرد مئات والوفاً وقد ذكروا ان الفين منهم ماتوا برداً في يوم واحد بين يدي كارلوس وهو ينظر اليهم بجاش رابط . فبعد ان كان جيشه نحو ١٠٠,٠٠٠ أصبح ٢٣,٠٠٠

على ان هذه العراقيل لم تكن لتثني ذلك القائد الفاتح عن عزمه ولا فلَّت شيئاً من

مطامعه فظل مصمماً على اكتساح بلاد الروس . فلما اقبل ربيع سنة ١٧٠٩ زحف بجيشه الى بلطاوا على حدود بلاد الاوكران وكانت حصينة فحاصرها ثم علم بقدوم القيصر في ٧٠,٠٠٠ مقاتل لانقاذها فترك بعض جنده لمحاصرة بلطاوا واسرع بسائر الجند لملاقاة القيصر ثم التقى الجيشان عند ذلك الحصن . وفي ٨ يوليو من ذلك العام جرت واقعة بلطاوا الشهيرة في التاريخ الحديث وكانت القاضية على مجد ذلك الاسكندر الاسوجي وقد التقى هناك بألدّ مناظريه واشدهم بطشاً . واعترف بطرس الاكبر يومئذ بما اظهره خصمهُ من البسالة والتدبير لأن بنادق الاسوجيين ومدافعهم كادت تذهب بجيش الروس على كثرته على انها ردت فرسانهم الى الوراء فثبت المشاة في اماكنهم حتى تراجع الفرسان الى نظامهم واطلقت المدفعية الروسية اطلاقاً شديداً . وابلى بطرس الاكبر في تلك المعركة بلاء حسناً ولم يبالِ بالرصاص المتطاير حولهُ فاصابتهُ رصاصة خرقت قبعتهُ وسلم راسهُ . وقتل تحت جنراله الشهير منشكوف ثلاثة افراس ولم تمضِ ساعتان حتى تضعضع جند الاسوجيين . وكان كارلوس قد اصيب بجرح في اثناء الحصار فلما حمي الوطيس طلب اليهم ان يسيروا به الى المعركة فحملوه في محفة فاصابتها قنبلة حطمتها ولم تؤذِ كارلوس ففشل الاسوجيون بعد ان استهلكوا في ساحة الوغى فقتل منهم ٨,٠٠٠ واسر ٦,٠٠٠ وفرَّ الباقون وفيهم كارلوس نفسه فتتبعهم الروسيون واحاطوا بهم فسلموا . ولم يرجع من اسرى هذه الواقعة احد الى اسوج لان الروسيين فرقوهم في البلاد فتبعثروا ايدي سبا واكثرهم مات في سيبيريا

واما كارلوس فتمكن من الفرار شرقاً في ثلاثمئة من حرسه الخاص وقطع نهر بوغ حتى دخل بلاد الدولة العلية في ولاية مولدافيا ونزل في مدينة بندر على ضفاف نهر دنيستر وقد خسر في يوم واحد ما ربحهُ في حروب تسع سنوات . واستجار بالسلطان احمد الثالث فاجاره فاقام في ضيافته ثلاث سنوات وكل نفقاته من الخزينة العثمانية . فلما يئس من نيل بغيته بالسيف عمد الى الحيلة وصمم في سره ان لا يرجع الى اسوج الاَّ بعد ان يغلب روسيا فاخذ في اثارة الضغائن بين الدولة العلية والروس فنجح . وتمكن النزاع بين الدولتين حتى زحفت جيوشهما للحرب فالتقيا على ضفاف نهر بروط والجيوش التركية ٢٠٠,٠٠٠ فحدثت هناك معركة هائلة في يوليو سنة ١٧١١ تواصلت اربعة ايام والقيصر يقود جنده بنفسه حتى تضايق الروس وكاد القيصر يقع غنيمة في ايدي اعدائه لولم تستدرك امرأتهُ كاترينة الامر بالرشوة والسياسة فتراضى الفريقان على صلح حجب دماء الروس وصان شرفهم ورجعوا الى بلادهم سالمين

فاشتد غيظ كارلوس لخيبة مسعاه وكان السلطان قد ادرك تدبيره فأوعز اليه ان يخرج من مملكته فتباطأ فاراد اخراجه بالقوة فابى فجرد عليه جيشاً كبيراً وجرد كارلوس حرسه وتقاتل الفريقان فقتل معظم رجال كارلوس ووقع هو اسيراً فظلّ في اسره هناك عشرة اشهر وهو يابى الذهاب الى بلاده . وكان الروسيون من الجهة الاخرى عاملين على افتتاح بلاد اسوج من جهة فنلاند وما وراءها . ثم بلغ كارلوس ان امراء مملكته عزموا على خلعهِ وتولية اخته ومصالحة روسيا والدنمارك فصمم على الرجوع فبرح الارض العثمانية في ١ اكتوبر سنة ١٧١٤ وسار متنكراً بطريق المجر والمانيا فلم يشعر الناس الا وهو في سترالسند من توابع مملكة اسوج بعد سفر ١٤ يوماً على ظهر الجواد . فعلم بهِ اعداؤه فاتحدوا للاجهاز على مطامعهِ فتألف جند من الدنماركيين والسكسونيين والبروسيانيين وحاصروا تلك المدينة فدافع الاسوجيون عن ملكهم دفاعاً حسناً ثم سلموا المدينة في دسمبر سنة ١٧١٥ ففرّ كارلوس الى اسوج في قارب ولم يقبل بالصلح

وفي السنة التالية جرد جيشاً على بلاد نروج وحاربها نكاية في ملك الدنمارك لانه نكث بمعاهدة كانت بينهما ثم رجع كارلوس الى اسوج لبعض المهام الداخلية . وفي سنة ١٧١٨ عاود الكرة حتى حاصر قلعة فريدريكهال وفي هذا الحصار لاقى الاسكندر الاسوجي حتفه — وذلك انه كان في ليلة ١١ دسمبر سنة ١٧١٨ مشتغلاً في استطلاع قوة العدو والدنماركيون يطلقون القنابل والبنادق عليه وعلى رجالهِ فاصيب كارلوس برصاصة وراء عينه اليسرى فخرجت من عينه اليمنى . ولا يزال اهل البحث مختلفين الى اليوم في هل اطلقها عليهِ بعض جنده أو هي من رصاص الاعداء . بدأوا بذلك الشك في السنة التالية من مقتله ووجهوا التهمة على كثيرين وطال الجدال وتباينت الاقوال الى سنة ١٧٤٦ فنبشوا ضريح كارلوس واستخرجوا بقاياه للبحث في الجمجمة لعلهم يتوفقون الى سبب ذلك القتل فلم يهتدوا الى شيء . فأعادوها الى مكانها ثم اخرجوها ثانية سنة ١٧٥٩ لنفس ذلك السبب عبثاً

وكان كارلوس شجاعاً الى حد الجنون ثابتاً الى حد العناد وقد اتى فتوحاً عظيمة على صغر سنهِ وقصر مدة الحرب فحارب الدنماركيين وغلب الروسيين في نارفا وهو في الثامنة عشرة واستولى على بولونيا بعد معركة كليسو وهو في الحادية والعشرين . على انه كان ضعيف الرأي سيء التدبير لان اعماله العظيمة انما عادت على بلاده بالخسارة . فتولى اسوج وهي من اعظم دول اوروبا وذهب عنها وهي من الدول الصغرى ولم تسترجع مجدها القديم الى الآن

باب المقالات

طائفة البابية وشرائعها

اتينا في الهلال الماضي على ترجمة ميرزا علي محمد مؤسس طائفة البابية ونحن ذاكرون في ما يلي خلاصة تعاليمه وما كان من حال البابية بعده بظهور البهاء وانقسام اولاده فنقول

تعاليم الباب

اول تعاليمه تحريم الكتب المنزلة قبله ونسخ القرآن وأحكامه وعنده ان اهل القرآن ناجون الى يوم ولادته في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هـ وهو يوم القيامة اي يوم ظهوره فمن يرغب عن اطاعة أوامره بعد ذلك كان عاصياً فاسقاً ومن يخالفه يهدر دمهُ ولذلك كان الذين يؤمنون به على عهده يحرقون القرآن وجميع كتب الفقه وغيره ويكتفون بكتب الباب فلما قام البهاء الآتي ذكره نسخ هذا الحكم • من تعاليمه ان الزواج يكون برضاء الزوجين فقط بلا ولي ولا وكيل وقد نسخ البهاء ايضاً هذا الحكم

وقضى الباب بهدم جميع المزارات الخاصة بالانبياء والاولياء والرسل والاوصياء حتى الكعبة وقبر النبي وقبور سائر الائمة ومشاهير الاسلام ولكنه فرض على اتباعه بناء ١٩ مزاراً باسمه على كيفية وصفها في كتبه ومن دخلها كان آمناً • ويظن انه يشير بهذا العدد الى رجاله الثمانية عشر الذين قاموا بالدعوة والى نفسه • ولذلك فانه أبطل حج البيت وأوصى بهدم الكعبة عند ظهور رجل مقتدر من أمته وأمر بحج البيت الذي ولد فيه بمدينة شيراز وأكد اعلاء عتبة ذلك البيت ورفع حيطانه وتشييد بنيانه وتزويق الوانه وعفى النساء من الحج الا نساء شيراز ولكنه جعل طوافهنَّ في الليل • ثم أبدل فروض الحج المذكور على الرجال والنساء باربعة مثاقيل من نقد السكة البابية • وسمى البقعة التي ولد فيها « المسجد الحرام » وفرض ان يبنى ثمانية عشر مسجداً يضيئونها بالانوار ما استطاعوا ولو الى حد الافراط

وقسم الباب السنة الى ١٩ شهراً وجعل الشهر الواحد ١٩ يوماً فايام السنة عنده ٣٦١

يوماً وأضاف اليها خمسة ايام سماها المسروقة ورمز عنها بحرف (ه) وجعل الصوم ١٩ يوماً من شروق الشمس الى غروبها وخصص الايام الخمسة المذكورة للهو والطرب قبل دخول شهر الصيام على نحو ما يفعله النصارى في ايام المراقع . ومن اقواله :

« اذا ظهر الباب حرمت على الناس اموالهم وانفسهم مالم يؤمنوا به وكل مدينة فتحت في عصره أو من بعده فالاموال الموجودة بها ان كانت مدخرة بطريق الظلم فهي للباب ان كان حياً والا فيعطونها لأمنائه من بعده ولكن اذا كانت مكتسبة على وجه العدل فخمسها له ان كان حياً والا تقسم على يد تسعة عشرة من امناء بيت عدله (يعني بيت المال) على البابية سوية والبقية يتصرف بها قائد الفتح لنفسه او يوزع منها مايستصوبه على معاونيه ومساعديه كل على حسب منصبه ووظيفته بالجيش . وان زادت الاموال المذكورة عن الجنود وقوادها فيقسم على البابية جميعاً بالسوية حتى على الطفل الرضيع البالغ من العمر ستة اشهر لان هذا افضل واقرب للصواب ولكن يقدم ويفضل على هذا التقسيم تعمير البقاع المذكورة وان زادت عن التعمير يقسمونها كما ذكر . واذا اشترى بابي شيئاً من يد كافر فمن فوره يصير ذلك الشي طاهراً . واذا اهدى كافر بابياً بشيء فبمجرد انفصاله من يده يصير ذلك الشيء طاهراً . »

والمطهرات عنده خمسة النار والهواء والماء والتراب وكتاب الله (اي البيان) وكيفية التطهير بالبيان ان يتلى ما تيسر من اسم النقطة اي الباب مع تلاوة آية التطهير ٦٦ مرة على كل شيء نجس . وجعل نزيف الدم من الفم طاهراً وروث البهائم السائغة وغير السائغة طاهراً والوحول التي تلصق بايديها وأرجلها في الطرق طاهرة واجزاء جميع الحيوانات المجترة وغير المجترة طاهرة

وفرض على القذف دية يعطيها القاذف للباب او لامنائه من تلقاء نفسه ومقدارها ٩٥ مثقالاً من الذهب ولا بد لكل بابي ان يؤدي زكاة أمواله والا فلا يجوز له ان يتمتع بها، وأموال الذين يسمعون بالباب ولا يؤمنون به حلال له ولامنائه

وجعل التراضي بالمعاملات اساساً للمبيعات في قيمة السلع ومدتها وتقليلها وتكثيرها . وجعل الوحدة القصوى لوزن النقود الذهبية مثقالاً واحداً . وتتركب هذه الوحدة من تسعة عشر (نخود) اي حمصة ويتجزأ هذا المثقال الواحد المركب من ١٩ حمصة الى عشرة آلاف جزء ويسمى كل جزء ديناراً وهذا المبلغ يساوي الآن نحو عشرة فرنكات وجعل قيمة وحدة العملة الفضية مثقالاً من الفضة الخالصة تجزأ على الف من الدينار

وجعل اساس الزواج منوطاً برضاء الزوجين كما مر ورتب صيغة العقد هكذا « انني انا الله رب السموات ورب الارض رب كل شيء رب مايرى ومالا يرى رب العالمين » ثم يذكر المهر وتقول الزوجة ماقال الزوج بعينه ثم تكتب هذه على وثيقة تختم من الزوجين معاً ثم استصوب وجود الشهود في اخرباته دون اوليائه . وجعل قيمة المهر لاهل المدن تسعة عشر مثقالاً من الذهب على الاقل وخمسة وتسعين مثقالاً من الذهب على الاكثر وخصص هذا العدد والوزن لاهل القرى من الفضة . واذا أراد احد زيادة المهر من فضة كان او من ذهب عن تسعة عشر وهو ادناه الى خمسة وتسعين مثقالاً وهو اكثره فلابد ان يزيد تسعة عشر فتسعة عشر . وان زاد المهر عن المبلغ المذكور ولو قيراطاً واحداً كان العقد باطلاً لامحالة . وجعل العصمة بيد الرجل في الطلاق وهذا بيانه : اذا انحرف الزوج عن زوجته وعزم على طلاقها يجب عليه ان يجتنبها تسعة عشر شهراً أي سنة واحدة على اصطلاحه فان تندم في اثناء هذه المدة ورجع عن عزمه فيها والاَّ كان له ان يطلقها بعد انقضائها . واذا وقع الطلاق لايجوز الرجوع الى الزوجة المطلقة الاَّ بعد مضي تسعة عشر يوماً . والطلاق تسع عشرة مرة ثم يحرم عليه الرجوع مطلقاً على طول حياته

وجعل أول يوم من شهر (فروردين ماه) الفارسي الموافق الحادي والعشرين من شهر مارس الافرنجي الغربي الذي هو يوم الاعتدال الربيعي وهو يوم عيد « النوروز » عند الفرس عيداً للفطر وخصه بنفسه وسماه « عيد رضوان » ويجب على اتباعه ان يحضروا ما امكن من النعم و يتنعموا بها في ذلك اليوم على شريطة أن لاتزيد انواع النعم عن الخمس ومدة هذا العيد تسعة عشر يوماً الاول منها مختص به كما ذكرنا والبقية لثمانية عشر من امنائه الذين هم بعدد حروف « حيّ » الملقبون باصحاب حيّ أو بشهداء حي وفي غيراليوم الاول لايجوز تعدد انواع النعم بل يجب الاكتفاء بنوع واحد

هذه أمثلة من تعاليم الباب وفي « مفتاح باب الابواب » نصوص كثيرة منقولة عن كتب البابية وخصوصاً البيان فلتراجع هناك

الميرزا حسين الملقب بالبهاء

هو ابن الميرزا عباس المدعو ميرزا بزرك المازندراني النوري ولد سنة ۱۲۳۳ هـ وكان ابوه الميرزا عباس من موظفي الحكومة الايرانية وتوظف في آخر ايامه في مالية مازندران وتسمى وظيفته في اصطلاح الفرس « مستوفي » وقد خلف سبعة أولاد ذكور منهم الميرزا حسين علي الملقب بالبهاء والميرزا يحيي الملقب صبح ازل وهما اخوان من أم واحدة

ولا يهمنا ذكر سواهما في هـذا المقام — ربي البهاء مع اخوته في حجر ابيهم بطهران وتعلموا ما تيسر من مبادىء العلوم في ذلك العصر • وكان للبهاء واخيه صبح ازل منزلة ممتازة عند ابيهما لحظوة امهما عنده

ولما ترعرع البهاء احبّ التصوف واكثر من عشرة الصوفية ومطالعة كتبهم وكذلك كان اخوه صبح ازل • ثم مالا الى الباب وأحبا تعاليمه فاخذ البهاء في نشرها وذهب الى مازندران يدعو الناس اليها فبدأ ببلدة نور حتى أتى ساري وآمل من اشهر مدن هذه الولاية • ثم قفل راجعاً الى طهران في أواخر سلطة المرحوم محمـد شاه جد شاه الفرس الحالي

فلما توفي محمد شاه وخلفه ناصر الدين شاه وتوالت ثورات البابيـة وقتل الباب وهجم محمد صادق البابي وزميله على الشاه بمصيفه في نياوران كان البهاء واخوته في قرية كفجة بالقرب من ذلك المصيف فاعتقدت الحكومة الايرانية ان البهاء هو الذي دبر هذه المكيدة لقتل الشاه فغضبت عليه وسجنته في طهران بضعة اشهر ثم نفته الى بغداد ومعه ٢٢ شخصاً فوصلوها في اول المحرم سنة ١٢٦٩ ومعهم البهاء واخوه صبح ازل فاحتجب هذا عن الناس فكان تارة يجول مستتراً بضواحي بغداد وأحياناً يشتغل متنكراً ببعض الحرف او يمكث في بغداد بزي الاعراب • اما البهاء فلم يخرج من بغداد وكان يجلس في احدى القهوات على ضفاف دجلة يخالط الناس ويسامرهم فوفد عليه بقايا البابية في ايران فالتفّ حوله منهم بضع مئات وهم لا يدرون ماذا يفعلون ولا الى من ينتسبون لان كلّ واحد من كبرائهم كان يدعي الرئاسة والبهاء يدبر الامر لنفسه بدهاء وسياسة فانكر عليهم ما يدعونه ودعا الى اخيه صبح ازل وسماه خليفة الباب وسمى نفسه نائباً عنهُ وعمل على تأييد ذلك بالادلة الشرعيـة فلم يوافقه البابية على ذلك ولا اعتقدوا نيابته ولا خلافة اخيه • فانتشبت بينهم نيران الشحناء وتحاقدوا وتضاغنوا فلما رأى البابية ثبات البهاء على دعوته اضمروا له السوء وعزموا على الفتك بهِ فهرب الى كردستان التابعة للمملكة العثمانية واعتكف متنكرًا في ضيعة سركلو بجوار السليمانية • وكان يجول في هذه البلدة متسترًا بزي الدراويش ويحضر مجلس الشيخ عبد الرحمن رئيس طريقة الصوفية هناك • اقام البهاء في هذه البلدة سنتين الف في اثنائها كتاب « هفت وادي » ثم عاد الى بغداد وكان اصحابه قد دعوه اليها فالتفوا حوله ونصروه فاشتد أزره وصاروا يقيمون الاحتفالات باسمه و يظهرون دعوتهم ومن جملة احتفالاتهم يوم أول المحرم وهو عندهم عيد رسمي

لانه يوم مولد الباب مع انه يوم مأتم عند الشيعة حزناً على الحسين بن علي · فاتفق وهم يحتفلون بأول المحرم بحديقة في بغداد يسمونها حديقة الرضوان وقد اعدوا اسباب اللهو من المأكول والمشروب وسائر الملاذ و بالغوا في اظهار السرور فوق العادة ان الشيعة استاؤوا لذلك وعدوه نكاية فيهم فتجمهروا وفيهم الترك والفرس والعرب وارادوا الايقاع بالبهاء واصحابه فتوسط بعض العقلاء والحكومة المحلية واوقفوا الخصام والقلوب لاتزال متضاغنة

وكان البابيون يحتمون هناك بالحكومة العثمانية ولو كانوا في بلاد فارسية لنالت حكومة ايران ما تبغيه منهم · فسعى بعض كبار الشيعة لدى الحكومة الايرانية وسفير الباب العالي عندها وسفارة ايران في الاستانة وبعد مداولات ومخابرات تقرر نفي البابية من العراق العربي الى الاستانة بعد ان قضوا في العراق ١٢ عاماً · فصدر امر الحكومة العثمانية بالقبض عليهم واخرجوهم مخفورين الى الاستانة بطريق الموصل وحلب واسكندرونة · وكان صبح ازل لايزال متنكراً لايظهر للناس فلما صدر الامر بالنفي سبق القوم الى الموصل وانضم اليهم هناك

ولما وصلوا الى الاستانة انزلوهم في دار بجوار السفارة الايرانية اقاموا فيها اربعة اشهر ثم طلب سفير ايران ابعادهم الى اقصى البلاد العثمانية فصدر الامر بنفيهم الى ادرنه فنفوهم اليها سنة ١٢٨٠ هـ وانتقلت البابية هناك من طور الى طور فبعد ان كان البهاء يدعو الناس الى اخيه صبح ازل دعاهم الى نفسه واضطهد اخاه · فقام النزاع بين الاخوين وانقسم البابية الى فئتين احداهما انحازت الى البهاء والاخرى الى اخيه وسمي اتباع البهاء «البابية البهائية» وسمي اصحاب صبح ازل «البابية الازلية» أو البيانيين نسبة الى بقائهم على تعاليم الباب · واحتدم الجدال بين الحزبين وحزب البهاء اقوى وعزم كل منهما على الفتك بالآخر فاخرج البهاء اخاه من داره وانفرد بالعمل ونشر المناشير واخذ في تأليف كتب التشريع فالف كتاب «اساس اعظم» وغيره · ولما استفحل الامر بين الحزبين اتفق الباب العالي والسفارة الايرانية على ابعاد منفى القوم فارسلوا البهاء وحزبه وهم ٧٣ شخصاً الى عكا سنة ١٢٨٥ هـ وصبح ازل وحزبه وهم ٣٠ شخصاً الى قبرص · وجعلوا على كل من الطائفتين رقباء من اهل الطائفة الاخرى · فسجن القوم في منفاهم ومنعوا من مخالطة الناس ثم وسع عليهم بالتدريج والبهاء لايفتر عن اظهار دعوته و بث دعاته ولم يرَ له سبيلاً الى ذلك الا بقتل رقباء اخيه فقتلوهم فهاجت الحكومة وقبضت على البهاء وحزبه وكبلوهم بالحديد ثم افرج عنهم بالسعي والوساطة · واخذت دعوة البهاء بالتقدم من ذلك الحين · ويعتقد الله كثيرون

مهدي خان صاحب تاريخ البابية ان الفضل الاكبر في ثبوت دعوة البهاء وانتشارها انما هو لنجله الاكبر « عباس افندي » الملقب بغصن الله الاعظم لان الرجل ذو مقدرة عجيبة على اجتذاب القلوب وانه لولاه ما قامت للبابية البهائية قائمة

فلما نجح البهاء في دعوته نقل نفسه من منصب خليفة الباب الى المهدوية ومنها الى الولاية المطلقة فالنبوّة العامة والخاصة واخيرًا ادعى الربوبية فالالوهية وعمل على نشر مشروعه ببث الدعاة في البلاد الايرانية خفية وفي بلاد القوقاس جهرًا . لان الروسيين تنسموا من وراء ذلك خيرًا فساعدوهم وسهلوا لهم الاسباب . فابتنى البابية مسجدين احدهما في باكو والآخر في عشق اباد . اما في ايران والمملكة العثمانية والهندية فانهم فشلوا . ووجه البهاء نظره الى مصر فاقام فيها ثلاثة من الزعماء وهم الحاج ملا علي التبريزي والحاج ميرزا حسن الخراساني والحاج عبد الكريم الطهراني والميرزا ابو الفضل داعية البهاء اليوم في الولايات المتحدة

✻ كتب البهاء ✻ (١) كتاب « هفت وادي » بالفارسية الذي تقدم ذكره (٢) كتاب « اقدس » نهج فيه منهج القرآن في ترتيب الآيات والسور ودوّن فيه شريعته واحكامها باللغة العربية (٣) كتاب « ايقان » وهو في الفارسية وسماه أولا « نسخه خال » نسبة الى خال الباب ثم سماه ايقان (٤) كتاب « هيكل » بالفارسية والعربية (٥) كتاب « اشراقات » (٦) كتاب « الواح » (٧) كتاب « عهد » وهو آخر كتبه بين فيه وصاياه وجعل الامر فيه بعده لعباس افندي نجله الاكبر وبعده لنجله الثاني الميرزا محمد علي . وأدخل البهاء تغييرًا كثيرًا على تعاليم الباب لامحل لها هنا

توفي البهاء في مساء السبت ٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ (٢٨ مايو سنة ١٨٩٢) وخلف خمس بنين وثلاث بنات والابناء هم عباس افندي الملقب بغصن الله الاعظم وبالفرع الكريم المتشعب من الاصل القديم ولد في ٥ جمادي الاولى سنة ١٢٦٥ والميرزا مهدي الملقب بغصن الله الاطهر سقط هذا من سطح البيت في بغداد ومات . والميرزا محمد علي الملقب بغصن الله الاكبر . والميرزا ضياء الله والميرزا بديع الله الملقبان بالغصنين . اما العباس والمهدى واختهما التي لم تتزوج الى الآن فمن ام واحدة والميرزا محمد علي من زوجة أخرى وضياء الله وبديع الله من ام واحدة وماتت له بنت ايضًا في بغداد وله بنتان متزوجتان إحداهما بالسيد علي بن الحاج السيد حسن الشيرازي الملقب بالافنان الكبير والثانية بالميرزا مجد الدين بن الميرزا موسى اخ البهاء الملقب بالكليم

اما صبح ازل فالمشهور ان اصل الخلافة البابية كانت له وكان الباب قبل مقتله يخاطبه ويكاتبه مباشرة واقام اخاه البهاء وكيلاً له وحفيظاً وظل الامر على ذلك الى مابعد قتل الباب ونفي البابية من بلادفارس الى بغداد فالاستانة وادرنة . فانجميع الكتب التي كانت ترسل الى البابية كانت تصدر باسم صبح ازل ولم يدّع البهاء شيئاً منها لنفسه حتى اذا وقع الشقاق بين الاخوين نفي البهاء الى عكا وارسل صبح الازل الى قبرص واقام في قلعة ماغوسا ثم فتك البهاء بنخبة اصحاب ازل الذين كانوا رقباء عليه فكأنه قص جناحيه وقلم اظافره فظل صبح ازل في قبرص يدعو الناس الى نفسه ويبرز لهم كتب الباب المنوهة باستخلافه وقد كتب الكتب كما فعل اخوه ونهج بها نهج القرآن مما يطول شرحه

فرق البابية وتعدادهم

كانت البابية قبل موت البهاء ثلاث فرق :

« الأولى البابية الخلص » اي الذي اتبعوا الباب فقط ولم يرضخوا لاوامر من قام بعده مثل الميرزا يحيى صبح ازل واخيه الميرزا حسين علي البهاء وغيرهما وهم يعلمون باحكام البيان و ينبذون جميع ما الف وكتب بعد الباب ظهرياً وهؤلاء يبلغون نحو مائتي نفس في البلاد الايرانية دون غيرها

« الثانية البابية الازلية » وهم القائلون بخلافة او اصالة الميرزا يحيى صبح ازل سجين قبرص الآن اي الازل هو مصداق لما ورد في كتاب البيان (من يظهره الله او من يريده الله) وهؤلاء يؤيدون مدعياتهم بكتب عديدة من الباب والميرزا حسين علي الى الميرزا يحيى وهي موجودة عند الازل ويتمسكون ويستدلون بها على بطلان امر البهاء واتباعه وعددهم الفان ونيف تقريباً في البلدان الايرانية وغيرها وداعيهم الاكبر وعميدهم الاعظم قاطن الآن بطهران هو وانجاله وأناس آخرون قال الدكتور مهدي خان « هؤلاء يتظاهرون بالاسلامية ويتبرؤن من الباب والبابية ويعملون بالتقية يصلون ويصومون ويقومون بجميع فرائض الدين الاسلامي في الظاهر ويكفرون البهاء واتباعه ويلعنونهم في الظاهر والباطن ويستبيحون أموال المسلمين والبهائية عند المقدرة ويستعينون على قضاء حوائجهم هذه بالكتمان وشدة الحذر ويسندون الخلافة من بعد الميرزا يحيى الى الخارج الميرزا (لم يسمه) ولهم اشارات ورموز خاصة يتعارفون بها »

« الثالثة البابية والبهائية » وهؤلاء على ما مرّ بك من اخبارهم يعتقدون ربوبية

وألوهية البهاء وانه هو الذي بعث الانبياء والرسل وان زردشت وموسى وعيسى ومحمد والباب انما كانوا يبلغون احكامه ويبينون آياته فهم مظاهر أوامره وبشروا به وبظهوره كما ان ابنه الاكبر عباس يكون كذلك من بعده وان ليس لاحد ان يقوم بعده ويدعى بالامر الا بعد الف سنة كاملة وبعد ذلك يكون الامر لمن يظهره الله (يعني لمن يظهره هو كما علمت من اقواله) وان من يدعي امراً قبل الف سنة يحتم قتله لا محالة. ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف نفس في ايران ونحو الفي نفس في خارجها. ولا عبرة بما يدعونه من انهم يبلغون الملايين من النفوس في البلدان الايرانية ومئات الالوف في الممالك الروسية والافرنجية والعثمانية ومثلها في الممالك المتحدة الاميركية لان الاطراء والاغراق والغلو هي ديدنهم ودأبهم في تجسيم الامور الراجعة اليهم كشأنهم في بقية المسائل المختصة بهم

« الرابعة البابية البهائية العباسية » هؤلاء هم البابية البهائية ولكن يقدسون ويمجدون العباس كتقديسهم لابيه البهاء بل البعض منهم يجعلون البهاء مبشراً به كما كان الباب مبشراً بابيه وولد العباس في اليوم الخامس من جمادى الاولى ١٢٦٥ هجرية بطهران ورافق اباه بالنفي الى بغداد وادرنه وعكا ولم يكن للبابية البهائية شأن يذكر قبل ترعرعه ولما بلغ اشده واستلم زمام الامور بكياسته المشهورة نثر ونظم وعقد وحل وغير وبدل والف وصنف وهو الذي اشار على ابيه بالاستقلال في الامر والاستبداد بالرأي حتى فرق بين ابيه وعمه الازل وجعل للبهائية شأناً يذكر ولولاه لما قامت للبابية قائمة وما قام بشخص يسقط بسقوطه ويزول بزواله اذ لا بقاء له بذاته. نعم انه كان يتظاهر امام البابية انه كان اقل عبد متواضع خاشع للبهاء ولكنه كان قابضاً على دفة الامر بيد من حديد يديرها كيف شاء وأنى شاء وكان يخاطبه ابوه بلفظة (آقا) ومعناها (السيد) ولما مات البهاء آلت اليه الرياسة وانفرد بالمحو والاثبات في الاحكام فذعر من ذلك اخوته والخاصة من اصحاب ابيه مثل الميرزا آقا جان الكاشاني الملقب بخادم الله ومحمد جواد القزويني وجمال البروجردي واصهار البهاء فانضم هؤلاء الى الميرزا محمد علي النجل الثاني للبهاء الملقب بغصن الله الاكبر وارسلوا الدعاة الى البلدان . ونزعوا الى الطغيان والعصيان والفوا كتباً بالفارسية والعربية وطبعوها بالهند اظهروا بها مروق العباس واشياعه من دين البهاء وكفروه وسلقوه بألسنة حداد ومن جراء ذلك انشقت البابية البهائية الى قسمين قسم سمي (بالناقضين) وهم الميرزا محمد علي واشياعه . وقسم سمي (بالمارقين) وهم العباس واشياعه وقام كل منهم الآن

يؤيد دعواه ويكفر من عاداه فاعتزلوا المعاشرة وحرموا معاملة بعضهم بعضاً وعداوة كل منهم للآخر اشد من عداوتهم جميعاً للمسلمين وغيرهم فهذا ما آل اليه امر البهائية بعد موت البهاء

البابية في اميركا

بلاد اميركا بلاد العجائب واهلها ميالون الى الغريب من كل شيء ولذلك فقد كان للبابية فيها شأن يذكر — واليك ما قاله الدكتور مهدي خان في كتابه تاريخ البابية بهذا الشان قال :

« بعد موت البهاء ببرهة وجيزة كان في مصر رجل سوري مسيحي اسمه « ابراهيم خير الله » وكان صديقاً لنا منذ خمس وعشرين سنة وكان يشتغل بالترجمة والتجارة ثم اشتغل بالزراعة وكان النحس ملازماً لهُ في كل هذه الاحوال فتعرف اخيرًا بالحاج عبد الكريم الطهراني احد عمداء البابية البهائية بمصر ومال الى البابية وتشاورا ملياً في طريق لخدمتها واتفقا اخيرًا بأن يذهب ابراهيم الى نيويورك ويدعو الناس الى دين البابية على ان يقوم الحاج عبد الكريم بنفقات السفر فبذل له الحاج عبد الكريم المال بعد استئذانه من العباس وزوّده التعاليم الجديدة . فذهب الرجل وقام باعباء الدعوة لانه ذلق اللسان قوي الجنان . فمالت اليه احدى الغنيات من العجائز الامريكيات فشوقها لزيارة قبر البهاء وملاقاة العباس بعكا فسافرت الغنية الى عكا ووثقت ايمانها هناك وتبرعت بخمس مئة ليرة انكليزية ليشيد بها قبر البهاء وعرجت في عودتها على مصر ومكثت فيها ردحاً من الزمن وعرفناها حينئذ ثم سافرت الى بلادها وسعت مع ابراهيم في بث تعاليم البهاء في الامريكيين فمال اليها عدد قليل اذ قلما يدعو احدٌ الى شيء فلا يجاب بالمرة وعدَّ ابراهيم قبولهم هذا اقبالاً على نفسه فطفق يستغلهم ويأخذ منهم الدنانير بكل اسم ورسم وهم بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ولما جمع وادخر نحو ثلاثة آلاف من الليرات بلغ مسامع الحاج عبد الكريم خبر هذه التجارة الجديدة الرابحة فطلب مقاسمته فرفض ابراهيم المقاسمة فتمكن الحاج عبد الكريم من استصدار امر لهُ من العباس بأن يسافر الى امريكا ويناقش الرجل الحساب . ولما وصل نيويورك وسمع ابراهيم بما كان من الخلاف بين العباس واخيه اغتنم هذه الفرصة لاختلاس النقود فأظهر التشيع لميرزا محمد علي وقام بتكفير العباس ورماه بالمروق من الدين الجديد وقام يدعو الناس الى الميرزا محمد علي فوقع الشغب بين البابية وارسلت الرسائل من الميرزا محمد علي لابراهيم واظهر بها مساوىء العباس فانقسم القوم

الى قسمين ولاح بذلك نجم سعد الحاج عبد الكريم اذ مال اليه نفر من اغنياء البابية الامريكيين واخذ منهم بضعة آلاف من الليرات لكي يستعين بها على تقوية امر العباس فأخذها وعاد بها الى القاهرة . ولما طاب له المقام بها رغب بغتة عن دين البابية ودينها وكفر بالباب والبهاء والعباس ورجع الى الاسلام واخذ مع نجله محمد حسن يعددان مساوىء البابية و يظهران قبائح اعمالهم لانه من قدماء البابية و يعلم منها ماظهر وما بطن فقامت قيامة البابية و بذلوا كل مرتخص وغال لكي يعدل الرجل عن تعداد المساوي أو يسكت عنها على الاقل . ولم يزد الرجل الا هياجاً ولما يئسوا منه اشاعوا انه قد جن فمكث الرجل مسلماً مع نجله الموجود الآن بمصر مدة حتى توفي وله من العمر نحو مائة سنة . وكان انحراف ابراهيم عن العباس واسلام الحاج عبد الكريم ضربة قوية على البهائية

« صبر العباس على هذه الاحوال والاهوال زمناً ثم قام اخيراً يثير تعصب رجل يدعى الحاج الميرزا حسن الخراساني أحد عمداء البابية بمصر ويدفعه للسفر الى امريكا لرأب هذا الصدع فلبى الامر بالطاعة والقبول وأخذ حسين روحي بن الحاج الملاعلي التبريزي مترجماً لهُ وذهب الى امريكا ومكث هناك مدة . وسعى أولا بارجاع ابراهيم الى العباس فلم ينجح في مسعاه فتشاغل برهة باظهار واثبات تقديس العباس لدى محبيه نخاب ولم يفلح فقفل راجعاً الى مصر وأصيب بالذهول وهو الآن تحت المعالجة بمصر. ثم ارسل العباس الميرزا اسد الله وعلي قلي خان والميرزا ابو الفضل مؤلف كتاب الدرر البهية والفرائد الى شيكاغو لاذاعة امر الدعوة البابية واسسوا هناك حديقة سموها بما معناه (عكا الخضراء) فهم يجتمعون فيها في اوقات معينة و يرتلون الواح البهاء و يزمزمون باقواله ولا يعتمد على ما يزعمون من انهم امالوا بضع مئات او الوف من الاميركيين لان الحقيقة هي التي ذكرناها في كتابنا هذا بعد استقصاء عميق واستقراء طويل

« وقد اراد العباس ان يعتز بالامريكيين و يؤيد دينه بحماية دولتهم فبدأ بانشاء هيكل يحيط به قصر في حيفا واشاع انه للامريكيين ووضعه على القبر الذي انشاوه للباب وزعموا ان عظامه فيه فبادر اخوه ميرزا محمد علي الى اعلام جلالة السلطان بذلك فصدرت الارادة السنية بتوقيف البناء و بالتضييق على رؤساء البابية المنفيين في عكا بحيث لا يخرجون من قلعتها وكانوا من قبلُ يطوفون في سوريا حيث شاؤا » اه

صحة العائلة

الهضم والغذاء

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني في دمنهور

الجسم الانساني مؤلف من اعضاء كثيرة لكل منها عمل خاص به وما من عضو رئيسي يعتدى عليه فتنتابه العلل والآفات كاعضاء الهضم لان اكثر الناس يأكلون ويشربون ما ترغب فيه اذواقهم بغير التفات الى الاضرار التي قد تسببها تلك المآكل في المعدة كأن المعدة في عرفهم صندوق تطرح فيه انواع الطعام لاستخدامها فوراً واذا قصرت يوماً ما لاسباب طارئة فلا يريحونها كما يريحون سائر الاعضاء بل يحملونها على العمل كرهاً بالمنبهات والتوابل والبهارات والخردل والفلفل او بالخمر والبيرا والكونياك والعرقي ونحوها من الاشربة الروحية ويكلفونها أعمالاً فوق طاقتها • ومع ما للبحث في الهضم ووظائفه من العلاقة بسعادة الانسان مما يستدعي انتباه الحكماء والعقلاء فقد اهملته أمم كثيرة حتى اصبحت والشعب الاميركي في مقدمتها عرضة لعلل الهضم المميتة فتفاقم شر هذا الداء وصار يفتك سنوياً بحياة ألوف من البشر نتيجة التعدي على المعدة والتهاون بانتقاء ما يناسبها من الطعام فرأيت ان اغتنم هذه الفرصة فاذكر لقراء الهلال خلاصة ابحاث العلماء المدققين الخبيرين (في الهضم والغذاء) وفي مقدمتهم الدكتور كالوك احد مشاهير اطباء الاميركان ازفها للعاقل نصائح مجانية وللاكول عظات تقيه اضراراً جمة اذا اصغى اليها • واتماماً للفائدة امهد القول بفصل في القناة الهضمية وفسيولوجية الهضم بوجه الاختصار

القناة الهضمية

(اجزاؤها) تكون القناة الهضمية في الصغر انبوبة مستقيمة ثم تتكيف حتى تصير في البالغين قناة طويلة متعرجة طولها نحو من ثلاثين قدماً او عشرة امتار تتعلق بها أعضاء أخرى اضافية • طرفها الاعلى الفم عمله ارادي اما الطرف السفلي فعمله غير ارادي انما يفتح اتباعاً للقوة الضاغطة عليه من الاعلى وذلك عن حكمة من الخالق لمقاومة عمل الجاذبية على محتويات الامعاء وحفظها في مكانها مدة النوم والغيبوبة • اما اقسامها فخمسة

ولكل منها عمل خاص به — الاول الفم : وهو تجويف غير منتظم فيه اللسان والاسنان وست غدد افرازية ثلاث على كل جانب تسمى الغدد اللعابية وهو يتصل بالمعدة بواسطة المريء . الثاني المريء : وهو انبوبة كبيرة غشائية عضلية تمتد من البلعوم الى المعدة وله في آخره فتحة تدعى الفتحة الفؤادية تمنع محتويات المعدة من الصعود الى الاعلى . الثالث المعدة : ومركزها في ايسر الجسم تحت الرئة والقلب تسع الف ومائة وخمسين غراماً او نحو ذلك وهي قابلة للتمدد لتسع كمية اكبر وتكون في الطفولية امتداداً من القناة الهضمية مغزلي الهيئة ثم يكبر كلما تقدم الانسان عمراً فتتخذ شكلها المعروف كما ترى في الشكل الثاني ولها غشاء مخاطي فيه غدد افرازية انبوبية الشكل تدعى الغدد البيسينية نسبة الى العصير الذي تفرزه وهو البيسين . وتوجد هذه الغدد في كل المعدة لكنها تكثر خصوصاً في الجهة اليسرى ويقدر عددها بنحو خمسة ملايين غدة . وللمعدة أيضاً اوعية دموية ولمفاوية لامتصاص السوائل حال دخولها اليها او حين عمل الهضم . ويغطي غشاءها المخاطي ويبطن الغدد الانبوبية المذكورة طبقة من خلايا بشرية تدعى ابيثيلوم اليها ينسب عمل المعدة الحيوي وفيها يحدث المخاط لحفظ سطح الغشاء النحيف . والعصير المعدي لتذويب الطعام ولها في آخرها فتحة تدعى البواب . الرابع الامعاء او القناة الغذائية : وهي تنقسم الى غليظة ودقيقة طول الاولى خمسة اقدام والثانية نحو من خمسة وعشرين قدماً وهي اعظم اعضاء الهضم . ويسمى القسم المتصل منها بالمعدة الاثنى عشري طوله اثنا عشر قيراطاً وهو اعظمها عرضاً . وبالقرب منه غدتان كبيرتان هما الكبد لافراز الصفراء والبنكرياس لافراز العصير البنكرياسي يتصلان بالمعاء بقناتين لهما فتحة واحدة مشتركة في غشاء الاثني عشري المخاطي تحت المعدة بنحو خمسة قراريط . ويتصل طرف

(ش ١) القناة الهضمية

(o) المري. (pp) الرئتان (s) المعدة (ll) الكبد (c f a t) المعى الغليظ . واما المعى الدقيق فتحت الاغشية ولم يظهر في الصورة

المعى الدقيق في الجانب الايمن قرب اربية الفخذ بقسم طويل من المعى الغليظ يدعى القولون في اخره المخرج وتركيبه الخصوصي يناسبه لاتمام عمل الهضم

« العصارات الهاضمة » ان اجزاء القناة الهضمية التي ذكرناها انما تعمل عملاً ميكانيكياً فتجزىء الطعام وتطحنه وتعجنه وتنقله من مكان الى آخر • اما الفاعل المهم والمعول عليه في هضم الاطعمة فالعصارات الهاضمة التي تفرز في اماكن خصوصية من تلك القناة وتحول الاطعمة الجامدة في القناة الهضمية الى سوائل يسهل امتصاصها والتغذية بها• والعصارات خمس — الاولى اللعاب : تفرزه الغدد اللعابية في الفم وهو افراز مختلط من الغدد الست المذكورة وارتشاح غشاء الفم المخاطي وسائل نقي شفاف قلوي قليلاً يكثر في اكلة الاثمار والخضر ويقلُّ في اكلة اللحوم لانهم لايحتاجون اليه اذ ليس في طعامهم العناصر التي وضع للمساعدة في هضمها • ومقدار ما يفرز من اللعاب ثلاثة ارطال طبية في ٢٤ ساعة نصفها يفرز مدة الهضم • الثانية العصارة المعدية : وهي سائل حامض تفرزه الغدد البيبسينية بكثرة في المعدة مدة الهضم فقط وكميته من ٧ — ٩ لترات في اربع وعشرين ساعة وتنسب قوته الهاضمة الى مبدإٍ فعال فيه يعرف بالبيبسين يمكن فصله عن غشاء المعدة المخاطي بعد الموت وفيه حموضة هي ضرورية لفعل البيبسين • الثالثة العصارة البنكرياسية : وهي سائل يشبه اللعاب كثيراً ويسمونه ايضاً اللعاب البطني تفرزه الغدد البنكرياسية في اثناء الهضم فقط بكميات كثيرة مع ان اللازم منه لهضم كمية معينة من الطعام لم تحقق تماماً • وهو قلوي كاللعاب وله أهمية عظيمة في هضم بعض العناصر الخصوصية في الطعام • الرابعة الصفراء : وهي سائل تفرزهُ الكبد ذو صفات خاصة نافعة للهضم قلوي جدًّا اخضر اللون مرٌّ يتكون بالاكثر مدة الهضم مع انه يفرز لدرجة محدودة في اوقات أخرى ويدخل مع السائل البنكرياسي الى الاثني عشري وقد يوجد في المعدة تحت ظروف استثنائية • الخامس العصارة المعوية : وهي اكثر العصارات تعقيداً تفرزها غدد كثيرة مختلفة توجد في غشاء الامعاء المخاطي ولها صفات مركبة لانها مزيج من ارتشاحات غدد مختلفة تؤهلها لوظائفها العديدة كما سترى

فسيولوجية الهضم

عرفنا مما مرَّ اقسام اعضاء الهضم وعدد العصارات العاملة فيها فلنتقدم لذكر عمل كل عصارة على حدة : فنقول ان الهضم عمل حيوي يجري بموجب نواميس المادة الحية بفعل العصارات المذكورة فعمل اللعاب يتوقف على مبدأ فعال فيه من خواصه تحويل

النشاء الى سكر · خذ مثلاً حبة ارز مسلوقة او مادة اخرى نشائية ليس فيها شيء من السكر وامضغها نحو خمس دقائق فلا تمر بضع ثوانٍ الا وتشعر بطعم حلو سكري يزداد كلما طال زمن المضغ · وقد تحقق وجود السكر بالكواشف الكيماوية الخاصة به · وهذا الفعل يتم في وسط متعادل اكثر منه في الحامض ولذلك يزداد تحويل النشاء الى سكر بعد دخول الطعام الى المعدة بقليل · ثم ينقص تدريجاً كلما حمضت محتويات المعدة و يتوقف في الاصحاء بعد ساعة فقط ويزاد افراز اللعاب اذا وجد طعام جامد في الفم او مواد حلوة لذيذة الطعم او حوامض او بالمضغ حتى ان رائحة الطعام اللذيذ كثيراً ما تزيده غيران الحوامض ولا سيما الاوكساليك والخليك تقاوم فعله ولو وجدت بكميات قليلة جداً



(ش ٢) المعدة والبنكرياس والاثنا عشري

(S) المعدة (l) الكبد (g) الغدة الصفراوية (d) الاثناعشري (h) الطحال (p) البنكرياس

وعمل العصير المعدي عرفوه بالتجربة وذلك ان بعضهم ازدرد انابيب خشبية صغيرة فيها ثقوب وقد ملأوا الانابيب بانواع مختلفة من الطعام و بعد استقرارها في المعدة مدة تقيأها فوجدوا المواد الالبيومينية قد ذابت في المعدة وانابيبها خرجت فارغة · اما الانابيب المملوءة بالمواد النشائية والدهنية فخرجت كما هي بدون تغيير · ثم اثبت الدكتور بومونت بعد هذا بتجاربه العديدة ان العصارة المعدية تذيب المواد الالبيومينية كاللحم والبيض وقشدة اللبن والكلوتين ونحوها · اما مقدار الببسين اللازم للهضم فقد وجدوا ان الببسين الذي يمكن استخراجه من معدة كلب سليم يكفي لتذويب مائتي رطل طبي من الالبيومن اي نحو الفي بيضة · ووجدوا ايضاً ان العصارة المعدية في البقر والخيل وغيرها من اكلة الاعشاب

اضعف لهضم الطعام الحيواني منه في الحيوانات آكلة اللحوم · وتزداد هذه العصارة بوجود الطعام في المعدة ولا سيما اذا كان نصف جامد واللعاب والتغيير الفجائي في الحرارة والبرد وبالاخص الحرارة لان نقصها عن حرارة الجسم يوقف عمله واقل زيادة فيها تزيد في فعله والاشربة الروحية والقلويات والتنين تقاوم عمله اذ ترسب الببسين والعناصر الالبيومينية المهضومة وكذلك الصفراء ومضادات الفساد · وكلما يمنع الاختمار والاملاح المعدنية كمركبات الرصاص والزنك والحديد ومركبات الكلس والمغنيسيا مما يوجد في الماء القاسي فانها تؤخر الهضم · وقال الدكتور تشارلس رنيت « ان الحامض الطرطريك والخليك يقللان افراز العصير المعدي و بالضرورة تضران بالهضم »

والصفرا قد اظهر البحث ان لها وظائف عديدة في الهضم فهي قلوية تقاوم حموضة العصارة المعدية وتستحلب العناصر الدهنية فتجزئها الى اجزاء صغيرة جداً يسهل امتصاصها وربما تتحد عناصرها القلوية بالدهن فيذوب في الماء كمضاد الفساد فتحفظ الطعام حال وجوده في الامعاء وتنبه لامتصاص ما هضم منه وتزيد عمل غشاء الامعاء المخاطي ولذلك يسبب نقصها سوء الهضم

وعمل العصارة البنكرياسية يختلف عما سبق من العصارات بانه لا ينحصر في عنصر واحد من عناصر الطعام فتفعل على المواد الالبيومينية ولاسيما الكاسيين بعد فعل العصارة المعدية فهي بالحقيقة مكملة هضم كل العناصر الا سكر القصب · وعمل العصارة المعوية اكثر تعقداً من سابقة وهي تفعل على العناصر النشائية والالبيومينية والدهنية وتهضمها لانها مزيج من غدد كثيرة لكنها لا تقوى على تذويب عناصر الطعام ما لم تفعل عليها باقي العصارات التي مر ذكرها بخلاف سكر القصب فهو وحده قادر على هضمه وتمثيله

والخلاصة ان ثلاث عصارات تفعل كل واحدة منها على نوع من الطعام وواحدة من الاثنتين الأخريين تفعل على كل انواعه ما عدا قصب السكر والخامسة تفعل على الكل بالسوية فاللعاب يفعل على المواد النشائية والالبيومينية والدهنية والعصارتان البنكرياسية والمعوية تفعلان على النشاء وهاتان مع العصارة المعدية على الالبيومن · والصفرا والعصارة البنكرياسية والمعوية على الدهن اما سكر القصب فتفعل عليه العصارة المعوية فقط وليس لهذه العصارة اهمية في الطعام · فالهضم يتوقف على امرين مهمين الافراز والعمل العضلي وليست القناة الهضمية سوى قناة عضلية ذات غشاء مخاطي فيها آلات تصب الى تجويفها مفرزات قوية لتذويب محتوياتها وجل عملها قبول الطعام وجمعه ونقله بالفواعل العاملة للهضم · ولايضاح عمل الهضم

نفرض ان زيداً تناول طعاماً فيه كل العناصر اللازمة لغذاء جسمه فاول مايفعله تجزئة الطعام بالاسنان ومضغه بالفم وتحويله باللعاب الى كتلة لينة حيث يفعل على مواده النشائية التي تكوّن القسم الاكبر منه فيحولها الى سكر وتزداد تلك الكتلة حلاوة كلما طال مضغها وعلكها. ثم تبتلع فتمرُّ بالمريء ومنه الى المعدة فيحمر غشاؤها المخاطي ويفرز العصارة المعدية نقطاً صغيرة تحلب وترشح كالعرق المتجمع على سطح الجسم ثم يزداد الافراز حتى ينسكب ويبتدئ بالعمل على عناصر الطعام الاليومينية بعد ان صار الوصول اليها سهلاً بالمضغ والتجزئة فتتعرض كل اجزائها لفعله ثم تأخذ عضلات المعدة بمخضها وعصرها وجذبها واذا كان في الطعام سوائل تمتص قبل ابتداء العمل المذكور • ولذلك اذا كانت كمية السائل في المعدة كبيرة تمنع جدرانها العضلية من العمل على الطعام فيتأخر الهضم • ويبقى هضم النشاء بعمل اللعاب مستمراً بعد نزول الطعام في المعدة نحو نصف ساعة ثم تبطله العصارة المعدية وتمتص اجزاء الطعام التي تحولت الى سائل • وبعد بقاء هذا العمل مدة كبيرة او صغيرة بالنسبة الى جنس الطعام وكيفية استحضاره تنقبض المعدة لزيادة حموضة عصارتها وتقترب كل محتوياتها من البواب فتتصرف فيه الاجزاء التي تكون قد صارت سائلاً • على ان الاجزاء الجامدة التي لا يمكن هضمها في المعدة فانها تندفع منه الى الاثني عشري رغماً عنها • وبعد ان تزداد حموضة المعدة اكثر فاكثر لازدياد عصارتها تهيج فتنقبض انقباضاً شديداً وتدفع كل الكتلة الى المعى الدقيق حيث يكمل عمل الهضم • اما الوقت اللازم لهضم الطعام وافراغ المعدة منه فيختلف من ساعة الى ساعة ونصف اذا كان أرزاً مسلوقاً أو أثماراً ناضجة ومن خمس ساعات الى ست اذا كان لحم خنزير او مثله • والعناصر الدهنية التي تذوب بعمل الحرارة فانها تنفصل عن سائر الاطعمة في المعدة وتطفو على سطحها ولا يحدث فيها تغيير الاَّ بعد انحدارها الى الاثني عشري حيث تفعل عليها الصفرا والعصير البنكرياسي ويفعل هذا الاخير ايضاً على النشاء والاليومن اللذين لم يكونا قد هضما بعد او امتصهما المعدة • ومن ادلة العناية في عمل الهضم ان العصارة المعوية تفعل فعلاً واحداً على كل الاطعمة بدون استثناء وقت مرورها في المعى الدقيق وربما في الغليظ أيضاً • وفي اثناء الهضم المعوي يبطىء سير الطعام في الامعاء الغليظه والدقيقة ويزداد جودة شيئاً فشيئاً بامتصاص ما تحول منه الى سائل بواسطة العصارات الهضمية وتؤخذ منه تدريجاً عناصره المغذية الى القسم السفلي من الامعاء الغليظة الافضلات غير مغذية ممزوجة بمادة غائطية تخرج من الجسم غالباً صباحاً مرة في اليوم

اما امتصاص الطعام الذي تحول الى سائل بفعل العصارات فيبدأ منذ بدء الاكل ولا يزال الى آخر عمل الهضم . والاوعية الماصة نوعان دقيقة وليمفاوية اوكيلوسية . فالاولى تمتص كل ما هو ذائب في السوائل التي تدخل المعدة وقسماً كبيراً مما هضم من عناصر الطعام النشائية والاليومينية . اما الاوعية الليمفاوية فتمتص الدهن المستحلب وبعضاً من العناصر الاخرى . ثم يجري السائل الممتص في الوريد القلبي الى الدورة الدموية العمومية بعد مروره على الكبد حيث يصفى من العناصر المضرة التي قد تخالطه . وما تمتصه الاوعية الليمفاوية يصل الى الدورة الدموية العمومية بقناة ليمفاوية طويلة ورفيعة تصبه الى الوريد الكبير . ثم تحمل تلك السوائل نتيجة الهضم من جانب القلب الايمن الى الرئتين وتتحد مع اوكسيجين الهواء فتتأكسد ويجري عليها التغير الاخير حيث تحول الى دم انساني ذي صفات صالحة لتغذية كل انسجة الجسم المختلفة واصلاحها وبنيانها ولا يعود يوجد فيها بعد تأكسدها شيء من السكر او الدهن اللذين يمكن وجودهما فيها بكثرة قبلاً — هذا ما يقال من جهة الافراز اما العمل العضلي فقد ظهر معنا جلياً بمضغ الطعام ومزجه باللعاب وأخذه بالانقباضات العضلية ونقله في القناة الهضمية من الفم الى المعدة ومخضه هنالك ومزجه بالعصارة المعدية واخراجه الى البواب فالامعاء الدقاق ومزجه بالصفرا والعصارة البنكرياسية والمعوية وهكذا حتى يكمل الهضم حتى ان الامتصاص نفسه كثيراً ما يتنبه بالعمل العضلي لان الدورة الدموية في الاعضاء الماصة تتنبه بالانقباض العضلي فتقدر على أخذ كميات اكبر من السوائل

قبل الانتقال من الكلام في فسيولوجية الهضم يحسن بنا ان نتذكر ما للعلاقات العصبية من العمل باتمام الهضم وان افراز العصارات المعدية وعمل المعدة والامعاء العضلي اعمال كلها تحت حكم الاعصاب اذ ان كل اعضاء الهضم مرتبطة بالجهاز العصبي العمومي وأقل تغير في الواحد يظهر اثره في الآخر . فاحتياج الجسم الى طعام تدل عليه المعدة بالجوع واحتياجه الى سوائل يدل عليه الفم بالعطش وان كل طعام غير مهضوم او اية مادة مضرة في المعدة يحدثان غثياناً يضعف كل الجسم حتى انه في بعض الحالات الخصوصية ولاسيما في الاولاد الصغار يحدث من اختلال الهضم تشنج مضر جداً هذا فضلاً عن ان العوامل التي تؤثر في الجهاز العصبي العمومي تؤثر في أعضاء الهضم فنظر اللحوم الذكية المطبوخة او رائحتها فقط تهيج افراز اللعاب ورؤية ما تكرهه النفس يحدث القيء وكثيراً ما يمتنع زيد عن الطعام اوالشراب لتذكاره ذبابة سقطت فيه فرآها وعافت نفسه الطعام فتهيج

معدته جالاً ويتقيأ وقد لا تبقي شيئاً في معدته وكثيراً ما يتقيأ المرضى متى قيل لهم انهم أعطوا مقيئاً ولو أعطوا ماء قراحاً لان القيء ليس الا عمل العضلات البطنية والحجاب الحاجز وليس للمعدة فيه الا عمل قليل جداً اذ الضغط بقوة على الحجاب الحاجز بانقباض عضلات البطن القوية يرفع محتويات المعدة رغماً عنها الى الاعلى في المريء حيث تمنع انقباضات البواب نزولها الى الاسفل

الوحام واسبابه

لم يذكر التاريخ تفاصيل ما شعرت به أمنا حواء بعد ان ذاقت تلك الثمرة المحرمة ولكننا قياساً على ما نراه اليوم نحكم ان احشاءها اضطربت وان يكن التفاح مما تطيب له النفس

والدنيا من هذا الوجه اشبه ببستان ترده زرافات من ابناء آدم وبنات حواء حتى اذا اقبل الربيع وبلغ اشده مالت من دفعها الاغواء الى احدى منعطفات البستان وذاقت على غفلة من الحارس الرقيب من ذلك الثمر فاوسعت له مكاناً في احشائها ومازجته من دمها وروحها حتى اذا كمل تطوره لفظه الحنان فانفصل عنها مجسماً الحب بعد ان كان فيها مثال اتحاد روحين

أجل هذه هي نشأة الطفل من الحمل الى الوضع ولكن هذه النشأة يرافقها ما هو معروف بالوحام فيكون شديداً في الاشهر الاولى ثم تخف وطأته اذ الحبل يكيف الاعمال الحيوية ويفعل في أجهزة الجسم ما لا تكاد تفعله الامراض . فتخمد من حيث الجهاز العصبي شعلة الذكاء ويكثر النعاس وتختل الارادة الى حد ان تطالب الحامل أشياء غريبة كأن تكسر ما في سلة من البيض على راس زوجها حسب رواية أحد الاطباء أو تدخل الهواء بنفخ في فم رجلها ثم تبتلع الهواء الخارج منه . ويضطرب الجهاز الهضمي فيحدث القيء الذي يبدأ على العموم صباحاً عند القيام من الفراش مثل قيء السكيرين كأنما الحبلى تبقى ثملة من خمرة الحب ويفقد الذوق سلامته فتختار المآكل غير المألوفة وتتطلب أحياناً ما لا يؤكل كالصابون والشمع ويزداد الهيكل العظمي نمواً ويتسع الحوض لتلين في رباطاته ويقع غير ذلك في بقية الاجهزة وفي عمل التغذية مما لا حاجة الى ذكره

ولرب سائل يقول : ما هو سبب التغيير الداخلي الذي يطرأ على الجسم من جراء

الحمل ؟ فالجواب التقريبي ممكنٌ اذا اسقطنا بعض الاسباب التي يخال ان لها هناك بعض التأثير

والعاقل يدرك مما قلناه ان هذا التكيف البدني أشبه بما يحصل في الامراض الميكروبية اي ان السبب غير ميكانيكي بل هو سم او نحوه ينشأ او يبقى في الجسم على أثر الحمل كما سنوضحه فيما بعد. فامتلاء الرحم له فعل منعكس على الاحشاء او هو يضغط عليها ولكنهُ لايولد عوارض تشبه الوحام لان الاورام الرحمية الضخمة ليس لها مثل هذه الظواهر

وأما انقطاع الحيض فلا نخاله سبباً للوحام لان دم الطمث ادنى من الدم العادي خالٍ من المواد السامة التي يتوهم اصحاب الخرافات انها تنصرف عن تلك الطريق فضلاً عن ان انحباسه ضروريٌّ لبدن الام حتى يتهيأ لها تغذية الجنين بكل ما عندها من الوسائط ومثل هذا الانحباس يقع في فقر الدم الشديد وفي بعض الامراض المنهكة كالتدرن الرئوي حيث الطمث يزيد الدم فقراً والمتدرنة اعتلالاً

ويغلب على ظني ان سبب التكيف البدني في الحامل وما ينشأ عنه من الظواهر المعروفة بالوحام هو اضطراب في وظيفة المبيض. والمبيض غدة تفرز في كل شهر قمري بيضة اذا تلقحت حصل العلوق وتكون الجنين واذا استؤصل المبيض انقطع الحيض ولا قياس على الشذوذ

ولا غرابة في ان يكون للمبيض افرازٌ داخلي ماعدا افرازه الخارجي للبييضات كالخصية عند الرجل فان افرازها الخارجي معروف واما افرازها الداخلي فيعرف من تأثيره في الجسم وان تكن ماهيته مجهولة . ألا ترى الخصي خامد العقل طويل القامة متسع الحوض لا سبال له ولا لحية ذا صوت حاد كصوت الاطفال . وسبب ذلك فقد الخصيتين وافرازها الداخلي الذي ينشط الجسم والعقل معاً وعليه فقد يفيد في الانحطاط العصبي استعمال حقن من جوهر فعال « سبرمين » مستخرج من الافراز الخارجي

والغدة الدرقية التي حول العنق لها افراز داخلي يعارض بعض السموم البدنية فاذا استؤصلت ضعفت القوى العقلية وانتفخ الجلد وتشقق وعلته قشور الى غير ذلك من الاعراض التي يعقبها الموت والعلاج ان يتناول المصاب الغدة الدرقية لبعض الحيوان وهو الخروف عادة

وقد يستدل على الافراز الداخلي للمبيض مما يحدث في زمن اليأس اذ ينقطع

الطمث ويتوقف الافراز الخارجي للبيضات فتشكو الامرأة من ثقل في الرأس والصدر وتشعر بهبات حارة في الوجه والاذنين الى غير ذلك مما يقضي باكل الالبان والخضر مساء واستعمال « الاوفارين » اى الجوهر الفعال للمبيض الذي يفيد في عسر الطمث وفقده وفي الاعراض المتقدم ذكرها مما يدل على انه مهيج للرحم فضلاً عما له من التاثير في الجسم

هذا وقد ثبت لاهل العلم ان التغذية مدة الحمل تبلغ اشدها في الجهاز التناسلي فتضعف في سائر البدن ويخف بالتالي انطلاق السموم العادية عن طريق الكلى ولكن كل هذا نسبي لان الكبد التي تتلف السموم البدنية عادة تكون مضطربة ايضاً كالكلى غير قادرة على القيام بشؤون وظيفتها تماماً وفي الوحام دليل على تولد سموم بدنية يساعد هذا القيء على اطلاقها عن طريق المعدة ولا غرابة في ذلك لان المورفين المحقون مثلاً تحت الجلد ينصرف بعضه عن المعدة فيحدث الغثيان أو القيء وقس عليه ما يحدث في امراض الكلى

فيستنتج مما تقدم ان السموم تتكاثر نسبياً في بدن الحبلى ومن جهة اخرى ان المبيض ليس له وظيفة يؤديها مدة الحمل فما عمله الا افراز البيضات للعلوق فمتى تم هذا توقف عن متابعة عمله الى ان تنضج ثمرة ذلك العلوق فتسقط . ومما يؤيد دعواي ان الموضع الذي انفصلت عنه البيضة الناجحة لا يلتئم الا بعد الولادة فلا يتكفل المبيض مدة الحمل بسد مكان حبة صغيرة

ولا يستبعد عن الذهن ان الافرازين الخارجي والداخلي للمبيض مترابطان وقياساً على بقية الغدد يسوغ الحكم في ان الافراز الداخلي للمبيض له وظيفة اتلاف بعض السموم البدنية أو وظيفة اخرى تعود بالنفع على الجسم . فبناء على ذلك اقول ان الوحام ناشيء عن تجمع بعض السموم في البدن المضطرب لتوقف المبيض عن افرازه الداخلي بسبب الحمل

وفي الختام لا باس من ان انبه القاريء الكريم الى اعتراض وهو : اذا كان الوحام ناشئاً عن تقصير في وظيفة المبيض فلماذا تزول كثير من اعراضه كالقيء مثلاً في اواسط الحمل مما يدل على نقص في السموم البدنية ? فالاعتراض قوي لكن الرد عليه ممكن وذلك لان الجسم يحافظ دائماً على ميزانيته والا تختل اعماله الحيوية . فاذا تاخر عضو لسبب ما عن اداء وظيفته قام بها قرينه السليم كما يحدث بعد استئصال احدى الكليتين أو ينوب عنه عضو آخر مشابه له في العمل . ومن هذا القبيل ما تحققه احد الاطباء من ان الغدة

الدرقية التي تكلمنا عنها لاتلبث ان تتضخم مدة الحمل و بالتالي تزداد قوتها على اتلاف السموم بزيادة افرازها فربما عوضت هذه الزيادة بعض التعويض عن الافراز الداخلي للمبيض مما يفهم منهُ سبب تضخم هذه الغدة وزوال كثير من اعراض الوحام · وزد على ذلك ان الغدة الدرقية تعطى علاجاً ضد الحيض الباكر في المراضع · ولما كان النزيف الشهري بعض وظيفة المبيض استدللنا من تلك المعالجة على ان الغدة الدرقية الماخوذة من الداخل تعوض عن عمل المبيض فلا يعود هذا يهيج الرحم

هذا ماعنَّ للخاطر الضعيف تعليقه وقد تؤاخذني احدى السيدات بدعوى انها أولى بالكتابة في هذا الموضوع من الرجل لجمعها بين العقل والشعور معاً فاستميح من لدنها المعذرة وارجو ان يكون لي من كرمها شفيع اذا تذكرت ان الرجل لهُ ضلع في الامر وانهُ الشريك الاثيم فيما نحن بصددهِ فحسبت ان التحقيق العلمي بند من بنود تلك الشركة العمرانية

الدكتور نعمة

عضو في الجمعية العلاجية باريس

الحب الجنسي وفراسة الوجه

وللناس فيما يعشقون مذاهب

قد يقع نظر الشاب على فتاة فلا يهمهُ أمرها ولا يتحرك قلبهُ نحوها وربما نفرت نفسه منها فيراها صاحبه فيتعشقها ويهيم بحبها وربما أغضب الاهل والخلان من أجلها ولسان حاله يقول :

رأوها بعين غير عيني فاصبحت قلوبهم فيها مخالفة قلبي

على ان الجمال بحد نفسه لا يخلو من شروط عامة يعترف بها الاكثرون فيجمع أهل البلد الواحد على الاعتراف بجمال فتاة من فتياتهم يجعلونها محور اعجابهم يتحدثون عنها في مجالسهم ويضربون بها الامثال في احاديثهم فهذه وأمثالها من ربَّات الجمال لا دخل لهن في هذا البحث اذ ليس المراد بالحب مجرد الاستحسان او الاعجاب انما نريد به تجاذب القلوب الى حد الكلف حتى لا يرى المحب في حبيبه غير الجمال ولو لم يستطع اثبات ذلك بالبرهان وحتى يشعر بتمازج الروحين واتحاد القلبين فلا يبقى سبيل للوم اللائمين ولا نصيحة الناصحين واذا عوتب على جنونهِ قال قول الشاعر :

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

فاذا سمعه صديقه يقول ذلك استغربه لانه لا يرى في محبوبه ما يبعث على هذا الهيام وربما رأى فيه ضد ما رآه صاحبه — فما هو السبب في هذا التباين او التضاد ؟

ان هذا البحث قد شغل اذهان العلماء من قديم الزمان فكانوا في الاعصر القديمة ينسبونه الى تلاؤم الابراج وتوافق المواليد او الاسماء او نحو ذلك من خرافات القدماء . ولا يزال من اثر هذا الاعتقاد على السنة عامتنا قولهم اذا تحابَّ اثنان « ان نجميهما اتحدا او توافقا » فلما بطل التنجيم ورجع الناس الى الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار عللوا ذلك التجاذب بالمغنطيسية الحيوانية حتى اذا اكتشفوا ما اكتشفوه من الاسرار الطبيعية واستشفوا ما وراء مكتشفاتهم من الاسرار الغامضة التي يتوقعون كشفها في مستقبل الزمن نسبوا ذلك التجاذب الخاص بين المحبين الى توافق « كربائيتهما » — يريدون ان في الناس قوة كالكهربائية تتفاوت شدة وضعفاً وتختلف ايجاباً وسلباً باختلاف الاشخاص حتى اذا التقى شخصان وتوافقت كهربائيتهما تجاذب قلباهما وتحابَّا — وهو قولٌ يدلُّ على رغبتنا في التعليل مع جهلنا حقائق الامور

وتفنن آخرون في تعليل واسطة ذلك التجاذب فجعلوه في العيون وعبروا عن فعله بالسحر الذي يقول فيه الشاعر

عيونٌ عن السحر المبين تبين لها عند تحريك الجفون سكون
اذا ابصرت قلباً خلياً من الهوى تقول له كن عاشقاً فيكونُ

ولم يقولوا ذلك عبثاً لما في العيون من الدلال على الاميال والعواطف على حد قول التعاويذي

عيناك قد دلّتا عيني منك على اشياء لولاهما ما كنت رائيها
والعين تعلم من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

على ان هذا ايضاً لا يعلل سبب التجاذب الخاص بين اثنين لا يرى الناس باعثاً عليه وآخر من نظر في هذا الموضوع جورج مينرس احد ادباء الانكليز فقد تفرغ للبحث فيه بحثاً استقرائياً فجعل رائده المشاهدة والتحري ودليله القياس العقلي فتوصل الى نتيجة مرجعها الى شكل الوجه في المحبين . وقد دوَّن رأيه في مقالة طويلة نشرتها مجلة الستراند وخلاصتها انه وجد بالاختبار في نفسه وفي كثيرين من اصحابه وغيرهم ان التجاذب بين المحبين يرافقه على الغالب تباين في شكل الوجه ويشتد التجاذب بينهما كلما تباعد

الشبه بين وجهيهما فالوجه المستطيل يجتذب الوجه المستعرض وصاحب الانف الكبير يجذبه صاحب الانف الصغير وبارز الجبهة يحب غائرها وجاحظ العينين تسحره العيون الغائرة واسود العين يحب صاحب العين الزرقاء ومستدق الانف يحب مستعرضه وكلما تعددت اوجه الاختلاف بين المحبَّين توثقت عرى المحبة بينهما



(ش ١) بومبيوس القائد الروماني

فالوجوه تختلف باختلاف اصحابها حتى تكاد لا ترى وجهين متشابهين تمام المشابهة لتعدد اسباب الاختلاف • اذ لكل عضو من اعضاء الوجه عدة أوجه للاختلاف فالفم مثلاً يختلف طولاً واتساعاً وبروزاً واطمئناناً وثخانة ورقة وتقوساً واستقامة وقس على ذلك اختلاف شكل الشفتين ثخانة ولوناً واختلاف الانف والعين والحاجب والوجنة والذقن والجبهة وغيرها • وتختلف هذه الاشكال تقارباً وتباعداً باختلاف الامم واكثر الامم تناسباً في أشكال وجوههم القوقاسيون وأوسطها شكلاً الوجه المعبر عنه بالوجه اليوناني او الروماني (ش ١) لان اعضاءه متوسطة الحجم وفيها تناسب وشكله وسط بين الطول والقصر والعرض والضيق فاذا جعلنا هذا الوجه القاعدة الاساسية فكل ما يختلف عنه عدَّ خارجاً فاذا برز الانف أكثر من بروزه في هذه الصورة عد بارزاً او انخفض عنه

عد منخفضاً او ارتفعت الجبهة عن هذه عدت مرتفعة او انخفضت عنها عدت منخفضة



(ش ٢) زوجان وجه احدهما مستطيل ووجه الآخر مستعرض

والاختلاف في شكل الوجه اما ان يكون عاماً من حيث هيأته الاجمالية او تفصيلياً بالنظر الى اعضائه . ففي الحالة الاولى وجد ميترس المشار اليه ان صاحب الوجه المستطيل يحب صاحبة الوجه المستعرض والعكس بالعكس . وصاحب الوجه البيضي يتعشق صاحبة الوجه المربع وبالعكس وقد اتى بامثلة كثيرة سمى اصحابها . وفي الشكل الثاني صورة زوجين اشتهرا بالمحبة الشديدة عرفهما الكاتب المذكور



(ش ٣) الاختلاف التفصيلي في تقاطيع الوجه

واما الاختلاف التفصيلي بين الوجوه فعلى اشكال و يظهر غالباً بالتصوير الجانبي (البروفيل) فيظهر بروز الانف او اطمئنانه وطوله او قصره وبروز الذقن او نزوله · وفي الشكل الثالث مثال من هذه الاختلافات وبالنظر الى الرسم كفاية فان جبين الرجل فيه طويل وجبينها قصير وعينه افقية وعينها مائلة وانفه بارز كبير مستدق وانفها غائر قصير مستعرض وقس على ذلك سائر اعضاء الوجه فيهما

فالقاعدة العامة عند صاحب هذا الرأي ان الاوجه المتخالفة تتجاذب والمتشابهة تتدافع وتذكرنا قاعدته هذه بناموس التجاذب في الكهربائية اي ان الكهربائية الايجابية تجذب السلبية وبالعكس فالكهربائيتان المتخالفتان تتجاذبان والمتشابهتان تتدافعان · واذا أردنا تطبيق هذه القاعدة على الحب رأيناها تصدق على مابين الجنسين من التجاذب العمومي اي التجاذب بين الذكر والانثى على الاجمال · واما قاعدة مينرس فيشبهها رغبة الانسان في الغريب أو ميله الفطري الى تكميل مافيه من النقص باصلاح النسل باجتماع المتباعدين فيخرج من نسلها خلق وسط · وقد أتى مينرس المشار اليه بأدلة كثيرة لاثبات رأيه قال انه شاهدها بنفسه وتحققها بالمقابلة والاستقراء ومع ذلك فان رأيه لايزال محلاً للنظر والانتقاد حتى يؤيده التواتر ولا يعسر على قراء الهلال تطبيق هذا الرأي على من يعرفونهم من الازواج العشاق ـ والبحث بكشف الحقيقة

غنى النفس

كان للخليل بن احمد واضع علم العروض راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب والي فارس والاهواز فكتب اليه سليمان يستقدمه فكتب الخليل جوابه

ابلغ سليمان أني عنه في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحاً بنفسي اني لا ارى احداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

ان الذي شق فمي ضامنٌ ... للرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالاً قليلاً فما ... زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فاقامنهوأ قعدته وكتب الى الخليل يعتذر اليهِ وأضعف راتبه فقال الخليل

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زل عن يده فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

باب السؤال والاقتراح

الوشم

(تيناجاستا كاتاماركا · ارجنتين) نجيب افندي نصيف بعقليني

لقد أجهدني البحث عن أصل عادة الوشم اي النقش على الزند او الذراع اوالصدر مما هو شائع الى الآن في لبنان وغيره وطالعت كثيراً من كتب التاريخ فلم أعثر على تعليل يشفي الغليل ولماذا هذه العادة خاصة ببلاد العرب وما يليها ولم تشع في أوربا وأميركا فارجو ان تكشفوا لنا القناع عن اصلها

(الهلال) ليس الوشم خاصاً بالعرب وانما هو عادة قديمة لم تخل منها أمة من أمم التمدن القديم في سائر أقطار الارض ولا تزال شائعة حتى الآن في كثير من الممالك التمدنة فضلاً عن المتوحشة كما سترى

اما منشأها فالغرض الاصلي منه تمييز القبائل او الطوائف بعضها من بعض فكانوا يرسمون على يد الرجل أو صدره صورة أو رمزاً يشترك فيه سائر افراد قبيلته اوطائفته علامةً لهم يتعارفون بها · وكانوا ينقشون مثل هذه العلامة على دوابهم وانعامهم وعلى عبيدهم وجواريهم وعلى امتعتهم وأنوابهم وهي « السمة » او الوسم ولايزال أثر هذه العادة باقياً في ما تتخذه الدول من الشارة أو نحوها على الاعلام أوالثياب · ومن هذا القبيل ما يرسمه قبائل السودان وغيرهم على وجناتهم من الاخاديد فان لكل قبيلة سمة خاصة بها

وأما شكل السمة ونوعها فيختلف باختلاف المواطن والقبائل والمذاهب فبعض القبائل كانوا يجعلون سمتهم صورة اله من آلهتهم او صورة شيء ينتسبون اليهِ ويعبدونهُ

او يحترمونه كما يفعل بعض الامم المتوحشة اليوم في اوستراليا وأميركا والهند وجزائر المحيط وغيرها فان بعض تلك الامم يعتقدون انهم متسلسلون من الآلهة وبعضهم يزعمون انهم من نسل سمكة او حمامة او ثعبان او صقر او نحو ذلك · فاهل كل قبيلة يرسمون على ابدانهم صورة جدهم الاصلي ويعرفون به وهو ما يعبرون عنهُ بلفظ « توتم » وقد يجتمع رجال قبائل مختلفة على عبادة شيء يشتركون في اتخاذ سمته على ابدانهم · ولم يخل التاريخ القديم من الاشارة الى أمثال هذه السمة في العبيد وغيرهم · قال هيرودوتس في أثناء كلامه عن هيكل هرقل في مصر ما معناه « وكان على ذلك الساحل هيكل لهرقل لا يزال هناك الى الآن اذا لجأ اليه أحد العبيد وسم نفسه بخدوش مقدسة لكي يبقى موقوفاً للاله فلا يؤذن لاحد ان يمدّ اليهِ يدهُ وهذه العادة محفوظة منذ انشاء الهيكل الى اليوم .. » ولعل في كلام بولس الرسول الى غلاطية ما يشير الى ذلك بقوله « فلا يعنني أحد فيما بعد فاني حامل في جسدي سمات الرب يسوع » وكان بعض انصار النصرانية قديماً يسمون ابدانهم بمثل جروح السيد المسيح تبركاً وورعاً · على ان بعض الشهداء كانوا في أوائل النصرانية يسمون جباههم باسم المسيح · ومن هذا القبيل ما شاع بعد ذلك من رسم الصليب على الرؤوس والاذرع او الزنود ولا يزال هذا شائعاً عند طوائف النصرانية الى اليوم في سائر انحاء العالم وهو ضرب من الوشم

فترى بين الوسم والوشم تقارباً معنوياً مثل تقاربهما اللفظي ولا ريب ان اللفظ كان في الاصل واحداً كما كان الفعل واحداً ثم تشعب اللفظ مثل تشعب المعنى · فكان الناس قديماً يتخذون السمة للتمييز بين القبائل او الطوائف كما قدمنا وكانت السمة شاملة للناس الاحرار والعبيد والدواب والانعام والآنية وكانوا يسمون بالكي او الجرح او نحوهما · ثم تدرجوا الى ابدال ذلك في الناس بالوشم على ابدانهم بابرة تغرز في الجلد ثم يذر عليها النؤور (النيلة) وسموا هذا العمل « الوشم » ولم يحصل ذلك التشعب اللفظي والمعنوي دفعة واحدة بل حدث تدريجاً عملاً بسنة الارتقاء

ولما شاع الوشم تفننوا فيه وصاروا يرسمون بهِ ما يتراءى لهم من الرموز والاشارات أو العلامات أو الرسوم كصور بعض القديسين أو عظماء الرجال أو تاريخ الولادة أو صورة القبر المقدس او بعض شارات الشجاعة كالسيف او الرمح او السفن او بعض الحيوانات الكاسرة كالاسد والنمر والنسر او الافعى او غير ذلك مما لا يحصى · ولم يعد الغرض منهُ محصوراً بالاعتقاد الديني او الرابطة الوطنية فقد اصبح كثيرون يستعملونه للزينة في الامم

المتوحشة وفي غيرها حتى في العالم المتمدن . فالوشم شائع اليوم في بريطانيا العظمى واليابان وفي اواسط اميركا وجنوبيها وفي اوستراليا وافريقيا ذكوراً واناثاً كما كان شائعاً عند الرومانيين والجرمان القدماء والغاليين . وقد تفنن اهل التمدن الحديث في اساليب الوشم تفنناً عجيباً . واكثرهم رغبة في ذلك الانكليز والاميركان واهل بورما واليابان وفيهم من يغطي زنديه وصدره وبعضهم يغطي كل بدنه بالرسوم المختلفة . ناهيك بالوشم الشائع في الامم المتوحشة دينياً اواجتماعياً في جزائر المحيط وغيرها مما يطول شرحه . وهم يشمون الجلد بابر مجوفة يملأونها حبراً هندياً باللون الذي يختارونه ويدق على الجلد غرزاً متوالياً حتى يفرغ الدقاق من الرسم وقد زهقت نفس الموشوم من شدة الألم . على انهم يصبرون على هذه العملية رغبة في الزينة كما يصبر اهل التبرج من نسائنا على آلام المشد واضراره لنفس هذا السبب . ولليابانيين شهرة طائرة في صناعة الوشم ولها منزلة رفيعة عندهم وقد اشتهر منهم جماعة كبيرة باتقانها وكثيراً ما يغتنم كبار السياح مرورهم باليابان فيقصدون اولئك الدقاقين ويكلفونهم رسم شيء على زنودهم او صدورهم بحيث يستتر تحت الثياب وقد فعل ذلك جماعة من اشراف الانكليز واعضاء العائلة المالكة

ومع ذلك فالحكومة اليابانية كثيراً ما تمنع الوشم وتأمر بالقبض على الواشمين . واتفق منذ بضعة اعوام انها اصدرت امرها بمنع الوشم وكان في جملة اهل هذه الصناعة رجل اسمه هوري شيو امتاز باتقان الوشم وقصده الناس من انحاء العالم وسرّ اتقانه انه اضاف الى الوان الحبر لوناً جعل الوشم به زاهياً جميلاً . فلما صدر الامر بايقافه عن العمل اجاب انه لا يشم اليابانيين وانما يقتصر في صناعته على الاجانب وانه وشم وليّ عهد الروس (القيصر الحالي) لما جاء اليابان فرسم على ذراعه صورة التنين ثم وشم عدة من اشراف الاجانب اصحاب الملايين قال : « وزد على ذلك ان الوشم من جملة الفنون اليابانية الجميلة فلا يليق ابطاله » فلم تصغ الحكومة الى اعتراضه واصرّت على منعه فبلغ خبر ذلك الى غني من اصحاب الملايين في نيويورك وكان قد عرف الرجل في يوكوهاما فعرض عليه ان ينتقل الى نيويورك فطلب راتباً مقداره ٢,٤٠٠ جنيه في العام فاجابه الى طلبه

وللاميركان رغبة شديدة في الوشم رجالاً ونساء يبذلون فيه المال الكثير ومنهم من يشم ذراعيه فقط وفيهم من يشم صدره او ظهره وفيهم من يشم كل بدنه بالرسوم المختلفة فاذا نظرت اليه ظننته لابساً ثوباً مصوراً . وقد كثر اهل هذه الصناعة عندهم وهم يأخذون على وشم البدن كله مئة جنيه الى ١٥٠ جنيهاً . ومن الناس من يشم بدنه ليعرضه على المتفرجين

ويتكسب به او يرغب الناس في الوشم . وهم يرسمون على ابدانهم صوراً شتى دينية وغير دينية وينقشون اسماءهم وتاريخ ولادتهم والمتزوج منهم بنقش صورة امرأته او اسمها او نحو ذلك



فرنك دي بورج

ومن اشهر الموشومين في اميركا المستر وليمس وامرأته والمستر فرنك دي بورج وامرأته وكثيراً ما عرض هذا الاخير نفسه في انكلترا وغيرها كما تراه في الشكل وهو اتقن صناعة الامريكان الى اليوم . وشمه رجل ايطالي اسمه ليوناردو دافنشيني والناظر اليه يحسبه رسماً بالالوان الزيتية . فان على ظهره رسم السيد المسيح مصلوباً مما يدهش الابصار فضلاً عما تراه من الرسوم الجميلة على صدره وقد صوّر في اواسط الصدر حورية تحمل شريطاً عليه هذه العبارة الانكليزية (forget me not) اي لا تنسني وتحت الحورية ازهار تحتها اسم امرأته (Emma) وتحتها اسم العائلة (de Burgh) وعلى ظهر امرأته مثل هذه الرسوم واسماها معاً (فرنك واما) وتحت ذلك الآية الذهبية: احبوا بعضكم بعضاً)

وجملة القول ان الوشم قديم ولا يزال شائعاً الى الآن وان اختلف الغرض منه باختلاف الاعصر



طرابلس الشام

(سان بدرو دي ماكوري) ابراهيم افندي اسبيريدون دريبي

هل كانت طرابلس الشام عامرة قبل المسيح ومتى بنيت ومن بناها وسماها بهذا الاسم

(الهلال) عمرت طرابلس الشام في ايام الفينيقيين وكانت في العصر الفارسي مقرًّا للمجلس المتحد المؤلف من مندوبي صيدا وصور وارادوس فكانت مقسومة الى ثلاثة اقسام يقيم في كل قسم منها مندوبو احدى المدن المذكورة فلما استولى اليونان على سوريا سموها Tripolis اي المدن الثلاث وضربوا فيها النقود من القرن الاول قبل الميلاد

الماسون والفرماسون

(الاسكندرية) فهيم افندي الياخي بقومبانية ميدانئد

هل الماسون والفرماسون شيء واحد وما الفرق بين اللفظين

(الهلال) ان اللفظين يدلان على الجمعية الماسونية وكلاهما مأخوذ عن الفرنساوية فاللفظ الاول تعريب Macons ومعناه البناؤون . والثاني اصله بالفرنساوية Franc-macon (فرانماسون) بناء حرّ وجمعه البناؤون الاحرار وبعضهم يرد لفظ فرماسون الى Frère maçon اي الاخ البناء

السياح في مصر

شناؤك يا مصر للنازل	كقطر الدموع من الثاكل
له نفس كرجاء المحب	خالطه لهف العاذل
وفي بقعة كجمال الحليّ	تبصرها أعين العاطل
على نهر كسماء الشروق	تبسم في وجنة الخامل
تمرُّ على القلب أنفاسه	باطيب من أمل الآمل
وقد دفن الدهر في شاطئيه	اسرار تاريخه الكامل
فيكدر كالظلم حيناً وحيناً	يحاكي صفا نيّة العادل

كأن السفين على مائه ... خواطر في مهجة الغافل
فذاك الشراع بياض المنى ... وذاك الدخان من الباطل

***

ويا مصر ارضك مهد الصبا ... هناءً وعطفاً على النازل
فمن روضة كابتسام الزمان ... الى نسمة كوفا الماطل
الى راحة كدبيب الشفاء ... الى الخصب في منكب الذابل
الى اثر في يدي باحث ... كما اشرق النصر للباسل
ومنا ومنهم يرى الناظرون ... فرق المفيق من الذاهل
وفينا وفيهم يرى العالمون ... قدر العليم من الجاهل
فهم في اضطراب كموج البحار ... ونحن من الهدء كالساحل
وهم يفعلون ومنا الصياح ... وأين القؤول من الفاعل
وقدماً بطلوا الرق الا النفوس ... فالله من حيلة العاقل
اذا وقع الصيد في كفة ... وان وسعت فهو للحابل

***

ويا ترجماننا لهذا الغريب ... أتطمع في العرض الزائل
تجيبهم كلما يسألون ... بما بغض الشرق للسائل
ولو عرف القوم ما ساءلوا ... سوى الحجر الصامت القائل
ولكننا أمة لم تزل ... من الذل في خدمة الخاذل
اذا ما اساءت يقولون في الحق ... أو احسنت قيل في الباطل
وان بلد لم يكن خيره ... لابنائه فهو كالماحل

طنطا ... مصطفى صادق الرافعي

وكلاء الهلال في القطر المصري

نرجو من حضرات المشتركين في مصر والاسكندرية اعتماد محمد افندي رمضان بدفع بدلات الاشتراك فيهما ونرجو من مشتركينا الكرام في الوجه القبلي اعتماد زكي افندي فهمي بدفع بدلات الاشتراك ولا يجوز الدفع في كل حال الا بوصولات مطبوعة وممضاة من مدير الهلال او منشئه — واما الوجه البحري فسنعين وكيله ونذكره في فرصة اخرى

حقوق الطبع والترجمة بمصر

(الاسكندرية) سليم افندي سعيد

اطلعت في الجزء الثالث من هلال هذه السنة على فقرة تتعلق بنقل بعض كتبكم الى اللغات الاوردية والفارسية والانكليزية وغيرها وان الذين نقلوها الى اللغتين الاولين لم يستأذنوكم ولم يمنعهم ذلك من الترجمة والنشر فكيف حدث ذلك وللمطبوعات عند الدول قوانين تحفظ فيها حقوق المؤلفين فلا يستطيع احدٌ الاقدام على ترجمة كتاب او طبعه الاَّ باذن صاحبه . اليست مصر داخلة في هذه القوانين وماهي تلك الحقوق وماالذي فلمتموه بشأن الذين ترجموا كتبكم بلا اذن

(الهلال) لكل مؤلف حقوقٌ أدبية وحقوق مادية او قانونية . فالحقوق الادبية يحكم بها الرأي العام وتقضي بها آداب الكتابة وتوجبها مصلحة المترجم اذ قد يتفق ان يكون المؤلف نفسه آخذاً في نقل كتابه الى اللغة التي ينوي المترجم نقله اليها فيضيع تعبه سدى . وأما الحقوق المادية فهي الكسب المالي . لان مؤلف الكتاب هو صاحبهُ والكتاب صنع قريحته وغرة عقله فهو يملكه كما يملك صاحب العقار عقاره . فاذا أقدم سواه على الانتفاع به بغير اذنه عدَّ ذلك اجحافاً بحقوقه ولذلك وضعت الممالك المتمدنة قوانين تراعى فيها حقوق المؤلفين يسمها الانكليز copyright ومن شروطها ان المؤلف الذي يطبع كتابه في حياته يحفظ حقه فيه مادام حياً ويبقى الحق لورثته سبع سنين بعد موته بشرط ان لا تكون المدة من تاريخ نشر الكتاب للمرة الاولى الى انقضاء السنين السبع المذكورة اقل من ٤٢ سنة . اما اذا نشر الكتاب بعد وفاة مؤلفه فيكون لورثته الحق في طبعه الى انقضاء ٤٢ سنة من تاريخ الطبعة الاولى . وقد نهض المؤلفون الآن يطلبون تعديل هذه القوانين لان المدة المضروبة لحفظ تلك الحقوق قلما تفيد ورثة المؤلف وقد لا يرجى لهم نفع من طبع الكتاب الاَّ بعد انقضاء تلك المدة

اما مصر فليس لها قانون خاص للطبع والترجمة ولكن حقوق المؤلفين تحفظ فيها كما تحفظ حقوق الصناع والتجار اذا لحقهم ضرر من انتحال صناعتهم او تجارتهم فان الحكومة تحكم لهم بتعويض ذلك الضرر بعد ثبوته . ولم تسن مصر قانوناً خاصاً بحقوق الطبع لحداثة عهدها في عالم التأليف مع قلة المؤلفين وكساد سوق الكتب اذ قلما يقدم أحد على طبع كتاب مخافة ان يخسر نفقات طبعه . فضلاً عما في اطلاق حرية الطبع والنشر

من تنشيط العلم والادب · بل هي كانت الى عهد غير بعيد تنفق الاموال من خزينتها لتنشيط المؤلفين بابتياع كتبهم ولو لم يكن لها نفع من ابتياعها

اما الآن وقد اخذت هذه النهضة في النضج وتكيفت الصحافة وظهرت عدة مؤلفات مهمة فيجدر بالحكومة المصرية ان تضع لائحة خاصة بالمطبوعات تعين فيها حقوق المؤلفين بما يغنيهم عن اثبات وقوع الضرر من تجرؤ الآخرين على الانتفاع بمؤلفاتهم فتجعل مجرد اقدام احد على طبع كتاب غيره أو ترجمته مخالفاً للقانون وتفرض حصول الضرر مهما كان — ولا نرى في ذلك تثبيطاً للهمم بل نرى فيه المحافظة على الحقوق وصيانتها · وان تدخل في المعاهدات الدولية المتعلقة بذلك لحفظ تلك الحقوق في الخارج اذ لا يليق بمصر بعد ان تضاهي ارقى الممالك المتمدنة في نظامها الاداري والسياسي والقضائي ان تبقى حقوق الطبع والترجمة فيها فوضى

على ان المؤلف يسره ان يروج كتابه ويتسابق الناس الى ترجمته وطبعه ولكن يسوءه ان يفعلوا ذلك بغير علمه ولا يطلع عليه الا عرضاً كما اتفق لنا في ما ذكرناه عن ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي الى الاوردية والفارسية وبعض رواياتنا الى اللغة الفارسية · وقد علمنا الآن (بالعرض ايضاً) ان بعض رواياتنا الاسلامية ترجمت الى اللغة الاوردية بعناية رصيفنا محرر جريدة وكيل الهندية مترجم تاريخ التمدن الاسلامي وبعضها ترجمها محرر جريدة بيزا اخبار — علمنا ذلك من حضرة السيد محمد عمر احد تلامذة الطب في لاهور كتب الينا في بعض الشؤون المتعلقة به وذكر عرضاً انه اطلع على روايات فتاة غسان وعذراء قريش وارمانوسة المصرية في اللغة الاوردية (الهندستانية) فكتبنا اليه نستزيده ايضاحاً ونطلب اليه ان يرسل الينا امثلة من تلك الترجمات فجاءنا جوابه بالامس يقول فيه ان احدى رواياتنا ترجمتها ادارة جريدة بيزا اخبار في مدينة لاهور وان ارمانوسة المصرية ترجمتها ادارة جريدة وكيل وكذلك فتاة غسان وقد ظهر الجزء الاول منها واما الثاني فقد ترجم ولكن ترجمته تحتاج الى تنقيح وقد عهد اليه بتنقيحها

وكنا قد عتبنا على رصيفنا محرر جريدة وكيل لانه ترجم تاريخ التمدن بغير علمنا فجاءنا كتابٌ من حضرة محمد افندي حليم الانصاري احد محرري جريدة اوده اخبار اليومية في لكنهو يظهر فيه عذر حضرة المترجم في ذلك واليك نص كتابه :

« ترجمتُ في مدة عامين من مؤلفاتكم الكتب الآتي بيانها بامر من سمو الجناب المنشي الفاضل الشيخ غلام محمد مدير ومحرر جريدة وكيل الغراء في امرتسر فنجاب (الهند) وهي :

الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي والجزء الاول من رواية فتاة غسان . والآن تترجم الجزء الثاني من كتاب تاريخ التمدن الاسلامي و بلغت منه الى صحيفة (١٢٠) وقد باشر طبع الكتب المذكوره حضرة الفاضل الامرتسري المذكور ونشر منها الاثنين الاولين والثالث تحت الطبع . وقد نشر ايضاً بعد الطبع ترجمة الرواية المسماة بارمانوسة المصرية حيث اخذ مني حق ترجمتها وكنت استاذنتكم بترجمتها منذ اعوام»

(لكنهو الهند) في ٣ مارس سنة ١٩٠٥ محمدحليم الانصاري

فالظاهر ان رصيفنا محرر جريدة وكيل اكتفى باجازة الانصاري وتوسع في سائر الترجمات فهو معذور ونحن انما طالبناه بالحقوق الادبية

اما الترجمات الفارسية فقد نشرنا في الهلال الثامن ما جاءنا من السيد جعفر ابن الحاج علي اكبرخامنه ان البرنس عبد الحسين مرزا قد ترجم غادة كربلاء الى اللغة الفارسية بامر السيدة عزة الدولة عمة الشاه الحالي . وان تاريخ التمدن الاسلامي ترجمه ذكاء الملك صاحب جريدة تربيت . وان السيد جعفر المذكور استاذننا في ترجمة رواية ابي مسلم الخراساني التي نؤلفها هذا العام . فذكرنا في جوابنا هناك عتبنا على المترجمين واذنًا له بترجمة هذه الرواية . فجاءنا بالامس كتاب من دولة البرنس المشار اليه يذكر فيه السبب الذي حمله على الترجمة وانه اخذ في ترجمة رواية ابي مسلم وان كنا اذنا بترجمتها لسواه ــ وهاك نص كتابه وفيه تلطف وتواضع قال :

« يقول العبد المحتاج عبد الحسين ميرزا ابن مؤيد الدولة بن دولة شاه بن فتحعلي شاه المبرور الى حضرة جرجي زيدان سلام عليكم — وبعدقد اطلعت في العدد الثالث من هلال هذه السنة على جوابكم للمكتوب التبريزي في ذكر ترجمة غادة كربلاء الى الفارسية وذكرتم اسم هذا العبد (عبد الحي ميرزا) ولما لم يكن لنا نحن الايرانيين حياة فلا ينبغي ان نسمى عبد الحي ولعل التصحيف وقع من صاحب المكتوب . وعلى كل حال فان العبد من مخلصيكم والمترشحين من فيض اقلامكم وقد اسفت ان يكون اهل اللسان الفارسي محرومين من افاضاتكم فترجمت الكتب الآتي بيانها وهي : غادة كربلاء ١٧ رمضان ارمانوسة المصرية . الحجاج بن يوسف . وقد تم طبعها كلها . وشرعت من الآن في ترجمة رواية ابي مسلم (وان استاذن صاحب المكتوب بترجمتها) وقد ترجمت ماجاء منها في الهلال فارجو من اكرامكم ان ترسلوا الرواية ان يكن ممكنًا حتى اترجم باقيها الخ »

نقول : اما باقي الرواية فلا سبيل اليه قبل انقضاء السنة لاننا لا نكتب منها الاّ ما

يظهر في الهلال أولاً فاولاً . ونتقدم الى دولة البرنس بواجب الشكر على عنايته في نقل هذه الكتب الى اللسان الفارسي ونثني على تلطفه بذلك الكتاب فانه يشف عن مناقب الملوك وسجايا اهل الفضل

وقد جاءنا ونحن نكتب هذه السطور كتاب من رصيفنا ذكاء الملك صاحب جريدة تربيت الفارسية في طهران يقول فيه انه اناً أراد تلخيص تاريخ التمدن الى الفارسية لينشره في جريدته وقد اطلعنا على بعض ما نشرهُ فيها فنشكره على ذلك ولا نرى بأساً من نشره في كتاب على حدة اذا رأى من ذلك فائدة لقراء اللغة الفارسية



(العسر) العسر استخدام اليد اليسرى دون اليمنى وهو الاقل في الناس لأن ثمانين في المئة من الناس يستخدمون يمناهم والباقون يستخدمون يسراهم . على أنهم وجدوا بالتحري والاستقراء ان معظم الناس قادرون من فطرتهم على استخدام اليدين معاً ولكنهم قلما يفعلون ذلك لتغلب استخدام اليمنى عندهم ولان الامهات والمربيات يأمرن الاطفال باستخدامها. اما لو ترك الاطفال لفطرتهم في استخدام أيديهم لخرج ثمانون في المئة منهم يستخدمون اليدين على السواء و١٧ لا يستطيعون استخدام يسراهم و ٣ فقط لا يستطيعون استخدام يمناهم . اي ان معدل العسر وضده في الناس بحسب الفطرة ان يكون في كل مئة انسان ٣ يستخدمون اليد اليسرى فقط و ١٧ يستخدمون اليد اليمنى فقط و ٨٠ أعسرَ يسَر يستخدمون اليمنى واليسرى معاً . ولذلك كان « العسر يسر » قديماً اكثر منهُ الآن فكان اليهود القدماء يتفاخرون به ويكرمون أصحابه وكان شائعاً خصوصاً في سبط بنيامين وربما كان في الجند فرقة برمتها عسراء . فقد جاء في سفر القضاة (ص ٢٠ ع ١٦) انه كان في سبط بنيامين ٧٠٠ رجل عسر الايدي يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئون والمراد بهذه العبارة على الغالب انهم كانوا يرمون باليدين على السواء كما يؤخذ من موقف آخر في سفر الايام الاول (ص ١٢ ع ٢) اذ يقول « وكانوا متسلحين بالقسيّ وهم

معركة	سنة ب م	المحاربون	بقيادة	ضد	المنتصر	نتيجة الحرب
اوسترليز	١٨٠٥	فرنسا	بونابرت	النمسويين	بونابرت	معاهدة بطرسبورغ
لامسكوفا	١٨١٢	»	»	الروسيين	»	اخذ موسكو
ليبسك	١٨١٣	»	»	نمساوبروسيا	الدولتان	سقوط نابليون
واترلو	١٨١٣	»	»	انكلتراه	»	هزيمة نابوليون
القرم	١٨٥٤	فرنساوانكلتراوتركيا		الروسيا	الدول الثلاث	حصر سباستبول
سادوفا	١٨٦٦	بروسيا	دي ملتكه	النمسا	بروسيا	ظهور شأنها
سيدان	١٨٧٠	»	غليوم او مولتكه	فرنسا	»	تسليم جيش فرنسا
مس	١٨٧٠	»	فردريك شارل	»	»	حصر جيش فرنسا
شامبيني	١٨٧٠	»	دي مولتكه	»	»	حصر باريس
بلافنا	١٨٧٧	الروسيون	توتلبن	العثمانيين	روسيا	تسليم بلافنا

مطبوعات جديدة

﴿ قاموس اللغة القبطية ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لمؤلفه اقلاديوس بك لبيب صاحب مجلة عين شمس والقائم بنهضة اللغة القبطية واحياء آدابها بكتبه ومجلته والكتاب المذكور فريد في بابه فضلاً عن سعته اذ ربما يدخل في الف صفحة كبيرة . وقد ظهر منه ثلاثة اجزاء في نحو سبعماية صفحة وستصدر الاجزاء التالية تباعاً . وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر ولا يباع الا كاملاً بكل اجزائه وثمن النسخة منه ٣٠٠ غرش مصري . فمن أراد اقتناءه اشتراه واستلم ما ظهر من اجزائه ثم يستلم الاجزاء الباقية عند صدورها

﴿ طولة العمر ﴾ هو كتاب صحي جدّي في قالب الفكاهة تاليف شكري افندي الخوري صاحب كتاب التحفة العامية الذي اشرنا اليه في غير هذا المكان . واما كتاب طولة العمر فموضوعة الحث على حفظ الصحة والوقاية من المرض باسلوب السؤال والجواب بلغة سوريا العامية في قالب فكاهي مجوني جميل يدلّ على سلامة ذوق حضرة المؤلف . والكتاب جزيل الفائدة للعامة على نوع خاص لانه يخاطبهم بلسانهم . ويرى الاديب فيه

لذة وفكاهة وفائدة فنثني على حضرة المؤلف ونحث القراء على مطالعة كتابه

اليد المخضبة بالدماء هي سلسلة روايات من تاليف هنري جوفين مؤلفة من ثلاثة اجزاء الاول قتيل كلامار والثاني رجال العصبة والثالث اللص الليلي وقد عني حضرة حنا افندي صاوه بتعريبها كلها في مجلد واحد طبع بنفقة احمد افندي الرفاعي وهي تطلب من حضرته في الاسكندرية ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش صاغ

رواية الجنتين بعد ثماني سنوات هي تاليف فريدريك سوليه نقلها الى العربية حنا افندي صاوه ايضاً وطبعت بنفقة منصور افندي عبد المتعال الكتبي بمصر · وتطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش صاغ

عظة النساء هو كتاب ادبي تهذيبي يبحث في المراة وواجباتها اليومية تاليف علي افندي فكري كاتب اول ونائب امين الكتبخانة الخديوية مداره على مغزى بيتين شهيرين صدَّر الكتاب بهما وهما :

انما المرأة مرآة بها كلما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

فنثني على حضرة المؤلف ونحث السيدات على مطالعة كتابه

مناظرة ابن يونس القناني وابي سعيد السيرافي عني حضرة صديقنا الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير بنشر مناظرة جرت بين الفيلسوف متى بن يونس القناني والنحوي ابي سعيد السيرافي في اوائل القرن الرابع للهجرة كما رواها ابو حيان التوحيدي · وصدرها الاستاذ بلاحظات مهمة عن حال المتناظرين وعلمها ومنزلة الرواية من الصحة او الريب على نحو ما اشتهر به حضرتهُ من دقة البحث وصدق النظر · وألحق المناظرة بترجمتها الانكليزية ترجمة دقيقة · فنثني على فضلهِ وعلمهِ لما يخدم بهِ لساننا العربي من الخدم الجزيلة

تقرير عن حوض النيل الاعلى وضع السير وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية تقريراً مطولاً بالانكليزية عن حوض النيل الاعلى بعد ان درس هذا الموضوع بنفسه خمس سنوات متوالية فذهب الى اعالي النيل في بحر الجبل وتفقد البحيرات الاصلية · وسيبنى على هذا التقرير اصلاح النيل الابيض وقد ضمنه كثيراً من الابحاث الزراعية والجغرافية والجيولوجية والهندسية واوضحه بالرسوم الفوتوغرافية والخرط الملونة المضبوطة وفيه نحو مئة صورة وخمسين خارطة · وقد طبع بنفقة الحكومة المصرية طبعاً

منقناً . ولا يطلع احد على هذا التقرير الاَّ اعجب بعلم صاحبه ودقة بحثه . وفي ذيله تقرير المسيو ديبوي في مصلحة الري عن بحيرة تسانا وانهر السودان الشرقي وهو ايضاً مفيدٌ جدًّا

﷼ تقويم المؤيد ﷼ لصاحبه محمد افندي مسعود المحرر بالمؤيد . وهو اتقن تقويم عربي ظهر في مصر وقد حوى من الفوائد التاريخية والادبية والسياسية والادارية والقضائية والزراعية والعلمية والصناعية وغيرها ما لا يمكن العثور عليه الاَّ بمطالعة مئات من المجلدات في العربية والافرنجية ومع ذلك فانه صغير الحجم يسهل حمله لرقة ورقه وصغر حرفه مع وضوحه وجلائه . وهو مجلد بجلد مذهب لين بغاية الاتقان . وثمن النسخة خمسة قروش صاغ واجرة البريد قرش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

﷼ غادة الترانسفال ﷼ هي رواية ادبية تهذيبية غرامية تأليف حضرة رصيفنا عبده افندي بدران محرر جريدة الصباح . وموضوعها « طهارة فقدت ضحية الخيانة » ولذلك سماها غادة الترانسفال او الطبيب الخائن وفيها عبرة وموعظة . وهي تطلب من حضرة المؤلف بالاسكندرية وثمن النسخة خمسة قروش والبريد قرش

﷼ تحرير المرأة ﷼ هو كتاب اصلاحي يغني اسمه عن وصفه تأليف قاسم بك امين المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية وقد نفدت طبعته الاولى بمدة قصيرة فاعيد طبعه على نفقة المكتبة الشرقية باذن حضرة المؤلف فنحث اهل الادب على اقتنائه وهو يطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش صاغ

﷼ باب القراءة وبحر الآداب ﷼ اهدانا حضرة الاخ بلاج مفتش اللغة العربية بمدارس الفرير بمصر الجزء الاول من « باب القراءة » لتعليم الاحداث مبادئ القراءة وهو موضوع على اسلوب حديث في ذيل كل صفحة منه حروف من شكل الرقعة يمرن بها التلميذ على قراءة الخطوط . واهدانا حضرته ايضاً الجزء الاول من كتابه « بحر الآداب » لتمرين التلامذة على القراءة وهو اسم على مسمًّى لانه ضمنه كثيرًا من الفوائد الادبية والتهذيبية في سياق الحكاية او الرسائل او الحكم او الاشعار فضلاً عن قطع في الحقوق والواجبات وكلها منتقاة من احاسن المنثور والمنظوم . وقد طبعها طبعاً جميلاً متقناً مضبوطاً بالشكل الكامل . والكتابان يطلبان من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة من بحر الآداب خمسة قروش صاغ ومن باب القراءة قرش

﷼ كتاب الارب في غيث الادب ﷼ هو شرح قصيدة الطغرائي المشهورة التي مطلعها :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وقد عني بطبعه المرحوم عبده بني باباد وبولس وصدره بترجمة الناظم . والكتاب يطلب من المكتبة السورية في بيروت وثمن النسخة ثلاثة غرش غير اجرة البريد

❊ تعليم اللغة الانكليزية ❊ اهدتنا مطبعة الاميركان في بيروت الجزئين الأول والثاني من كتاب تعليم اللغة الانكليزية لاهل اللسان العربي تاليف حضرة المستر ستيوارت جسب وداود افندي قربان وقد بنياه على طريقة الاميركان في تعليم اللغات الاجنبية التي يقدمون فيها تصريف الافعال على سواه والكتاب يطلب من مطبعة الاميركان في بيروت

❊ تقويم الازهر لسنة ١٣٢٣ ❊ ظهر هذا التقويم لصاحبه الشيخ محمد محمد عمر الاسطنهاوي الفلكي وهو يشتمل على قسمين الاول لمصر وما يقاربها كالبصرة وطرابلس الغرب ونحوها والثاني للخرطوم وما ماثلها وفيه تعريف الكواكب السيارة والثوابت وبعض عجائب السموات

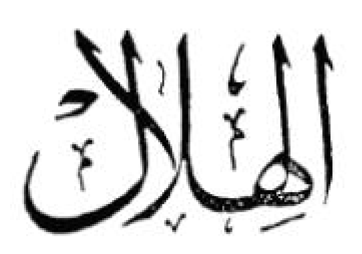
❊ نتيجة سنة ١٣٢٣ هجرية ❊ وظهرت هذه النتيجة ايضاً لصاحبها السيد احمد الزيني الشريني وتتضمن مواقيت الصلاة بالساعات العربية والافرنجية والمواسم والاعياد والانتقالات والاستقبالات والاجتماعات والفصول ومنشا التواريخ وغير ذلك

❊ التمرين العبامي في التعلم الاساسي ❊ هو كتاب مدرسي لتعليم القراءة المضبوطة تاليف الشيخ محمد ابو الذهب الكتبي بطنطا وقد صححه الشيخ مصطفى بركه مدرس اللغة العربية بمدرسة الاقباط الكبرى بطنطا وظهر منه الجزءان الاول والثاني و يطلبان من حضرة المؤلف

❊ المدى ❊ هي مجلة اسلامية علمية ادبية عمرانية اصلاحية تصدر بمصر مرة في الشهر لمديرها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية بالسيدة زينب بدل اشتراكها اربعون قرشاً بمصر والسودان و ١٢ فرنكاً في الخارج فنرجو لها الثبات والنجاح

كنيسة السوريين الارثوذكسيين في القاهرة

تبشر ابناء الطائفة الارثوذكسية السوريين في القاهرة ان الهمة تجددت لانشاء الكنيسة التي طالما استنهضنا الهمم لانشائها . وقد اجتمعت الطائفة اجتماعها الاول في قاعة الجمعية الخيرية بالفجالة وشرعت بالاكتتاب فاكتتب الحاضرون بمبلغ يبشرنا بنجاح هذا المشروع . وستتعين لجنة تزور الذين لم يحضروا الاجتماع لكي يكتتبوا بما تجود به نفوسهم فالامل ان يؤكدوا حسن ظننا بهم جزاهم الله خيراً



الجزء الثامن من السنة الثالثة عشرة

١ مايو (ايار) سنه ١٩٠٥ و ٢٦ صفر سنة ١٣٢٣



اليوبيل المئيني

لتأسيس الاريكة الخديوية

ستحتفل مصر في ١٣ مايو الجاري بتذكار مئة عام مرت على تأسيس الاريكة الخديوية اي منذ أفضت أزمة مصر الى محمد علي باشا جدّ العائلة الخديوية. وقد كنا اول من استلفت الاذهان الى الاحتفال بذلك منذ بضع سنوات فصدرنا الهلال السابع عشر من السنة الخامسة الصادر في اول مايو سنة ١٨٩٧ الموافق ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣١٤ برسم محمد علي وهي السنة التي فيها وطئ محمد علي باشا هذه الديار للمرة الاولى وهاك نصّ قولنا :

« نصدّر هذا الهلال برسم هذا الرجل العظيم تذكاراً لمئة عام هجرية انقضت منذ وطىء الديار المصرية للمرة الاولى فقد جاءها جندياً مكدونياً في العمارة العثمانية التي رست في جون ابي قير سنة ١٢١٤ هـ بقيادة حسين قبطان باشا مع العمارة الانكليزية بامارة السير سدني سميث لاخراج الفرنساويين من مصر . وهو يوبيل مئيني يجدر

بالديار المصرية ان تحتفل به احتفالاً يليق بمن غرس الاصلاح في ربوعها ونشر لواء العلم بين اهلها »

وأما الآن فقد تألفت جمعية وطنية برئاسة سعادة محمد باشا الشواربي للاحتفال بمرور مئة عام فرنجي منذ تولى محمد علي الاريكة الخديوية . فيجدر بنا والحالة هذه ان ننشر ترجمة هذا الرجل في نشأته الاولى حتى قبض على أزمة الحكومة وأما أعماله واصلاحاته ومشروعاته فقد نشرناها في الهلال غير مرة :

اولا نشأة محمد علي الاولى

انظر الى خارطة بلاد الروملي في سواحلها الجنوبية على مسافة ٣٢٠ كيلومتراً من الاستانة غرباً تر قرية اسمها قواله لا يزيد عدد سكانها على ثمانية آلاف نفس . وكان في تلك القرية في أواسط القرن الماضي رجل اسمه ابراهيم آغا كان متولياً خفارة الطرق ولد له سبعة عشر ولداً لم يعش منهم الا واحد وفي سنة ١٧٧٣ توفي هذا الرجل وامرأته عن ذلك الولد وسنه اربع سنوات واسمه محمد علي

فاصبح الغلام يتيماً ليس له من يعوله غير عم اسمه طوسون آغا كان متسلماً على قواله فجاء به الى بيته شفقة عليه ثم ان المنية عاجلت طوسون فقتل بامر الباب العالي بعد ذلك بيسير فاصبح الغلام يتيماً قاصراً ليس من يلتفت اليه

وكان لوالده صديق يعرف بجربتجي براوسطا فشفق على الغلام وجاء به اليه وعني بتربيته مع اولاده . على ان ذلك لم ينس الغلام حاله من اليتم فكان يشعر بالذل وضعة النفس . ويروى عنه بعد ان ارتقى ذروة المجد واعتلى منصة الاحكام انه كان يحدث اخصاءه عما قاساه في صبوته من الذل الى ان يقول :

« وُلد لابي سبعة عشر ولداً لم يعش منهم سواي فكان يحبني كثيراً ولا تغفل عينه عن حراستي كيفما توجهت ثم توفاه الله فاصبحت يتيماً قاصراً وأبدل عزي بذلّ وكثيراً ما كنت اسمع عشرائي يكررون هذه العبارة التي لا انساها طول عمري وهي (ما ذاعسى ان يكون مصير هذا الولد بعد ان فقد والديه) فكنت اذا سمعتهم يقولون ذلك اتغافل عنه ولكنني اشعر باحساس غريب يحركني الى النهوض من تحت هذا الذل . فكنت اجهد نفسي بكل عمل استطيع معاطاته بهمة غريبة حتى كان يمرّ عليّ احياناً يومان وانا اسعى لا آكل ولا انام الا يسيراً . وفي جملة ما قاسيته اني كنت

مسافراً مرةً في مركب فتعاظم النوء حتى كسره وكنت صغيراً فتركني رفاقي وطلعوا الى جزيرة هناك على قارب كان معنا أما انا فجعلت اجاهد في الماء وسعي تتقاذفني الامواج وتستقبلني الصخور حتى تهشمت يداي وكانتا لا تزالان يانعتين وما زلت في ذلك حتى أراد الله ووصلت الجزيرة سالماً وقد اصبحت هذه الجزيرة قسماً من مملكتي الآن »

ومما يحكى عنه في ايام صبوته انه كان يختلف الى رجل فرنساوي مقيم في قواله اسمه الموسيو ليون من كبار التجار وكان محباً للفضيلة فحالما رأى محمد علي للمرة الاولى شفق عليه وأحب مساعدته لما توسم فيه من الفطنة والنباهة فكان يقدم له كثيراً من حاجياته ويسعفه بكل ما في وسعه حتى الفه محمد علي كثيراً — وهذا هو سبب وثوقه بالامة الفرنساوية بعد توليه الاحكام في مصر واستخدامه افراداً منهم في مصلحة البلاد . ويقال انه رحمه الله بعث سنة ١٨٢٠ الى الموسيو ليون المشار اليه يدعوه الى مصر يقضي فيها زمناً في ضيافته فاجاب دعوته ولكنه مات قبل قدومه فاسف عليه محمد علي كثيراً وبعث الى شقيقته هدية تساوي عشرة آلاف فرنك

قلنا انهُ ربي في صبوته ببيت جرنجي براوسطا وتعلم من صغره ما يتعلمه ابناء تلك البلاد من ألعاب السيف والجريد والحكم وما شاكل فنبغ فيها حتى اذا بلغ اشده انتظم في سلك الجهادية تحت ادارة مربيه فأظهر في تحصيل الضرائب مهارة وبسالة عجيبتين فرقاه الى رتبة بلوك باشي وزوَّجه احدى ذوات قرابته وكانت مطلقة وتملك جانباً من النقود والعقار فترك الجهادية وتعاطى التجارة وعلى الخصوص في صنف الدخان لانه اكثر اصناف التجارة في بلاده . وقد برع في تلك التجارة حتى اكتسب شهرة واسعة وثقة عظمى لدى عملائهِ وكان قد ذاق لذة التجارة واحبها مذ كان يتردد على المسيو ليون المتقدم ذكره ولذلك رأيناه بعد ان تولى مصر يوجه انتباهه بنوع خاص لتنشيط التجارة

وما زال يتعاطى التجارة الى سنة ١٨٠١ حينما عمد الباب العالي الى اخراج الفرنساويين من مصر بمساعدة انكلترا . وكان الفرنساويون قد جاؤا مصر تحت قيادة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ فحاربوا الامراء المماليك ودخلوها عنوة واقاموا فيها ثلاث سنوات والحكومة العثمانية تبعث اليهم الجنود وتحاربهم تارة وحدها وطوراً بمساعدة انكلترا وهم قائمون بين اقدام واحجام الى سنة ١٨٠١ فبعثت الحكومة العثمانية اليهم عمارة تحت قيادة حسين قبطان باشا وفيها جنود انكليزية وبعثت الصدر الاعظم في حملة من جهة البر

ثانياً · كيفية ارتقائه منصة الاحكام

كان محمد علي في جملة الجنود البحرية وقد تجنَّد اليها في جملة من تجند في براوسطا بصفة معاون لعلي آغا ابن مربيه على ثلاثمئة جندي الباني (ارناؤوط)

فجاءت العمارة الى ابي قير وكانت الغلبة هناك للفرنساويين ثم عاد علي آغا الى بلاده تاركاً رجاله تحت قيادة محمد علي وكان قد ترقى الى رتبة يكباشي

ثم تغلب العثمانيون بمساعدة العمارة الانكليزية وحملة الصدر الاعظم ودخلوا البلاد واخرجوا الفرنساويين منها فانسحبوا انسحاباً قانونياً وجعل رجال الحملة يهتمون بتأييد سلطة الباب العالي في مصر

وكان في الجنود العثمانية جماعات من الارناؤوط والانكشارية والغليونجية فتفرقت هذه الجنود لحماية مصر السفلى وبعض مدن الصعيد · اما الانكليز فكانوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون فنزلوا الاسكندرية ريثما يقيمون في القطر المصري والياً عثمانياً يؤيد سلطة الباب العالي ويكبح جماح المماليك وكانوا لا يزالون يحاولون الاستقلال

فاقاموا محمد خسرو باشا وكان في الاصل من مماليك حسين قبطان باشا وهو الذي سعى له في هذه الولاية فجاء القاهرة وقاصّ الذين كانوا فيها من محالفي الفرنساوية · وكان في يده اوامر سرية باعدام المماليك جملة باي وسيلة كانت فبعث الى محاربتهم وكانوا في الصعيد فتضايقوا ولم يروا وسيلة غير الالتجاء الى فرنسا فكتبوا اليها يستنجدونها وتكفلوا باجراء كل ما تطلبه منهم فلم يسعدهم الحظ بمساعدتها



الالبان (الارناؤوط) رجال محمد علي

اما الحملة التي بعثها خسرو باشا الى الصعيد فعادت ولم تأت بفائدة · ثم حاربهم مراراً في اماكن مختلفة وفي جملتها موقعة بعث اليها حملة وامر محمد علي وكان قد ترقى الى رتبة سرششمة وصار قائداً لاربعة آلاف من الالبانيين ان يسير في رجاله مدداً لتلك الحملة · فسارت الحملة وحاربت المماليك وانكسرت قبل وصول محمد علي ورجاله فنسب قائدها انكساره الى تاخر محمد علي عن المجيء وابلغ ذلك الى خسرو باشا وكان هذا حاقداً على محمد علي فاستقبل ذلك البلاغ بالتصديق واقرّ على اعدامه سرّاً وكتب

اليه ان يوافيه في منتصف الليل للمخابرة بعض الشؤون فادرك محمد علي مراده ولم يجب الدعوة ولم يرَ وسيلة لنجاته من مكيدته وعدوانه الاَّ بالالتجاء الى المماليك فانحاز اليهم واخذ في مخابرتهم سرًّا وجهرًا فتمكنوا بذلك التحالف من اخراج خسرو باشا من القاهرة قهرًا ففرَّ الى دمياط واقاموا مكانه طاهر باشا . ثم قتل طاهر واحتل محمد علي القلعة برجاله فنهض احمد باشا والي الشرطة اذ ذاك يطلب الولاية فاخرجه المماليك من القاهرة ذليلاً . ثم اتحد الجميع وساروا لمحاربة خسرو باشا في دمياط فأسروه وجاؤوا به الى القاهره وحجروا عليه في القلعة

أما الباب العالي فلما بلغه ما حدث في مصر بعث اليهم والياً اسمه علي باشا الجزائرلي فلم يصل القاهرة الاَّ بعد شق الانفس ولما وصلها عمد الى الكيد بالمماليك ومحمد علي فعادت العائدة عليه



الجند الذي نظمه محمد علي بمصر

وكان للمماليك زعيمان الالفي والبرديسي يتنازعان السلطة . وكان الالفي قد سار الى انكلترا يطلب مساعدتها على رفيقه للاستئثار بالسلطة . فلما عاد من سفرته اغتنم محمد علي تلك الفرصة واوغر صدر مناظره البرديسي عليه فنصب له مكيدة لم يقع فيها ولكنه فرَّ الى الصعيد فظن البرديسي ان جوَّ القاهرة قد خلا ولكن محمد علي كان له بالمرصاد فحرك الالبانيين واوعز اليهم سرًّا ان يثيروا عليه ويطالبوه برواتبهم فقاموا وتهددوا البرديسي

اذا لم يدفع اليهم المتأخرات فضرب على اهل القاهرة اموالاً واستبد في تحصيلها بعنف فهاجوا جميعاً فاضطر الى مغادرة القاهرة ولم يعد يرجع اليها • وكان ذلك سنة ١٨٠٤

فلما فرَّ الاميران لم يبق في القاهرة من رجال السلطة الا محمد علي فجمع اليه العلماء والمشائخ وتفاوضوا في اخلاء سبيل خسرو باشا فاقروا على ذلك وان يعود الى منصبه فاعادوه ولكنه لم يمكث فيه الا يوماً واحداً ثم اخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها الى الاستانة وكل ذلك بمساعي محمد علي ودهائه وسياسته • ثم تظاهر ان الامور لا تستقيم في مصر الا بتنصيب وال عثماني حرّ وأشار بتنصيب خورشد باشا وكان في الاسكندرية فوافقه العلماء والمشائخ في ذلك على ان يكون هو نائباً عنه في الاحكام بصفة قائمقام وبعثوا الى الباب العالي يخبرونه بذلك ويسترحمون تثبيت انتخابهم فاجيب طلبهم

على أن خورشد باشا رأى محمد علي مستأثراً بالنفوذ عليه بمن معه من الجند الالباني فخاف عاقبة ذلك فاستقدم جنداً مغربياً (الدالاتية أو الدلاة) يكونون له عوناً وقت الحاجة فادرك محمد علي قصده فوقف له بالمرصاد • ثم جعل الدالاتية يسيئون معاملة أهل القاهرة وينهبون ويقتلون اعتماداً على نفوذ الباشا فسئم أهل القاهرة منهم ولا سيما المشائخ والعلماء

وفي ٢ صفر سنة ١٢٢٠ ورد لمحمد علي خطٌ شريف بولاية جدة فالبسه خورشد باشا الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة وتقدمة قرب مخاصه منه فخرج محمد علي يريد الذهاب الى جدة وفي نفسه ان لا يخرج من مصر فقامت العساكر وطالبوه بالعلوفة فقال « هذا هو الباشا طالبوه بها » وسار الى منزله في الازبكية (قرب اوتيل شبرد) وهو ينثر الذهب على الناس فازدادوا له حباً ولخورشد باشا كرهاً

وبعد ثلاثة أيام (لا ندري ما دار في أثنائها بينه وبين علماء البلاد ومشائخها) سار المشائخ والعلماء جميعاً الى محمد علي في منزله ينادون بصوت واحد « لا نقبل خورشد باشا والياً علينا » فقال « ومن تريدون اذاً » قالوا « لا نريد أحداً سواك » فامتنع أولاً وجعل يرغبهم في خورشد ويحملهم على الاذعان والسكينة وهم لا يزدادون الا اصراراً على طلبهم فوافقهم فاحضروا له الكرك والقفطان والبسوه اياهما وبعثوا الى خورشد ان ينزل من القلعة فابى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بولاية محمد علي وعزل خورشد باشا فخرج هذا من القلعة بامر من الاستانة وغادر البلاد وفي نفسه من الغيظ على محمد علي ما ليس وراءه غاية

ولكن المماليك كانوا أشد غيظاً منه لما ظهر لهم من تلاعب محمد علي بهم واستخدامه اياهم لاغراضه. فثاروا وفي مقدمتهم الالفي فانه حالما علم بتولية محمد علي نزل بعصابته وخابر حكومة انكلترا بخلع محمد علي واشترط على نفسه انها اذا فعلت ذلك سلمها البلاد حالاً . فعلم قنصل فرنسا بذلك فعرقل مسعاه فعكف على مصالحة محمد علي باشا على شيء يرضي به الاثنان فلم يتفقا فعاد الالفي لمخابرة سفير انكلترا فاقنع هذا الباب العالي فبعث والياً اسمه موسى باشا مع العفو عن المماليك وكادت تنطلي هذه الحيلة لو لم يقم العلماء والمشايخ من جهة وسفير فرنسا في الاستانة من جهة أخرى ويوضحوا للباب العالي مقاصد المماليك فتثبت محمد علي ولكنه أمر ان لا يتعرّض للمماليك فيما بعد لصدور العفو عنهم قبلاً ولكن التقادير ساعدته فتوفي البرديسي بعد قليل ثم الالفي فتولى على المماليك شاهين بك ولكن شوكتهم ضعفت ولم تعد تقوم لهم قائمة



الالياذة العربية

وآداب اللغة العربية

لما قرظنا الالياذة العربية في الهلال ١٧ من السنة الماضية قسمنا الكلام في ذلك الى قسمين تكلمنا في القسم الأول عن « الالياذة العربية والشعر العربي » وارجأنا الكلام في القسم الثاني « الالياذة العربية وآداب اللغة العربية » الى فرصة أخرى . فاغتنمنا الآن ظهور « هدية الالياذة » التي عني حضرة نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف في رفعها الى صديقنا البستاني وقد جمع فيها ما قاله العلماء والشعراء والادباء في الالياذة العربية وصاحبها تقريظاً ووصفاً وعمدنا الى التكلم في تأثير هذا الكتاب النفيس على آداب اللغة العربية بوجه الاجمال فنقول :

ان نقل الالياذة الى لساننا العربي جعل لهذه النهضة مزية على سائر النهضات العربية ستخلد معها ويحيا ذكرها بها لان الالياذة بعد صبرها على الزمان ثلاثة آلاف سنة ولم يتغير شيء من رونقها فلا غرو اذا حسبناها خالدة . فكما يقال اليوم ان العرب نقلوا فلسفة اليونان وآداب الفرس والهند في النهضة العباسية في ابان التمدن الاسلامي

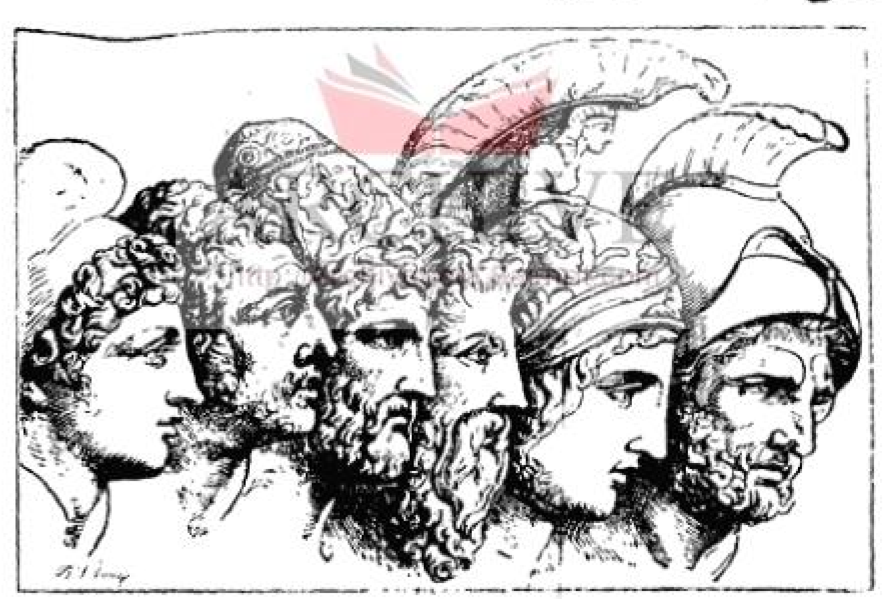
سيقال انهم نقلوا الياذة هوميروس احسن نقل في نهضة القرن العشرين . وسيكون نقلها في جملة مميزات هذه النهضة على سائر النهضات الاخرى . على اننا اذا نظرنا في الالياذة العربية من حيث ما تضمنته من المباحث والمواضيع رأيناها قد اغنت آداب اللغة عن كتب كثيرة في الادب والتاريخ كانت اللغة العربية في افتقار اليها ولم يتفق لكتابنا الاشتغال بها الأسطحياً اذ لا يتيسر استيعابها الا بمطالعة الالياذة وشرحها. وأهمّ ما اكتسبته اللغة العربية من ترجمة الالياذة فضلاً عن الشعر وآدابه — عدة علوم منها :



مجمع آلهة اليونان

(١) الميثولوجيا اليونانية — الميثولوجيا علم قائم بنفسه يبحث في اخبار الآلهة القدماء وخرافات الامم وكبار ابطالهم واقدم تواريخهم . واكثر الامم توسعاً في هذا الشأن اليونان القدماء والمصدر الرئيسي ان لم يكن الوحيد لمعرفة هذه الاخبار الياذة هوميروس . ومعظم ما تناقله الناس عن اخبار آلهة اليونان وخرافاتهم واحوال ابطالهم

واوائل تاريخهم انما هو منقول عن اشعار هوميروس وخصوصاً الالياذة · وقد مرَّ على اللغة العربية دهرٌ طويل وليس في آدابها شيءٌ من ميثولوجيا اليونان حتى في هذه النهضة وقد ترجمنا العلوم الطبيعية والفلسفية والطب وغيرها ولا تزال لغتنا عطلاً من كتاب في هذا العلم ولم يكن ذلك ميسوراً من قبل الاَّ بترجمة ما استخرجه الافرنج من الالياذة الى السنتهم على ما يوافق لغاتهم وآدابهم · أما الآن فاصبح تدوين هذا العلم في لساننا ميسوراً بواسطة الالياذة العربية وما حوته من الشروح والمقابلات اذ يتيسر لنا وضع هذا العلم على ما يوافق آداب العرب مما لا ينفعنا فيه النقل عن كتب الافرنج · على ان مطالعة الالياذة العربية تغني الكتاب عن التأليف في هذا الموضوع لانها تمثله احسن تمثيل



ابطال الالياذة

(٢) تاريخ اليونان القديم ـ ذكرنا في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي ان العرب قلما همهم نقل تاريخ اليونان والرومان الى لسانهم في النهضة العباسية لانحصار غرضهم من النقل في كتب الفلسفة والطب لاسباب ذكرناها هناك فانقضى التمدن الاسلامي وليس في كتب العرب من تاريخ الامم القديمة الاَّ

شذرات مبعثرة مشوشة لا تشفي غليلاً واقبلت النهضة الأخيرة فاشتغل الادباء في نقل علوم الافرنج وتواريخهم نقلاً مختصرًا بسيطاً وفي جملة ذلك نبذٌ في تاريخ قدماء اليونان منقولة عن مصادر افرنجية مرجع اكثرها الى « الالياذة » لان تاريخ اليونان القديم ممتزج بالميثولوجيا اليونانية . فاصبحنا بعد ظهور الالياذة العربية اقدر على تفهم تاريخ اليونان القديم واولى باستخراجه رأساً من مصدره

(٣) اداب اليونان القدماء — ليس في كتب اليونان ولا غيرهم كتاب يمثل آداب قدماء اليونان وعاداتهم واخلاقهم غير الالياذة وكل ما ذكره الباحثون في هذا الشأن انما عمدتهم فيه الالياذة وستبقى هي المرجع الوحيد ما دام العلم والادب

(٤) اداب العرب الجاهلية — ان هذه المزية خاصة بالالياذة العربية دون سائر الترجمات في كل لغات العالم لان صديقنا البستاني حفظه الله وشى الياذته بكثير من الشروح والتعاليق لايضاح بعض عادات اليونان وآدابهم واخلاقهم فاودع تلك الشروح زبدة ما يعرف عن آداب العرب قبل الاسلام وعاداتهم واخلاقهم واكثره لم يسبق جمعه في كتاب على حدة فضلا عما ضمنه من النظر الفلسفي الاجتماعي والمقابلة بين عادات الامتين في عصر الجاهلية فابان ما اشتركتا أو اختلفتا فيه من الآداب أو العادات أو نحو ذلك مما لم يقدم عليه كاتب عربيٌ ولا غير عربي على ما نعلم . مما كشفه لنا من هذا القبيل أن الامتين تشتركان مثلاً في جزّ النواصي حزناً على الميت وفي اقامة الولائم في المآتم وفي الندب على الميت بالندابات وفي التفاؤل والتشاؤم والطيرة وفي البناية بالاهل على نحو ما عند العرب وقس على ذلك اكثر العادات الجاهلية . وبين لنا انهما تختلفان غالباً في ما تقتضيه البيئة من البداوة أو الحضارة فأن العرب كانوا اهل بادية واليونان اهل مدن ولذلك كان العربي اقرب الى الكرم واحرص على الضيافة واليوناني اشدّ احتراماً للمرأة . والعرب اذا احتاجوا الى تشبيه شبهوا بحيوانات البادية وأما اليونان فاكثر تشبيهاتهم بالحيوانات الاهلية . فالبدوي يشبه عيون المرأة بعيون المها أي بقر الوحش وأما اليوناني فيشبها بعيون البقر الاهلية . واذا دعا العرب على اعدائهم بالموت تمنوا ان تصبح لحومهم طعاماً للكواسر

واما اليونان فيدعون عليها أن تكون طعاماً للكلاب وقس عليه

وقابل أيضاً بين المعاني الشعرية عند الامتين فوجدهما تتفقان في اكثرها ولم يترك معنى من تلك المعاني الا بحث عما يقابله عند العرب . ففي الالياذة العربية نحو الف بيت شعر عربي من اقوال نخبة الشعراء الجاهليين والاسلاميين لمعان تقابلها في اشعار هوميروس ولو اردنا ايرادها كلها لما وسعها الا مجلد كبير فنكتفي ببعضها على سبيل المثال — فمن معارضة ذكرها صاحب الالياذة العربية بين اقوال اخيل بطل اليونان وعنترة بطل العرب قوله :

قال اخيل : وليهلك الغيظ من بين الانام فكم ... اغرى واوغر منقاداً حكيمهمُ

وقال عنترة : لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ ... ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ

قال اخيل : وليس من شاغل ذا اليوم يشغلني ... الا ادخار علىً تسمو به الهممُ

وقال عنترة : دعني اجد الى العلياء في الطلب ... وابلغ الغاية القصوى من الرتب

قال اخيل : والدردنيات بفات الصدور يُرى ... لهنَّ دمعٌ سخينٌ جريهُ ديمَ

يمسحن ماسح عن غض الخدود وقد ... هاجت تلهفهنَّ الابؤس الدهمُ

وقال ايضاً بعد ابيات :

فكم ثم طروادية دردنية ... سبينا بدار بأسنا فوقها امتدا

ينحن عليك اليوم والليل كله ... ويلطمن بض الصدر والنحر والخدّا

وقال عنترة : سلي عنا الفزار بين لما ... شفينا من فوارسها الكبودا

وخلينا نساءهم حيارى ... قبيل الصبح يلطمن الخدودا

وقال ايضاً : ويل لشيبان اذا صبحتها ... وارسلت بيض الظبى شعاعها

وخاض رمحي في حشاها وغدا ... يشك من دروعها اضلاعها

واصبحت نساؤها نوادباً ... على رجال تشتكي نزاعها

وقال : وحولك نسوة يندبن حزناً ... ويهتكن البراقع واللفاعا

قال اخيل : يعلمن ان اعتزالي طال فاغتنما ... أعداء بوني واني الآن بينهمُ

وقال عنترة : سكتُّ فغرَّ اعدائي السكوت ... وظنوني لاهلي قد نسيتُ

قال ذلك وهو في موقف موجدة واعتزال كموقف اخيل اذ خرج عن قومه غضبان فنزل على بني عامر واقام فيهم فأغارت هوازن وجشم على ديار عبس فارسلوا يستمدون

عنترة فابى وامتنع حتى اذا عظم الخطب على بني عبس خرجت اليه جماعة من نساء القبيلة وطلبن اليه ان ينهض معين لمقاومة العدو والا تشتت شمل العشيرة فاحتمس ونهض وانشد ابياتًا استهلها بالبيت السالف الذكر

قال اخيل : حتى اذا شاء زفس في بطانته ... موتي فان حياتي تلك دونهمُ
هرقل لم يغن عنه بأسه وولا ... زفس فاودى وان اولوه ودهمُ
اصابه كيد هيرا والقضاء اذا ... فلا لقيت ميتًا اذا كانت كذا القسمُ

وقال عنترة : اذا كان امر الله امرًا يقدر ... فكيف يفرّ المرء منه ويحذرُ
ومن ذا يرد الموت او يدفع القضا ... وضربته محتومة ليس تعبرُ

قال أخيل: فطرقل ارفعهم شأنًا واعلقهم ... بمهجتي لا تضاهيه قرومهم
بهامتي كنت أفديه فوا لهفي ... عدمته مثلما كبارهم عدموا
نعم سأطلب هكطور الذي فتكت ... كفاهُ في قمةٍ تعنو لها القممُ

وقال عنترة في رثاء زهير بن جذيمة العبسي :

تولى زهير والمقانب حوله ... قتيلاً وأطراف الرماح الشواجر
وكان أجل الناس قدرًا وقد غدا ... اجل قتيل زار اهل المقابر
فوا أسفا كيف اشتفى قلب خالد ... بتاج بني عبس كرام العشائر
وكيف انام الليل من دون ثاره ... وقد كان ذخري في الخطوب الكبائر

ناهيك بما بين معاني هوميروس ومعاني سائر الشعراء الجاهليين والاسلاميين من المشابهة الشديدة — فيقول هوميروس في سرعة الفكر :

كفكر يجوب الشرق والغرب طارقاً ... بلاداً وفيه ذكر تلك المطارقِ

ويقول ابن المعتز :

اسرع من ماء الى تصويب ... ومن وقوع لحظة المريب
ومن نفوذ الفكر في القلوب

يقول هوميروس في مجانبة السلطان واتقاء بطشه :

وليس لمرء يغضب الملك حيلةٌ ... وان كظم السلطان غيظًا واضمرا

ويقول ابن الوردي :

جانب السلطان واحذر بطشهُ ... لا تعاند من اذا قال فعلْ

قال هوميروس في الافتخار بالانساب :

وأعلى منار جدودي الأُلى أنيلوا الفخار وشادوا العلى
فذا نسبٌ فيه يعتز مثلي وهذا اذا شئت أصلي وفصلي

وقال الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا ياجرير الجوامع

وهذا المعنى كثير عند العرب وقد ذكر صاحب الالياذة العربية امثلة عديدة منه

وقال هوميروس في بكاء الرجال :

فغادر الربع آخيل وسار الى الجرف الخلي بفيض الدمع كالديم

وهذا المعنى كثير عند العرب ايضاً وقال امرؤ القيس :

وان شفائي عبرة مهراقة فهل عند الرسم دارس من معوّل

وقال ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفي نجي البلابل

وقال هو ميروس يشبه بعيون البقر :

رمقته بطرف عين مهاة ثم قالت « وما الذي ترويه »

وقال ابن الجهم :

عيون المهى بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

قال هوميروس في طيش الشبيبة وحكمة الشيخوخة :

فبنوه لا يتقون زماماً والتراخي طبيعة الفتيان
ربما ينقضون ميثاق زفس انما الشيخ لا يخيب الاماني

وقال النابغة الذبياني :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الما تصح والشيب وازع

وقال المسيب بن علس :

فرأيت ان الحلم مجتنب الصبي وصحوت بعد تشوق ورواع

قال هوميروس في وصف السيف بيد البطل :

فيعلم هكطور بان مهندي بيمناي للفتك الذريع تضورا

وقال ابو تمام :

كانما وهي في الاكباد والغة وفي الكلى تجد الغيظ الذي نجد

قال هوميروس يشبه الزمن بالحلم :

فذاك شأني كان يوم المحن ان لم يكن كالحلم ماضي الزمن

وقال البحتري :

وايامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل أضغاث وأحلام نائم

قال هوميروس في ذم الطيرة :

اردت اني أطيع الطير ان رحت سيان تعلم عندي كيفما سرحت

فلا تطيعن الأ من أطاع جميع ال جن والانس والدنيا به أنتصحت

وقال طرفة بن العبد :

اذاما أردت الامر فامض لوجهه وخل الهوينا جانباً متنائيا

ولا يمنعنك الطير مما أردته فقد خط في الالواح ما كنت لاقيا

قال هوميروس في تفضيل الموت على حياة الذل :

لأجدر بي ان تفتح الارض جوفها فتبلعني من أن اذل وأهزما

وقال ابو خراش:

مخافة ان احيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

وقال هوميروس في ان الموت لا بد من ان يأتي :

لكنما الموت منه لا مناص وقد يأتي بأي سبيل كان او سبب

وقال الشاعر العربي :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحد

وقال هوميروس في ذم الفوضى :

لا يستقيم الامر الا ان يكن فرد يخول صولجان الصولة

وقال الافوه الاودي حكيم الجاهلية :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال هوميروس يصف هجوم هكطور :

كجلمود صخر قد انتزعا من الشم سيل به اندفعا

له الغاب مرتجة ترتجف الى القعر حيث بعنف يقف

وقال امرؤ القيس يصف جواده :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ

وقس على ذلك كثيراً مما اورده من المشابهة بين معاني الشعر في الامتين

القهوة

اصلها وتاريخ انتشارها

القهوة نبات عربي يمني انتقلت من اليمن الى اوروبا وغيرها من العالم المتمدن في القرن السابع عشر للميلاد باسمها العربي لان Caffée او Coffee تحريف «قهوة» كما انتقل التبغ من اميركا في القرن السادس عشر الى سائر انحاء العالم باسمه الاميركي الاصلي (Tobacco) وجعلها العرب تبغاً . ونبات القهوة او البن قديم في اليمن وهو من نباتات المنطقة الحارة ولذلك فهو ينمو كثيراً في بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الحارة . واما شرب منقوعه على نحو ما هو شائع الآن فلم يكن معروفاً قبل القرون الاخيرة . والغالب ان عرب اليمن تعلموا شرب القهوة من الاحباش ثم نقلوها الى العالم المتمدن . وكان لفظ القهوة عند العرب قبل ذلك الحين اسماً من اسماء الخمر فلما عرفوا منقوع البن سموه به لان هذا المنقوع كان معدوداً عندهم من المسكرات وقد امرت الحكومات الاسلامية بمنعه وعاقبت متعاطيه . وكانوا في بادىء الامر ينقعون قشر البن و يشربون منقوعه ثم تفننوا بتحميص الحب على طرق مختلفة

وكان السبب الذي دعا الى شيوع القهوة بين المسلمين رغبة مشائخ الصوفية في السهر للاذكار لأنهم رأوا في منقوع القهوة قوة على التنبيه فتعاطوه وفي كتاب «عمدة الصفوة في حل القوة» ان اول من تعاطاها في بلاد اليمن جمال الدين الذبحاني المتوفى سنة ٨٧٥ هـ وذلك انه كان يتولى وظيفة تصحيح الفتاوي بعدن وعرض له امر اقتضى خروجه من عدن الى بر عجم (بر افريقيا) فاقام بها مدة فوجد اهله يستعملون القهوة ولم يعلم خاصيتها ثم عرض له لما رجع الى عدن مرض فذكرها فشربها فنفعته فيه فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفة ونشاطاً فلما سلك الشيخ المذكور طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على السهر ثم تتابع الناس والفقهاء والعوام هناك على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك من الحرف والصناعات قال : « وكانت القهوة تصنع اولاً من الكفتة اي الورق المسمى بالقات لا من البن ولا من قشره فما زالت تنتقل من بلد الى آخر حتى وصلت الى ثغر عدن فعدمت الكفتة في زمن الذبحاني المذكور وقال لمن يلوذ به و ينتمي اليه ان البن يسهر فامتحنوا بنا قهوته

فامتحنوها فوجدوها تعمل عمله مع قلة الثمن والمؤونة ثم استمر من منشاها وغيره »
فالظاهر إن شرب القهوة من القشر كان معروفاً قبل زمن الذبحاني وهو اول من استخدم
البن . وفي كل حال فالقهوة لم تنتشر قبل القرن التاسع للهجرة فانتقلت من اليمن الى ما
يجاورها حتى اتت مصر في القرن العاشر

وكان اول ظهورها بمصر في حارة الجامع الازهر في العشر الأول من القرن المذكور
وكانت تشرب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيه اليمانيون ومن يساكنهم في
روافهم من اهل الحرمين . وكان يتعاطاها المشتغلون بالرواتب من الاذكار والمديح على
طريقتهم وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين وجمعة يضعونها في ماعون كبير (ماجور) من
الفخار الاحمر ويغترف منها النقيب بسكرجة صغيرة ويسقيهم الأيمن فالأيمن مع ذكرهم
المعتاد عليها وهو غالباً « لا اله الاّ الله الملك الحق المبين » وكان يشربها معهم موافقة لهم من
يحضر الرواتب من العوام وغيرهم — قال العلامة ابن عبد الغفار « وكنا ممن يحضر معهم
وشربناها فوجدناها في اذهاب النعاس والكسل كما قالوا بحيث انها تسهرنا معهم
ليالي لانحصيها الى ان نصلي الصبح مع الجماعة من غير تكلف وكان يشربها معهم من اهل
الجامع من اصحابنا وغيرهم خلق لانحصيهم ولم يزل الحال على ذلك وشربت كثيراً في حارة
الجامع الازهر وبيعت بها دهراً في عدة مواضيع ولم يتعرض احد مع طول المدة لشاربها
ولا انكر شربها لا لذاتها ولا لوصف خارج عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة
وشربها في نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكر او مولد الا بحضورها . وفشت
بالمدينة الشريفة دون فشوها في مكة حيث ان الناس يطبخونها في بيوتهم كثيراً »

فلما ذاع شربها بين المسلمين على هذه الصورة تنبهت الحكومة وذهب بعض الفقهاء
الى وجوب منعها لانها من المسكرات واول ماحدث التشديد في منعها بمكة عام سنة ٩١٧ هـ
على يد رجلين اعجميين كانا مشهورين بالحكيمين وكان لهما فضيلة في المنطق والكلام
ومشاركة في الطب رحلا الى مصر في آخر دولة الغوري واقاما هناك حتى قدم اليها
السلطان سليم الفاتح ففتحها ودخلت في حوزة الدولة العثمانية — قال في كتاب « عمدة
الصفوة » وأعانهما على القيام بأمرها الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الخطيب نقيب قاضي
القضاة وسري الدين بن الشحنة وناس آخرون تبعاً لهم فاغرى الشيخ شمس الدين الخطيب
الامير خاير بك المعمار باش مكة ومحتسبها اذذاك على ابطالها من الاسواق ومنع الناس
من شربها وقرر عنده أنها موصوفة بتلك الصفات القبيحة ورغبه بذلك جداً وحمله على

ان عقد له مجلساً عنده وانفصلوا منه على القول بحرمتها وكتبوا بذلك محضراً أنشأه لهم الشمس الخطيب وأرسلوه الى مصر وارسلوا معه سؤالاً من انشاء الحكيمين والخطيب وطلبوا مرسوماً سلطانياً لمنعها بمكة المشرفة • ثم لما انصرفوا من عقد المجلس شهر الامير خاير بك النداء بالمنع من شربها وبيعها وشدد في ذلك حتى انه عزر جماعة من باعتها وكبس مواضعهم وأخرج ما وجده فيها من قش البن وأحرقه في وسط المبيع فبطلت حينئذٍ من السوق وكان الناس يشربونها في بيوتهم اتقاء شره لانه بلغه عن شخص انه يشربها فعزره وطاف به الاسواق • ثم ورد بعد ذلك المرسوم السلطاني ولكن لا على وفق غرضهم فتجاسر الناس على شربها لاسيما وقد بلغهم انها لا تمنع من مصر التي هي بلدة السلطان ولم ينكرها احد من علمائها اذذاك والاعيان وفتر خاير بك عن التسلط على الناس بسببها واستمر الحال على ذلك ثم قدم المرحوم ناظر الخواص الشريفة العلائي بن الامام الى مكة المشرفة في عام ثمانية عشر وتسعمائة لمهم سلطاني فمنع الشمس الخطيب من تحمل الشهادة وادائها وأراد حمله الى مصر ثم اعفاه من ذلك فانقطع الخطيب في بيته الى الموسم فازداد الامر فتوراً والقهوة ظهوراً وتوجه الخطيب صحبة الركب الى مصر وتوفي بالينبوع وقال في هذا المعنى بعض اهل المجون ونسب ذلك الى الشيخ ابي الفتح المالكي بالشام :

قهوة البن حرمت   فاحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا   وانزلوا في قفا الخطيب

وقال غيره

قهوة البن حرمت   فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا   والعنوا من هو السبب

• واتفق في عام ثمانية المذكور ان الامير قطلباي قدم الى مكة المشرفة صحبة الركب الشريف عوضاً عن خاير بك فاكثر من شربها فاشتهرت اضعاف اشتهارها الاول ثم لم يزل امرها يتزايد في الحرمين وغيرها ولم يتعرض لها احد بالمنع

• وبلغ الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته لما قدم الى مكة في ذي القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين انه كان يحدث في بيوت القهوة بعض المنكرات فاشار على الحكام بابطال بيوت القهوة مع تصريحه بحلها في حد ذاتها غير مرة لغير واحد بحيث بلغ ذلك منه مبلغ التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة مع

طول اقامته فيها وبلغه ان امرأة شابة تبيع القهوة في المدينة مكشوفة الوجه فنعها من البيع فشكت اليه حالها من الحاجة فاذن لها في البيع بشرط الستر ففعلت . ولما توفي الشيخ رحمه الله بمكة في خامس صفر سنة ثلاث وثلاثين رجعت الحال الى ما كانت عليه ولم يزل في تزايد الى وقتنا هذا

« قلت ولم يزل اولياء الشيخ من بعده على القول بحل القهوة والمواظبة عليها حتى ان اجلهم قطب دائرة اهل الحرمين في الظهور علماً وصلاحاً وافتاء وتدريساً وتأليفاً كان اجل ما يحضره لمن يرد عليه من الاكابر ومن دونهم القهوة ويتكرر فعله لذلك في اليوم والليلة مرات خصوصاً في زمن الموسم وهي كانت مكرمتي عنده اذا قدمت عليه بمكة والمدينة او بالقاهرة في اوقات سفره اليها وكذلك يشربها بمنزلي ايام اقامته بالقاهرة نفعنا الله ببركاته وبركة سلفه توفي بالمدينة المنورة في عام ثلاث وتسعين وتسعماية بعد اخيه الشيخ عبد النافع قاضي اليمن

« وفي عام تسع وثلاثين رفع للشيخ العلامة واعظ العصر شيخنا شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي سؤال في القهوة صورته « ما قولكم رضي الله عنكم في شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون انه مباح مع انه يترتب عليه مفاسد كثيرة فهل ذلك جائز ام حرام » فاجاب بحرمتها وانها مسكرة وكتب على هذا السؤال جواباً واسع العبارة على اخبار من شربها وتاب عنها وعلى ما يوصف به الجمع في بيوتها من الاوصاف المانعة لشربها

« وفي سنة احدى واربعين تعرضوا للشيخ في مجلس وعظه بذكر القهوة فافتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسه بالجامع الازهر فتعصب جماعة من العوام لما سمعوا ذلك منه وخرجوا الى بيوتها من تلقاء انفسهم من غير امر حاكم بل لمجرد الحفلات العامية وكسروا اوانيها وضربوا جماعة ممن هناك فقام بسبب ذلك فتنة كبيرة وتعصبات ممن يقول بالحل والحرمة شهيرة واحتيج الى الاستفتاء ايضاً واتصل الامر بقاضي مصر الشيخ محمد بن الياس الحنفي فسأل عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المفتين بها واعتمد على افتاء من قال بحلها من العلماء المعتبرين ثم استظهر على ذلك فامر بطبخها في منزله وسقى منها جماعات بحضرته وجلس يتحدث معهم معظم النهار ليختبر حالهم فلم ير فيهم تغييرا ولا شيئاً منكراً فأقرها على حالها . وفي منع الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي لبيع القهوة وافتائه بحرمتها وقيام العامة معه يقول بعضهم اظنه الفقيه الحجبون بجدة :

ان اقواماً تعدوا والبلا منهم تأتى
حرموا القهوة عمداً قد رووا افكاً وبهتا
ان سألت النص قالوا ابن عبد الحق افتى
يا اولي الفضل اشربوها واتركوا ما قال بهتا
ودعوا العذال فيها يشربون الماء حتى

« وفي عام خمس واربعين بينما جماعة في بيوت القهوة يستعملونها في شهر رمضان بعد العشاء اذ وافاهم صاحب العسس اما من تلقاء نفسه او لامر أوحي اليه واخرجهم منها على هيئة شنيعة بعضهم في الحديد و بعضهم مربوط بالحبال فباتوا في منزل السوباشاه ثم اطلقوا صباحاً بعد ان ضرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة ثم لم يلبثوا ان ظهر الحق وعاد الحال الى ما كان عليه أولا بعد يومين أو نحوهما

« وورد في عشر الخمسين وتسعمائة في موسم الحاج صحبة الركب الشامي الى مكة المشرفة حكم سلطاني بمنع القهوة وابطالها والزام باعتها بمنع التسبب بها وابطال محالها ـ ذكر ان سبب ذلك شكوى امرأة رومية كانت مجاورة بمكة قبل ذلك فاشهر النداء بابطالها والتحذير من السلوك في هذه المسالك وامتثل ذلك جميعه يوم المناداة ثم تعددت بيوتها ونعوتها لذويها من غير مبالاة من الموت وشربت في موسم تلك السنة جهاراً ودام استمرارها

« وكذلك منعت بالقاهرة مراراً فلم تطل المدة وعلا منارها ولم يزل امرها ظاهراً وتعداد بيوتها الى الكثرة وافياً وشاهراً يشربها العلماء والصلحاء وطلبة العلم واماثل الفقهاء و يقرعليها اهل الافتاء والتدريس و يواظب على شربها من اتصف بالفضل وكل نبيل ورئيس بالجامع الازهر والبقاع المكرمة وفي سائر الايام والاوقات » انتهى كلام عمدة الصفوة

ولم تعد الحكومات ولا الديانات تتعرض لمنعها واخذت في الشيوع حتى انتشرت في اربعة اقطار المسكونة فانتقلت من اليمن الى هولندا سنة ١٦١٦ للميلاد ومنها تفرقت في اوروبا فوصلت انكلترا سنة ١٦٤١ على يد رجل اكريدي الاصل واول قهوة عمومية أنشئت في انكلترا انشأها رجل يهودي اسمه يعقوب من اكسفورد سنة ١٦٥٠ و بعد سنتين جاء لندره تاجر انكليزي يتعاطى التجارة الشرقية ومعه خادم يوناني فتح اول قهوة عمومية في لندن سنة ١٦٥٢ وقس على ذلك ظهورها في الممالك الاخرى . وقد انتقلت الى اميركا سنة ١٧١٧ وكثر طلبها واصبحت تجارتها من اروج التجارات واربحها

صحة العائلة

الهضم والغذاء

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني في دمنهور

٣ المواد الغذائية

المواد الغذائية هي المواد التي تدخل الجسم لتعوض عما خسره بانحلال أنسجته وما الاحتياج الى الطعام الأ نتيجة انحلال انسجة الجسم الحيواني بالاعمال الحيوية الصادرة عنها لان كل عمل حيوي مهما كان طفيفاً ينتج انحلال بعض الانسجة ولذلك تدعو الحاجة الى انسجة أخرى لتحل محلها ولظراً لتعدد أنسجة الجسم واختلاف وظائفها يلزم ان يحتوي الغذاء على اطعمة ذات عناصر مختلفة لتغذية كل نسيج . وتقسم تلك العناصر بالنسبة الى اعضاء الهضم الى اربعة اقسام كبرى الاول الاطعمة الاليومينية او النتروجينية الثاني النشائية والسكرية الثالث الزيتية او الدهنية الرابع المواد المعدنية . وتوجد عناصر هذه الاطعمة احياناً منفصلة بعضها عن بعض ولكنها تكون غالباً متحدة معاً بنسب مختلفة ويقال بالتقريب ان كل طعام يحتوي على كميات كبيرة او صغيرة من كل واحد منها

(١) المواد الاليبومينية : وهي كثيرة في مملكتي الحيوان والنبات ومنها الكلوتين في القمح والاليبومين النباتي في الشوفان والكاسين النباتي في الحمص والفول واللوبيا وغيرها من الحبوب المعدودة تحت الفصيلة القرنية والبيومين البيض والبيومين وفيبرين الدم وكاسين اللبن في الحيوان . ولكل عناصر نسبة واحدة الى الجسم البشري وأعضاء الهضم فالبحث في واحد منها يغني عنه في كلها ، ولدى هضمها تحول الى دم وتغذي اقوى أنسجة الجسم الحية كالعضلات والدماغ والاعصاب والغدد وغيرها وتحدمها أملاح عديدة تغذي العظام وتدخل في تركيب أنسجة أخرى . ويعتقد الدكتور أوستن والاستاذ ليبك وعدد عظيم من مشاهير الفسيولوجيين بانها اعظم غذاء للحياة والقوى العضلية والعصبية من تحولت بالتمثيل الى انسجة

(٢) الاطعمة النشائية والسكرية : وهي تحتوي على كل اجناس النشاء والسكر فالاول

يوجد في الخضر والجذور كالبطاطا واللفت واكثر الاثمار والحبوب وهو ثلثاها او ثلاثة ارباعها حجماً او وزناً . وتختلف انواعه بشكل الحبيبات وحجمها وبان نشاء الخضر عموماً أقل سهولة في الهضم من نشاء الحبوب وفيما سوى ذلك فهي واحد . يغلف الحبيبات غلاف خارجي يقيها عمل الماء فيمنعها من الذوبان ولكن متى طبخت الحبوب جيداً ونضجت الاثمار تماماً ينقسم هذا الغلاف ويتمزق فيسهل ذوبان النشاء . ولذلك عدّ نزعه ضرورياً قبل ابتداء الهضم . اما السكر فمع ان الاختلاف بين انواعه اكثر مما بين انواع النشاء فبينهما تشابه قريب لان الواحد مشتق من الاخر ونشاء الحبوب والبطاطا وكل البزور يحول الى سكر حين يفرخ النبات ويصير غذاءً له مدة نموه . ولهذا وضع النشاء او السكر في صف واحد وان كانت أعضاء الهضم تعامل كلاً منهما معاملة خاصة اما قيمتهما الغذائية فظاهرة في حفظ التغذية بالقوة والحرارة

(٣) المواد الدهنية او الزيتية : اهمها الزبدة والشحم من الدهن الحيواني اما الزيوت النباتية فعديدة وتوجد في اكثر الحبوب وبعض الخضر وقليل من الاثمار ولا سيما الجذر وكل عناصرها سواء كانت نباتية او حيوانية متشابهة فلا يختلف الاولين والماركرين والستيرين الا في كونها سوائل او جوامد وذلك ناتج عن اختلاف النسب في اتحاد جواهرها . وكلها لا تذوب في الماء بل في الكحول . اما السوائل القلوية والامزجة فتقسمها الى اجزاء صغيرة جداً وتكون معها مستحلبا كما ترى في اللبن وهي تكون متحدة مع المواد الاليومينية والمعدنية في النبات وبهيئة خلايا في الحيوان وهي ايضاً ينبوع قوة وحرارة للجسم مثل سابقتها

(٤) المواد المعدنية . يجد الكيماوي لدى تحليله انواع الطعام املاحاً غير آلية اكثرها فصفات وكربونات البوتاس والصودا والكلس وكلوريد البوتاس والصودا لا يمكن فصلها بطريقة ميكانيكية كما يفصل النشا والسكر والكلوتين وتوجد ايضاً في انسجة الحيوان وعظامه . وما عدا هذه الاملاح فان كل الاطعمة النباتية واكثر الحيوانية تحتوي على كميات من مواد غير معدنية تتألف منها انسجتها كالالياف الخشبية التي يستحيل هضمها ولا تصلح رأساً ولكنها تفيد جداً في الهضم أو تعطي حجماً كافياً للطعام وتهيج العصارات المعدية والعمل العضلي اللذين يتم بهما الهضم كما رأيت سابقاً . ولهذا السبب يفضل الدقيق الخشن الاسمر على الابيض الناعم الذي يتغذى به الاغنياء في ايامنا الحاضرة . اما القدماء فلم يستعملوا الدقيق الابيض الناعم ولذلك لم تكن امراض المعدة الشائعة الآن معروفة بينهم كما وان اتها كثيرة في عصرنا الحاضر كالمان والاسوجيين والنروجيين وسكان

الكرة الارضية اجمالاً ماعدا الانكليز والاميركان والفرنساويين يتبعون آثاراً ولئك القدماء

النسبة بين عناصر الطعام : تختلف عناصر الاطعمة اختلافاً عظيماً وقد اظهرت التجارب في الحيوان والانسان اهمية حفظ النسبة بينها اتماماً لحفظ النظام في غذاء الجسم ولا سيما بين العناصر الالبيومينية والكربونية كالكلوتين والالبيومن والدهن والنشاء والسكر ووجدوا ان تلك النسبة يجب ان تكون جزءاً واحداً من طعام نيتروجيني والبيوميني الى سبعة اجزاء من طعام كربوني . ومن ذلك يظهر ان اكثر اصناف الطعام ينقصها عنصر او اكثر من العناصر المذكورة وللتعويض عن ذلك النقص يجب اصطناع الاطعمة ممزوجة من مواد مختلفة . ومن النظر الى الجدول الآتي تظهر لك نسبة العناصر الكربونية الى الالبيومينية في اكثر الاطعمة الشائعة وتعرف كيفية اتخاذها غذاء بالنسبة الضرورية للجسم

لحم البقر	فيه جزء	١	البيوميني أو ازوتي	و	٠,٥٠	كربوني
البيض	» »	١	»	»	١,٩٠	»
الحمص والفول ونحوهما »	»	١	»	»	٢,٧٠	»
العدس	» »	١	»	»	٢,٤٠	»
اللبن	» »	١	»	»	٣,٦٠	»
دهن البقر	» »	١	»	»	٥,	»
الشوفان	» »	١	»	»	٦,١٠	»
دقيق القمح	» »	١	»	»	٧,	»
دقيق الذرة	» »	١	»	»	٩,٨٠	»
البطاطا	» »	١	»	»	١٠,٧٠	»
الجزر	» »	١	»	»	١١,٥٠	»
الشعير	»	١	»	»	١٢,٧٠	»
الارز	» »	١	»	»	١٣,	»

يتضح من هذا ان دقيق القمح هو الغذاء الوحيد الذي يجد فيه الانسان مايحتاج اليه جسمه من العناصر بالنسبة الطبيعية اللازمة . اما لحم البقر والبيض فتنقصها العناصر الكربونية والبطاطا . واكثر الخضر والارز تنقصها العناصر الالبيومينية . فاذا مزجنا هذه العناصر بالنسبة المعينة كان لنا غذاء حسناً جداً لا يؤذي اعضاء الهضم ولا يسبب ادنى تعب للجسم ومنه يستنتج قلة لزوم اكل اللحوم كما سيأتي في مقالة خصوصية

قد تكون كمية الطعام كبيرة ولكن ينقصها بعض العناصر المغذية فاذا كان النقص في العناصر النشائية والدهنية شعر الآكل بتعب عظيم بعد الاكل واذا كان في المواد النيتروجينية اثر في المعدة اعظم تأثير فاضعفها تدريجاً وظهرت فيها الحوامض ونحوها وكذلك اذا كان في العناصر الغير المغذية فانه يشعر به حالاً اذ تضعف قوى المعدة والامعاء عن الافراز وينقص العمل العضلي ومن هذا تظهر اهمية اختيار انواع الطعام ولاسيما اذا قصد التعود عليه قانونياً لان طعاماً تنقصه بعض العناصر المغذية ولو كانت كميته كبيرة لايفيد شيئاً بل قد يسبب الاضرار الناتجة عن عدم الاكل. والاكتفاء بالخبز فقط والزبدة والشاي والقهوة يضعف الدم كما لو امتنع الانسان عن الطعام بالكلية غير ان الفرق يكون في اطالة الوقت اللازم لاحداث تلك النتائج . واكل الدقيق الابيض النقي المأخوذة منه كل قشور حبوبه الخارجية لايخلو من ضرر عظيم للمعدة ويفضل عليه اكل الدقيق الاسمر الخشن الحاوي لتلك القشور رغماً عن منظره لا بل هو لازم وضروري للصحة الاّ اذا كانت المعدة ضعيفة لاتقدر على هضمه فتمنع عنه موقتاً

ان مئات من السيدات ولا سيما بنات المدارس تراهنَّ مصفرات الوجوه فقيرات الدم ضعيفات الاعصاب سيئات الهضم لتناولهن طعاماً غير مغذٍ كأَن يقتصرن على بعض انواع الغذاء دون البعض الآخر وكثيراً ما يولد فيهن نتائج رديئة كضهاداء الاسكربوط كذلك يصيب الجنود المحاصرين الذين يقتصرون على بعض المآكل لنفاد مؤُنتهم والنوتية الذين يعالون بطعام واحد غير كاف لغذائهم اثناء سفر طويل او اطعامهم طعاماً مالحاً فلا يتعجب مثل هؤُلاء متى ظهروا صفر الوجوه غائري العيون سيئي الهضم اذا اقتصروا على ماذكر من الاطعمة او جعلوها الطعام الغالب لان طعاماً كهذا يضعف القوى وكثيرات من الامهات يضعفن اعضاء الهضم في اولادهن الصغار باعطائهم لغير سبب وبدون امر الطبيب النشاء والاروروت وما شابهها او خبز الدقيق الابيض النقي متى كبروا اذ قد اظهرت التجارب في الحيوانات ان الكلب يموت في مدة شهر واحد اذا اطعم خبز الدقيق النقي وحده وهكذا الامر في الانسان لان الدقيق الابيض المذكور هو دقيق الحبوب التي نزعت عنها قشورها الخارجية فلم يبق فيها سوى الاجزاء الداخلية التي ليست الاَّ نشاء لايحوي شيئاً من الغذاء للدماغ والعضل والاعصاب بخلاف الدقيق الاسمر مع مافيه من العناصر غير المغذية فانه اصلح للهضم لان العناصر المذكورة تهيج الافراز وتزيد قوة الامعاء العضلية وتمنع القبض الذي يسبق اكثر امراض اعضاء الهضم

وينظر في التغذية من حيث حاجة الاعضاء البدنية الى ثلاثة امور مهمة (١) الصحة (٢) اللذة (٣) الاقتصاد · غير ان عادات الاكل الحاضرة تخالف نواميس الهضم الصحي بطرق عديدة مضرة لاعضاء الهضم عموماً ولا يمكننا الجواب على كيفية منشئها لكننا نرى غالباً ان التبعة الكبرى في انتشارها ملقاة على عاتق الاطباء لان بعضهم يغضون عن الطعام وقلما يحذرون مرضاهم من استعماله بحكمة فيقولون للعليل كل ما يخطر لك وتشتهيه حيثما اردت فقول كهذا فاسد بالطبع لانه يدل على عدم وجود علاقة بين الطعام والجسم مع انه يجب تنويع الاطعمة واختلافها باختلاف نمو الجسم وعلاقته الخارجية وظروفه العديدة وانه يجب في المرض مراعاة ثلاثة امور مهمة (اولا) ان لا يطعم العليل طعاماً يزيد في مرضه (ثانياً) ان يطعم ما يحفظ الاعضاء السليمة (ثالثاً) ان يأخذ طعاماً خصوصياً صحياً بالنسبة الى حالته فالطفل قبل ظهور اسنانه لا يعطى غير اللبن لان اللعاب الذي يساعده على هضم اطعمة اخرى لا يفرز الا بعد طلوع الاسنان اما في الصبوة فيختلف عنه كثيراً وكذا المرضع يجب ان تكثر من اخذ لبن البقر واذا ظهرت حموضة في المعدة فيجب مزجه بماء الكلس لاصلاح الحموضة وتغذية عظام الطفل وان تكثر ايضاً من الاطعمة التي تزيد افراز لبنها · والحامل يلزمها تجنب الاكثار من الدهن واستعمال الاشربة الروحية لان الاشربة تحول القيء العرضي الى قيء ينتج عنه سوء الهضم وتكون النتيجة اشر من الاول · اما المتقدمين في العمر فانهم متى بلغوا الخمسين يضطرون حفظاً لقواهم الى انقاص الطعام الجامد ولا سيما الحيواني لانهم لا يعودون يحتاجون الى المواد التي تنمي الجسم والتي تعرضهم لداء النقرس المسبب عن زيادة العناصر النتروجينية ثم يفقدون الشهية الاكل لنقص العصارات المعدية طبعاً فلا ينفعهم علاج ولا يخفف آلامهم الا مراعاة كمية الاكل حفظاً لصحتهم

وبالاجمال يقال ان الطعام يجب تغييره بالنسبة الى اطوار الحياة كما يجب تغييره بالنسبة الى الصحة والمرض · معدة العليل ضعيفة تعجز عن هضم اسهل الاطعمة فكم بالحري يكون هضم الطعام اللذيذ الفاخر كالمرق الممزوج بالبهارات والتوابل والمربيات ونحوها قال احد الاطباء كان الاولى بان يكتب على كل ضريح « قتيل الشفقة » وكثيرون يعتقدون ان الشهية هي دائماً القاعدة الصادقة لمعرفة صفة الطعام وكميته فلو كانت شهية كل انسان طبيعية لأمكن الاعتماد عليها غير اننا لا نجد في عصرنا هذا وبين الامم المتمدنة واحداً في المائة ان لم يكن اقل ذا شهية طبيعية وذوق سليم · لا ننكر ان الشهية

دليل صادق الى درجة محدودة مع وجودها تحت حكم العقل ومعرفة شرائع الهضم والنسبة ابين عناصر الطعام والمعدة حتى والجسم كله لكنه لايجب الاعتماد التام عليها ولارفضها بلو عرفت ان اميالها طبيعية لان كلا الاثنين فاسد وما قول الطبيب للعليل كل ما تشتهيه ولا كقولك له تكلم كل ما يخطر لك او اعمل كل ما تميل اليه · وفقد الشهية في المرض دليل على ان المعدة في حالة لا يمكنها معها هضم الطعام

اما اللذة فضرورية مع الطعام والاكل بانبساط يساعد على الهضم · فلا ينبغي اهمال النظر الى تحسين الغذاء ليؤكل بفرح وشهية كما وانه لا يجب التجاهل ان التغذية هي الغاية الاولية الحقيقية من الطعام وقد اظهرت التجارب ان الانغماس في المآكل بدون التفات الى الشرائع الطبيعية الحاكمة على تقدم الامم في المدنية يقود الى انحطاط كلي ودناءة عظيمة فيضعف العقل ويميت التمييز بين الفضيلة والرزيلة · اما من حيث الاقتصاد فان أوفر طعام هو ما احتوى على لوازم الجسم تماماً وللوصول الى تلك الغاية يقتضي مزج أحسن الانواع بكل حكمة حفظاً للنسبة بين العناصر المختلفة · ولسوء الحظ ندر وجود يراعي ذلك لجهل الذين يناط بهم امر تحضير الطعام — وسيأتي الكلام عن تهيين الطعام



روجستفسكي اميرال اسطول البلطيك

الجنين الشهيد

هي قصيدة عصرية نظمها رصيفنا خليل افندي المطران صاحب الجوائب المصرية نابغة الشعر العصري وصف بها حال فتاة من بنات الهوى جاءت مصر ترتزق ببيع المسكر فاغواها بعض اهل الطيش وابتز عرضها ومالها ثم اعرض عنها وهي حامل فحملها اليأس على الاسقاط فرثت جنينها بعبارات كلها حكمة وموعظة وقد اجاد شاعرنا في الوصف على أسلوب يجدر به ان يكون مثالا يتحداه طلاب الاساليب الجديدة وقد عمدنا الى نشرها تمهيداً لما سنكتبه عن الشعر العصري في هلال آخر

اتت مصر تستعطي باعينها النجلِ وعرض جمال لا يقاس الى مثل
غريبة هذي الدار بادية الذلِّ جلت طفلة عن موطن ناضب محلِ
الى حيث يروي النيل باسقة النخلِ

فلا خية ما درها ثدي امها سوى ضعفها البادي عليها وهمها
ولم تتناول من ابيها سوى اسمها ولم تستفد من اهلها غير يتمها
واشقى اليتامى فاقد البرّ في الاهلِ

فكانت كنامي الغرس يزكو وينضرُ ومطعمه طين ومسقاه اكدرُ
يحيط بها دوحان شيخ معمرُ وام عجوز «القشر» والقلب اخضرُ»
تتبعهما قوتا بشيء من الظلِّ

فمن صبحها تسعى لجني ومكتدى وفي ليلها تقضي الذي يبتغى غدا
كما كان عبد الرق جنحاً ومغتدى يواصل مسعاه ليخدم سيدا
و يوسعه رزقاً و يغذى من الفضلِ

قضت هكذا بين الاسى والمتاعبِ مناشئها مذ لم تزل غير كاعبِ
فصحَّت كنبت الطود بين المعاطبِ ومدّت الى حيث الثرى غير ناضبِ
اصولاً توافيها من الغور بالعلِّ

فيا لقوى التمكين في جسم سالمِ يقاوم دون العمر كل مقاومِ
يجاذبن بالاوراق درّ الغمائمِ يهابطن بالاعراق قاع المناجمِ
خفافاً الى ضمّ صعاباً على الحلِّ

تمرّ بها عهد الصبي والتدللِ على شظف في عيشها وتذللِ
وكم جرعت من صبرها كأس حنظلِ وكم نالها صرف من الدهر مبتلِ
فطال عليها لا يميت ولا يسلي

وكم ضاجع الجوع الاثيم بهاءها　　وقبلها حتى اجف دماءها
وكم ساعف الحرّ المذيب شقاءها　　وكم نازع البردُ الشديد نماءها
نوائب تأتي كالليالي وتستتلي

اثرن نهاها في اعتكار التجارب　　بنيرانهن المحرقات الثواقب
وصغن لها من فحم تلك الغياهب　　ذكاء من الالماس صفوا كلاهب
يري عينها ما لا ترى اعين النمل

دعاها بليلى والداها لتذكرا　　وهل كان صونًا لاسمها ان يغيرا
على انها كانت مثالاً مصوَّرا　　تصور من ماء الجمال مقطرا
فحلاه في الابصار وهو به حلّي

يسرّ برأى حسنها كل سابلٍ　　فينفحها من ماله غير باخلٍ
وكم مدقع من شدة الفقر سائلِ　　يردُّ يديه لا يفوز بنائلِ
ولا جود للانسان الا على دخلِ

تحنُّ الى الصقع الذي لم يبرّها　　وجرعها صاب الحياة ومرَّها
نأت ونأى اترابها عنه كرّها　　ولا شيء كالاوطان نحمد ضرها
ونهوى الاذى فيها ولا النعم ان نحلِ

على انه ملهى رجال اسافلِ　　ومبغى نساء فاجرات عواطلِ
جديب خصيب بالبطون الحواملِ　　وما تقذف الامواج في كل ساحلِ
من الرمل ما يقذفن فيه من النسلِ

يعدُّ بنيه للمهانة والخنا　　ويلقي بهم في البحر تحت يد الفنا
فيتخذون التيه في الارض موطنا　　عراة حفاة خائرين من العنا
اذا نزلوا خصبًا فبشّره بالمحلِ

فتحترف الازواج بغي نسائها　　وتحترف الزوجات خلع حيائها
وولدٍ خلت آباؤها عن ابائها　　بتاجر في اعراضها وبهائها
ونمو على خلق المفاسد والختلِ

***

كذا ادَّبت ليلى قطيًا وعالها　　ذووها ليفحوا بعد حين عيالها
فتطعمهم من خزيها ما جنى لها　　وتكسوهم مما تعرّيه جمالها

وتحمل ما في العيش عنهم من الثقلِ

ولكن نفس الطفل تبدي المساويا حسانًا يماثلن الصفات البواهيا
كاول طلع الحقل يجمل ناميا ولا تفرق العين الغريب المضاهيا
من النبت الا في اوان جنى الحقل

فلم يكُ في ليلى سوى ما يحبَّبُ بها من معانيها الجياد ويعجبُ
وكانت على الايام تنمو وتعذب كزاكية الاغصان والصقع طيبُ
يبشرن في فصل ويثمرن في فصلِ

الى ان غدت في اعين المتوسمِ تنيرُ كنور الشارق المتبسمِ
منعمة الاعطاف لا عن تنعمِ متممةٌ اوصافها لم تُتممِ
بحلي ولم تصلح بطلي ولا اصقلِ

محاسن غرٌّ لو رأتها اميرةٌ رأت كيف تعلوها فتاة حقيرةٌ
وكيف حوت جاه الملوك فقيرةٌ مصوَّرة مما تجوع جديرةٌ
باحسان ارباب المبرات والبذلِ

بهاءٌ به يسمو على الجاه فقرها وعريٌ به يزري الجواهر نحرها
وثوب عتيق ان قسا منه سترها اباح كنوزًا للنواظر صدرها
يحرّمها الجفن المرصد بالنبل

ورأسٌ اذا ما زانه تاج شعرها فاشرف من عرش غضاضة قدرها
وقد تشتريه ذات تاج بفخرها وترضى به تاجًا كريمًا لفقرها
بلا اسف منها على الجاه والنبل

***

وقال ابوها يوم تمَّ شبابها وحيك لها من نور فجر اهابها
ابا ام ليلى حسب ليلى عذابها توفَّر مسعاها وقلَّ اكتسابها
واسأم تكرار السؤال ذوي الفضلِ

اراها اصحَّ الآن جسمًا واجملا وقد حان ان نجني جناها المؤملا
نمت ونموُّ الفقر يأتي معجلا ولم ار كالحانات افضل موئلا
لمن يطلبون الرزق من بابه السهلِ

فقالت لها امٌّ شديد دهاؤها كريمٌ ما فيها سريع بكاؤها

بنية هذي الحال اعضلَ داؤُها وانتِ لنا دونَ الانام دواؤُها
ومن نرتجي الاّك للعون والكفل

فقالت اشيري يا اميمة انني لطوعك مهما تامري اتفنن
وما تؤثريهِ احترفه واتقن وكل الذي فيه رضاك يسرُّني
وما لي عنه يا اميمة من شغل

فقالت لها اني ارى لك مهنةً تعيد علينا نعمة العيش منةً
تكونين فيها للنواظر جنةً والشاربين المستهامين فتنةً
فترقين اوج السعد من اقرب السبل

«فيا أُمها أولى بها العدم والطوى من السعد تهديه اليها يد الهوى
واولى بها من ان تذال فتصفُوَا معاناة هم ناصب يوهن القوى
وسيرٌ على شوك القتاد بلا نعلِ »

كذلك ناجاها الضمير مؤنبا ولكنَّ جوع النفس فيها تغلَّبا
فردَّ الى الصمت الضميرَ مخيبا وأُلقي بتلك البنت في اوَّل الصبا
الى حيث يخشى ناسك زلة الرجلِ

***

فمرَّ بها في حانةٍ نفرٌ اولو مجونٍ دعتهم بالرموز فاقبلوا
وحيوا فحيتهم وفيها تدالُ فقال فتىً ما للمليحة تخجل
وحيث تكن تنزل على الرحب والسهلِ

تسمّين يا حسناء قالت تحببا انا اسميَ ليلى هل ترى اسمي معجبا
فقال لئن انشدته الصخرَ اطربا برقَّة هذا الصوت او راهباً صبا
او الثاكلَ اعتاض السرورَ من الثكلِ

وقال فتى ما شاء ربك احكما جمالك يا ليلى فجاء متمما
رأيت ولكن لا كثغرك مبسما ولا مثل هذي العين تروي على ظما
ولا كحلاً في الجفن افصح للكحلِ

فلما سقتهم قال نشوان يمزحُ اتسقيننا روحًا وجفنك يذبحُ
ومدَّ يدا منهم فتى متوحُ اليها فجافت ثم صافت ليسمحوا
لها بمزيدٍ من شرابٍ ومن نقلِ

وقالت بتولٌ فارقبوا الله واتقوا   ولكن اشار الحظُ ان لا تصدقوا
فاضحكهم هذا العفاف الملفقُ   وقال فتى شأن الرحيق يعتَّقُ
ولكن تعتيق العفاف من الخبل

فتى ثانٍ وقال تفننا   اما زلتِ بكراً .. بشمها الدير ههنا
ولكنها الازهار تخلق للجنى   والا فغبنٌ ان تطيب وتحسنا
الى ان نراها ذابلات على الاصل

وقال فتى ما [illegible] في خير مذهبِ   فقال نجيبٌ كأس راح مطيبِ
فما شئت قلبها نشق ومشرب   فان هي لم تعطب فلست بمذنبِ
وان كدرت باللمس تطهر بالغسل

وكان رفيقٌ منهمُ متأملا   يرى آسفاً ذاك الدعاب المذمما
وتلك الفتاة البكر خلقاً متيما   وعرضاً غدا اثنائه متحطما
فقال «كفى هذا التطوح في الهزل

لئن جاز مسّ البكر او ساغ لثمها   بلا حرج ما دام يؤمن ثلمها
فلمْ زهرة الروض التي هي رسمها   اذا ابتذلت جفت ولو صين كمها
ولم تستمد زهوا وطيبا من الطل»

***

ايا ليل هل تصفو وتطلع انجما   لتقذى بارجاس الورى اعين السما
ويا زوجةً قالوا به الرقُّ حرّما   علام أبيح الطفلُ للجوع والظما
فباعاه للفحشاء تحت يد العدل

اصيبية جاؤا المكان ليسهروا   وقد اجلسوها يسكرون وتسكرُ
فلما نفى اللبَّ الشراب المخمّرُ   تمادوا بها في غيهم وتهوّروا
وارقصهم طوافة الزمر والطبل

فهذا معاطيها وذاك مداعبٌ   وهذا مداجيها وذاك مشاغبُ
وهذا مراضيها وذاك مغاضبٌ   وهذا مباكيها وذاك ملاعبُ
وكلاً ترى منهم على خلق رذل

يحاول كلٌّ ان يزيغ فؤادها   وكلٌّ يرجي ان يضلَّ رشادها
يرومون منها ان تبيح وسادها   ويبغون طراً بغيها وفسادها

سواء لديهم بالحرام وبالحلّ

ذئابٌ تداجي نعجة لافتراسها وترقب منها فرصة لاختلاسها
ولكنها ردتهمُ عن مساسها تبالغ في تشويقهم باحتباسها
وتستنزل الآلاء يغدقن كالوبلِ

فما هي منها في الطهارة رغبةٌ ولا هي من فقد البكارة رهبةٌ
ولكنه علمٌ لديها ودربةٌ كما أبواها اذّباها وعصبةٌ
أرتها فنون الغش بالقول والفعلِ

تصيد لُهى عشاقها باحتيالها وتبتز منها امُّها فضل مالها
فتنفقه في رَوحها ودلالها وتقني الحلى معتاضة عن جمالها
باوسمة للقبح في الشيب والعطل

لك الخزي من عصر يفاخر ماخلا وقد عود الاطفال فيه التسولا
وسيمت به الابكار سوما محللا وباعت نساء ولدها واشترت حلي
والقى رجال بالبنوة في الوحل

***

على هذه الحال الشديد نكيرها نما الحسن في ليلى ومات ضميرها
فكانت كمشكاة يعزُّ نظيرها باتقانها لكن خبا الدهر نورها
وبان الحيا فالعين غمدٌ بلا نصلِ

فلما استوى شكلاً ربيع الصبا بها وشبّ عن الاكمام زهر شبابها
ودلّ على النعماء غضٌّ اهابها وانكر ماضي فقرها وعذابها
حكت جنة فتانة القلب والعقلِ

وما هي الا دمنة لكن اكتسى ثراها من النبت المزور ملبسا
ويسطع منها الطيب لكن مدنسا وفي زهرها تنمو الرذائل والاسى
ومَوردها عذب ولكنه بصلي

تكامل فيها الحسنُ والمكر اجمعا كانهما صنوان قد ولدا معا
ودرّهما ثديٌ لأمّ فارضعا وشبّاً بحجر واحد وترعرعا
وضماً بعقد مبرم غير منحل

فلو زرتها مملوءة النهد معصرا لابكاك ما ساءت خلالاً ومخبرا

وسرّك ما جادت بهاءً ومنظرا وقلتَ أليلى هذه وبها أرى
اشدّ طباق في الطوية والشكل

نعم هي ليلى لكن الآن تكذب ويكذبُ منها الحاجب المتحدبُ
ويكذب فيها قلبها المتقلبُ الى ان يحار الناس فيها ويعجبوا
وما عهدت ليلى كذلك من قبلِ

وتكذب في ميلادها وولائها وتكذب في ميعادها ورجائها
وزرقة عينيها وبرد صفائها وحمرة خديها وورد حيائها
وفي عطفها المضنى وفي ردفها العبلِ

وتخلق زورًا في المحاجر ادمعا وتنشيء لونًا للحياء مصنعا
وتنسج للتمويه في الوجه برقعا وتبكي كما تفترّ في لحظة معا
وترضى مع الراضي وتأسى لذي الغلِّ

تخاطب كلاً بالذي في ضميره لما هي تدري من خفي أموره
وتعجبه في حزنه وسروره وتصطاده لطماً بفخ غروره
فيفترّ عن حزم ويسخو على بخلِ

حوى سيراً من كل ضرب فؤادها بها يهتدي سبل الخداع رشادها
ويقوى على ضعف القلوب ودادها فلا تنثني حتى يتمّ مرادها
ويرجع عنها الكلُّ راضين بالكلّ

يحدثها كلٌّ بامر مجددا ويفشي لها أسراره متوددا
وما يكشف البدر الظلام اذا بدا كما تكشف الاسرار ليلى وما الصدى
بأسرع منها في الحكاية والنقلِ

وكم تصطفي ذا غرة لا يخالها محصَّنة بكراً وذي الحال حالها
فيغويه فيها أنسها وابتذالها ويسخو عليها ما يشاء احتيالها
وتعرض عنه حين يطمع في الوصلِ

أليس صفاء البكر في اول الصبى كقطر الندى الحالي به زهر الربى
فان يستحل ذاك الصفاء تلهبا فلا عجبٌ ان تحسب البكرُ ثيبا
ويخطيء فيها من يكون على جهلِ

وكم من سريٍّ مولع بالتعففِ سبت بالحياء الكاذب المتكلفِ

وتامته بالقول الجميل الملطف وبالتيه حيث التيه محض تزلف
وبالهجر حيث الهجر أجمع للشمل

فان البغايا ان حسنَّ ظواهرا وجارين في ادابهنَّ الحرائر
وكنَّ جميعاً كالنجوم سوافرا فاي حكم يستبين السرائرا
وهل في ضياء الشهب فرق لمستجلِ

***

على انها لم ترض عن مستقرّها وكانت تناجيها اماني فكرها
بان تتولىَّ عاجلاً فكَّ اسرها فان وفقت فازت باعلاء قدرها
على كل من تعلو عليها وتستعلي

وكان فتى طلق المحيا جميلهُ ولكنه نذل الفؤاد ذليلهُ
يميل اليها وهي لا تستميله فيزداد فيه غيظه وغليلهُ
ويلتفُّ في احشائه اللؤم كالصلِّ

وكان كثيراً ما يودُّ خطابها فتصغي اليه وهي تحسو شرابها
فان ملأت مما يقول وطابها تولت وكان الصدّ عنه جوابها
فثارت لفرط الكيد ادمعه تغلي

فآلى لها يوماً بان يتأهلا بها فاصاب الوعد منها المؤملا
فقالت كفاني خدمة وتبتلا وذي نعمة ارقى بها سلّم العلى
وماذا ترجي بعدها امرأة مثلي

فابدت له الاقبال بعد التبرمِ ولكن أطالت خبره خوف مندمِ
فقالت لها النفس الطموع «الى كمِ تظلان في مشقٍ من الريب مؤلم
ويقضى نفيس العمر في الوعد والمطلِ

فلم ارَ اهوى من جميل وأطوعا فؤاداً ولا وجهاً أحبَّ وأبدعا
فتى لك يهدى قلبه واسمه معا فان طال هذا المطل منك تطلعا
الى امرأة تسموك بالجاه والاصلِ »

فخامر ليلى الخوف ثم تحولا الى غيرة والغيرة انقلبت الى
غرامٍ فامست لا ترى حسناً ولا تكاشف بالحبّ النزيه مؤملا
سوى ذلك الفرّ الجميل من الكلّ

ومن نكد المخدوع ان زمانهُ يسخر للخل المداجي امانهُ
فاذ يرعوي المغرى ليلوي عنانهُ يكون المداجي قد اذاه وخانهُ
وأدرك ما يسعى اليه من السؤلِ

اصمَّ الهوى ليلى وأعمى ذكاءها ووردَّ عليها كيدها ودهاءها
فمن نفسها نالت وشيكاً جزاءها ومشقي الورى منها أتم شقاءها
بان أُخذت في نحها بيدي وَغلِ

***

وليلة أنس زارها من صحابها فريقٌ بغوا ان يكشفوا سرَّمابها
فدار حديث بينهم في عتابها لاعراضها عن صحبها وانقلابها
الى أجدر العشاق بالصدِّ والرذلِ

فخالهم يهجونه لمآربِ وبينهم محضُ النصح في فم ثالبِ
فبينا تجافي دونه كل عاتبِ اتى يتهادى بين جيش معايبِ
تهاديَ فيل حفَّ بالخيل والرجلِ

ففارقت الحضار طراً واقبلتْ عليه وفي احشائها غلة غلتْ
وفي وجنتيها حمرة كاللظى علتْ فحيته بالبشر الطليق واغفلتْ
سواه من الجلاس كالسلعة الغفلِ

« اهذا الذي فيه الملام يريبها وفي حبه سعدُ الحياة وطيبها
همُ بغضاء والحبيب حبيبها وهم بلهاء لا جميل خطيبها
وما لجميل بينهم من فتى كفلِ

***

وكان من الجلاس أشيبُ مغرمُ وأقوى غرام المرء في حين يهرمُ
فقال الى كم نحن نعطي ونُنعمُ ليحظى بليلى آخرون وينعموا
فيسقون من خمر ونسقى من الخلِّ

دعاها فجاءته تجيب تلمظا « نعم » فتلقاها بشتم وأغلظا
فسالت مآقيها اسىً وتغيظا فثار جميل يقذف السمَّ واللظى
عليه بمدرار من السبِّ منهلِ

وبارزه حتى التراب تخضبا ففاز على الشيب الصبي متغلبا

وأشبعه ذلاً لكي يتأدبا وعلمه ابن التصابي من الصبى
واقنعه بالاكم والاطم والركل

فلما رأت ليلى الذي كان قرّت وفرّج عنها غيم حقد وحسرة
وأعجبها ذاك الوفاء فسرّت ونادت جميلاً يا ملاذي ونصرتي
فدى لك نفسي من شجاع ومن خلّ

والقت عياءً رأسها فوق صدره فزان سواد الشعر ابيض نحره
مثالان قاما للشباب ونصره وللحسن تجلو شمسه وجه بدره
وللحب مرفوع اللواء على العذل

فألوى عليها عاكفاً متدانيا يخاصر املوداً من القدّ واهيا
ويرشف من اجفانها الدمع جاريا على ورد خد يخجل الورد زاهيا
يحلّى باكليل من الدرّ مخضلّ

كأن جميلاً في ارتشاف شؤونها سقى وردة مجرورة من عيونها
كأن الندى المنثور فوق جبينها مدامع فجر افرغت في هتونها
على روضة شبه الهلال من الفلّ

***

وأوحى اليه المكر ان يتعجلا ليدرك من ليلى الوصال المؤملا
فان أمهلت حتى تفيق وتعقلا تقده كما تهوى صبورا مذللا
فيادبها جرّه الطفل بالحبل

فسار بها في جنح اليل أهيم كهمّ على صدر الوجود مخيم
الى ربض قفر المسالك مظلم معدّ ليؤتى فيه كل محرم
بما ثمّ من غاب ومن شجر جثل

فطارت به نفس الفتاة تروعا فراودها عن نفسها متضرعا
فعفّت فثناها فزادت تمنعا فاقسم الا ان يموتا اذاً معا
طعيني حديد بين كفيه مستلّ

وبالغ في اغرائها متسماً لها بان فتاها من غد صار بعلها
ويرفعها شأناً ويكفل اهلها ويجعل في أسمى الصروح محلها
وينقذها من عيشة الاسر والغلّ

وكان يهمُّ الصبحُ ان يتطلعا ويفتضَّ ازرار السماء ليسطعا
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا فلم يطو منه الذيلَ الا وقد وعى
دماً طاهراً اجراه أثم فتى نذلِ

دم كان سرًّا في البتول مقدسا فلما أراقته ابتذالاً تدنسا
أفي لحظة تغدو المصونة مومسا وتضحي عروس البغي اكليلها الاسى
ومرقدها فوق الحجارة والرمل

فما الكوكب الدري زلَّ واعتما ولا الملك الهاوي الطريد من السما
باعجل من ليلى سقوطاً واعظما فلو رضيت بالموت بعلاً وانما
ارضى الردى بعلاً سوى امرأة اهلِ

* * *

مضت سنة تصفو الليالي وتعذب مراراً وليلى دائماً تتعذب
صبور على جمر القضا تتقلبُ جفاها الاولى قدماً اليها تقربوا
وما لقيت منهم سوى الهجر والخذل

وكان جميلٌ كالسلاه له حلي ويكدي جلابيب الحرير تبذلا
ونقرضه ليلى حتى خزيها ولا تفنْ عليه خوف ان يتحوّلا
وبفلت منها وهي في اشهر الحملِ

فيأخذ مال السحت والعيب رشوةً ويغدو كما لو كان يملك ثروةً
يشارك فيه والديها واخوةً تعولهمُ اكلاً ومأوىً وكسوة
وتحرم ليلى لذة النوم والاكلِ

وكم مثل هذا سافلاً رقي الذرى وتاه على القوم الكرام تكبرا
تبرتزق يأتيه من حيث لا يرى كأنَّ له كنزًا خفياً عن الورى
هداه اليه ساحرٌ ضارب الرمل

وظل جميل لا يني دين وعده وليلى ثبوتٌ في صيانة عهده
وتهواه حتى في اساءة قصده وتحمل منه المطل خشية بعده
وتقبل منه ما يمرُّ وما يحلي

مصائبها برأتها من خطائها وحزنها من خبثها وريائها
عفا رَبُّها عنها لصدق ولائها واخلاصها حرقًا بنار شقائها

وطهّرها غسلاً بدمعها الجزل

فلما قضت من عدة الحمل اشهرا شكت المًا يستنفد الصبر منكرا
وكانت على المألوف تشرب مسكرا وتتعب حتى يطلع الفجر مسفرا

فتمضي بجسم خائر العزم معتل

فقالت لمن تهوى اراني ضئيلة فان تفني مالي يكن لي وسيلة
لاشفى والأ متُّ حبلى عليلة فقرَّحها بالوعد افكاً وحيلة

وفرَّ فرار اللص من حاكم عدلِ

وطال عليها يومها في التوقعِ ومرَّ زمانٌ بعده في التوجع
تبيت على مهد الاسى والتفجع وتصبح في يأس اليم مصدعِ

وليس لها مشكٍ وليس لها مسلِ

ايهتك عرض البكر وهو مخاتلُ ويسرق ما تجنيه زلاءُ حاملُ
و يردي ابنه المسكين والعدل غافلُ فوا خجلتا زانٍ ولصٌّ وقاتلُ

ويكرم بين الناس اكرام ذي فضلِ

***

وليل اشدُّ الداء ليسر خطبه يطوى كأن الموت فرجة كربهِ
تجنّى على ليلى بانواع حربهِ ومدَّ لها شوكاً بانوار شهبه

واوردها الاسقام علاً الى نهلِ

اضاعت به مما تقاسيه رشدها وعانت من الاوصاب فيه اشدَّها
يغالب آناً وجدها فيه حقدها ويغلب آناً حقدها فيه وجدها

وتصرخ من فرط التألم والأزلِ

« ايا ربِّ اني حاملٌ ثم مرضعُ وليس لقلبي من شقائي مفزعُ
ومالي من القوت الضروري مشبعُ واشعر ان ابني بجوفي موجعُ

فهل هو جانٍ ام يعذَّب من اجلي

لقد بعتُ كلَّ المقتنى ورهنته وانفقت حتى خاتمًا منه صنته
هو العهد من ذاك الخؤون اؤتمنته ضننت به من حيث كنت ظننته

لعودته فألاً فزال به فألي

ايا ربِّ قد يهفو الملاك تكبرا و يهفو وليٌّ ان سها حين كبرا

ويأتي وليد ان تبسم منكرا ولكن جنين لا يفوه ولا يرى
انجزبه في ذنبي وتلزمه جبلي
لتهنئك يا بنت النعيم سعادة كما شئتها تأتي وفيها زيادة
وتهنئك من بعل كريم عبادة ويهنئك حمل طاهر وولادة
وطفل ربيب المجد والسعد والدل
تجف دماني ما تفكرت انني على وشك وضع والشقاء يحفني
ولم أر حولي من معين ومحسن وكم أطلب الرزق العصي فاتني
وقد ناء بي عن قصده ثقل الحمل
الا لم هذا الطفل يحيا ولا ابا له أليشقى شقوتي ويعذبا
كفى قلب احنى الوالدات تحوّبا وحاشاه ان يأتي قريباً اذا أبى
حياة الاسى والجوع للولد الطفل
أتغنيك من مهد بقية اضلعي ويغنيك من شدو نواح تفجعي
وهل تتغذى من فؤادي المقطع وتشرب ماء من سواكب ادمعي
وهل ترتدي العار الستير بالحلي
فيا ولدي المسكين فلذة مهجتي ويا امة عوقبت فيها بنقمة
ومن كنت ارجوه لسعدي وبهجتي وكان يناجيه ضميري بعتقي
وآمل ان يحيا ويرجع لي بعلي
تموت ولما تستهل مبشرا تموت ولم انظر محياك مسفرا
وتبرح قبراً فيه عذبت اشهرا الى جدث منه ابرّ واطهرا
وتحيا صغار الطير دونك والنحل
تموت وما سامت حتى تودعا وأمك تسقيك السموم انصرعا
وتنفيك من جوف به كنت مودعا لتكفيك عمراً لا يطاق بما وعى
من الحزن والالام والفقر والذل
فان تلق وجه الله في عالم السنى فقل ربي اغفر ذنب أمي محسنا
فما اقترفت شيئاً ولكن ابي جنى علينا فعاقبه بتعذيبه لنا
وامطره نيراناً تذيب ولا تبلي
كفرت بحبي في ذهول تفحشي فعفوك يا ابني ما ابوك بمذنب

فقل رب امي اهلكتني لا ابي وامي زنت حتى جنت ماجنته بي
فزدها شقاء واجزها القتل بالقتل »

***

رأت شهب الظلماء مشهد ظلمها لدن اسقطت منها الجنين بسمها
فلم تتساقط مغضبات لحطمها واشرب نور الشمس من دم اثمها
كما يلغ الضاري الدماء ويستحلي

***

على ان ليلى بعد عام تصرما سلت في الملاهي امرها المتقدما
وعاش جميل ناعم البال مكرماً كأنهما لم يستبيحا محرما
وما عوقبت غير الطهارة والطفل



ايضاح عن حل رياضي

حضرة منشىء الهلال

اطلعت في العدد السادس لهذه السنة على ملاحظة لحضرة الفاضل الياس افندي جرجس بهنا على الفقرة المنشورة في الهلال الاول لتلك السنة بعنوان « حل رياضي » فشكرت حسن نيته واعجبني اهتمامه للوقوف على الحقيقة وعليها أجيب :

اني لم أتوصل من ذاتي للوقوف على هذا الضابط بل اقتبسته من فضلات القوم المتقدمين اذ عثرت عليه في بعض الكتب الروسية ولما رأيت اقتراح الخواجا ج ٠ ل ٠ اجبت عليه ٠ وبعد مدة بينما كنت اقلب صفحات ذلك الكتاب في أوقات الفراغ وجدت ضابط ١٣ فندمت غاية الندم لاسراعي بارسال ضابط عدد واحد فقط مع ان الضابطين بنص واحد كما قال جناب الياس افندي انها تصدق على ١٣ فصرت ابحث لوحدي عن السبب الذي اعتمد عليه الرياضيون في وضع هذين الضابطين كما ذكرت الضوابط للاعداد

المدارس والتعليم في مصر

نقلا عن تقرير اللورد كرومر (ترجمة المقطم)

كان تحت ادارة نظارة المعارف العمومية وتحت مراقبتها سنة ١٩٠٤ ما يزيد على ١٤٠,٠٠٠ تلميذ يقابلهم ٩٢,٠٠٠ في السنة التي قبلها و ٥٤,٠٠٠ سنة ١٩٠٢ و ٤٢,٠٠٠ سنة ١٩٠١ و ٣٧,٠٠٠ سنة ١٩٠٠ و ٩,٠٠٠ سنة ١٨٩٠ و ٥,٠٠٠ سنة ١٨٨٠

وقد استلزم هذا النموّ ازدياد مصروف النظارة كثيرًا فجعل مصروفها ٢٠٣,٥٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤ يقابله ١٤١,٧٠٩ جنيه سنة ١٨٩٤ و ١٢٥,١٧٩ جنيه سنة ١٨٨٤ وقد دفعت الحكومة منه ١٢٠,٥٠٠ جنيه والباقي وقدره ٨٣,٠٠٠ جنيه اخذ من ايراد اجرة التعليم وريع بعض العقارات وديوان الاوقاف . وقد قدّر المصروف في السنة الحالية بمبلغ ٢٣٤,٨٠٠ جنيه اي بزيادة ٣١,٣٠٠ جنيه . وخصّ نحو ٨,٠٠٠ جنيه من هذه الزيادة بترقية التعليم في الكتاتيب و ٣,٥٠٠ جنيه بالتعليم الابتدائي و ٢٥٠٠ جنيه بالتعليم الثانوي و ٠٠٠,٠ جنيه بتعليم المعلمين التعليم الصناعي و ١٠,٠٠٠ بترقية الرواتب في النظارة و ٥,٠٠٠ بامور اخرى

وبلغ عدد التلامذة في المدارس الابتدائية ٩,٤٩٤ عند نهاية السنة الماضية فزادوا ٥٤٥ منذ سنة ١٨٩٩ . ومما يستحق الذكر ان تلميذًا واحدًا فقط يتعلم مجانًا في المدارس الابتدائية ما عدا مدرستي عباس للصبيان والبنات فان بينهما وبين مصلحة السكة الحديد اتفاقًا خصوصيًا

اما ازدياد عدد التلامذة في المدارس الثانوية فاكثر بالنسبة اليه في المدارس الابتدائية فقد كان عددهم ٥٦٩ سنة ١٩٠٠ فصاروا الآن ١,٠٣٣ منهم تلميذ واحد يتعلم مجانًا . وقد ضاقت المدارس الثانوية بطلابها حتى اضطرّت مدرستا القاهرة الى رفض ٣٦ تلميذًا هذا ولما كان عدد تلامذة المدارس الابتدائية عظيمًا فلابد من ان يزيد عدد طالبي الدخول الى المدارس الثانوية في السنوات المقبلة زيادة تذكر ولذلك يجب توسيع المدارس الثانوية والا توقف التعليم عن التقدّم

هذا وقد ذكرت في تقاريري الماضية ما يبديه المسلمون من قلة الاهتمام بامر التعليم بالنسبة الى سائر الطوائف ويسرني الآن ان نسبة التلامذة المسلمين الذين نجحوا في

الامتحان الابتدائي والامتحان الثانوي كانت في السنة الماضية اعلى مما كانت عليه في السنين السابقة . فقد كان عدد الذين نالوا الشهادة الابتدائية ٨٩١ منهم ٥٨٤ من المسلمين و٣٠٢ من المسيحيين و ٥ من اليهود . وعليه كان ٦٦ في المئة منهم من المسلمين يقابلهم ٦٣ في المئة سنة ١٩٠٣ و ٦٠ في المئة سنة ١٩٠٢ وكان عدد الذين نالوا الشهادة الثانوية ١٣٦ منهم ٩٢ من المسلمين و ٤٠ من المسيحيين و ٣ من اليهود . وعليه كان ٦٨ في المئة منهم من المسلمين يقابلهم ٦٤ في المئة سنة ١٩٠٣ و٦٢ في المئة سنة ١٩٠٢ . على انهُ لما كان المسلمون ٩٣ في المئة من سكان القطر كلهم فلابدّ لهم من جدٍ كثير حتى يدركوا منزلتهم في منازل العلم والتهذيب

المدارس الخصوصية

كان عدد الذين درسوا في المدارس الاميرية وتقدموا لامتحان الشهادة الابتدائية ١٫٤٨٧ تلميذاً وعدد الذين درسوا في المدارس الخصوصية او في منازلهم ١٫٤٧٨ . وبلغ عدد المدارس الخصوصية التي تقدم منها تلامذة للامتحان في السنة الماضية ٩٢ يقابله ٩٤ في السنة التي قبلها و ٨٦ سنة ١٩٠٢ و ٧٠ سنة ١٩٠١ و ٥٣ سنة ١٩٠٠ و ٤٣ سنة ١٨٩٩ و ٣٠ سنة ١٨٩٨ و ٣ سنة ١٨٩٣ . ثم ان ٤٤ من هذه المدارس تحت ادارة المسلمين و ٢٧ تحت ادارة الاقباط و ٢٠ تحت ادارة المرسلين او تحت ادارة اليهود

على ان عدم ازدياد المدارس الخصوصية التي يتقدم منها تلامذة لهذا الامتحان ليس مما يستحق الاسف لان ازدياد المدارس الابتدائية التي تنشأ على النسق الاوروبي وتقلد نظام المدارس الاميرية ازدياد سريع يدلُّ على عوج في منهاج التعليم

فان النظام الذي وضع للمدارس الاميرية قبل عهد الاحتلال البريطاني بزمان طويل وضع على ان يكون معظم تعليم التلامذة المصريين تعليماً اوروبياً فلم يكن نظاماً مطابقاً لما تحتاج اليهِ الامة في امر التعليم والتهذيب ولا يمكن اعتبارهُ وافياً بحاجاتها من هذا القبيل ولا يصح ان يكون هو النمط الذي يجري التعليم عليهِ الى ما شاء الله . اما التعليم الثانوي وتعليم فروع اخرى من فروع التعليم الاوروبي فمسلم انهُ لاغنى عن الزيادة في تدبير ما يلزم لسدّ مقتضياتهما . واما التعليم الابتدائي فلاشك في ان الاربع والثلثين مدرسة الابتدائية (١٣ في القاهرة و ٢١ في بنادر الاقاليم) كافية لسد كل ما تحتاج اليهِ البلاد خصوصاً وعموماً من هذه الدرجة من درجات التعليم الاوروبي . بل لو فرضنا ان هذه المدارس الخصوصية المتزايدة توفي التعليم المقصود منها حقهُ لما كانت الزيادة في عددها زيادة ربح للتعليم

والتهذيب لان زيادتها تحول كثيرًا من الجد والهمة عن المواضع التي يكون بذلها فيها خيرًا وانفع . ولكن اكثرها ضعيف قاصر عن ان يوفي التعليم حقه كما هو مشهور عنها ومما لابد ان يكون في مثل الاحوال التي هي فيها لعدم وجود المعلمين الصالحين للتعليم فيها . فانه لما كثر الطلب على المعلمين الوطنيين لتعليم اللغة الانكليزية اضطرت نظارة المعارف ان تستخدم معلمين غير مدربين على التعليم للتعليم في مدارسها الابتدائية وذلك مع وجود مدارس المعلمين لديها لتستمد المعلمين منها لمدارسها فكيف يؤمل ان المدارس الخصوصية المنظمة على هذا النمط تجد الآن او بعد برهة من الزمان المعلمين الصالحين للتعليم فيها اذا تكاثر عددها وهي ليس لديها مدارس لتعليم المعلمين كنظارة المعارف . فلذلك يكون الصواب ان الجهد الذي يبذله الافراد في سبيل التعليم يحوَّل الى سبل يأتي فيها بفائدة اعظم ومنفعة اتم وان يترك امر المدارس التي تعلم فيها لغة اوربية للحكومة حتى تهتمّ هي بها

والبلاد تحتاج الآن الى ثلاث طرق للتعليم عدا طريقة التعليم في المدارس الاميرية على النمط الاوربي (وهذه الاخيرة لاتكفي لغير النزر اليسير من الاهالي)

وتلك الطرق الثلاث هي اولاً انشاء كتّاب في كل قرية من القرى وفي كل حيّ من احياء المدن

وثانيًا انشاء مدرسة عربية اعلى من الكتاب درجة في كل مدينة من اكبر مدن الاقاليم

وثالثًا الجمع بين هذه المدارس وبين اعمال الزراعة والصناعة بتنظيم ما يسهّل على التلامذة التمرن على تلك الاعمال و بانشاء مدارس صناعية

فهذه هي الطرق التي يحسن ان يحوَّل سعي اهل السعي اليها لان سعيهم فيها ياتي بالنفع المطلوب لافي تكثير المدارس المنظمة على النمط الاوربي . والحكومة مستعدة ان تقرن سعيها بسعيهم وشعورها بشعورهم في الاهتمام بهذه الطرق وتدبير مايلزم تدبيره لها حتى تقضي حاجات الامة بها . على ان النجاح في هذا السبيل يتوقف على مقدار اهتمام الاهالي به وعلى مقدار الاعانة المالية التي يتبرعون بها له . لانه لايسع الحكومة — بل لايحسن بها — ان تقوم بهذه المهمة وحدها اذ لو فعلت ذلك للزمها ان تزيد عدد مستخدميها زيادة عظيمة جدًا وتتقدم رواتب غير كافية رغماً عنها وكفى بذلك اعتراضاً على قيامها بهذه المهمة وحدها فكيف اذا اضيفت اليه الاعتراضات الاخرى المالية ايضاً

الكتاتيب

من اهمّ المسائل في مصر مسألة التعليم الابتدائي . فان نجاح المشروعات المختلفة التي

يقصد بها اصلاح حال الفلاحين يتوقف كثيرًا على انتشار التعليم في القطر حتى يتمكن الاهالي من العلم بامور أُخرى غير ما علموهُ بالتقليد . وعليه فان انشاء البنوك الزراعية والجمعيات الزراعية واصلاح حال الزراعة والمشروعات الموضوعة لاصلاح الاحوال الصحية في الارياف وغيرها من المشروعات — كل ذلك لا يعود على اهالي الارياف بالفوائد الجليلة التي تنتظر منهُ ما لم يختمر الخميرة التعليم الابتدائي

ولا ينكر ان التعليم الابتدائي تقدم تقدماً يذكر في السنين الاخيرة . فان في القطر الآن ٩٤ كتاباً تحت ادارة نظارة المعارف يتعلم فيها ٤,٣١٨ صبياً و ١,٣٥٣ بنتاً التعليم الابتدائي باللغة العربية (١) . والاصلاح الوحيد الذي تحتاج اليه بناء امكنة ملائمة للتدريس فان بعض الكتاتيب في حالة سيئة بسبب الازدحام . والامل ان هذه الحاجة تسدُّ تدريجاً

وفي القطر ايضاً كتاتيب خصوصية تحت مراقبة نظارة المعارف و بعضها ياخذ اعانات من الحكومة . وكان عددها ٣٠١ سنة ١٨٩٨ فزاد حتى بلغ ٣,٦٩٨ سنة ١٩٠٤ وكانت الاعانات التي دفعتها الحكومة ٥٠٠ جنيه سنة ١٨٩٨ وزعتها على ١١٠ كتاتيب فبلغت ٩,٥٠٠ سنة ١٩٠٤ وزعت على ١,٩٤٤ كتاباً . وزاد عدد التلامذة في تلك المدة من ٧,٥٣٦ (منهم ٦,٩٣٨ صبياً و٥٩٨ بنتاً) الى ١٢٤,٤٨٦ (منهم ١١٥,٨٧١ صبياً و٨,٦١٥ بنتاً) . و ينتظر ان يزيد ٨٠٠ كتاب من الكتاتيب التي تحت المراقبة هذه السنة وقد افرد مبلغ جديد قدره ٤,٠٠٠ ج . ليوزع اعانات . وسيزاد عدد المفتشين

على ان الامر ليس على تمام المرام بخلاف ما يتبادر الى الذهن من قراءة ما تقدم . فقد ظهر من التفتيش السنوي الاخير للكتاتيب الخصوصية ان نحو ٨١,٠٠٠ تلميذ من مجموع التلامذة كلهم وقدره نحو ١٢٤,٠٠٠ كما ذكر آنفاً لم يتعلموا الكتابة و ٧٠,٠٠٠ لم يتعلموا الحساب و ٥٤,٠٠٠ لم يتعلموا شيئاً من القراءة . وقد اصاب المستر دنلوب الذي خدم التعليم في مصر خدمة جليلة وخصوصاً في ما نحن بصدده حيث قال « ان آفة الكتاتيب الاصلية لم تزل عن هذه الكتاتيب

ولا تزال المشقات في هذا السبيل عظيمة فقد كان تاثير الكتاتيب الى يومنا هذا تحويل اولاد الفقراء عن مساعدة والديهم في الزراعة وغيرها من اعمال الفلاحة الى الكسل

---

(١) لا تستصوب الحكومة تعليم لغة اوربية في هذه الكتاتيب ولا تعطي اعانة للكتاتيب الخصوصية التي تعلم فيها لغة غير العربية . وانما ذكرت هذا لان بعضهم حاول تعليم الانكليزية فيها

والبطالة فالشحاذة . لان الاولاد يقبلون على الكتاتيب افواجاً لا ليتعلموا ما يفيدهم في مستقبلهم بل ليحفظوا القرآن غيباً ويصيروا فقهاء فيعفوا من العسكرية [١] . والفقيه في مصر لا يختلف عن الشحاذ الا اذا كان يعلم القراءة في كتاب من الكتاتيب [٢] او يجوّد القرآن في المآتم والافراح [٣] فقد ظهر من احصاء سنة ١٨٩٧ انه كان في الوجه البحري ١٠٧,٧٠٠ رجل من ارباب الحرف والمهن المختلفة مثل النجارين والحدادين والخياطين والسكافين وغيرهم . واما عدد الفقهاء الذين معظمهم شحاذون فكان ١٠,٠٠٠ والمساعي مبذولة لمداواة هذا الداء بتعيين الدروس التي يجب تدريسها في كتاتيب الاعانة وتقليل رغبة الاولاد الذين يزيد سنهم عن ١١ او ١٢ سنة في حضور الكتاتيب . والغرض من ذلك تحويل الكتاتيب الى مدارس ابتدائية مفيدة واجرة التعليم فيها رخيصة فيعلّم فيها شيء مما يختص بالدين مع ما يلزم التلميذ من العلوم الاخرى للعناية بأمر نفسه في معيشته . فاذا أريد ان تبقى الكتاتيب نافعة لاولاد الفقراء وان تكون وافية بحاجاتهم في معيشتهم وجب ان لا يلتفت الى كل توسع فيها وتغيير في غايتها . ومما يستصوب كثيراً ان تؤيد المساعي المبذولة لاصلاح التعليم الديني في الكتاتيب وتنشيطه ولكن يجب ان يعلم الجميع ان الحكومة تعطي الاعانة لهذه الكتاتيب لا لزيادة عدد الفقهاء الجهلاء بل لتحويل الكتاتيب كلها او بعضها الى مدارس نافعة تسعى الى الغاية المشار اليها آنفاً . ولعلي لا اغضب احداً اذا قلت ان جمهور المصريين يعدون مشروع الاعانات امراً خيرياً يقصد به الاحسان الى فقرائهم لا امراً تهذيبياً يعود على القطر بالفوائد الجمة

—

(١) اقترح بعضهم ان لا يعفى الفقهاء من العسكرية الا اذا بلغوا درجة معلومة من العلوم وهو اقتراح جدير بالنظر والاعتبار ولا بد من مشاورة الائمة والعلماء في ذلك قبل اخراجه من القوة الى الفعل

(٢) عدد الفقهاء الذين يعلمون في الكتاتيب اقل من ١٠ في المئة من مجموع الفقهاء كلهم

(٣) اخبرت ان الاسلام ينهي عن اكتساب المعيشة بتجويد القرآن في المآتم والافراح . وقد عرض المفتي حديثاً تقريراً على مجلس شورى القوانين وافق المجلس عليه وجاء فيه ان حفظ القرآن مما تنبغي العناية به « اذا كان القصد منه الانتفاع به في الدين وحسن المعاملة ونظام المعيشة الصالحة لا ان يتخذ حرفة لنيل اخس العيش او اغاني يتغنى بها في الافراح والمآتم فان ذلك من انكر المنكرات الشرعية ولا يجوز لاحد ان يساعد على السعي اليه »

مطبوعات جديدة

(مجلة سركيس) هي مجلة ادبية فكاهية لمنشئها سليم افندي سركيس الصحافي المتفنن الذي يغني اسمه عن تعريفه وهي اول مجلة عربية سميت باسم صاحبها ولا بد ان يجري الادباء في المستقبل على هذه الطريقة في التسمية فيكون لسركيس افندي حق السبق في ذلك مثل سبقه في كثير من ضروب الصحافة العربية بما خصَّ به من حدة الذهن وقوة الاستنباط وحسن الاختيار وخصوصاً بعد ان خدم القلم (او استخدمه) زهاء عشرين سنة في القارات الاربع قضى الخمس الاخيرة منها في العالم الجديد يشتغل بالصحافة العربية والافرنجية فاطلع على ما بلغت اليه عندهم من أساليب التفنن وما أدركته من اسباب الارتقاء فازداد خبرة وعلماً فعاد بعد هذا الدرس الطويل وأنشأ مجلته التي نحن في صددها ووضعها على أسلوب جديد لم يسبقه اليه احد من كتاب العرب. فجعل مواضيعها مبتكرة لم تطرقها المجلات الاخرى واكثرها لا يمكن العثور عليه في الكتب او الصحف. فاودعها من الادب والفكاهة ما يبهج ولا يزعج. بلغة سهلة خفيفة يطالعها القارىء براحة ولذة لغرابة اسلوبها وخفة روحها لانه تفنن في كل شيء منها حتى حجمها فجعله مستطيلاً على شكل خاص وتفنن في تبويبها وتقسيمها وفي الاعلان عنها فاصدر لها منشوراً على مثالها جمع فيه خلاصة آراء كتاب العصر في مستقبل هذه المجلة من كتب خصوصية أجابوه بها على اسئلة القاها عليهم في هذا الشأن وشرح فيه موضوع المجلة. ثم احتفل بتدشين ادارتها وافتتاح مكتب الترجمة والنسخ بكيفية تخالف الطرق المألوفة عند الافرنج في هذا الشأن. فبدلاً من ان يبدأ الاحتفال بفتح قنينة شمبانيا اطلق حمامة بيضاء من قفص وهي طريقة اليابانيين في التدشين وقس على ذلك سائر أساليب التفنن. ويصدر العدد الاول من مجلة سركيس يوم صدور هذا الهلال ثم يتوالى صدورها مرتين في الشهر وبدل اشتراكها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في الخارج فنحث الادباء على مطالعتها ونرجو لها الرواج لانها جاءت حين الحاجة اليها وملأت فراغاً اعدته لها هذه النهضة في الصحافة العربية

(تذكار المهاجر) هو ديوان من الشعر العصري لرصيفنا قيصر افندي ابراهيم معلوف صاحب جريدة البرازيل ومحررها جمع فيه ما نظمه في أثناء هجرته هناك من قصائد الوصف على انواعه. وقد صدر الجزء الاول من هذا الديوان في ١٧٤ صفحة وفي

صدره مقدمة ضافية في الشعر وأساليبه وأحواله يليها قصائد رائعة منها قصيدة طويلة وصف بها مجيره اهله وضمنها ما لاقاه في طريقه الى المهجر من المدن والمشاهد والاحوال. وقصائد أخرى في مواضيع ادبية او عمرانية منها قصيدة في الفرق بين البنت البدوية والحضرية وأخرى في حديث بين ارملتين وصحافي وأخرى في وصف القمر بحكاية غرامية وكثير من قصائد التهنئة والتعزية وغيرهما على الاسلوب العصري الجديد. وفيه كثيرٌ من المعاني المبتكرة مع رقة وسهولة تدلان على ذكاء حضرة الناظم وسرعة خاطره. والكتاب يطلب من مطبعة المناظر في سانباولو بالبرازيل

(ديوان ابن نباتة) هو جمال الدين ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ وقد اشتهر برقة نظمه وعذوبة معانيه حتى جرى كثير من اياته مجرى الامثال وتغنى ببعضها المغنون وله ديوان كبير جمع كثيراً من فنون الشعر طبع منه قسم صغير في الاسكندرية من زمن بعيد فاشتاق الناس الى الاطلاع على سائره فاخذت الاريحيـة حضرة الشيخ محمد القلقيلي للاقدام على نشره من نسخة خطية في المكتبة الخديوية ثم تهيب من كبر الديوان وما يقتضيه من النفقة. فاخذ رصيفنا ابراهيم رمزي بك صاحب مطبعة التمدن بيده لاخراج هذا الاثر الى عالم المطبوعات فاستحق الشكر على ذلك والديوان يدخل في نيف وستماية صفحة كبيرة ويطلب من حضرة الناشر ومن مطبعة التمدن وثمن النسخة عشرون قرشاً غير اجرة البريد

(قانون الرسائل) هو كتاب في الادب لتاج الرئاسة ابي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من رؤساء الكتاب في عهد الدولة الفاطمية عني بنشره والتعليق عليه حضرة علي افندي بهجت وكيل دار الآثار العربية بالقاهرة نقلاً عن نسخة خطية بمكتبة كمبردج كتبت سنة ٥٩٧ هـ وفي الكتاب مقالات بليغة في وصف موكب الخليفة وركوبه في ايام الاعياد ونسخ سجلات رسمية لذلك العهد وخطب وأقوال فيها كثير من الفوائد الانشائية والادبية. والكتاب يطلب من حضرة الناشر فنحث الادباء على اقتنائه

(فتاة الغاب) هي رواية غرامية ادبية لمؤلفها يوسف افندي شديد ابي اللمع نزيل نيويورك وضعها على اسلوب مشوق بعبارة سهلة وضمنها كثيراً من احوال الاكليروس اللبناني وبالغ في اظهار مساوئهم وعلاقتهم بالاهالي وتوسطهم في شؤونهم واستئثارهم باوقاف الكنائس وفيه تفصيل كثير كأن الرواية وضعت لهذا الغرض التماساً للاصلاح بالانتقاد ولا ننكر صدق بعض اقواله على بعض رجال الاكليروس ولكنه شدد اللهجة

في انتقاده واطلقه على الكل وهو ظلمٌ على ان الانتقاد لا يخلو من الفائدة — والرواية تطلب من ادارة الهدى في نيويورك

﴿ فتاة المنيا ﴾ هي رواية ادبية تاريخية عصرية غرامية تاليف حضرة محمد افندي صادق العنتبلي بالمنيا حوادثها جرت في تلك المدينة وفيها عبرة لمن يزوّج ابنته بمن يريده هو وان كرهته الفتاة. والكتاب يطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة عشرة قروش واجرة البريد قرش

(الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية) هو كتاب مدرسي في الجغرافيا يشتمل على مقرر السنة الاولى الابتدائية حسب آخر بروجرام لنظارة المعارف العمومية تأليف حضرة سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير مجلة الهدى والمجلة المدرسية وفيه كثير من الرسوم الجغرافية ويطلب من حضرة المؤلف في السيدة زينب بمصر

﴿ نظرة في المبارزة ﴾ هي رسالة في المبارزة (الدويلو) بقلم سليم افندي عواد استخرج نصوصها العقابية من اشهر المؤلفات الفرنساوية في القضاء فصدرها بتعريف المبارزة مع بيان تاريخه وانواعه ثم احكامه باعتبار الدول فنثني على حضرته

﴿ الزهرة في نظام العالم والامم ﴾ هي نموذج من كتاب « نظام العالم والامم » لحضرة الشيخ طنطاوي جوهري مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية اصدرها مثالاً لسائر الكتاب ليكون القارىء على بينة من مضمونه قبل صدوره وفقهُ الله الى اتمام طبعهِ

وكلاء الهلال في القطر المصري

نرجو من حضرات المشتركين اعتماد حضرة منقريوس افندي يوسف وزكي افندي فهمي بالوجه البحري ومخائيل افندي عبد بالقاهرة في دفع بدلات الاشتراك بوصولات مطبوعة وممضاة بامضاء مدير الهلال

وتحتاج ادارة الهلال الى وكيل محصل في مدينة الاسكندرية لان وكيلها السابق محمد افندي رمضان بعد ان خدم الادارة خدمة صادقة قد استقال من وكالة الهلال لاشتغاله باشغال أخرى فمن أحبَّ ان يكون وكيلاً في الاسكندرية يخابر ادارة الهلال بمصر وأول شروط التوكيل ان يقدم الوكيل تأميناً نقدياً وليس ضمانة

الشعر العصري

ذكرنا في الهلال السادس من هذه السنة الادوار او الاعصر الخمسة التي مرَّ بها الشعر العربي من اول عهد التاريخ و بيناً مميزات كل دور او عصر باعتبار ما لحقه من التغيير في اسلوبه ومعانيه . ونحن ذاكرون في ما يلي دوره السادس وهي نهضته الاخيرة التي يعبرون عنها بالشعر العصري فنقول

تبدأ نهضة الشعر العربي الاخيرة مع نهضة العلم والادب والانشاء في اواسط القرن الماضي وان كانت لم تنضج تماماً حتى الآن . فالشعر في هذا العصر يمتاز عنه في الاعصر الماضية كما يمتاز التمدن الحديث عن سائر ما تقدمه من ضروب التمدن . لان الشعر يمثل اخلاق الامة وآدابها الاجتماعية في كل عصر فلا بدَّ لنا في فهم خصائص الشعر العصري (او كيف ينبغي ان تكون خصائصه) من بيان مميزات هذا العصر عن سائر الاعصر وهي كثيرة اهمها :

(١) ان هذا العصر يمتاز عما تقدمه من اعصر العلم بالابحاث العلمية الطبيعية المبنية على المشاهدة والاختبار . فلا يقبل فيه رأي او قول ما لم يكن مرجعه الى حقيقة قائمة على اساس محسوس او معقول . وينبذ الاوهام والخرافات المبنية على التقاليد المأثورة فلا يهمنا مثلاً قول فلان الفيلسوف الكبير ان العناصر الاصلية اربعة وهي الماء والهواء والنار والتراب وقد علمنا بالبحث المبني على المشاهدة ان هذه العناصر لا تختلف عن سائر المواد وبعضها مزيج من عدة عناصر والبعض الآخر مركب من عنصرين والآخر من اربعة او خمسة او اكثر . وان العناصر الحقيقية التي تتألف منها المواد نحو ثمانين عنصراً . ولا يلتفت الى قول الآخر ان الارض ثابتة والفلك يدور حولها بعد ان ثبت دورانها بالبحث العلمي الانتقادي ولو كان القائل من اكبر الفلاسفة

(٢) ويمتاز هذا العصر من هذا القبيل ايضاً باطلاق الفكر من قيود القديمة في المبادىء الادبية والآراء الفلسفية . فبعد ان كان الناس يبنون آراءهم على قواعد وضعها القدماء لا يجسرون على الخروج عنها اصبحنا لا نعبأ باقوال الاقدمين ولا غيرهم اذا لم نحقق صحتها بالاختبار او البرهان — قال القدماء مثلاً ان المرأة لا اهمية لها في المجتمع الانساني لغير الولادة والرضاعة وظل الناس على هذا الاعتقاد اجيالاً عديدة لا يجسرون على انكاره جرياً على عادتهم في المحافظة على التقليد . وقد علمنا الآن ان المرأة واسطة عقد

ذلك المجتمع وعليها تتوقف سعادة الامة وشقائها فنبذنا الاعتقاد القديم وعملنا بما يرشدنا اليه نور العلم

(٣) ان التربية الحديثة المؤسسة على المبادىء العلمية قد لطفت امزجة الناس ورققت احساسهم فاصبحوا ادق شعوراً وأرق احساساً وابعد ادراكا من ذي قبل فادركوا من عواطف الانسان وقواه واكتشفوا من اسرار قلبه ما لم يعلمه القدماء وغاصوا الى اعماق الفكر وشرّحوا اعمال القلب تشريحاً دقيقاً

(٤) ان تقدم العلوم الطبيعية والرياضية كشف لنا من اسرار الوجود مالم يكن اسلافنا يعرفونه ولا يحلمون به واظهر كثيراً من ادلة الحكمة والعناية في الخليقة وعلاقة الموجودات بعضها ببعض • فاضاف الى معارفنا معاني جديدة يرقي بها الخيال وتتسع التصورات المبنية على الحقائق

(٥) ان اعمال البشر المتعلقة بالهيأة الاجتماعية مبنيُّ الآن على « الاقتصاد السياسي » ومعنى ذلك ان الناس لا يعملون عملاً تجارياً او صناعياً او ادارياً او سياسياً الا وهم ينظرون فيه من هذا الوجه • فلا ينفقون مالاً ولا وقتاً ما لم تعين الفائدة المنتظرة من وراء ذلك الانفاق فيفصلون الثوب على قدر الجسم

(٦) ان الاختراعات البخارية والكهربائية سهلت اسباب النقل فكثر اختلاط الناس بعضهم ببعض وخصوصاً بين الشرق والغرب فبعد ان كان اجدادنا لا ينتقلون من اوطانهم الا نادراً لصعوبة النقل وقلة الحاجة الماسة اليه واذا سافر احدهم من بلد الى بلد قريب اعدّ الركائب وحمل الاحمال وودع الاهل والخلان وتحمل الاخطار اصبحنا ونحن نركب البخار برّاً وبحراً باسهل ما يكون وغدا الانتقال بين القارات من اسهل الامور علينا حتى بلغ عدد الذين نزحوا من سوريا فقط نحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس في مدة لا تزيد على ثلاثين سنة • وكان الافرنج من الجهة الثانية لا يأتون بلادنا الا نادراً للسياحة او التجارة وكان الشرقي اذا شاهد افرنجياً سخر به واستهزأ بقبعته فاصبحوا بعد الحوادث السياسية في اوائل القرن الماضي وهم ينزحون الينا بالمئات والالوف على اختلاف مللهم ونحلهم ويقيمون بين ظهرانينا للتجارة او غيرها من اسباب التعيش ونحن نقلدهم بملابسهم وعاداتهم حتى انك لا تفرق بين الافرنجي والعربي احياناً الا بعد اعمال الفكرة

(٧) قضت الاحوال على اهل الشرق ان يقتدوا بالافرنج في اسباب الارتزاق وسائر احوال هذا التمدن فاخذوا العلم من كتبهم وتعلموا التجارة من حوانيتهم وتفقهوا

بلغاتهم واطلعوا على آدابهم وعلومهم ونقلوا كثيراً منها الى لساننا فاطلعنا في تلك الترجمات أو في لغاتها الاصلية على كثير من الآداب والاخلاق التي لم يكن اسلافنا يعرفونها ولا يعرفون أهلها . لان اكثر هذه الامم لم تكن معروفة في عهد التمدن الشرقي والبعض الآخر كانت لا تزال في ظلمة الهمجية

فيمتاز هذا العصر عن سائر العصور بالاعتماد على الحقائق الثابتة بالمشاهدة والاختبار مع نبذ الخرافات والاوهام . وباطلاق الفكر من قيود التقليد . وبدقة الشعور مع لطف الامزجة . و بكشف الاسرار الطبيعية والاختراع والاكتشاف وبالاقتصاد السياسي . وبكثرة الاختلاط بين الامم المختلفة وتمازج العادات والاداب والاخلاق . وبالاطلاع على اداب الافرنج في كتبهم وغير ذلك . والشعر كما قدمنا مرآة الآداب الاجتماعية وممثل الافكار والاراء فينبغي ان تظهر آثار هذه العوامل فيه

فالاعتماد على الحقائق الثابتة ونبذ الاوهام والخرافات يقتضي الرجوع الى التصورات البسيطة القريبة من الحقيقة بلا تكلف ولا تقعّر اي كما كانت تفعل شعراء الجاهلية من حيث البساطة وتمثيل الحقيقة بلا ترصيع ولا تنميق لا أن نحذاهم في ذكر البعير والرمح والسيف والفرس . وانما نصف ما نحن فيه وصفاً بسيطاً كما كان الجاهليون يصفون احوالهم . واطلاق الفكر من قيوده القديمة يقتضي العدول عن أساليب الشعر القديم الا ما وافق منه روح هذا العصر او اقتضته احوالنا . ودقة الشعور ولطف الاحساس يبعثان على التدقيق في وصف العواطف وتشريحها وتصوير الاخلاق والآداب تصويراً متقناً دقيقاً وهو ما يعبرون عنه بتشريح العواطف . ومن هذا القبيل ايضاً التدقيق في وصف المناظر الطبيعية والصناعية او سرد الحوادث التاريخية بتفاصيلها حتى يخيل للقارىء او السامع انه يشاهد ذلك عياناً . وكشف الاسرار الطبيعية ومعرفة نواميس الوجود اعدّ للشاعر معاني جديدة يتسع بها نطاق خياله من تمثيل المعاني على سبيل الاستعارة او الكناية والاقتصاد السياسي يعود الفكر على وضع الشيء في محله ويبعده عن المبالغة والغلو فيكتفي بالمعاني الصحيحة والباس المعنى ثوباً من اللفظ لا يزيد عليه ولا ينقص عنه . والاختلاط بالامم الاخرى والاطلاع على احوالهم وآدابهم يقتضي طبعاً اكتساب بعض عاداتهم واخلاقهم واقتباس شيء من معانيهم واساليبهم مما لا يمجه الذوق وعند الافرنج من المعاني الشعرية واساليب النظم ما يختلف عما عندنا واكثره موافق لهذه النهضة كالشعر الوصفي والقصصي ونحوها

هذا ما تقتضيه روح العصر من الشعر العصري ولا يراد بذلك ان شعراءنا القدماء لم ينظموا على مثاله فانهم لم يغادروا اسلوباً من اساليب الشعر الا طرقوه ولكنهم كانوا يجعلون همهم الشعر الموسيقي المراد به التعبير عن العواطف كالحماسة والفخر والمدح والرثاء . وقد تحداهم شعراؤنا المعاصرون في اوائل هذه النهضة ولا يزالون حتى الآن . الا الذين غلبت فيهم روح العصر فاطاعوا العوامل الطبيعية وساروا على سنن الارتقاء فعمدوا الى النظم على ما تقتضيه هذه النهضة . وفيهم جماعة من فطاحل الشعراء نفاخر بهم ابا تمام والمتنبي وابن الرومي وابا العلاء . ومنظوماتهم كثيرة واكثرها منشور على صفحات الجرائد والمجلات لو اردنا الاتيان بمثال لكل شاعر لضاق بنا المكان فنكتفي بامثلة مما يحضرنا او يتيسر لنا الوصول اليه على ما يقتضيه المقام ليقاس عليه

فللشعر العصري خصائص عامة ينبغي ان تظهر في كل قصيدة او بيت وخصائص خاصة لكل باب من الابواب الجديدة . فالخصائص العامة ان تكون التصورات بسيطة والمعاني واضحة بلا تكلف ولا غلو وان تكون خالية من الحشو او التعقيد غير مقيدة بالاساليب القديمة وان تكون العمدة في النظم على المعاني الشعرية لا على التراكيب اللفظية . اما الخصائص الخاصة فهي الابواب الجديدة التي ينبغي لنا النظم فيها واكثرها يرجع الى « الوصف » كوصف المناظر الطبيعية ووصف العواطف او الحوادث او المشاهد او المعاهد او الاخلاق او الآداب وبعضها من قبيل الحكاية كالشعر القصصي في وصف الوقائع او التواريخ . ولا يشترط اختصاص القصيدة الواحدة بنوع واحد من انواع الوصف اذ يغلب ان تحتوي القصيدة على نوعين او ثلاثة او اكثر منها كقصيدة « الجنين الشهيد » التي نشرناها في الهلال الماضي فانها تتضمن اكثر انواع الوصف العصري . وسنأتي في ما يلي بامثلة يختص كل منها بنوع من الوصف على قدر الامكان

❊ وصف العواطف ❊ فمن القصائد العصرية في وصف العواطف قصيدة « الجنين الشهيد » المذكورة فقد ابدع ناظمها خليل افندي المطران في تشريح العواطف بما لم يسبق له مثيل . ومن القصائد في وصف العواطف قصيدة « حكاية حال » لنقولا افندي حداد وهي:

رأى بنتَ من يهوى وقد جدَّ وجدهُ ... وقطع منهُ الصدُّ قلباً متيما
طوى ليلهُ لم يجتلي بدرَ وجهها ... فما كان ليلٌ منه ادجى واظلما
فلما رآها استوقفته وقد بدت ... لاقنوم من يهوى مثالاً تقنما
رشاً بنت خمسٍ قد تبدَّت لطرفهِ ... تلاعب اترابا لها تشبه الدُمى

فظلّ لديها حائر اللبّ هائماً يطيل اليها نظرةً وتوسُّما
واذ همّ بالتساآل عنها أجابه فؤادٌ لديها بات ولهان مغرما
ألست ترى فيها ملامحَ غادةٍ غدوتَ بها من شدة الوجد مسقما
فذي العين تلك العين والثغر ثغرها وقد ضارعتها نظرةً وتبسما
وفي ناظرَيها الشعر واللحظ لفظه وقد كلم القلب الشجيّ فكلّما
وفي ثغرها بيت القصيد وبحره عذَبٌ يعوم الدرّ فيهِ منظّما
فذي نسخةٌ من رسم تلك مصغّراً وحسبك هذا الحسن أن تتوسما

***

ولما تلقّاها تجافت وأجفلت وما ادركت من وجدهِ ما تضرّما
ولا علمت ما في حشاهُ من الجوى وأنّى لها سرّ الغرام لتعلما
فبشّ اليها ثم اوما تحبُّباً ورحّب اغراآه وحيّا وسلّما
ولكنها لم تحبُهُ غير مرةٍ تفهم فيها الف معنىً وترجما
وما هيَ تعني ما استفاد وانما توهم عيني غيرها فتفهما
وضاحكها فاستأنست بابتسامهِ ولاطفها كيلا تصدّ وتحجما
ولاعبها مستصبياً متودّداً ومازحها حتى تميلَ وتبسما
ترامت عليهِ والتبذّل عندها عفافٌ فلا تدري التأويل منهما
فؤادٌ كذاك القلب لكن بلا هوىً تخلّ لها دلٌّ على تلك حرّما
دلالٌ بلا تيه رماها بحجرهِ فضمّ ملاكاً طاهراً متجسما
وعانقها مستنشقاً هُدبَ ثوبها ودغدغها حتى ملا ضحكها الفما
فقبّل كفيها وقبل خدها وقبّل عينيها وقبّل مبسما
وروّى لساناً للّمي كان ظامئاً وبرّد قلباً كان بالوجد مضرما

. . . .

رآني يا أمي فتىً ما عرفته ويا أمي ما احلى الفتى ما أرقّ ما
وقصّت عليها بنتها كلّ ما جرى حديث صغيرٍ يخبر الامر مثلما
فقالت ومعنى قولها في ابتسامها وقد عرفت ذاك المحبّ المتيما
يمثّل دوراً يبتغيهِ حقيقةً وهيهات ما يبغيه قد عزّ مغنما

وصف المناظر الطبيعية — ومن امثلة وصف المناظر الطبيعية قصيدة لخليل

افندي المطران يصف بها غياب الشمس في الاسكندرية قال فيها :

يا للغروب وما بهِ من عبرة   للمستهام وعبرة للرائي
او ليس نزعاً للنهار وصرعة   للشمس بين جنازة الاضواء
اوليس طمساً لليقين ومبعثاً   للشك بين غلائل الظلماء
فترى كأن الافق جفنٌ واسع   يغضي على الغمرات والاقذاء
اوليس محواً للوجود الى مدى   وابادة لمعالم الاشياء
حتى يكون النور تجديداً لها   ويكون شبه البعث عود ذكاء

***

ولقد ذكرتك والنهار مودع   والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطري تبدو تجاه نواظري   كلمى كدامية السحاب ازائي
وتسيل من جفنيَّ عبرة عندم   كشرارة ثارت من الرمضاء
والشمس في شفق يسيل نضاره   فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا   وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكأن آخر دمعة للكون قد   مزجت بآخر ادمعي لرثائي
وكأن حبي مالاً الا فاق بي   فرأيت في المرآة كيف مسائي

ومن وصف المناظر الطبيعية من قصيدة للدكتور ابراهيم شدودي في وصف البحر :

نأيت يغرب بي مركب   يشقُّ العباب كطود طفا
محيط بهِ الغمر انى جرى   وفي جوفه النار تصلي الحشا
جرى فوق بحر طويل المدى   خضم اصم لحكم القضا
نكاد نخرُّ له سجداً   خشوعين لولا بقايا التقى
عميق القرار عليهِ الجواري   جرت بالبخار كسرب القطا
شديد المراس بعيد الاساس   تغوص الرواسي بهِ لا ترى
اذا ماج خلنا جبال المتون   اتت بعضها فوق بعض سما
فيعلو ويسفل من فوقه   كما يفعل الدهر في ذا الورى
فطوراً نكاد ندوس الجحيم   وطوراً نكاد نمسُّ السما
وان ينبسط هادئاً خلته   بطاحاً علاها بساط الكلا

وتلبسه الشمس عند الضحى   من التبر ثوباً بديع السنا
وفي الظهر يظهر في حلة   طلاها اللجين بابهى طلا
وعند الغروب ترى سطحه   كساحات حرب سقتها الدما
رويدك يابحر قد رعتنا   تلطف فما قلبنا من صفا
ثلاث وانت لها رابع   اراهنّ في الكون كل القوى
فاصل الوجود وكل الحياة   هواء وارض وشمس وما
ولولاك ما كان نهر جرى   ولا بلل الارض قطر الندى
فمنك البروق ومنك الرعود   ومنك الغمام ومنك الحيا

❊ وصف المشاهد ❊ من امثلة هذا الباب قصيدة لاحمد بك ابي علي الازهري في وصف رقصة ألبا قال :

رقصن رقصة البا   حتى فضحن الالبا
بنات روما اللواتي   يلعبن بالناس لعبا
فان دعون فؤادًا   لم يعرف الحبّ لبّى
وان لعبن بطرف   وسنان للسهد هبّا
هنّ الكواكب امست   لها المراسح قطبا
بل الشموس ولكن   افلن شرقاً وغربا
بل الغصون ولكن   يحملن وشياً وعصبا
فكم تمايلن دلاً   واختلن تيهاً وعجبا
وكم تخاصرن حتى   اعيين بالردف جذبا
وكم تفرقن بعدًا   وكم تجمعن قربا
مثل العصافير طارت   وغبّت الماء غبا
وكم مرحن نشاطاً   ورحن في الجوّ وثبا
مثل الظباء فرادى   وكالجآذر سربا
وكم عصبن الايادي   مع السواعد عصبا
وملن عطفاً فعطفاً   ومسن جنباً فجنبا
وجن بالخصر رفعاً   على الهواء ونصبا
وهذه تتثنى   وهذه تتأبى

وتلك تقبل فرحى ... حيناً وتدبر غضبى
واختها من حياها ... تبدي الخلاعة غصبا
وكم تبادلن شماً ... غمائم الزهـر حبا
وصرن يرفعن كعباً ... آناً ويخفضن كعبا
مقلبـات لجسم ... على النعيم تربّى
وكم ادرن نطاقاً ... بالطيب ينشر هدبا
رقت حواشـيه لطفاً ... وشفَّ حجباً وحجبا
كأنمـا هو واشٍ ... اراد كشـف المخبا
وكم سحبن علينـا ... ايدي البنادق سحبا
وكنَّ وفق الاغاني ... بهـا يوقعن ضربا
وكدن والدهر سلمٌ ... يشهرن في الناس حربا
والمطربات صداها ... يرنُّ في الاذن عذباً
بكل صوت اتاهـا ... من الطبيعة كسبا
حتى رجعنا سكارى ... لكن بالطف صبا
وكل قلب ولب ... قد راح سلباً ونهبا
فيا لاهل بلادي ... من مدهشات أرُبا

ومن وصف المشاهد قصيدة لالياس افندي فياض في مشنوق شهد الاحتفال بشنقه :

كم شقيٍّ يساق للاعدام ... كان اولى برحمة الاحكامِ
ولـكم في القصور ناعم بالٍ ... وهو احرى بالنار ذات الضرامِ
قاتلُ النفس دونه قاتل الجسم ... فليس النفوس كالاجسام
ما لهذي الحبال تعفو عن العا ... لي و يعلو بها وضيع المقام
ما سمعنا بانهم علقوا يو ... ماً غنياً بها ولا في المنام
افكلُّ الانام أهل صلاح ... ما خلا ذا الفقير بين الانام
إن بقي المالُ ربّه الاثمَ فا ... لفقر يجرّ الفـقير للآثام
فاقتلوا الفقر ان عدلتم فان الفـ ... قر اصل الشقا ورأس الخصام
واحفظوا انفساً على صورة الله ... فليست تعدّ سفي الانعام
ليس بالقتل ينتفي القتـل ... بل بالعلم يمحو جهالة الاقوام

ان يكن جرمه عظيماً فهذا ال جرمُ منكم أحقُّ بالاعظام
فهو للحاجة ابتغى القتل ما تبغون انتم بقتله من مرام
لو نفى القتل في البرية قتلاً لانتفى القتل قبل ذي الايام

***

لست أنسى اذ اقبلوا به في وسط خميس من الرجال لُهام
تحتويه الفرسان من كل صوب كمليكٍ من الملوك العظام
وكأن الجموع بعض رعايا ه وهم قد توافدوا للسلام
ملأوا السهل والدرب فأنى دارت العين لا ترى غير هام
وقد امتدت الرقاب لكي تنظر ذاك المساق للاعدام
اذ بدا وهو ناحل الجسم كهلٌ رشق الشيبُ رأسه بسهام
فتولى النفوس روعٌ لان الشيب يدعو النفوس للاحترام
ثم ساد السكوت حتى لقد تسمعُ نقر القلوب في الاجسام
وانثنت اعين الجميع الى الدكة حيث الجلاد دون اهتمام
واذا بالشقي يرقى اليها دون ما رهبة ولا احجام
سمع الحكم هادئاً ثم صلى مهدياً للنبي اذكى السلام
ولافاظه الضعيفة وقع الرعد في وسط ذا السكوت التام
ثم ولى كانه لم يكن الاَّ — كطيف مضى مع الاحلام
وتراءى للناس فيه خطيبٌ صامتٌ ناطق باسمى كلام
« يا ذوي المال انتم شركائي ولكن بغير هذا الحمام
لو اردتم لما ارتكبت المعاصي لو اردتم لكنت خدن سلام
فاتقوا الله في نفوس رماها ال فقر في امر شقوة وغرام
من يسير الاموال تقصد من لعب ومن زينة ومن ايلام
يستفيد الفقير علماً وتقوى وبهذا يقلُّ فعل الحرام »

وصف المباني ونحوها — ومن هذا الباب قصيدة في وصف الجسر الواصل بين ضفتي البوسفور في الاستانة لاحمد بك شوقي شاعر الامير

امير المؤمنين رايت جسراً امرُّ على الصراط ولا عليهِ
له خشبٌ يجوع السوس فيه وتمضي الفأر لا تأوي اليهِ

ولا يتكلف المنشار فيه سوى مرّ القطيم بساعديه
ويبلى نعل من يمشي عليه وقبل النعل يدمي اخمصيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه وخاف في الهزيمة حافريه
واسحج منه في عيني جباة تراهم وسطه وبجانبيه
اذا لاقيت واحدهم تصدى كعفريت يشير براحتيه
ويمشي (الصدر) فيه كل يوم بموكبه السني وحارسيه
ولكن لا يمرُّ عليه الاَّ كما مرّت يداه بعارضيه
ومن عجب هو الجسر المعلى على البسفور يجمع شاطئيه
يفيد حكومة السلطان مالاً ويعطيها الغنى من معدنيه
يجود العالمون عليه هذا بعشرته وذاك بعشرتيه
وغاية امره انا سمعنا لسان الحال ينشدنا لديه
(أليس من العجائب ان مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه)

وقصيدة في وصف خرائب بعلبك خليل افندي المطران قال منها :

خرب حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظار
معجزات من البناء كبار لاناس ملء الزمان كبار
ألبستها الشموس تفويف درّ وعقيق على رداء نضار
وتجلت من الليالي بشاما ت كتنقيط عنبر في بهار
وسقاها الندى رشاش دموع شربتها ظوامىء الانوار
زارها الشيب حرمة وجلالاً توجتها به يد الاعصار
رب شيب أتم حسناً وأولى واهن العزم صولة الجبار
معبد للامرار قام ولكن صنعه كان اعظم الاسرار
مثّل القوم كل شيء عجيب فيه تمثيل حكمة واقتدار
صنعوا من جماده ثمراً يجنى ولكن بالعقل والابصار
وضروباً من كل زهر انيق لم تفتها نضارة الازهار
وشموساً مضيئة وشعاعاً باهرات لكنها من حجار
وطيوراً ذواهباً آيبات خالدات الغدو والابكار

في جنان معلقات زواهٍ بصنوف النجوم والانوار
وأسوداً يخشى التحفز منها ويروع السكوت كالزآر
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضوار
في عرانينها دخان مثار وبألحاظها سيول شرار
تلك آياتهم وما برحت في كل آن روائع الزوار
ضمها كلها بديع نظام دق حتى كأنها في انتثار
في مقام للحسن يعبد بعد العقل فيه والعقل بعد الباري

(وصف الاختراعات العصرية والاكتشافات العلمية) في هذا الباب قصيدتان ضافيتان احداهما في وصف الشمس والثانية في الارض والقمر لصاحب السعادة سليم بك عنحوري نشرناهما في الهلال الرابع من هذه السنة · ومن هذا القبيل قصيدة لخليل افندي المطران في وصف اشعة رنتجن قال :

جئت الى هند ذات مساء وآنسنا القمر الساهرُ
فحدثتها عن ضياء عجيب يسرُّ برؤيته الزائرُ
له زرقة الماء لكنه شرار من النار متطاير
كمنتثر من غبار الزمرد يحمله لهب ثائر
كأن به للعيون عيوناً فكل خفي به ظاهر
يرينا الجسوم أضالع جفت وزايلها حسنها الناضر
هياكل محكمة شادها لطيف لما شاءه قادر
يرفرف فيها الفؤاد كما يرفرف في القفص الطائر
فقالت وقد رابها ما وصفت وأورى اللظى طرفها الفاتر
أتبدو خبايا القلوب به شواخص ينظرها الناظر
فيا حبذا هو نوراً يريك مثالك في القلب يا جائر
فقلت أعيذ وفاءك مما يريب فاني اذن غادر
بهذا الضياء يرى كل جرم عن العين يستره ساتر
ولكنه لا يرينا الضمير ولا ما يجول به الخاطر
فثابت الى دعوتي عن رضى كما يأنس الرشأ النافر
فجئنا مكاناً كثيف الظلام يضيء سراج به ساهر

ومن عجب ان لألاءه — على متألقه قاصر
على كثب ويرى قاصيا — كما ينظر الكوكب السافر
فدانيته ولهند فؤاد — خفوق وفكر به حائر
فلما رأتني أضالع سوداً — يحيط سديمٌ بها باهر
كلوح الزجاج المموج بالنور — خطّ رموزا به ساحر
أبت ان أراها وقد زال عنها — جمال ملامحها الزاهر
وقالت عصيتك في ما أشرت — وبالروح أمرك والآمر
أضن بحسني وهو شفيعي — لديك وعلاك لي عاذر
فياهند ان زال منك الجمال — فحسب المنى قلبك الطاهر
وان بان حسنك عن ناظري — فان الفؤاد له ناظر

ومن ذلك ايضاً قصيدة للمرحوم الشيخ نجيب الحداد في وصف السكة الحديدية المصرية:

ياحسن عصر بعباس العلى ابتسما — حتى الحديد غدا ثغرًا له وفما
طرائق في ضواحي القطر تبلغنا — اقصى البلاد ولم ننقل بها قدما
مصرٌ كصفحة قرطاس بتربتها — غدا القطار عليها الخطّ والقلما
ارض بها كان خصب النيل منتشراً — حتى اتاها قطار النار فانتظما
لنا غنى عن قطار السحب منسجماً — ولا غنىً عن قطار النار مضطرما
يجري بها الرزق في جسم البلاد كما — يجري دمٌ في عروق الجسم منتظما
محطة هي قلب والخطوط بدت — مثل الشرايين فيها والقطار دما
مع السلامة يامن سار مرتحلاً — عنّا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

﴿ وصف الاخلاق والآداب ﴾ منه قصيدة لحافظ افندي ابراهيم قالها على اثر ظهور كتاب تحرير المرأة منها:

رجائي في قومي ضعيف كأنه — جنان وزير سوّدته مناصبهْ
ودائي كداء الدين عزّ دواؤه — وحظي كحظ الشرق نحس كواكبه
فياليت لي وجدانَ قومي فأرتضي — حياتي ولا أشقى بما انا طالبه
ينامون تحت الضيم والارض رحبة — لمن بات يأبى جانب الذلّ جانبه
يضيق على السوريّ رحب بلاده — فيركب للاهوال ما هو راكبهْ
فما هي الا ان تجشّمه النوى — وما هو الاّ ان تُشد ركائبهْ

ويحرج بالرومي مذهب رزقهِ فتفرجُ في عرض البلاد مذاهبه
أقاسمُ إن القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السِفْر ما انت كاتبه
إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت في مصرَ حواء أمنا يلوحُ محياها لنا ونراقبه
وفي يدها العذراء يسفرُ وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمدٌ وجيش من الاملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا رفع النقاب محللٌ لقلنا نعم حقٌّ ولكن نجانبه

وصف العادات — منها قصيدة المرحوم الشيخ نجيب الحداد في وصف منتزهات الاسكندرية ومركباتها ومخدراتها :

من بدور تسير في المركبات ومن القبعات في هالاتِ
كللتها ازاهر الصنع من نبـ ـت الايادي لا من ايادي النباتِ
زاهراتٌ ما حاكها ابن سحاب في ربى الروض بل بنان البناتِ
ان يكن فاتها الاريجُ فقد عوَّ ضَ عنه روائح الغانياتِ
او يكن فاتها رياض جنانٍ فهي فوق الرؤس في جناتِ
او عدتها الغصون فهي على مثـ ـل غصون الربى من القاماتِ
سائراتٌ جوالسٌ فهيَ لم تعـ ـجل ولكنها على عجلاتِ
مفردات الجمال تنطلق الخيـ ـلُ فرادى بها ومزدوجاتِ
وكأن الجياد تشعر بالحسـ ـنِ فتجري بهنَّ مفتخراتِ
قد درت انها تجرُّ بدوراً فتبارت كالانجم السائراتِ
مسرعاتٌ ترى الدواليب من سر عتها في مرورها ثابتاتِ
وقلوبُ العشاق تتبع الغيـ ـدَ تباري افراسها الجارياتِ
صاح هذه هوادجُ الحضر اليو مَ تخلِ المواجَ البادياتِ
ودعِ النوق والفلاة فلا نو قَ باحيائنا ولا فلواتِ
ودعِ العيس والحداء لقوم ألفوا عيسهم وزجرَ الحداةِ
تلك حالٌ مرت قديماً وذي حا لٌ وسبحان مبدل الحالاتِ

الشعر القصصي — ومن هذا الشعر قصيدة لخليل افندي المطران في وصف

مقتل بزرجمهر وزير كسرى قال منها :

يا يوم قتل بزرجمهر وقد اتوا ... فيه يلبون النداء عجالا
متألبين ليشهدوا موت الذي ... احيى البلاد عدالة ونوالا
يبدون بشراً والنفوس كظيمة ... يجفلن بين ضلوعهم اجفالا
تجلو اسرتهم بروق مسرة ... وقلوبهم تدمي بهن نصالا
واذا سمعت صياحهم ودويهم ... لم تدر فرحاً ولا اعوالا
ويلوح كسرى مشرفاً من قصره ... شمساً تفيء مهابة وجلالا
شبحاً لآموز العظيم ممثلاً ... ملكاً يضم رداؤه رئبالا
يزهو به العرش الرفيع كأنه ... بسنى الجواهر مشعل اشعالا
وكأن شرفته مقام عبادة ... نصب التكبر في ذراه مثالا
وكأن درة سيفه عين ترى ... كم تحت قائم سيفه آجالا
واذ استوى كسرى واجلس دونه ... قواده البسلاء والاقيالا
صعدت اليه من الجماعة صيحة ... كادت تزلزل قصره زلزالا
واذا الوزير بزرجمهر يسوقه ... جلاده متهادياً مختالا
وتروح حولها الجموع وتغتدي ... كالموج وهو مدافع يتتالى
سخط المليك عليه اثر نصيحة ... فاقتص منه غواية وضلالا
أبزرجمهر حكيم فارس والورى ... يطأ السجون ويحمل الاغلالا
كسرى اتبقي كل فدم غاشم ... حياً وتردي العادل المفضالا
وتدق في مرأى الرعية عنقه ... ليموت موت المجرمين مذالا
اين التفرد من مشورة صادق ... والحكم اعدل ما يكون جدالا
ان تستطع فاشرب مع الخمر الدما ... واجعل جماجم عابديك نعالا
واذبح ودمر واستبح اعراضهم ... واملأ بلادهم اسى ونكالا
فلانت كسرى ما ترى تحريمه ... كان الحرام وما تحل حلالا
وليذكرن الدهر عدلك باهراً ... ولتحمدن خلائقاً وفعالا
لو كان في تلك النعاج مقاوم ... لك لم تجيء ما جئته استفحالا
لكن ارادت ما تريد مطيعة ... وتناولت منك الاذى افضالا
ناداهم الجلاد هل من شافع ... لبزرجمهر فقال كلٌ لالا

وادار كسرى في الجماعة طرفه فرأى فتاة كالصباح جمالا
تسبي محاسنها القلوب وتنثني عنها عيون الناظرين كلالا
بنت الوزير انت لتشهد قتله وتري السفاه من الرشاد مدالا
تفري الصفوف خفية منظورة فريب السفينة للمياه جبالا
بادٍ محياها فاين قناعها وعلام شاءت ان يزول فزالا
لا عار عندهم لخلع نسائهم استارهن ولو فعلن ثكالى
فاشار كسرى ان يرى في امرها فمضى الرسول الى الفتاة وقالا
مولاي يعجب كيف لم تتقنعي قالت له اعجبا وسؤالا
انظر وقد قتل الحكيم فهل ترى الا رسوماً حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له مات النصيح وعشت انعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلاً فسد وارع النساء ودبر الاطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها لو ان في هذي الجموع رجالا

ومن هذا الباب في سرد التاريخ قصيدة بديعة لاحمد بك شوقي ضمنها تاريخ مصر القديم والحديث وقد نظمها للمؤتمر الشرقي الدولي الذي انعقد في مدينة جنيفا سنة ١٨٩٤ وهي منشورة في ديوانه من صفحة ١٤ — ٣٠ ومطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقلُّ الرجاء

الى ان يقول في تاريخ مصر القديم :

جلَّ رمسيس فطرة وتعالى شيمة ان يقوده السفهاء
وسما للعلى فنال مكانا لم ينله الامثال والنظراء
دولة عبدها الزمان واقبا ل مزيد وعزة قعساء
وجيوش ينهضن بالارض ملكا ولواء من تحته الاحياء
ووجود يساس والقول فيه ما يقول القضاة والحكماء
وبناء الى بناء يود الـخلد لو نال عمره والبقاء
وعلوم تحيي البلاد وبنتا هور تخر البلاد والشعراء

وهي طويلة تزيد على ٣٢٠ بيتاً فلتراجع في ديوانه

ومن اساليب الشعر العصري قصائد لا تدخل في الابواب التي تقدم ذكرها ستأتي على امثلة منها في غير هذا المكان

جبل لبنان

طبقات سكانه وعاداتهم وآدابهم الاجتماعية في اوائل القرن الماضي

وقفنا على مقالة نفيسة عن لبنان واهله وطبقاتهم وعاداتهم وآدابهم كتبت سنة ١٨٣٣ ونشرت في كتاب طبع باوروبا في اواسط القرن الماضي وفيها من الحقائق التاريخية والادبية والاجتماعية عن لبنان وعشائره وطوائفه وخصوصاً طائفة الدروز مالم يسبق نشره الى الآن بعبارة جمعت بين المتانة والسهولة . ولكن لسوء الحظ لم يذكر معها اسم كاتبها ولا تيسر لنا معرفته فاحببنا نشرها حرصاً على فوائدها ونرجو ممن يطلع عليها ويعرف من هو كاتبها ان يخبرنا لننشر اسمه تنويهاً بفضله والمقالة هي :

ينقسم جبل الشوف الى سبع مقاطعات احدها الشوف وهو قسمان الشوف السويجاني والشوف الحيثي والثانية المناصف والثالثة الشحار والرابعة الغرب وهو قسمان اعلى وادنى والخامسة الجرد والسادسة العرقوب وهو اعلى وادنى كالغرب والسابعة المتن . وفي هذه المقاطعات من ذوى المناصب بنو جنبلاط في الشوف الحيثي وبنو ابي نكد في المناصف وبنو تلحوق في الغرب الاعلى وبنو رسلان في الغرب الادنى وبنو عبد الملك في الجرد وبنو العيد في العرقوب الاعلى وبنو العماد في العرقوب الادنى وبنو ابي اللمع في المتن وكل طائفة من هذه الطوائف تتولى امر المقاطعة التي هي فيها غير ان بني ابي نكد يتولون امر الشحار مع المناصف

ويتولى امر هذه الطوائف جميعها بنو الشهاب على حسب العادة الجارية منذ مائة وخمسين سنة مبتدئة من سنة الف ومائة وتسع للهجرة عند انقراض دولة الامراء بني معن الذين كان آخرهم الامير احمد ولم يكن لهُ ولدٌ الاَّ ابنة قد تزوج بها الامير بشير الشهابي من اصحاب وادي التيم المجاورة بلاد الشوف فجعلهُ وليَّ عهدهِ . وتولى الامير بشير مكان الامير احمد تسع سنواتٍ ومات عن غير ولدٍ فتولى مكانهُ الامير حيدر بن الامير موسى الشهابي من وادي التيم ايضاً ووُلِدَ لهُ تسعة اولاد ذكور فاقاموا جميعاً في دير القمر التي هي احدى قرى المناصف وهي دار الولاية في البلاد وكانوا يتولون امر مدينة بيروت ايضاً فاقام بعضهم بها الى ماشاء الله وضرب الدهر ضرباتهِ فخرجوا منها وانتشروا في البلاد فاقام بعضهم في الغرب وما يليه وبعضهم في الشحار وبعضهم في الجرد وبعضهم في كسروان ولبث بعضهم في دير القمر . وهذه الطوائف التي ذكرناها مختلفة في المراتب فان منها امراء ومنها مشايخ والامراء اعلى درجة من المشايخ على الاطلاق ولكل واحدٍ من الفريقين طبقات

متفاوتة اما الامراء فهم بنو الشهاب ثم بنو ابي اللمع ثم بنو رسلان . واما المشايخ فهم بنو جنبلاط ثم بنو العماد ثم بنو ابي نكد ثم بنو تلحوق ثم بنو عبد الملك ثم بنو العيد وترتيبهم في المقام حسب ترتيبهم في الذكر هنا . غير انه يتوسط بين الامراء والمشايخ طائفة تلقب بالمقدَّمين وهي بنو مزهر في المتن وقد بقي منهم رجلٌ واحدٌ يتولى قرية واحدة في قرى المتن

وقد جرت عادة هذه الطوائف ان لا يقتل احد منهم بامر الحاكم ولا يُحبس ولا يُضرب فاذا اذنب احدهم كان قصاصهُ بسلب المال او اتلاف العقار او النفي من البلاد ونحو ذلك . الاَّ في النادر في ضعفهم واستظهار الحاكم عليهم حتى اذا دخل المذنب عليه وهو تحت غضبهِ يعامله في المقابلة والسلام على عادته المالوفة غير متعرضٍ لاهانته بكلامٍ او غيره . واذا كتب اليه كتاب الغضب لم يغيّر فيه شيئًا من القابهِ وكراماتهِ الاَّ ما يدل على المحبة فلا يذكره و يثبت ختمهُ في وجه الصحيفة بخلاف كتاب الرضى فانه يختمه من الخارج وهذا الختم عادةٌ لهُ مع جمهور الرعايا ايضًا . واما في سائر الاوقات فاذا دخل عليه احد المناصب فان كان من بني الشهاب نهض اليه عند دخوله ونزل عن بساطه واقفًا حتى يصل اليه فيسلم عليه مقبلاً كتفه وان كان من غيرهم لم ينهض حتى يبدأ بالتحية فان كان من بني ابي اللمع قبل عضدهُ وان كان من بني رسلان قبل زندهُ وان كان مقدمًا او شيخًا قبل حرف راحتهِ مما يلي الابهام . واما من هو دونهم من الرعايا فمنهم من ينهض لهُ ولكن عند ما يهوى على يده ليقبلها فمنهم من يقبل رسغها ومنهم من يقبل الاصابع ومنهم من لا ينهض لهُ ولا يمكنهُ من تقبيل يده ومنهم من لا ياذن له بالدخول عليهِ . واذا اقام في داره احد المناصب اياماً فان كان من الامراء الشهابيين نهض لهُ كلما دخل عليه مطلقاً وان كان من غيرهم فان كان اميرًا نهض لهُ عند دخوله في كل يوم ابتداء فان خرج ثم عاد لم ينهض لهُ وان كان مقدماً او شيخًا فلا ينهض لهُ الاَّ عند الوداع مالم يكن قد تولى القضاء فان القاضي عنده في رتبة الامير بخلاف رئيس الشرطة فانه في رتبة العامة حتى اذا كان من المشايخ لم يعاملهُ في المقابلة والكتابة على عادته قبل ذلك

وجميع ارباب هذه المقاطعات يتصرفون في مقاطعاتهم امرًا ونهيًا بين اهلها ويجبون خراجها واموالها السلطانية فيدفعون منها الى الحاكم مقدارًا معلوماً و يبقى في ايديهم فضلة بعينها لهم لاجل نفقاتهم . واذا كان لرجلٍ من رعاياهم طلب على آخر شكاه اليهم فان انصفوا لهُ منه والاَّ شكاه الى الحاكم فيكتب الى صاحب المقاطعة ان ينصفهُ فان لم يفعل عاد الرجل

الى الحاكم فارسل معهُ مباشرًا من قبله ينجز امره بنفسه مع غريمه ولا يكون لصاحب المقاطعة عتب عليه . فان كان طلب الرجل على وليّ امره من اصحاب المقاطعات كتب الحاكم اليه اولاً فان لم يمتثل ارسل اليه مباشرًا لا يرحل عنهُ الى انفصال الدعوى وكذا اذا كان الامر بين اهل المقاطعة ومقاطعة اخرى . ومباشر الحاكم حيثما كان يقدمون لهُ كل ما يحتاجه من طعام وشرابٍ وعلفٍ لفرسه ولا ينصرف الاَّ بامر مولاهُ . فاذا ارسل اليه الامر بالانصراف فرض لهُ مالاً يقبضهُ من المدَّعى عليه ما لم تكن الدعوى بدينٍ فيفرض له على المدعي ايضاً وهذا الفرض في غير الدين استحساناً واما في الدين فخمسة من المائة المقبوضة ولاصحاب المقاطعات اذنٌ في الحبس والضرب فان كان امر يستحق القتل او قطع اليد ونحو ذلك فللحاكم العام . غير ان هذا الاستيلاء انما يكون في كل مقاطعةٍ لواحدٍ من الطائفة وهو الذي يقيمه الحاكم عاملاً لهُ ويقدر ان يكون لهُ شريك من عشيرته

وفي البلاد طبقة اخرى من المشايخ وهم بنو حمدان وبنو شمس وبنو ابي هرموش وبنو ابي حمزة وبنو حصن الدين في الشوف وبنو الشيف وبنو عطاء الله وبنو العقيلي وبنو ابي علوان في العرقوب وبنو القاضي في المناصف وبنو الخوري صالح في الجرد وبنو زبنية في المتن وبنو امان الدين في الشحار وبنو ابي مصلح في الغرب . وقد حدث في سنة الف ومائتين وسبع واربعين للهجرة ان اسعد بن حسين حمادة قتل في حصار قلعة سانور قدام الامير بشير الشهابي وكان ابوه صاحب شرطة الامير ومعه من بني عمه حسين قويدر واخوه واكد فاعطاهم الامير لقب المشايخ دون البقية من بني حمادة وجعل لهم يدًا على قريتهم التي هي من مقاطعة الشوف لان المشايخ بني جنبلاط كانوا يومئذٍ نازحين من البلاد وعهدة الشوف تحت تصرّف الامير . ومن جميع هذه الطوائف ثلث نصارى واحدة منها بالاصالة وهي بنو الخوري صالح واثنتان بالانتقال احداها بنو الشهاب انتقلوا من الاسلام والاخرى بنو ابي اللمع انتقلوا من التدرّز وبقية الطوائف دروز بالاجمال

هذه قاعدة البلاد ويتبعها من الجهة الغربية اقليم جزّين واقليم التفاح واقليم الخرنوب ومن الجهة القبلية جبل الريحان والبقاع ومن الجهة الشرقية كسروان والفتوح وبلاد جُبيل وبلاد البترون وجبة المنيطرة وجبة بشرّة والكورة والزاوية . وفي هذه المقاطعات من المشايخ بنو حيمور في البقاع وبنو الخازن وبنو حبيش وبنو الدحداح في كسروان وبنو حمادة في بلاد جبيل وبنو الظاهر في الزاوية . واما في الولاية فالاقاليم يتولى امرها المشايخ الجنبلاطية وكسروان لبني الخازن والكورة لبني العازار والزاوية لبني الظاهر والبقية

يقيم الحاكم عليها من يشاء لخدمته الا البقاع وجبل الريحان فانه يتولى امرهما بنفسه

وكل واحد من هذه الطوائف في اي طبقة كانت يلقبه الحاكم في كتابته له بالاخ العزيز وعن هذا اللقب تصدر المشيخة في البلاد بخلاف الامارة لان لها وضعاً مخصوصاً. غير ان في ملحقات هذا اللقب اختلافاً بين الامراء والمشايخ باعتبار تلك الطبقة في نفسها او مع الاخرى فان الامير ان كان من بني الشهاب زاد في كتابته ما يدل على الكرامة فوق بني ابي اللمع وهم فوق بني رسلان. وان كان الشيخ من بني حمادة كتب له كما يكتب للامراء بني ابي اللمع والا فهم على نسق واحد. ومن هذه الجملة يكتب لبني الشهاب وبني ابي اللمع وبني حمادة في نصف طبق من الورق وللبقية في ربع طبق ومتى اراد ان يكتب اسم نفسه في كتاب لغير الشهابيين لا يدعو نفسه اخاً له بل محباً مخلصاً. ولا يكتب لقب نفسه بعد الاسم صريحاً بل يكتب ثلاث نقط متصلة تحت اسمه وتحتها نقطتين متصلتين ايضاً يشير بالاول الى شين شهاب وبالثاني الى بائه ولا فرق في ذلك بين الامراء والمشايخ ان كانوا رعاة او رعايا فانهم في رتبة واحدة. واما بقية اهل البلاد فمنهم من يكتب له حضرة عزيزنا وهم من النصارى بنو بليبل في قاطع المتن وبنو العازار مشايخ الكورة وبنو اليازجي في الغرب. ومن الدروز بنو الشيخ علي في الشوف ويلقبهم بالمشايخ ويكتب لهم اسم نفسه الفقير فلان ولكن الكتاب يشوشون رسم الفقير حتى لا يهتدي الى قراءته من لا يعرف اصله وهو على هذه الحالة يسمونه بالطرة. ومنهم من يكتب لهم عزيزنا فقط وهم اهل دير القمر واهل عين دارة واهل تبلون واهل نيحا واهل عين ماطور بوجه العموم. وكانت هذه القرى الخمس قديماً في يد الحاكم لا يتولاها امير ولا شيخ ولذلك يقال لها الضياع الخاصة. وقد يكتب ذلك لافراد من اهل البلاد المشهورين ومنهم من يكتب لهم اعز المحبين وهم عامة الجمهور غير ان حضرة عزيزنا لا تكون الا في ربع طبق من الورق واعز المحبين لا تكون الا في ثمن طبق وعزيزنا تكون فيهما جميعاً بحسب الشخص المكتوب اليه. واما غير الحاكم من الامراء والمشايخ فانهم يدعون بالاخ من يدعوه الحاكم مطلقاً وغيره قد تدعوه المشايخ بذلك وهو غير مضبوط لانه غير محصور في بيوت معلومة ولكن بحسب الشهرة ومقتضى الحال. واما الامراء فبنو ابي اللمع لا يدعون احداً بالاخ الا من دعاه الحاكم بذلك واما بنو رسلان فلا يدعون بالاخ الا بني اليازجي في الغرب والذي لا يدعى بالاخ عند غير الحاكم يكتب له عزيزنا فقط مع اضافة الحضرة اليها او بدونها ولا يكتب اعز المحبين لاحد لانها من خصائص الحاكم

وفي جبل البترون قوم كانوا امراء ذوي شوكة يدّعون بنسب الاكراد الايوبيين ثم انحط امرهم حتى صاروا من ادنى العامة يحرثون ويحتطبون و بعضهم يستعطي الناس ايضاً ولكن قد بقي عندهم اثر من شرف النفس فلا يتزوجون من عامة الناس ولا يزوجونهم واذا استعطى احدهم صان نفسه عن سؤال العامة فلا يسال الا الامراء والمشايخ المعتبرين وهم يحرصون على حفظ لقب الامارة فاذا سلّم عليهم احد بغير هذا اللقب او ناداهم لم يجيبوه . وهم الى الآن لم يزالوا كذلك في قرية يقال لها رأس نحاش وقد تناسى لقبهم القديم لطول مذلتهم وخمولهم فصاروا يعرفون بامراء رأس نحاش . وفي اقليم جزين قوم من المقدمين ينتسبون الى بني عليّ الصغير مشايخ بلاد بشارة ولم يزالوا الى الآن يتزوجون من اطراف المشايخ المذكورين لكنهم التحقوا بامراء رأس نحاش في الفقر والهوان بعد ان كانوا ذوي صولة في البلاد . ولما سقطت منزلتهم صارت القرية التي هم فيها لقباً لهم فصاروا يعرفون بمقدّمي جزين ومع ذلك لم يزل الحاكم يكتب لاولئك الامراء كما يكتب للامراء بني رسلان ويكتب لهؤلاء المقدمين كما يكتب لسائر مشايخ البلاد . ومن طوايف هذه المقاطعات التوابع امراء رأس نحاش وبنو حيمور في البقاع من المسلمين وبنو حمادة في بلاد جبيل والمقدمون في جزين من الشيعة المشهورين بالمتاولة وبقية المشايخ من النصارى

وينظر وراء الاعتبارات المذكورة في الكتابة الى اعتبار آخر من حيث هيئة الصحيفة المكتوبة فان منها ما يطوى مستطيلاً ويكتب الشطر الواحد منه ويترك الاخر بياضاً لا يكتب فيه الا اذا طال الكلام حتى لا يستغرقه الشطر الاول ويقال له قائمة . وهذا يكتب للمقربين الذين يكتب اليهم احياناً مالا يريد ان تقف عليه الناس ولذلك تدرج الصحيفة ملصقة بالكتابة ونحوه معنونة باسم المكتوب اليه وبناء على ذلك تحتمل من التنازل مالا يطابق العادة المألوفة بوجه ما ومنه ما يكتب مبسوطاً ويقال له المفتوح وهذا يكتب للاجانب الذين لا ينتهي اليهم ما يصان عن الناس ولذلك تدرج الصحيفة ادراجاً بسيطاً غير ملصقة ولا معنونة لذكر الاسم في باطنها وبناء على ذلك لا يرخص فيها بشيء من التسامح في العوايد وهي دون الاولى في الكرامة . وبما ان القائمة تحتمل ما لا يحتمله غيرها كان الامير بشير الشهابي يكتب بها نصف طبق للشيخ بشير جنبلاط ويكنيه بابي علي خلافاً للعادة لان الحاكم لا يكني احداً في كتابته على الاطلاق . ولكن لما توفي اخوه الشيخ حسن واراد ان يكتب له تعزية وهي مما يقتضي الشهرة فلا تناسبها القائمة كتب اليه كتاباً مفتوحاً ربع طبع من الورق مقتصراً على ذكر اسمه دون كنيته حسب العادة

المفروضة · ومثل ذلك ما كتب به للشيخ ناصيف نكد تهنئة له عند زواجه وكان يكتب له ولابن عمه الشيخ حمود قائمة من نصف طبق ولكن معرضاً عن ذكر الكنيـة ولم يكتب الحاكم لغير هؤلاء الثلاثة من المشائخ في نصف طبق الا لبني حمادة الجبيليين لانهم كانوا قديماً يتولون امر تلك البلاد من يد الوزراء السلطانية ولم يذكر كنية الا للشيخ بشير جنبلاط لانه كان على جانب عظيم في البلاد · واما الكتابة الى الحاكم فان الجميع يدعونه سيداً لهم غير ان الامير الشهابي منهم يدعو نفسه ولداً له او ابن عمه بحسب سنه والامعي يدعو نفسه محباً داعياً والباقية من الامراء والمشائخ يدعون انفسهم عبيـداً كما تكتب اليه عامة الناس بالاجمال ولا يذكر له اسم ولا لقب ولا كنية بل يدعى بالامير لا غير واذا اردنا ان نستوفي دقائق هذه العوائد في الكتابة وغيرها يطول علينا الكلام في ما نستغني منه عن الكل

واما جمهور الرعايا فاهل المقاطعات السبع دروز ونصارى حتى لا يوجد قرية من الفريق الواحد الا نادراً وبينهم انفار من المسلمين في دير القمر وجماعة من الشيعية في الغرب الاعلى وقليل من اليهود في دير القمر والمرقوب · واما بقية المقاطعات فاهل الاقليم اكثرهم نصارى مختلطة بالمسلمين والشيعية كاهل جبل الريحان والبقاع واهل كسروان وما يليها الى الزاوية نصارى بينهم متاولة في بلاد جبيل وقليل من المسلمين ولا يوجد في جميع المقاطعات احد من الدروز الا في مقاطعات الشوف واكابرهم منتشرة فيها مستولية عليها ولذلك يقال لها بلاد الدروز

وفي هذه البلاد حفظ شديد لمراتب الناس باعتبار الاصول فلا تزول الكرامة عن اهلها بسبب الفقر ولا تنزل في غير موضعها بسبب الغنى فلا يستعمل الرجل مالا يليق بمثله من الطرفين واهلها يغلب عليهم كرم النفس والنخوة والحمية وصيانة اللسان عن الفحش في حال الرضى والغضب واحتمال الاثقال والمكادة وحفظ المواثيق والمودة مع الاصدقاء والانفة من الغدر بالاعداء حتى ان الرجل يعرض نفسه للخطر في مساعدة صديقه ولا يبالي ويظافر بعدوه غفلة فلا يتعرّض له حتى ينتبه لنفسه · وكان في البلاد عداوات كثيرة تقع بين الطوائف ويجري بينهم وقائع شتّى ويقتل منهم خلق كثير فكان يتعصب لكل فئة جماعة من اصدقائهم يحضرون القتال معهم ويلقون انفسهم الى المهالك تبرعاً من غير سبب يتعلق بانفسهم ولا تزال هذه العصبية بينهم يتوارثونها خلفاً عن سلف الى ما شاء الله من الزمان · ولم يكن في ذلك فرقٌ بين النصارى والدروز فكان كل فريق

منهم يتعصب للآخر كما يتعصب لقومه ولكنهم في هذه المداوات كانوا يلتزمون المروءة ويحاشون الدنايا فلا يأخذ بعضهم بعضاً الا اقتناصاً بالغلبة • يحكى عن بعضهم انه مرَّ يوماً ببيت عدوه فوجد امرأته في عمل لا تقدر عليه فمال الى مساعدتها وبينا هو كذلك أقبل بعلها فسلم عليه كصديق له ثم احضر اليه طعاماً فاكل ثم أراد الانصراف فاستودعه وقال نحن على ما كنا عليه • وقيل كانت في العرقوب عداوة بين بني الغضبان والحسنية فاستظهرت الحسنية على بني الغضبان حتى لم يطيقوا الاقامة في ابياتهم فنزحوا واتفق بعد ايام ان رجلاً من الحسنية كان يحرث الارض في جبل بعيد عن القرية واذا برجلين من بني الغضبان قد اقبلا عليه تحت السلاح فلما رآهما وثب هارباً فوقعت رجله على صخرة قد وضعت في اعلى جدار فسقطت عليه وأمسكته حتى لم يقدر ان يتخلص منها فوثب الرجلان اليه وهو قد ايقن بالهلاك حتى ادركاه ورفعا تلك الصخرة عنه وقالا له اما الآن فليس لنا فخر في قتلك ولكن احذر لنفسك مرةً أخرى

ومن هذا القبيل ما يحكى عن ابراهيم نكد من دروز الشحار انه كان قد اشتبه بريبة في زوجته فاراد ان يقف على حقيقة الامر فركب فرسه يوماً عند المساء وقال ان له حاجة في دير القمر يريد ان يذهب اليها تلك الليلة وسار حتى وصل الى منزل في الطريق فنزل ومكث هناك حتى دخل الليل ثم عاد راجعاً الى بيته حتى قرب منه فترجل وشد عنان فرسه في شجرة هناك ومشى حتى وصل الى البيت فوجد الباب موصداً وسمع حديثاً فنادى امرأته فتلجلجت في الجواب ولم تفتح فدفع الباب ودخل واذا برجل عندها • وكان ابراهيم شجاعاً مهيباً فاضطرب الرجل فسكن ابراهيم روعه وأخذ بيده وقال اذهب بسلام ولكن احذر ان يعلم احدٌ بذلك فيكون سبباً لقتلك • فذهب الرجل وهو لا يصدق بالنجاة وخرج ابراهيم الى فرسه فاتى به الى مربضهِ واصلح شأنه ثم دخل الى البيت وزوجته تتوقع القتل تلك الليلة وتتمنى الفرار فلا تجد اليه سبيلاً واما الرجل فعمد الى فراشه ونام على عادته ولم يعاتبها بشيء ولا سألها عن شيء حتى كانه لم يكن شيء • فعجبت المرأة من ذلك ولم تعلم ماذا يكون ثم نامت ولما كان الغد مضى ابراهيم لشانه ولم يتعرض لها بكلمة وجلست المرأة في بيتها حتى عاد في المساء فبات ايضاً كذلك • وما زال حتى وقع بعد مدة طويلة سبب لا يأنف من المجاهرة به فطلقها ولم يعلم احد بشيء من ذلك • ويقال ان عبد الله الريشاني من الغرب الادنى دخل يوماً الى بستان له فوجد رجلاً قد جمع منهُ ثماراً كثيرةً في غرارة واحتزم بها وهو يحاول ان ينهض فلا يستطيع لثقلها فاتى عبد الله

من خلفه ورفع له اياها فنهض وهو يعجب من ارتفاعها فلما استوى الفت واذا عبد الله خلفه فارتبك فقال له عبد الله اذهب لا بأس عليك ولكنها بئس الخصال لا أرضى لك بها٠ وأمثال هذه الاحاديث كثيرة لا نطوّل الكلام بذكرها

وكانت اهالي هذه البلاد قديماً تنقسم الى حزبين قيسية ويمنية وكانت بين الفريقين عداوة شديدة حتى لم تزل الحروب متواترة بينهم وكان يقتل من الطرفين خلق كثير حتى قيل ان موقعة كانت بينهم في بعض اودية المتن فما زالت الجماجم تتناثر منهم حتى سدّت فرجة الوادي فقيل له وادي الجماجم الى الآن ٠ وما زال ذلك دأبهم حتى تولى الأمير حيدر الشهابي وكان من حزب القيسية فجرت بينهم واقعة في عين دارة من اعمال العرقوب وكان الامير حيدر قائد بني قيس فظفروا باليمنية وقتلوا منهم قتلاً ذريعاً فباد اكثرهم وكتم من سلم منهم هوى نفسه وكان ذلك آخر العهد بهذه العصبية ٠ وصفت البلاد بعد ذلك حزباً واحداً الى ان وقعت منازعة بين المشائخ بني جنبلاط وبني العماد فمال اهل بعض البلاد الى هؤلاء والبعض الى أولئك فانقسمت البلاد ايضاً الى حزبين احدهما الجنبلاطية وهم اصحاب بني جنبلاط والآخر اليزبكية وهم اصحاب بني العماد نسبة الى جدهم الاول الذي كان يقال له يزبك ٠ واستمر ذلك في البلاد الى الآن شائعاً بين الرعاة والرعايا الا بني الشهاب من الامراء فانهم ممن يضاف اليه الناس ولا يضاف اليهم وبني ابي نكد من المشائخ فانهم لم يريدوا ان يضيفوا انفسهم الى احد الحزبين فهم بمعزل حتى تقع الواقعة فاذا شاؤا مالوا الى أحد الجانبين فكانوا كمرجحين له لا كركن منه ٠ وهذه البلاد اعظم بلاد العشاير قدراً وأشدها باساً واكثرها اشرافاً وأوسعها بقعة وحاكمهم اكبر حكام العشائر وكلهم ينتمون اليه ويعظمونه ولا سيما اصحاب جبل عامل ووادي التيم وبعلبك فانهم يعتبرونه كحاكم عليهم ولا يصدرون في العظائم الا عن امره وقد جرت عادة الأمراء الشهابيين في هذه البلاد ان لا يكبر كبير عن خدمتهم ولا يرد في وجوههم ولا يقاومهم أحد ٠ فاذا أرادت مناصب البلاد مقاومة احد منهم فلا بدّ ان تستصحب أحدهم ولو صبياً لتكون المقاومة باسمه ٠ وهم الذين اقاموا الامراء والمشائخ في البلاد على المقاطعات وجعلوا المقدمين بني ابي اللمع أمراء وبني ابي نكد وبني تلحوق مشائخ ٠ وذلك في ايام جدهم الامير حيدر بن الامير موسى بعد انفصال نوبة القيسية واليمنية في عين دارة فانه انعم بذلك على المقدم محمد والمقدم مراد اللمعيين ومحمد تلحوق وعلي ابي نكد لانهم كانوا قد ابلوا بلاء حسناً في تلك الموقعة ٠ وكانت المتن يومئذ في يد

الحاكم فاعطاها عهدة للامير محمد والامير مراد اللمعيين المشار اليهما وجعل بينه وبينهما صلة في الزواج لحفظ العصبية بينهم . وكان الامير يوسف رسلان صاحب الغرب والشحار قد مال يومئذ الى اليمنية فخلع الشحار والغرب الاعلى من يده واعطى الشيخ علي نكد المناصف وشحار الغرب والشيخ محمد تلحوق الغرب الاعلي وترك في يد الامير يوسف رسلان الغرب الادنى فقط . ولهذه الطائفة الشهابية آثار حسنة في البلاد وعندهم بشاشة في اوجه الناس ووداعة معهم ورفق بهم وتواضع لهم وهم الذين مهدوا البلاد وذللوا صعابها وكسروا عادية المردة والعصاة من اهلها وقطعوا العداوات والفتن التي مرّت عليها دُول شتى وهي منتشبة بين الناس

هذا من حيث الاصول والعوائد الادبية واما من حيث الاحكام الشرعية فان الجمهور يجري في المعاملات على حسب اصول الشريعة الاسلامية الا في مسائل قليلة كاثبات غلة الرهن للمسترهن واباحة الربا من باب العشر الى الثمن وهو اصطلاح يختاره الحاكم لميسرة البلاد في معاملاتها . وللدروز اصطلاحات خاصة في المعاملات والعبادات وما يجري مجراها فان الرجل يوصي بكل ماله لاحد اولاده او غيرهم ويحرم الآخرين بشرط ان يقطع ميراثهم ولو بادنى شيء . فتنفذ الوصية جبرًا على الورثة بخلاف الشريعة الاسلامية فانها لا تجيز الوصية الا ان يكون الموصى له غير وارث والموصى به ثلث التركة فما دون والاَّ لم تنفذ الوصية الا باجازة الورثة . ولاولاد الرجل عندهم ان يطالبوه بالقسمة ان كان قد ورث ما في يده عن آبائه لان ذلك مال البيت تستوي فيه الاصول والفروع فان كان قد اكتسبه بسعيه لم يكن لهم ذلك لانه مال الشخص يتفرد فيه بنفسه خلافاً للشريعة الاسلامية فان ذلك لا يسوغ فيها على كل حال لان الارث انما هو لشخص الاب فلا يستحقه الابن الاَّ بعد موت ابيه . وللمناصب منهم عادة ينفردون بها في مواريث النساء فان المرأة عندهم لا ترث شيئاً من بيت ابيها اذا مات من بيده الميراث ابًا كان لها او اخًا اوغيرهما . ولا يرثون منها شيئاً اذا ماتت يريدون بذلك قطع التداخل بينهم في الاملاك دفعاً لاسباب النزاع وحرصاً على مال البيت ان يبقى لاهله وقد شاعت هذه العادة حتى جرت عند جميع مناصب البلاد من جميع الطوائف

واما اصطلاحهم في الزواج فاذا اراد الرجل ان يخطب امراة ارسل رسولا الى اهلها في ذلك فاذا اجابوه يحضرون شيئاً من الحلوى كالزبيب ونحوه وهذا يسمى حينئذٍ بالنعامية فاذا اكلوا هذه النعامية مع رسوله كان ذلك عقدًا للخطبة لا ينفك ثم يرسل بعد ذلك

الى قومها من يكتب الكتاب على مهر معلوم وقد صارت زوجة له يحضرها اليه متى شاء فان وافقته والأ طلقها وتزوّج باخرى وكذلك الى ماليس له حد يقف عنده · ولا يجوز الجمع عندهم بين زوجتين الأ ان يطلق الاولى فيتزوّج بالثانية

والطلاق عندهم يتم بايسر امر ولو على سبيل الغفلة فانه اذا قال لها اذهبي الى البستان مثلاً ولم يردف ذلك بقوله وارجعي فهي طالق · وقد يهجر الرجل المرأة فتلبث غير طالق منه مادام لم يتزوّج بغيرها فمتى تزوّج طلقت بمجرد زواجه وجاز ان تتزوّج بغيره والمطلقة والمخطوبة تستتران من المطلق والخاطب اشد من استتارهما من الرجل الاجنبي الى مالا يقدَّر حتى ان احداها تحرص ان لا ينظر احدهما ثوبها · وقد حكي من يوثق به ان صبية كانت مخطوبة لطفلٍ من بني عمها على انه متى شبّ زوّجوه بها فكانت تستتر منهُ وهو مشتغل عنها بالرضاع في حجر امه · والمطلقة عندهم لاترد بوجه من الوجوه ولو تزوّجت برجل آخر ثم طلقت منه خلافاً لما عند المسلمين فاذا ندم الرجل على الطلاق لم يكن لهُ حيلة الأ الانكار ان صادفته المرأة مالم يكن عليه شهود لا ينكرون الشهادة فتنقطع الحيل

واما اصطلاحهم في الملابس فان الرجال والنساء مطلقاً يلبسون اثواباً ضيقة الاكمام قصيرتها غير مختلفة الالوان وذلك عامٌ في العقّال من الرجال وجميع النساء وغالبٌ في جهال الرجال · والعقّال يلتزمون ان تكون ثيابهم قصيرة الاذيال الى مايلي الركبتين بيضاء او زرقاء محضاً لا يخالط لونها لون آخر ويلبس الرجل منهم فوق تلك الثياب عباءة فيها خطوط عريضة من البياض والسواد وعلى رأسه عمامة بيضاء مستديرة ولابدّ من اطلاق لحيته ولو كان في عنفوان صباه · واما المرأة فتلبس ثوباً سابغاً من لون اثواب الرجال وقد يكون احمر او اخضر واذا خرجت من بيتها فلابد ان ترسل عليها ثوباً تعلقه في منطقتها فيجري الى قدميها وعلى رأسها طرطورٌ تتخذه من القرطاس الصفيق ملتصقاً بالعجين وترسل عليه ملاءة تستتر بها كل وقت ممن يراها من الرجال غير انها لاتستر الأ احدى عينيها وما يليها فقط وتترك العين الاخرى وما حولها غير مستترة مالم يكن الرجل من المحارم الذين لا يحل لهم زواجها وهم الاب والابن والاخ والعم والخال فلا تستتر اصلاً · ولا تلبس حلياً من الفضة والذهب الا ماندر من الجاهلات فان لهنّ سعة في ذلك · ولابد لكل عاقلٍ او عاقلةٍ ان يتعهد عينيه كل يوم بالكحل وهم يفرضون لكل عين في السنة اوقية من الكحل يدخرونها من اول العام

واما اصطلاحهم في الامور الدينية فانهم يدَّعون بالاسلامية ظاهرًا ويذهبون باطنًا الى عقائد خفية مكتومة عندهم لا يبحون بها الاَّ لمن حقت الثقة بهِ منهم وبحسب ذلك ينقسمون الى عقَّال وجهَّال · وتنقسم العقال الى طبقتين احداها خاصة وهي ممن وثقوا به حق الثقة فعرف دينه حق المعرفة والاخرى عامة وهي ممن حسن الظن بهِ فعرف شيئًا من دينه · واما الجهال فلا يعرفون شيئًا من ذلك وليس لهم منهُ الاَّ دخولهم تحت اسم الدروز فقط · والانقياء من العقَّال يتخذون لهم خلواتٍ وهي ابنيةٌ منقطعة في اعلى الصوامع ينفردون بها ومجالس في القرى وهي ابياتٌ في داخلها ابيات اخرى يجتمعون اليها ليلة الجمعة من كل طبقة فيجلسون في البيت الظاهر ويقراون ما تيسر من المواعظ ونحوها ثم يحضرون شيئًا من الزبيب ونحوه فيا كلون وتنصرف الطبقة العامة وتدخل الخاصة الى البيت الداخل وتغلق الابواب وهناك يبذل الرجل لصاحبه ما كان مصونًا عن الآخرين · وللعقال شيخ يتولى قضاء التحليل والتحريم ونحوهما من المسائل الدينية يدعونه شيخ العقل واليه ترجع دعاويهم من هذا القبيل فان كانت من قبيل المعاملات الدنيوية رجعت الى قاضي الجمهور الذي يقيمونه في البلاد · ولا بد من زيارة شيخ العقل في كل مدة من الزمان طائفًا على منازل الاكثرين منهم وفي هذه الزيارة يصحبه غالبًا نفرٌ من انقياء العقال يدعونهم بالمحافظين فاذا توزرت زيارته لهم في اوقاتها ارسل المحافظين يفتقدونهم نيابة عنه وكثيرًا ما يزورونهم من قبل انفسهم لانهم قد انتصبوا لذلك وهم بمنزلة وزراء له في آرائهِ واعماله

ومن العقال طبقة اخرى تعرف بالمتنزهين واصحاب هذه الطبقة اشداء العبادة والورع فمنهم من لا يتزوج حتى يموت بتولاً ومنهم من يصوم كل يوم الى المساء ومنهم من لا يأكل اللحم في جميع ايامه · وكان من هذه الطبقة الشيخ حسين الماضي كان شيخ عقلٍ في جبل الشوف وكان لا يأكل الفواكه ايضًا غير انه كان كلما جاءت فاكهة يتناول منها شيئًا يسيرًا ثم يمسك عنها فلا يعود اليها ثانية الى السنة القابلة — قيل ان بعض اصحابه ناقشهُ في ذلك فقال اني لو لم اذق فاكهة خامرتني الكبرياء ولو بقيت على اكلها ضاع التقشف فانا اجمع بين الطرفين · وكل عاقل لا يتناول شيئًا من المسكرات ونحوها على الاطلاق ولو كان مدمنًا عليها في ايام الجهل ولا يفحش في كلامه على كل حال ولو كان قبل ذلك من السفهاء ولا يرفع صوته في الكلام ولو كان في حالة الغضب ولا يطوّح نفسه في الحديث الى ما ينتقد عليه ولو كان مهذارًا قبل ذلك ولا يسرف في طعامه وشرابه ولو

دعت الحاجة وكل ذلك يكون في ابتدائه تكلفاً ثم يصير عادة ثم يصير طبعاً لا ينفك عن صاحبه ولا يتجشم له مشقة · والعقال يتحرمون مال اولياء الامور من اي جهة كان فلا ياكلون ولا يشربون من دار الحاكم ولا من بيت خادمه ولا مما يحمل على دابة شريت بماله ولا مما يعمل في حانوت قد اقيم بنفقته حتى انهم لا يطحنون الحنطة تحت رحاه ولا يعصرون الزيتون في معاصره وهلم جرًّا · والاتقياء منهم يتحرمون اموال غير العقال مطلقاً فلا ياكلون من بيوت غيرهم حتى ولو كان من جهال طائفتهم لعلمهم ان صاحب ذلك البيت لا يتحاشى ما يتحاشونه من الاموال المحرمة · وجميعهم يستحلون اموال التجار من اي جهة كانت فاذا قبضوا دراهم محرمة اتوا بهم الى التاجر يبدلونها منه ومن التجار من ياخذ الدراهم منهم الى حين ثم يردها لهم بعينها فيقبلونها حلالاً ولو عرفوها بناءً على حكم الظاهر المعتبر عندهم · قيل وكانوا قديماً يسالون التاجر عن ماله من اي جهة جاء ليستثبتوا تحليله حتى كان الشيخ يوسف الكفرقوقي في دمشق وسال ذات يوم امراة تبيع الخبز فاجابته جواباً فاحشاً وكان اماماً عندهم في الدين فامر برفع هذه العادة ولم تزل مرفوعة الا الآن يشترون ولا يسالون

والعقال يدعون انفسهم بالموحدين ويدعون الاتقياء منهم بالاجاويد ويسمون جهالهم كفار الدروز وليس عليهم فرض من التكاليف الدينية كالصوم والصلوة والحج وغير ذلك وهم يفرضون على انفسهم صيانة اللسان وكتم الاسرار وحفظ شرف النفس والتزام الادب قولاً وفعلاً وكثير من الجهال يتخلقون باخلاقهم حتى يتعدى ذلك الى من يجاورهم من الطوايف الخارجة عنهم وليس لهم ولي يزار الا الامير عبدالله التنوخي ويلقبونه بالسيد فان له مقاماً في شحار الغرب يزورونه بالنذور والهدايا · وليس عندهم من العلوم الا علم النجوم والطلاسم ونحو ذلك وربما تعرض لعلم الفقه من اراد ان يرشح نفسه للقضاء ولا يستعملون من الصنايع الا النجارة قليلاً والحياكة اقل منها والصباغة اقل منها واما عقائدهم الدينية فليس هذا موضع البحث فيها وهم يكتمونها كتماً شديداً فلم تزل مصونة عن الناس من اثناء سنة اربعمائة للهجرة الى اثناء سنة الف ومائتين وخمسين حين نكبهم ابراهيم باشا صاحب الدولة المصرية في وادي التيم ونهب عسكرهُ خلوة سبعة وكان فيها كتب كثيرة فتداولتها الناس واشتهرت بعد ان كانت مكتومة محفوظة الى ما لا مزيد عليه · غير ان الناس لم يقفوا منها على معرفة جلية الاَّ قليلاً لان اكثرها مواعظ ونصائح واخبار وما خرج عن ذلك فهو تحت اللغز والكناية

لانهم لا يريدون التصريح بما عندهم حرصاً عليه فيطوون ما ارادوهُ على الرموز والاشارات الأ في بعض الرسائل نادرًا مما وقف عليه بعض الناس وشاع ما فيه بين الجمهور بالتواتر

واعلم ان هذه البلاد من المقاطعات الاصلية والملحقة بها تشتمل على نحو خمسمائة قرية وهذه القرى تشتمل على نحو خمسين الف رجل من النصارى ونحو عشرة آلاف من الدروز وما حول خمسة آلاف من المسلمين والمتاولة واليهود عدا النساء والاولاد والله سبحانه اعلم — انتهى بقلم كاتبه الفقير سنة الف وثمانمائة وثلث وثلثين مسيحية

الزواج عند بدو القطر المصري [1]

يسمون الزواج (التبييت) بمعنى ان يكون المتزوج ذا بيت خاص به فاذا كان له اب سكن بمعزل عنه في بيت على حدته ويظهر ان الذي يضطرهم لذلك ان بيوتهم التي هي من الشعر لا تسع غير عائلة واحدة • ولا يجوز في ادابهم مطلقاً ان يذكر الولد امام ابيه لفظ الزواج ولو عرضاً في أثناء الحديث واذا تكلم في هذا الموضوع شخص آخر وكان الولد حاضراً فرَّ هارباً من شدة الخجل

وقد يبالغ الولد في خجله من الزواج حتى بعد زواجه فيستتر من والده بعد الزفاف مدة طويلة حتى يتوسط بينهما وسيط يرفع عن الولد حجاب الخجل بمناسبة لطيفة • ومتى رزق الولد بمولود يخجل ان يراه والده وهو يحمله او يداعبه وبالاختصار فان الخجل عندهم من الزواج بالغاً حده حتى يستنكف المتزوج منهم ان يذكر امام والده اسم زوجته او شيئاً يختص بها في شأن من الشؤون واذا اضطر لذكر شيء من هذا القبيل عبر عنها بالبنت فيقول البنت قالت او فعلت الخ

ونظرًا للخجل من امر الزواج فان الولد متى شعر باحتياجه اليه ووجد من ابيه تغاضياً عنه وسط في الامر بعض ذوي قرباه بشرط ان يكون كلامهم مع والده غير مسند اليه بل يجعلونه من عند انفسهم ومقترحاتهم فيطلبون لزومه ببعض الاسباب

وقد تصبو نفس الولد الى بعض الفتيات اما عن حب متبادل بينهما أو لسبب آخر فمتى رضي أبوه بزواجه أوعز الولد اليه على يد الوسيط في تلك الرغبة بعبارة

---

(١) نقلاً عن كتاب « بدو مصر واحوالهم » لمؤلفه ابراهيم افندي زكي بعزبته بشفاقرون (لم يطبع)

لا يفهم منها شيء من الحب بل يقول الوسيط مثلاً اني أرى فلاناً يليق بمصاهرتكم لمميزات خصوصية يذكرها ليبرهن عن استحسان الارتباط بينهما بالزواج فاذا وافق الوالد على ذلك ولم يمنعه عدم التكافؤ في الحسب أو المال او السمعة بادر الى استطلاع اميال اهل العروس بواسطة بعض أصدقائه ومتى تحقق قبولهم مصاهرته اصطحب بعض معارفه واقاربه واخذوا معهم شاة او عدة شياه بحسب المقدرة لكي يذبحوها هناك متى تمت الخطبة ويقولون حينئذ (فلاناً ذبح في بنت فلان) اي تمت الخطبة بينهما

وقاعدة الصداق عندهم شيء يقال له سوار اللبن ويبلغ قدره خمسة وعشرين ريالاً في المتوسط تدفع لام العروس بمثابة مكافأتها على ارضاعها العروس ولذلك يسمونه سوار اللبن أي قيمة ثمن اساور تتحلى بهم أم العرس بدل ارضاعها ابنتها

فيفرض الصداق بقدر عشرين ضعف السوار المذكور الى ثلاثين ضعفاً حتى اذا رضي والد العروس أو وليها بادر بعض من حضر مع والد الخاطب فقال وكم تترك من ذلك اكراماً لخاطري فيجيبه ازرك لك كذا فيقول غيره ايضاً وكم تترك لاجل خاطري انا فيقول كذا وهكذا حتى لا يبقى من أصل المبلغ المفروض سوى النصف أو الثلث وقد يكون والد العروس محتاطاً لتلافي ما ينقص من المهر بحكم هذه العادة بالاكثار في مبدأ الامر من مطالبه بقيمة الصداق حتى اذا اضطر لترك شيء منه بالطريقة التي تقدمت يبقى له ما يفي بمهر ابنته

فاذا تقرر بعد ذلك ان الصداق مايتا ريال مثلاً كان المعجل دفعه الثلثين فاذا كان هناك نقود دفعت في الحال واذا أراد والد الخاطب ان يؤدي الصداق غنماً او ماسية ثمنها الحاضرون باعلى قيمة تباع بها فاذا بقي شيء من المعجل بعد ذلك تحكم العادة عندهم بدفعه بعد الزفاف ببضعة أيام اذ تحضر العروس لزيارة والدها ومعها الباقي والصداق وكسوة له وهدية ويسمونها الزورة أو الزيارة . والمبلغ المدفوع والصداق يكون على الغالب لوالد المخطوبة خاصة ولا سيا اذا كان فقير الحال وقد لا يصرف منه شيئاً في لوازمها لان والد الخاطب يجب عليه قبل الزفاف ان يتوجه مع والدها الى السوق فيشتري ما يلزم للمخطوبة من الكسوة والحلي وقد يبلغ ذلك في بعض الاحيان مبلغاً يوازي الصداق المدفوع

والكسوة هي عبارة عن ملابس نسائية خاصة بهم وملاية من الحرير الاسود وحزام من الحرير المزركش بالقصب قد تبلغ قيمته أربعة جنيهات فاكثر . والحلي هي الاساور

ويسمونها (الدملج) والقرط ويسمونه (العلايق او الحرص) وهوشيء يعلق في الآذان أيضاً . والحوافر وهو شيء يعلق في الرقبة . فصداق العروس عندهم يدفع على ثلاث دفعات الاولى سوار اللبن الذي تأخذه امها والثاني معجل الصداق الذي يأخذه والدها ثم الكسوة التي يقدمها العريس

وعندما يأخذون العروس للزفاف اذا لم يذبح والدها لمن يحضر ذبائح الأكل فان والدها يرسل معها تلك الذبائح حية ويسمونها الوشاحة وقد ينقلون العروس اذا كانت بعيدة الوطن ومحل زوجها على جمل وفوقه هودج يسمونه(الكرمود)ومتى وصلت الى بيت زوجها فان كانت بكراً يدار بالجمل سبع دورات حول الخباء الذي ستزف فيه أما الثيب فالأكثرون لا يرون لزوماً لدورة الجمل وبعضهم يدور ثلاث مرات

أما الزفاف فانه يكون بالنهار عادة وقد يدخل العريس على عروسه وهو مدجج بالسلاح لكي يضرب عيارين عقب ذلك اشارة الى انه وجدها بكراً . فمتى اطلقت العيارات استعد أغلب الحاضرين ببنادقهم ليطلقوها عند خروج العريس خارجاً من الخباء وبعضهم يصوب العيار نحوه على سبيل المزاح وربما احرق بعض ملابسه . وبعد الفراغ من الزفاف يقف ثلاثة رجال امام الخباء وثلاثة خلفه ويتقاذفون خاروفاً يتلقفه كل فريق منهم ثلاث دفعات وفي الثالثة يذبحونه طعاماً لاصدقاء العريس . أما حفلة الفرح وما يتعلق بها من الاناشيد والمهرجان اللازم فسيأتي الكلام عنها في فصل خاص

(استدراك) جاء في مقالة القضاء عند بدو القطر المصري المدرجة بالهلال الخامس عند الكلام على الميعاد تحريف في العبارة المختصة (بالكمود) والصحيح ان ذبيحة (الكمود) ترسل للمعتدي عليه بعد الفصل في القضية من الميعاد

تاريخ التمدن الاسلامي

الجزء الرابع

سيصدر الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي في اواخر يوليو القادم وموضوعه سياسة الدولة الاسلامية على اختلاف الدول والعصور من دولة الراشدين فالامويين فالعباسيين وما كان من تفرع هذه الدولة والاسباب السياسية او الجنسية او المذهبية التي دعت الى ذلك وسينشر الجزء المذكور مع الهلال العاشر من هذه السنة ويرسلان معاً في مجلد واحد الى المشتركين الذين سددوا ما عليهم لادارة الهلال على جاري العادة في كل عام

باب السؤال والاقتراح

الصور المتحركة

(القاهرة) محمد افندي مصطفى في السكة الحديدية

شهدت في بعض نوادي القاهرة تمثيلاً بالصور المتحركة يوهم الناظر انه يرى مناظر حقيقية وفي جملة ما مثلوه بها رواية فوست الشهيرة فقد رأيت الاشخاص والاشارات والحركات كأن الرواية تمثل على مرسح حقيقي فما هو سر هذه الصور وكيف تظهر للناس متحركة كانها ذات حياة والامل ان لا تحيلونا على شيء كتبتموه في هذا الموضوع في بعض سني الهلال الماضية

(الهلال) من النواميس المقررة في علم البصريات ان صور الاشباح اذا ارتسمت في العين لا تزول حال زوال تلك الاشباح من امامها فمن ينظر الى رجل ترتسم صورته في شبكية عينه فاذا حول نظره عنه بقيت صورته هنيهة على الشبكية ثم تزول . ويظهر ذلك لمن ينظر الى جسم منقض من شاهق بسرعة فانه يراه يرسم خطاً متواصلاً كالنيازك التي تتساقط في بعض الليالي فانها قطع من معادن او نحوها تمر في الفضاء من مكان الى آخر بسرعة عظيمة فتظهر لنا خطوطاً نارية لانها لسرعتها تبلغ الى منحدرها قبل ان تزول صورتها الاولى التي ارتسمت في العين عند اول انحدارها فتظهر تلك الرسوم متواصلة كأنها خط واحد

وقد لاحظ العلماء ذلك قديماً فاصطنعوا آلات على هذا المبدأ معظمها من قبيل الالعاب الصغيرة منها واحدة سموها فنترمسكوب تشبه في مبدإها مبدأ الصور المتحركة من بعض الوجوه

والصور المتحركة يسمونها سينماتوغراف او كينا توغراف وقد شاهدناها في القاهرة وتفحصنا ذلك بنفسنا مراراً فاجلسونا في ساحة منارة بالكهربائية في صدرها ملاءة بيضاء قائمة على عيدان ملصقة كانها حائط ابيض فلما آن التمثيل اطفأوا النور الكهربائي

وظهر على تلك الملاءة اظلال كالتي ترى بالفانوس السحري الاَّ انها تتحرك كما ذكرتم وشاهدنا عدة مشاهد بديعة الاتقان مما شاهدناه في القاهرة منذ بضع سنين ومدتها اطول

اما الآلة فهي عبارة عن صندوق مقسوم الى نصفين يميني و يساري وترى اليميني مفتوحاً وبابه الى اليمين (ل) وفي داخله ثلاث بكرات (ب ك ق) تدور على محاورها و بين الاولى والثانية نافذة صغيرة (ف) واما النصف اليساري فمقفل وفيه الادوات التي تدار بالقبضة (ع) فتدير البكرات في النصف الآخر. وترى على البكرات لفافة ممتدة عليها كلها فتبدأ

آلة الصور المتحركة

من البكرة (ب) عند (ت) فتنحدر الى النافذة من (ج) الى (ف) ثم تخرج من (ظ) فتمر على البكرة (ك) عند (و) فتنحدر الى البكرة (ق) وتلتف عليها. فالبكرات ثلاث ولكن المستعمل للف اثنتان فقط (ب و ق) اما (ك) فان اللفافة تمرُّ بها مروراً والقصد من نشر هذه اللفافة ولفها انما هو مرورها بتلك النافذة (ف) وهناك زجاجة نصف شفافة تنفذ اظلال الصور منها الى الخارج كما سترى

واللفافة المشار اليها عبارة عن قدة مستطيلة من مادة مرنة شفافة اسمها سليولويد تشبه المادة الغروية التي يصنعون منها الامشاط الشفافة او نحوها وطول هذه اللفافة ٣٠ متراً فاكثر على حسب طول مدة المنظر. وعرضها ستة سنتيمترات او اكثر وعليها ترسم صور الحادث الواحد متعاقبة حسب تعاقب وقوعها وقد يبلغ عددها الف ومائتي صورة لتصوير حادث وقع في ٤٥ ثانية وتلف هذه القدة الطويلة على البكرة العليا (ب) ويمرُّ طرفها عند (ج) في النافذة (ف) فتنفذ عند (ظ) ثم يصعد بها عند (ر) على البكرة (ك) فتدور عند (و) ثم تنحدر الى البكرة (ق) وهناك تشد. فاذا اديرت الآلة بالقبضة (ع) تحركت البكرات على

اسلوب تنحل به اللفافة عن البكرة العليا (ب) فتمر في النافذة (ف) وتنزل فتلف على البكرة السفلى (ق) و يتم لفها كلها في ٤٥ ثانية · ثم ان حركة الآلة منقطعة على اسلوب تقف به اللفافة عند كل صورة ١/٣٠٠ من الثانية عند النافذة (ف) ثم تمر بمثل هذه المدة على التوالي · وتغطي النافذة زجاجة نصف شفافة تتحرك صعوداً او نزولاً حسب حركة اللفافة فمتى وقفت اللفافة صعدت الزجاجة فاذا تحركت اللفافة نزلت الزجاجة لتغطيها وهكذا

فافرض اننا وضعنا هذه الآلة في صندوق التصوير الفوتوغرافي (كاميرا) وجعلنا النافذة (ف) من جهة عدسة التصوير حتى ترسم الاشباح على زجاجتها مصغرة كما ترتسم زجاجة التصوير الفوتوغرافي الاعتيادي وكسونا سطح اللفافة على طولها بالجلاتين الحساس الذي تكسى به زجاجات التصوير الفوتوغرافي وجعلنا هذه الآلة امام منظر متحرك كرجل ينشر بمنشار مثلاً واحكمنا وضع الآلة حتى ترتسم صورة الرجل على زجاجة النافذة ثم ادرنا الآلة فاللفافة تمر منقطعة وراء الزجاجة تقطعاً منتظماً كما تقدم وكلما وقفت لحظة ارتسمت عليها صورة من صور ذلك الرجل وحركة منشاره · وفي كل صورة تغيير طفيف جداً عن التي قبلها لان بين حدوث الصورة الواحدة وحدوث الاخرى ١/٣٠٠ من الثانية وهو ما لا يكاد يتصوره الوهم فالعمل الذي يعمله ذلك النجار في ٤٥ ثانية يرتسم منه على تلك اللفافة نحو الف صورة مساحة كل منها ٤ سنتيمترات في ٦ تتدرج تدرجاً طفيفاً بين الحركة الاولى للمنشار والحركة الاخيرة فلما ترتسم هذه الصور على الجلاتين تعالج كما تعالج زجاجات التصوير الشمسي حتى تصير رسوماً ثابتة على مادة اللفافة وقد اختاروا السليلوليد لصنع هذه اللفائف لانه شفاف كالزجاج ولكنه مرن يلتف و ينتشر بسهولة

هذه هي كيفية رسم الصور المتحركة اما عرضها فعلى نفس هذا المبدإ فيجعلون هذه الآلة واللفافة فيها كما ترى و يضعون وراء النافذة من اليمين عدسية مكبرة هي بالحقيقة جزء من الآلة ويجعلون امام النافذة من اليسار نوراً كهربائياً شديد اللمعان يمر قبل وقوعه على النافذة في محلول الشب لكي تنطفيء حرارته فاذا ارسلت النور على اللفافة فيها نفذها الى العدسة المكبرة فينفرج و يتسع ظل الصورة الصغيرة فيقع على الحائط المقابل مكبراً كما يراه الناس · فاذا لم تدر الآلة فالصورة تبقى ساكنة كما تظهر بالفانوس السحري اما اذا اديرت الآلة ومرت الصور متتابعة مسرعة امام النافذة فانها تكون كذلك على الحائط والمدة بين ارتسام الصورة الواحدة وارتسام الاخرى ١/٣٠٠ من الثانية كما تقدم وهي لا تكفي لزوال

الصورة الاولى من العين قبل ارتسام التالية فتتصل تلك الصور بعضها ببعض فتظهر متحركة

ويشتغل بعض العلماء الآن في اصطناع صور تتحرك وتتكلم في وقت واحد باستخدام السيناماتوغراف والفونوغراف معاً فستأتي ايام نرى بها العالم وحوادثه رأي العين ونحن جلوس في غرفنا وذلك كله من معجزات هذا التمدن

القرصان

(اوكدن اوتاه اميركا) خطار افندي يوسف نكد

نسمع ذكر القرصان او لصوص البحر فما هو تاريخ هذه الطائفة وما هو اصلها ويقال ان بعض الباحثين عثر على كنز من كنوزها فما هي هذه الكنوز

(الهلال) القرصان معرب (Corsare) في الايطالية ومعناها في الاصل المسابقة او المطاردة . والقرصانية في البحر كالغزو في البر وهي قديمة واقدم القرصان من الفينيقيين ثم من اليونان وقويت القرصانية في ايام اليونان وانتشرت وقد ذكرها هوميروس غير مرة والسبب في انتشارها عندهم انقسامهم الى دول صغيرة فكانوا يغزون بعضهم بعضاً في البحر كما كان يفعل العرب في البر ولم يكونوا يعدُّون ذلك عاراً . ولما انتظمت حكوماتهم عدُّوا القرصانية من قبيل اللصوصية وكان ذلك شأنها في أيام الرومان حتى اذا تقهقرت الدولة الرومانية وأخذت في السقوط اصبحت البحار فوضى وكثر اللصوص فيها وتعددت المظالم وتوالت التعديات وأصبح التجار في خوف على أموالهم . وتقدمت القرصانية ايضاً في ايام الاسلام . وممن تعاطى القرصانية من كبار الرجال خير الدين باشا الملقب بربروسا المتوفى سنة ١٥٤٦ فقد كان في أول أمره يسطو في البحر ويقبض على سفن الافرنج ويشدد النكير على النصارى لما كان من فتكهم بالمسلمين في الاندلس يومئذ

وكانت القرصانية تعدُّ تارة من قبيل اللصوصية وطوراً من قبيل الجندية او الغزو وفي كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول ان القرصان لما استفحل أمرهم وثقلت على التجار وطأتهم ألف التجار شركات في ثغور البحر المتوسط تتولى الدفاع عن مراكبها وتقضي على القرصان نفسها وتنتقم من المعتدين بلا اجازة من حكوماتهم

ثم انحلت تلك الشركات وقويت شوكة القرصان في القرن الرابع عشر فاصدرت الحكومات نظاماً حرمت فيه القرصانية بلا اجازة خاصة من مليك البلاد . وذلك هو

أول نظام القرصان . ثم تعاهدت الدول ان لا تعطي تلك الاجازة لرعاياها الا بعد ان يرفع المعتدى عليهم الى ملك المعتدين عريضة يطلبون بها التعويض عما لحق بهم من الاضرار فان أبى الملك عليهم ذلك منحوا الاجازة : راجع معاهدة فرنسا واسبانيا ١٤٨٩) واشرطوا في المعاهدات التجارية التي ابرمت في القرن السادس عشر بانهم لا يجيزون القرصانية الا على سبيل الانتقام من المعتدين فقط اذا لم ينالوا التعويض عما لحق بهم من الضرر (راجع معاهدة فرنسا وانكلترة ١٥١٨) واتفقوا في معاهدات القرن السابع عشر انه اذا لم يعوّض على المعتدى عليهم في مدة بين اربعة اشهر وستة مثلاً حقٌّ لحكوماتهم ان يجيزوا لهم القرصانية . والاجازة المذكورة عبارة عن اذن يبيح للمتضرر ان يأخذ بثاره ممن اعتدى عليه او من أحد مواطنيه .. لانهم كانوا في ذلك الزمان يعدون المواطنين شركاء أدبياً في ذنب الافراد . ويؤخذ ذلك الثار في عرض البحار على ان حقوق الملل عدّلت هذه العادة اليوم فاصبح ما يحدث من التعديات والاهانات وما ينجم عنها من الاضرار يعدُّ ماساً بالحكومات وليس بالافراد



خير الدين باشا (بربروسا) اشهر قرصان المسلمين

وكانت الدول في القرون الوسطى تدعو جميع رعاياها للقتال برّاً وبحراً وتجيز لجميع

ارباب السفن الهجوم على سفن العدو تجارية كانت او حربية والاستيلاء عليها او الحاق الضرر بها بغير ان يكون لها اجازة في ذلك من قبل . فلما انتظمت الدول اشترطت طلب الاجازة وحرّمت كل حركة او اعتداء قبل الحصول عليها وجعلت جزاء المخالفة الاعدام ثم اقترحت بعض الحكومات على ارباب السفن ان تقدم ضمانة على الاضرار التي قد يلحقونها بمواطنيهم او بالاجانب المحايدين . وأصدر برلمان انكلترة عام ١٤١٤ منشوراً قال فيه ان الغنائم والاسلاب التي تؤخذ على مراكب الاعداء يجب قبل ان تصير ملكاً للقرصان ان تعرض على محكمة خاصة تدعى « محكمة حفظة السلم » وهذا القرار هو منشأ المحاكم الخاصة بالاسلاب الباقية الى يومنا هذا

ولما نشبت الحرب المشهورة بين الولايات المتحدة الاميركانية للدفاع عن استقلالهم ضد الاسبانيين كثرت القرصانية الى حد عظيم رغبة من الاميركيين في تعطيل تجارة الاسبان الزاهرة في تلك الايام . فتراكض الافاقون وغيرهم من اصحاب العطلة من كل صوب وانخرطوا في سلك القرصان للسلب والنهب . وبلغ منهم الشرّه الى انهم تطاولوا على مراكب الامم الاخرى المحايدة واضروا فيها ضرراً فاحشاً . واصبح للقرصانية اسم تقشعر منه الابدان وصارت مرادفة للصوصية . وظلت كذلك حتى اقرّت الدول الاوربية على الغائها في قرار باريس

اما الكنوز التي عثر عليها الباحثون في بعض شواطيء البحر فالظاهر انها من المخابيء التي كان القرصان يخبئون فيها غنائمهم وقد قتل اصحابها ولم يكن أحد عارفاً بها فظلت مخفية الى اليوم كما ظل كثير من الكنوز البرية التي كان يخبيء الناس فيها اموالهم خوفاً من ظلم الحكام او لاسباب أخرى وماتوا ولم يخبروا بها أحداً حتى عثر عليها الباحثون عرضاً

المشروب الطبيعي

(المطرية دقهلية) حسين افندي الجمل وكيل البوستة

نهانا الدين عن الخمر فامتثلنا ولم نشرب واليوم ينهانا العلم او الطب عن شرب الشاي والقهوة فماذا نشرب ؟

(الهلال) ليس المراد تحريم شرب الشاي والقهوة مثل تحريم الخمر وانما المراد ان الاكثار من شربهما مضرّ . ومع ذلك فلا غرابة في منع شربهما وقد عاش الناس اجيالاً

زلازل متواترة بعد الزلزلة العظيمة) وقد كتب في كتابه البراهين الاحمدية منذ سبع وعشرين سنة وحياً من الله مخبرًا عن الزلزلة الماضية والآتية . هذا قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً قوة الرحمن لعبيد الله الصمد) .

« واني اخبركم ايضاً انه قد آمن به قريباً من نصف مليون من الناس وفيهم العلماء والامراء والرؤساء والغرباء »

انا الراقم

« موسوي محمد فضل خان احمدي »

٣ مايو سنة ١٩٠٥ مقام جنكابنكيال . تحصيل كوجرخان .

ضلع راولبندي . بنجاب . الهند



٣ — هيجين الطعام

لحضرة نعمه افندي ايليا الصيدلي القانوني

١ — السرعة في الاكل : قد اشتهر الشعب الاميركي بالسرعة في الاكل حتى قيل فيهم انهم يطرحون الى معدهم كل انواع الطعام غير ناظرين الى سهولة هضمها او صعوبته وكثيرًا ما يأكلون بسرعة عظيمة فلا تعطى الاسنان وقتاً كافياً لتجزئة الطعام الجامد حتى يسهل ازدراده بدون ضرر للحنجرة وينتج عن تلك السرعة اضرار عديدة تجمع بالاختصار في اربعة . اولاً ان الطعام لقلة مضغه لا يتجزأ كما يجب ولذلك لا تتمكن العصارات الهضمية من التأثير عليه . ثانياً ان بقايا الطعام مدة قصيرة في الفم لا تكفه لاختلاطه بالكمية اللازمة من اللعاب لاتمام الهضم اللعابي الاول . وبما ان اللعاب منبه لافراز العصير المعدي حين وصول الطعام الى المعدة فبالضرورة لا يكون الهضم المعدي تاماً . ثالثاً متى وصل الطعام الى المعدة قطعاً كبيرة يفعل كمهيج مكانيكي فيهيج غشاءها المخاطي ويحدث احتقاناً وزكاماً معدياً وهو اشد امراض المعدة . رابعاً السرعة في الاكل تلجئ الآكل للاكثار من المشروبات الباردة او الحارة لدفع الطعام الى المعدة . وكثرة كمية السائل في المعدة مهما كان نوعه مضرة لانها تؤخر عمل العصير المعدي وتضعف تاثيره

في الهضم وتوقف افراز اللعاب . فاذا كان السائل حاراً وكميته كبيرة اضعف المعدة وارخاها وان كان بارداً اوقف الهضم باسقاط حرارة محتويات المعدة الى حيث لا يمكن اتمامه كما يظهر في الذين ياخذون الماء البارد او المبردات بعد الاكل اذ تكون المعدة مشغولة بالهضم وسببه عدم امكان المباشرة بالهضم بحرارة اقل من حرارة الجسم او نحو مائة فهرنهيت وقد وجد الدكتور بومون بالاختبار ان من شرب ماء من بئر حال رفعه تسقط حرارة محتويات معدته الى درجة السبعين ولا تعود الى حالتها الاولى الا بعد نصف ساعة وهكذا يفعل كل طعام بارد فانه يؤخر الهضم فتبطيء المعدة في عملها وكذلك في شرب بعض السوائل فليكن قبل الاكل ببضع دقائق ليتم امتصاصه قبل الابتداء بالاكل . او بعده بساعة او ساعتين واذا كان الطعام مؤلفاً من مواد ناشفة فيحسن اخذ قليل من السوائل السخنة في بدء الاكل او بعده . والخلاصة ان الشرب مع الاكل مضرّ ولا سيما لضعفاء المعدة واذا مضغ الطعام جيداً يقلّ الميل الى الاكثار من الشرب

٢ — كثرة علقات الطعام : اعتاد بعض ذوي الاشغال المتعبة اخذ علقتين او اكثر من الطعام فوق العلقات الاعتيادية مدة النهار بحيث لا تكون الفسحة بين علقة واخرى اكثر من ساعتين ولا يخفى ما في ذلك من التعدي على نواميس الهضم . وقد شاع كثيراً في عصرنا الحاضر ولا سيما في البلاد الانكليزية اكثار علقات الطعام فهي عندهم خمس في اليوم كأنهم يعتقدون بعدم لزوم الراحة للمعدة مهما كانت احوالها . قرّر الاطباء ان الهضم الصحي يحتاج الى خمس ساعات وتحتاج المعدة الى ساعة واحدة للاستراحة قبل العلقة الثانية فتصير الفترة بين العلقتين ست ساعات . فاذا لم يحفظ هذا النظام واخذ الطعام قبل مرور المدة المعينة تعتلّ المعدة عاجلاً او آجلاً لحرمانها من الوقت اللازم لراحتها فضلاً عما ينتج من الاضرار باخذ طعام قبل هضم الطعام الاول واخلاء المعدة منه لان الفضلات الباقية من الاول لطول تعرضها لعمل الحرارة والرطوبة من اسباب الاختمار والعفونة يجري عليها ذلك التغيير رغم مقاومة العصير المعدي فتضر اذ ذاك بالطعام الجديد ايضاً و يصير الطعام كله غير صالح للغذاء وتتعرض المعدة لاضرار الحوامض الناتجة عن ذلك التغيير . يتساءل الناس الى كم علقة يحتاج صحيح الجسم يومياً والجواب على ذلك متوقف بالاكثر على عادة الشخص ومهنته وعدد ساعات عمله ونحو ذلك . كثيرون ياخذون ثلاث علقات او اكثر يومياً مع ان علقتين كافيتان لهم قال هيبوقراط اليوناني «علقتان تكفيان كل انسان» . وليس شيوع تعداد علقات الطعام في ايامنا الحاضرة الا

نتيجة الاعضاء عن ان المراد بالأكل انما هو تغذية الجسم وليس بمجرد التلذذ بالمضغ والبلع تلك عادة حديثة تفتن الغربيون بها كثيراً . اما اكتفاء الجسم بالاكل مرتين في اليوم فامر ثابت لا يعترض عليه . ان الاقدمين والوفاً من المحدثين اعتادوا الاكل مرتين يومياً فنالوا فوائد كثيرة ولم يحصل لهم ادنى ضرر . لان تلامذة المدارس واساتذتهم وخدمة الدين والمتشرعين وسائر طلبة العلم ينتفعون كثيراً بتقليل علفات الطعام وقد اختبر ذلك كثيرون مدة خمس عشرة سنة وبعضهم اكثر وكانت النتيجة دائماً حسنة فاراحوا المعدة والجسم مدة كافية ولا سيما وقت النوم لان النوم يريح الجسم المتعب راحة عظيمة وبما ان الهضم لا يمكن اتمامه مدة النوم فاذا كانت الفترة بين علفة واخرى ست ساعات وكذلك بين العلفة الاخيرة والنوم استحال على الانسان نوم ثمان ساعات كما هو الواجب فيما لو كان عدد العلفات ثلاثاً . فاذا تبع الانسان القواعد الصحية في حياته لا يحتاج الى اكثر من علفتين من الطعام يومياً الا الذين يعملون الاعمال الشاقة المتعبة للجسد اثنتي عشرة ساعة يومياً فان اعمالهم تمكنهم من اخذ علفة ثالثة ويشك في لزومها لهم خلافاً لذوي الاشغال العقلية الذين تضطرهم اعمالهم للجلوس دائماً فان العلفة الثالثة مضرة ولا لزوم لها مطلقاً

٣ — الاكل بين العلفات : ان اكل الفاكهة والمربيات وانواع الحلوى ونحوها بين العلفات من اكبر مفسدات الهضم وسبب اكيد لتلبك المعدة وعادة لا تقدر المعدة ان تحتملها والذين يعتادونها يشكون غالباً من فقد الشهية للاكل ولا سيما ما كان منها لذيذاً ولا ينظرون الى السبب الحقيقي . وتبدىء هذه العادة غالباً في الصبوة وكثيراً ما تولدها الامهات في ابنائهم حيث يعطينهم طعاماً لدى ذهابهم الى المدرسة علاوة على ما اكلوه وغير ما يشترونه من الفاكهة ذهاباً واياباً . فدعوى الامهات بانهم في سن النمو ويحتاجون الى كثير من الغذاء ليست عذراً لاعمالهن فالاولى اطعامهم قانونياً ليكون هضمهم منتظماً لان المعدة كالكبد وغيرها من اعضاء الجسم تحتاج الى راحة والولد يهضم من الطعام في ثلاث علفات اكثر منه في اربع او خمس والهضم الجيد يزيد الدم في اجسامهم ويكثر الانسجة الجديدة التي تتولد . فلذلك لا يستغرب موت الوف من الاولاد سنوياً بامراض معدية ومعوية عديدة . والسبب الحقيقي في اكثر الاحوال عدم مراعاة ما ذكر لاصلاحه منذ الصغر

٤ — عدم انتظام أوقات الاكل : ان عدم انتظام اوقات الطعام من الاسباب المهمة لسوء الهضم . اعتاد الجسم البشري عادات كثيرة صار يتوقف عليها اتمام وظائفه فمن

اعتاد تناول الطعام في ساعة معينة استعدت معدته دائماً لاستقبال الطعام في تلك الساعة واذا لم يكن له وقت منتظم فلا تكون المعدة مستعدة لاتمام عملها دائماً ٠ الفعلة والذين اشغالهم تؤخر أوقات طعامهم فيأكلون بعد الوقت اللازم يفسد عمل الهضم فيهم يوماً بعد يوم ٠ فليعلم كل انسان ان ساعة الطعام مقدسة لا يجوز خرق حرمتها في أي حال ولتنظيم أوقات الطعام أهمية عظيمة فيجب التعود عليها منذ الصغر فارضاع الطفل كلما بكى يضر باعضاء هضمه النحيفة لان معدته وان تكن في احتياج الى الطعام كل ساعتين او اربع حسب سنه فهي في احتياج ايضاً الى النظام الجاري على الكبار وقد تبين بالاحصاء ان اكثر اسباب الموت في الاطفال من عدم انتظام اوقات ارضاعهم

٥ — الاكل في أثناء التعب : الاكل وقت التعب ولا سيما طعام العلفة الثالثة حيث يكون الجسم والمعدة منهوكين باعمال النهار من اعظم الاسباب المضرة للمعدة ٠ ففي احوال كهذه يغلط المتقدون بان الطعام يقوي الجسم والمعدة لانه لما تشعر المعدة بالتعب مساء لا تكون حاجتها أذذاك الى طعام بل الى راحة وسكون ٠ اليد تتعب من العمل المستمر وهكذا المعدة لانها مؤلفة من اعصاب مثل اعصابها والافراز وقوى الاعصاب يقلاّن في المعدة المتعبة وعدم الالتفات الى ذلك يضر بالهضم ٠ والرياضة العنيفة سواء كانت قبل الطعام او بعده مضرة بالهضم للاسباب التي مرت اذا كانت قبل الاكل ولان القوى الرئيسية تكون منصرفة الى اعضاء اخرى اذا كانت بعدهُ فتمنع المعدة من الراحة وهي في حاجة اليها ٠ اختبر ذلك احد فسيولوجي الانكليز فاخذ كلباً واطعمه كمية وافرة من اللحم ذات صباح ثم اخذه معه للصيد وبعد ان طارد امامه طول النهار قتلهُ في المساء وفحص معدته فوجد اللحم باقياً كما كان لم يهضم على الاطلاق ٠ ثم أخذ كلباً آخر فاطعمه من اللحم كفاية واراحه كل النهار ثم قتله مساء وفحص معدته كالاول فوجد الهضم تاماً ٠ وكثرة الشواغل عند الاميركيين لم تعد تسمح لهم بملاحظة امر الصحة وقد لا يخطر في بال احدهم احتياجه الى وقت كاف للهضم فيهرع من عمله الى مناولة طعامه فيلتقمهُ بكل سرعة ويعود حالاً وهو يأسف على كل دقيقة يصرفها لقضاء مطالب الطبيعة ٠ اما اهالي ايدنبرغ فاعتادوا منذ سنين ان يوقفوا كل الاعمال مدة ساعتين في أواسط النهار وكذلك فعل أهالي سويسرا وهو الرأي الصواب غير ان عملاً كهذا يعد عند كثيرين عاراً على الفعلة ودليلاً على الكسل ٠ وكما قيل في الاعمال الجسدية يقال ايضاً في العقلية فهي قبل الطعام وبعده حالاً اكثر ضرراً من الاعمال الجسدية ولذلك فمطالعة

الجرائد بعد الاكل فوراً مضرة فيجب على الحكيم ان يرتاح بعد الطعام ولو ساعة واحدة والاحسن ان تترك ساعة أخرى قبل الاكل فان الهضم الجيد يعوض عن تلك الخسارة بتقوية الاعضاء الرئيسية • غير انه لا يجوز النوم بعد الاكل باعتبار ان النوم وقت للانسان اذ يكون حينئذ مضرًّا كالاعمال العقلية او الجسدية المفرطة لان الهضم الجيد لا يتيسر مدة النوم • ومع ان الهضم عمل غير ارادي فلا يبرح عن الفكر انه يتوقف على نشاط الجهاز العصبي لان العصب الذي يدير قوى الالات التنفسية يدير قوى عضلات المعدة والامعاء • وقد بينت التجارب ان النشاط العصبي والتنفس ينقصان مدة الهضم وتضعف قوة الدورة الدموية فتنخفض قوى اعضاء الهضم • وان معظم الذين ينامون ساعة أو أكثر بعد الاكل حالاً لا يشعرون بالراحة متى استيقظوا • فايقاف العمل بالنوم يسبب سوء الهضم اما المتقدمون في العمر فيحسن بهم ان يناموا بضع دقائق بعد الاكل قبل بدء الهضم والانسب ان لا يدمنوا على تلك العادة اذ الانسب للهضم الجيد ان يريض الانسان نفسه بعد الاكل بالمشي البطيء أو ركوب المركبة أو الحصان بلطف لان الرياضة القوية مضرة بالجهاز الهضمي اما الرياضة اللطيفة فانها تسهل الهضم بازدياد القوى العضلية للافراز والامتصاص

٦ — تأخر وقت الطعام مساء : ان تأخر وقت الطعام مساء اذ يكون الجهاز العضلي والعصبي متعبين في أثناء النهار ثم الذهاب للنوم حالاً لمن أعظم أسباب سوء الهضم اذ يكون الافراز قليلاً ضعيفاً نظراً لحالة الجسم المتعبة • واذا اعتبرنا الاسباب التي مرّت لتأخير الهضم بتأخير عمل المعدة مدة النوم فلا يمكن ان تكون النتيجة سوى هضم ناقص ونوم متعب ولذلك يقاسي كثيرون عذابات اليمة من الارق والاحلام الرديئة وغيرها فينهضون صباحاً غير مرتاحين كما يجب وعمل التمثيل الذي به يتم الغذاء غير تام لضعف الاعصاب ولذلك يجب الامتناع عن اخذ الطعام قبل النوم بثلاث او اربع ساعات على الاقل والا فلا يكون للمعدة وقت كاف لاتمام الهضم بدون ازعاج سائر أعضاء الجسم • والعلقة الاخيرة اذا اكل الانسان ثلاثاً يجب ان تكون خفيفة والانسب ان تؤلف من اثمار ناضجة او حبوب • وقد تعود بعض اهل المدن ان يجعلوها العلقة العظمى يأكلون فيها المآكل الكثيرة الصعبة الهضم نحو الساعة الثامنة او التاسعة ان لم يكن بعد ذلك وهي عادة غير مستحبة الا بين الذين يبدلون ليلهم بنهارهم

٧ — كثرة انواع الطعام بعلقة واحدة : لا ريب في ان كثيرًا من احوال سوء

المضم تحدث عن تناول انواع كثيرة من الطعام في علفة واحدة . تلك عادة حديثة يجب تركها وهي تكثر في الولائم الكبيرة وعند اهل الثروة حيث يقدم للضيوف انواع كثيرة من المآكل كل واحد منها حمل ثقيل على اعضاء المضم فكم يكون ثقل مجموعها . على ان الشهية ترفض احياناً طعاماً تكرر تناوله فيجب تغييره غير ان ذلك لا يستدعي الاكثار من اصناف أخرى في علفة واحدة لان العصير المعدي لا يقدر ان يحول الانواع الكثيرة الى ما يناسب الامتصاص لتغذية الجسم ولا سيما اذا لم تكن مطبوخة كما يجب . وقد اظهر العلم وايد الاختبار ان الانواع العديدة تحتاج الى عصير معوي ذي خواص خصوصية لان العصير الذي يهضم الطعام الحيواني كاللحوم مثلاً لا يكفي لهضم الطعام النباتي وبالعكس فكلما كان الطعام بسيطاً سهل هضمه فعلى اصحاب المعد الضعيفة ان يراعوا ما ذكرناه بتروٍ وامعان ويتجنبوا أكل اللحوم والخضر معاً لان اضرارها سوية اعظم من اضرار كل بنفسه ويستعيضوا عنها بالحبوب فاذا اقتصر الانسان على نوع او نوعين من الطعام في كل علفة قلّ عدد المرضى بسوء المضم (لها بقية)

الصحافة في مصر

القى سعادة يعقوب باشا ارتين خطاباً احصائياً عن الصحافة المصرية في المجمع العلمي المصري استخرجه من احصاآت رسمية وغير رسمية جاء فيه : ان الصحافة دخلت القطر المصري في ايام الحملة الفرنساوية مثل سائر جراثيم التمدن الحديث — فاصدر الفرنساويون سنة ١٧٩٨ جريدتين فرنساويتين اسم احداهما (Décade Egyptienne) والثانية (Courier d'Egypte) وذهبتا بذهاب تلك الحملة . ولما افضت الحكومة الى محمد علي كان في جملة عوامل الاصلاح على يده انشاء الجرائد واولها الجريدة الرسمية « الوقائع المصرية » اصدرها سنة ١٨٢٩ لنشر الاوامر الرسمية والمنشورات . واول صحيفة غير رسمية ظهرت في مصر نشرت بالفرنساوية سنة ١٨٣٣ مرة في الاسبوع بمساعدة الحكومة وتعطلت في السنة التالية . ثم صارت الوقائع المصرية سنة ١٨٣٩ تصدر بالتركية والعربية او هما صحيفتان كانتا تصدران معاً في القاهرة . ثم ظهرت جرائد اخرى قليلة فدخلت سنة ١٨٦٨ وفي مصر والاسكندرية ست جرائد افرنجية وتركية وجريدتان عربيتان . وفي سنة ١٨٨٩ انشئت في بور سعيد مطبعة افرنجية صدر منها غير جريدة وصار عدد الجرائد كلها في تلك السنة

٣٣ جريدة ثم تزايدت المطبوعات سريعاً فبلغ عدد الصحف الحية في آخر سنة ١٩٠٤ على حسب احصاء البوسطة الرسمي ١٧٦ جريدة ومجلة تظهر في مصر والاسكندرية والسويس و بورسعيد وطنطا واسيوط

ثم قسم الخطيب الصحافة المصرية باعتبار الادوار التي مرت بها من اول ظهورها وذكر عددها في كل دور وهي اربعة ادوار : الاول ينتهي سنة ١٨٣٩ وعدد الجرائد فيها اثنتان احداهما تركية والاخرى عربية تصدران في اوقات غير معينة . والثاني آخره سنة ١٨٦٨ وقد بلغ عدد الجرائد فيها ثماني واحدة عربية وتركية واخرى عربية وثلاث فرنساوية وجريدتان ايطاليتان . والدور الثالث ينتهي سنة ١٨٨٩ وقد بلغ عدد الجرائد فيها ٣٣ جريدة ١٥ عربية و ٨ فرنساوية و ٤ ايطالية و ٥ يونانية وواحدة انكليزية وفرنساوية . والدور الرابع آخره آخر العام الماضي (١٩٠٤) و بلغ عدد الصحف فيه ١٧٦ جريدة ومجلة وهاك تفصيلها باعتبار اللغات :

عدد	لغة الجريدة او المجلة	عدد	لغة الجريدة او المجلة
١١٨	عربية	٢	فرنساوية وعربية وانكليزية .
١٧	فرنساوية	٢	ايطالية وفرنساوية
١٥	يونانية	١	فرنساوية وعربية
٦	ايطالية	١	انكليزية
٣	فرنساوية وانكليزية	١	ايطالية وعربية
٣	انكليزية	١	عبرانية
٣	ارمنية	١٧٦	
٣	تركية		

ثم قسم سعادة الخطيب هذه الصحف باعتبار مواعيد صدورها في الادوار الاربعة التي تقدمت ففي سنة ١٨٣٩ كان جريدتان رسميتان لغير اجل وفي سنة ١٨٦٨ كانت مواعيد صدور الجرائد المصرية كما يأتي :

عدد	مواعيد الصدور	عدد	مواعيد الصدور
٢	يوميتان	٢	اسبوعيتان
٢	مرتين في الاسبوع	٢	رسميتان

وفي سنة ١٨٨٩ كان عدد الصحف ٣٣ صحيفة مواعيد صدورها على الترتيب الآتي

عدد	مواعيد الصدور	عدد	مواعيد الصدور
٥	يومية	١٣	اسبوعية
٢	ثلاث مرات في الاسبوع	٢	شهرية
١١	مرتين في الاسبوع (؟)		

وصارت الجرائد ١٧٦ جريدة بين عربية وافرنجية سنة ١٩٠٤ تقسم باعتبار صدورها كما يأتي:

عدد	مواعيد الصدور	عدد	مواعيد الصدور
٢٩	يومية	٧٦	اسبوعية
٤	ثلاث مرات في الاسبوع	٢٤	مرتين في الشهر
٦	مرتين في الاسبوع	٣٧	شهرية

ولاحظ الخطيب من مراجعة هذه الاحصاآت ان الوقائع المصرية اي الجريدة الرسمية لا تزال حية منذ صدورها سنة ١٨٢٩ الى الآن وان الجرائد التي كانت تصدر سنة ١٨٨٩ لم يبق منها حياً الى آخر سنة ١٩٠٤ الا ١٦ صحيفة والوقائع في جملتها

واليك ترتيب الصحف المصرية التي تصدر الآن باعتبار مواعيد صدورها ولغاتها معاً

الجرائد اليومية		الجرائد الاسبوعية	
١١	عربية	٥٥	عربية
٨	فرنساوية	٤	فرنساوية
٢	انكليزيتان وفرنساويتان	٧	يونانية
٣	ايطالية	٢	تركية
٦	يونانية		

المجلات الشهرية		تابع المجلات الشهرية	
٣٠	عربية	١	انكليزية
٣	فرنساوية	١	ايطالية
٢	ارمنيتان		

المجلات النصف شهرية		تابع المجلات النصف شهرية	
١٩	عربية	١	يونانية
١	فرنساوية	١	تركية
١	ايطالية	١	فرنساوية وايطالية

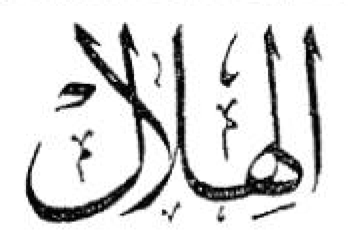
وهاك ترتيبها باعتبار اماكن صدورها :

في القاهرة ١٣٣ جريدة او مجلة : منها ١٨ يومية فيها تسع عربية وهي الاهرام والجوائب واللواء والمؤيد والممتاز والمقطم والوطن ومصر والظاهر و ٤ فرنساوية و ٣ يونانية وواحدة ايطالية وواحدة انكليزية وفرنساوية . و ٣ تصدر ثلاث مرات في الاسبوع و ٣ مرتين في الاسبوع . و ٧٦ جريدة اسبوعية منها ٤٩ في اللغة العربية و ٢ في الفرنساوية و ٣ يونانية و ٢ تركيتان والباقي في لغات مختلفة . و ١٩ مجلة نصف شهرية منها ١٦ تصدر في العربية والباقي في غيرها و ٢٥ مجلة شهرية منها ٢٣ في العربية

وفي الاسكندرية ٣٢ جريدة منها ٩ يومية جريدتان عربيتان والباقي في لغات اخرى وواحدة عربية نصف اسبوعية . و ٨ اسبوعية منها ٣ عربية والباقية افرنجية و ٣ نصف شهرية ليس منها ولا واحدة عربية و ١١ مجلة شهرية منها ست في اللغة العربية فقط

واما خارج القاهرة والاسكندرية ففي بورسعيد خمس جرائد كلها افرنجية منها اثنتان يوميتان . وفي طنطا ثلاث جرائد اثنتان عربيتان وواحدة يونانية . وفي اسيوط ثلاث جرائد عربية واحدة اسبوعية واثنتان نصف شهرية . وفي السويس مجلة واحدة شهرية عربية

و بامعان النظر في خلاصة هذا الخطاب النفيس يظهر لنا امور كثيرة حرية بالاعتبار منها : ان الصحافة المصرية كانت في اوائل هذه النهضة افرنجية محضة ثم اخذت الصحف العربية في الظهور وما زالت تنمو حتى صار عددها ضعفي الجرائد الافرنجية على الاجمال ولا تزال الصحافة العربية مع ذلك مقصرة لان اهل اللسان العربي في مصر نحو مئة ضعف اهل الالسنة الاخرى فيكون ميل الاجانب الى مطالعة الصحف يزيد على ميل الوطنيين نحو خمسين ضعفاً . ويتضاعف ذلك الفرق كثيراً اذا نظرنا في الجرائد اليومية بنوع خاص اذ ترى عدد الجرائد اليومية الافرنجية نحو ضعفي الجرائد اليومية العربية . ويؤخذ من الخطاب المذكور ايضاً ان ثلاثة ارباع الجرائد المصرية على اجمالها تصدر في القاهرة واكثر من ثلاثة ارباعها عربية واما في الاسكندرية فعدد الجرائد ٣٢ ثلاثة ارباعها افرنجية واكثرها في اللغة الفرنساوية



الجزء العاشر من السنة الثالثة عشرة

١ أغسطس (آب) سنه ١٩٠٥ و ٢٩ جمادى اولى سنة ١٣٢٣

اشهر الحوادث و اعظم الرجال



الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

ولد سنة ١٢٥٨ وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ

أصيب الاسلام في أثناء الشهر الماضي بوفاة ركن من اركانه ورجل من أعظم رجاله أصيب بموت الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فابنته الجرائد ورثاه الشعراء وبكاه العقلاء ولا يزالون يبكونه ويرثونه • وستحتفل الامة المصرية في يوم الاربعين من وفاته الموافق ١٨ أغسطس الجاري مثل احتفال الشعراء بفقيدهم البارودي منذ بضعة اشهر وقد عينوا لتلك الحفلة سبعة اشخاص يسرد كل منهم شيئاً يتعلق به : فالاول يتلو تاريخ حياته وبعض آثاره في الجمعية الخيرية الاسلاميـة • والثاني يذكر طرفاً من اخلاقه ومزاياه والثالث يبين شيئاً من مركزه في الهيأة الاجتماعية وأعماله في مجلس شورى القوانين • والرابع يشرح مآثره في الازهر وفضله على اللغة العربية واصلاحاته الدينية • والثلاثة الباقون يؤبنونه بالقصائد الشعرية • فنقتصر في ما يلي على فذلكة من تاريخ حياته وأعماله ونبسط الكلام في أسباب عظمته وحقيقة منزلته من العمران البشري على العموم والعالم الاسلامي على الخصوص

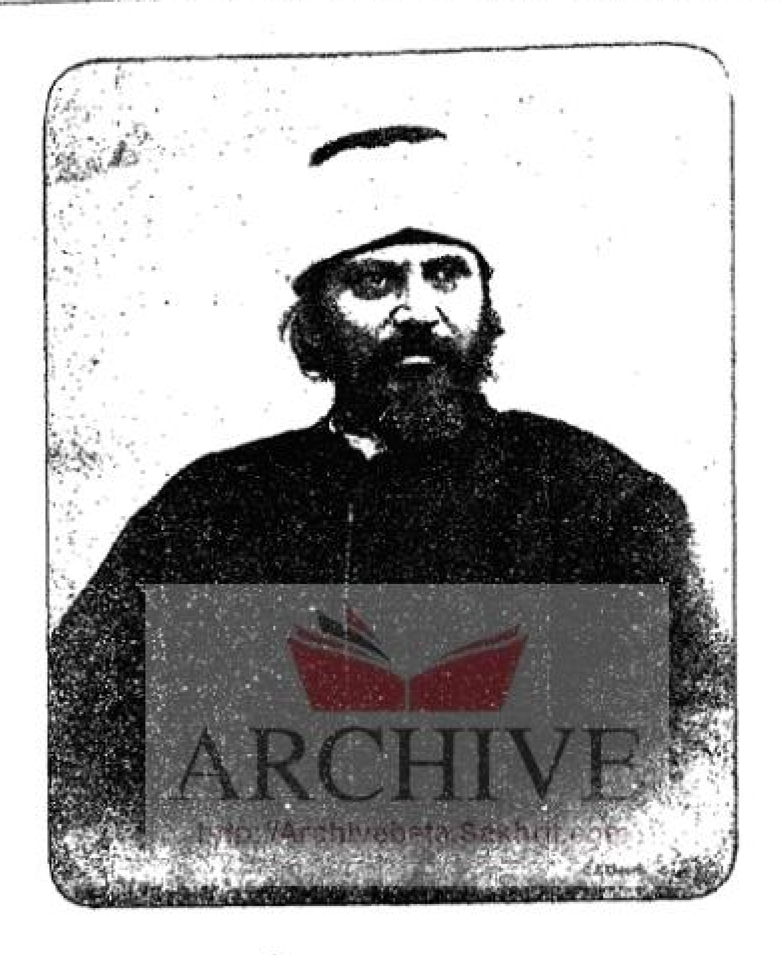
ترجمة حياته

(نشأته الاولى) نشأ الفقيد في قرية صغيرة (محلة نصر) من ابوين فقيرين فلم يمنعه ذلك من الارتقاء بجده واستعداده حتى بلغ منصب الافتاء وأصبح علماً في الشرق وقطباً من اقطاب الدهر سينقش اسمه على صفحات الايام ويبقى ذكره ما بقي الاسلام

ولد عام ١٢٥٨ هـ وابوهُ يتعاطى الفلاحة وقد ادخل فيها أولاده الاَّ محمداً لانه توسم فيه الذكاء فاراد ان يجعله من الفقهاء فادخـله كتاب القرية تردد اليه حيناً ثم ارسلهُ الى الجامع الاحمدي في طنطا اقام فيه ثلاث سنوات ثم نقله الى الجامع الازهر فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئاً وهو ينسب ذلك بالاكثر الى فساد طريقة التعليم

ثم انتبه لنفسه ولم يرَ بدًّا من تلقي العلم فاستنبط لنفسه أسلوباً في المطالعة واعمـل فكرته في تفهم ما يقرأه فاستلذَّ العلم واستغرق في طلبه فاحرز منه جانباً كبيراً على ما يستطاع ادراكه بتلك الطريقة

واتفق ان ورد على مصر سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) السيد جمال الدين الافغـاني



السيد جمال الدين الافغاني

فيلسوف الاسلام وصاحب الترجمة لا يزال في الازهر وقد ادرك الثلاثين من عمره . وتولى جمال الدين تعليم المنطق والفلسفة فانخرط الفقيد في سلك تلامذته مع جماعة من نوابغ المصريين تخرجوا على جمال الدين تخرجوا لا يشق لهم غبار كأن الرجل نفخ فيهم من روحه ففتحوا اعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه فضلاً عن العلم والفلسفة روحاً حية ارتهم حالهم كما هي اذ تمزقت عن عقولهم حجب الاوهام فنشطوا للعمل في الكتابة فانشأوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . وكان صاحب الترجمة الصق الجميع به واقربهم الى طبعه واقدرهم على مباراته . فلما قضي على جمال الدين بالابعاد من هذه الديار قال يوم وداعه لبعض خاصته « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالماً »

وتقلب الفقيد في بعض المناصب العلمية بين تدريس في المدارس الاميرية وتحرير في الوقائع المصرية وكتابة في الدوائر الرسمية . حتى كانت الحوادث العرابية فحمله اصحابها على السير معهم وهو ينصح لهم ان لا يفعلوا وينذرهم بسوء العاقبة . ولما استفحل امر العرابيين اختلط الحابل بالنابل وسبق الناس تيار الثورة وهم لا يعلمون مصيرهم . فدخل الانكليز مصر والشيخ محمد عبده في جملة الذين قبض عليهم وحوكموا فحكم عليه بالنفي لانه افتى بعزل توفيق باشا الخديوي السابق . فاختار الاقامة في سوريا فرحب به السوريون واعجبوا بعلمه وفضله فاقام هناك ست سنوات فاغتنموا اقامته بينهم وعهدوا اليه بالتدريس في بعض مدارسهم

وانتقل من سوريا الى باريس فالتقى فيها باستاذه وصديقه جمال الدين وكانا قد تواعدا على اللقاء هناك فانشاءا جريدة العروة الوثقى وكتابتها منوطة بالشيخ فكانت لها رنة شديدة في العالم الاسلامي ولكنها لم تعش طويلاً . وتمكن الشيخ في اثناء اقامته بباريس من الاطلاع على احوال التمدن الحديث وقرأ اللغة الفرنساوية على نفسه حتى اصبح قادرًا على المطالعة فيها . ثم سعى بعضهم في اصدار العفو عنه فعاد الى مصر فولاه الخديوي السابق القضاء وظهرت مناقبهُ ومواهبهُ فعين مستشارًا في محكمة الاستئناف وسمي عضوًا في مجلس ادارة الازهر وعين اخيرًا مفتيًا للديار المصرية سنة ١٣١٧ ﻫ وما زال في هذا المنصب حتى توفاه الله في ١١ يوليو الماضي ولم يعقب ذكرًا يبقى بهِ اسمهُ ولكنهُ خلف آثارًا يخلد بها ذكره

مناقبه واعماله

كان ربع القامة اسمر اللون قوي البنية حاد النظر فصيح اللسان قوي العارضة متوقد الفؤاد بليغ العبارة حاضر الذهن سريع الخاطر قوي الحافظة . وقد ساعده ذلك على احراز ما احرزه من العلوم الكثيرة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والطبيعية وتلقى اللغة الفرنساوية وهو في حدود الكهولة في بضعة اشهر . وكان شديد الغيرة على وطنهِ حريصًا على رفع شأن ملتهِ وذاع ذلك عنهُ في العالم الاسلامي فكاتبهُ المسلمون من اربعة اقطار المسكونة يستفتونهُ ويستفيدون من علمهِ وهو لا يردُّ طالبًا ولا يقصّر في واجب

ناهيك بما عهد اليهِ من المشروعات الوطنية فقد كان القوم لا يقدمون على عمل كبير الا رأسوه عليهِ او استشاروه فيهِ . فرأس الجمعية الخيرية الاسلامية وألف شركة طبع الكتب العربية وشارك مجلس شورى القوانين في مباحثه . وآخر ما عهد اليهِ تنظيم

مدرسة يتخرج فيها قضاة الشريعة ومحاموها . فضلاً عما اشتغل فيهِ من التأليف والتصنيف وما كان يستشار فيهِ من الامور الهامة في القضاء او الادارة بالمصالح العامة والخاصة . و بالجملة فقد كان كنز فوائد للقريب والبعيد بين افتاء ومشورة واحسان وكتابة ومداولة ووعظ وخطابة ومباحثة ومناظرة واستنهاض وتحريض وتنشيط وغير ذلك

اصلاح الاسلام

على ان عظمتهُ الحقيقية لاتوقف على ما تقدم من اعمالهِ الخيرية او العلمية او القضائية وانما هي تقوم بمشروعهِ الاصلاحي الذي لا يتصدى لمثلهِ الاَّ افراد لا يقوم منهم في الامة الواحدة مهما طال عمرها الاَّ بضعة قليلة . وهذا ما اردنا بسطهُ على الخصوص في هذه العجالة

﴿ العظمة الحقيقية ﴾ تختلف العظمة شكلاً واثرًا باختلاف السبيل الذي يسعى صاحبها فيهِ او الغرض الذي يرمي اليهِ . فمنهم العظيم في السياسة او الحرب او العلم او الدين ومن العظماء من يتوفق الى اتمام عمله ومنهم من يرجع بصفقة الخاسر من نصف الطريق او ربعهِ او عشره . على ان اكثر العظماء انما يأتون العظائم لمجرد الرغبة في الشهرة الواسعة و يغلب ان يكون ذلك في رجال الحرب . وهؤلاء تنحصر ثمار اعمالهم في انفسهم او اهلهم او امتهم على انهم لا يستطيعون نفعًا لانفسهم الاَّ بضرر الآخرين — اعتبر ذلك في سير كبار الفاتحين كالاسكندر وبونابرت وغيرهما فكم سفكوا في سبيل عظمتهم من الدماء او ارتكبوا من المحرمات وكان النفع عائدًا على انفسهم او امتهم ولم يطل مكثهُ فيهم الاَّ قليلاً

واما رجال العلم فعظمتهم تقوم بما ينيرون به الاذهان من الاصول العلمية او يكتشفونه من اسباب الامراض والوقاية منها او يضعونهُ من النظامات والقوانين او غير ذلك . ونفعهم يشمل القريب والبعيد الرفيع والوضيع ولا يسفكون في سبيل نشره دمًا ولا يرتكبون محرمًا وهو باقٍ ما بقي الانسان وينمو بنموّ المدنية

واما رجال الدين ومن جرى مجراهم من واضعي الشرائع والاحكام فتأثيرهم اوسع دائرةً واعم شمولاً لانهُ يتناول البشر على اختلاف طبقاتهم واجناسهم رجالاً ونساء كبارًا وصغارًا وعليهم يتوقف نظام الاجتماع وآدابه واخلاق الناس وعاداتهم وعلائقهم بعضهم ببعض . وعظماء الدين فئتان الفئة الأولى واضعو الشرائع كالانبياء او من في مقامهم ممن ينسبون اعمالهم الى ما وراء الطبيعة . والفئة الثانية المصلحون الذين يصلحون الدين بعد فساده — لان الدين اذا مرَّ عليه بضعة قرون فسد وتغير شكله وانقلب وضعه تبعًا لمطامع الذين يتولون شؤونهُ فتفسد الامة وينحط شأنها حتى يقوم من يصلحهُ ويعيده الى

رونقه · ووضع الاديان عمل شاق قلّ من يفوز به والاصلاح الديني لا يقل مشقة عنه وربما كان ادخال دين جديد ايسر من اصلاح دين قديم · فالديانة المسيحية لم تكلف البشر في قيامها من الدماء اكثر مما كلفتهم في اصلاحها · على ان ما يضيعه رجال الدين في نشره من الدماء يعوضونه بسرعة انتشاره اعتبر ذلك في الفرق بين النصرانية والاسلام في قيامهما · ويقال نحو ذلك في الاصلاح فقد طلبه وسعى فيه غير واحد من رجال النصرانية فلم يتوفق منهم الى اصلاح كبير غير لوثير لان اهل السياسة نصروه · ولا بد من استعداد الاذهان لقبول الاصلاح وتهيئة الاسباب الاخرى · فكم نهض من المصلحين بالسيف فغُلبوا على امورهم وذهب سعيهم عبثاً · واقربهم عهداً منا صاحب مذهب الوهابية في نجد فقد استفحل امره في اوائل القرن الماضي واراد في الاسلام نحو ما اراده لوثير في النصرانيـة فلم يتوفق الى غرضه لان الجنود المصرية غلبته وفلّت عزيمته · اما المصلحون بالموعظة الحسنة والتعليم فعملهم بطيء ولكنه ارسخ في الاذهان واصبر على كوارث الحدثان — والشيخ محمد عبده واحد منهم

☼ نشأ الشيخ المفتي نير البصيرة حرّ الضمير وربي في الاسلام هو وجمال الدين ☼ وتعلم علومه فشب غيوراً عليه ثم اطلع على علوم الامم الراقية من اهل هذا التمدن ودرس تاريخ الاجتماع ونواميس العمران فرأى الاسلام في حاجة الى نهضة ترفع شأنه وتجمع كلمته · واتفق اجتماعه بالسيد جمال الدين الافغاني فاخذ عنه الفلسفة والمنطق والحكمة المشرقية وكان جمال الدين غيوراً على الاسلام راغباً في جمع كلمته ورفع شأنه فتوافقا في الغاية ولكنهما اختلفا في الوسيلة · لان جمال الدين سعى في ذلك من طريق السياسة فاراد جمع شتات المسلمين في اربعة اقطار العالم تحت ظل دولة اسلامية واحدة وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من اجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً وانما جعل همّهُ السعي الى تلك الغاية فلم يتوفق الى غرضه لاسباب عمرانية طبيعية لا محل لذكرها · وكان الشيخ محمد عبده رفيقه في كثير من مساعيه واطلع على دخائل اموره وعرف اسباب حبوطه فعلم ان جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم من طريق السياسة لا يتيسر الوصول اليه فسعى فيه من طريق العلم · فجعل همّهُ رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقريبهم من اسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية في هذا العصر · ورأى ذلك لا يتأتى الا بتنقية الدين مما اعتوره من الشوائب التي طرأت عليه بتوالي العصور وتغالب الدول واختلاف اغراض اصحابها

وائمتها كما اصاب النصرانيــة في القرون المتوسطة اذ تمسك الناس بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا في الاوهام ونبذوا الحقائق · والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على ما بلغ اليه في هذا العهد · وعلم الفقيد رحمهُ الله ان محور العلوم الاسلامية اليوم مصر ومركز العلم بمصر او في العالم الاسلامي كافة الجامع الازهر فرأى انه اذا اصلح الازهر فقـد اصلح الاسلام فسعى جهده في ذلك فاعترضهُ اناسٌ من اهل المراتب يفضلون بقاء القديم على قدمهِ واستنصروا العامة عليه وغرسوا في اذهانهم ان المفتي ذاهب بالمسلمين الى مهاوي الضلال والبدع · فلم يهمهُ قولهم لعلمهِ ان ذلك نصيب امثالهِ من قديم الزمان — على انه لم ينجح في اصلاح الازهر الاَّ قليلاً ولكنهُ وضع الاساس ولا بدَّ من رجوع الامة الى تأييد هذه النهضة ولو بعد حين فيكون الفضل له في تأسيسها

على ان الجانب الاعظم من عقلاء المسلمين وخاصتهم يرون رأيه في اصلاح الدين ورجالهِ · وربما سبقه كثيرون منهم الى الشعور بحاجة الاسلام الى ذلك ولا سيما المتخرجين بالعلوم العصرية من الناشئة المصرية ولكنهم لم يجسروا على التصريح بافكارهم في غير المجتمعات الخصوصية لئلاَّ ينسبهم الناس الى المروق من الدين — فلما جاهر محمد عبده برأيه وافقوه وصاروا من مريديه ونصروه بالسنتهم واقلامهم · فحاجة الاسلام الى الاصلاح ليس هو اول من انتبه اليها ولكنهُ اول من جاهر بها كما ان لوثير المصلح المسيحي ليس اول من انتبه لحاجة النصرانية الى الاصلاح ولكنه اول من جاهد في سبيلها . وقد فاز بجهاده لقيام السياسة بنصرته واما مصلح الاسلام فكانت السياسة ضدهُ . وانما حملهُ على تلك المجاهرة حرية ضميره وجسارته الادبية ومنصبهُ الرفيع في الافتاء

الاسلام والمدنية فلما صرح الشيخ محمد عبده بحاجة الاسلام الى الاصلاح انقسم المسلمون الى فئتين فئة ترى بقاء القديم على قدمه وهم حزب المحافظين وفئة ترى حلَّ القيود القديمـة واطلاق حرية الفكر والرجوع الى الصحيح من قواعـد الدين ونبذ ما خالطه من الاعتقادات الدخيلة · وكان رحمهُ الله زعيم هذه الفئة يناضل عن مبادئها بلسانهِ وقلمه وبكل جارحة من جوارحه · وكانت مساعيه من هذا القبيل ترمي الى غرضين رئيسيين : الاول تنقية الدين الاسلامي من الشوائب التي طرأت عليه والثاني تقريب المسلمين من اهل التمدن الحديث ليستفيدوا من ثمار مدنيته علمياً وصناعياً وتجارياً وسياسياً · فاهل العصبية الاسلامية يرون هذا التقريب مغايراً لما يرجونهُ من استقلال المسلمين بالجامعة السياسية لان مجاراة اهل التمدن الحديث باسباب مدنيتهم وتسهيل

الاختلاط بهم يضعف عصبية الاسلام على زعمهم ويبعث على تشتت عناصره فيستحيل جمعها في ظل دولة واحدة . ولكن الشيخ المفتي كان يرى ذلك الاجتماع السياسي مستحيلاً في هذه الحال فلم يشأ ان يضيع وقته سدى كما اضاعه استاذه وصديقه جمال الدين وان يخسر فائدة تقرب المسلمين من اسباب هذا التمدن فسعى في ذلك بما نشره من فتاويه المتعلقة بالربا والموقوذة ولبس القبعة ونحو ذلك مما يقرب المسلمين من الامم الاخرى ويسهل اسباب التجارة

✵ تنقية الدين ✵ واما تنقية الدين الاسلامي من الشوائب الطارئة عليه فاساس سعيه فيها انهُ اطلق لفكره الحرية في تفسير القرآن ولم يتقيد بما قاله القدماء او وضعوهُ من القواعد التي يحرم الائمة تبديل شيء منها . فرأى ان يحلّ نفسهُ من هذه القيود ويفسر القرآن على ما يوافق روح هذا العصر فيجعل اقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار ولنواميس العمران على ما بلغ اليهِ هذا العلم الى الآن مع مطابقتهِ لاحكام العقل واصول الدين كما فعل النصارى في تفسير الكتاب المقدس بعد ثبوت مذاهب العلم الجديدة . وهو أوعر مسلكاً في الاسلام لارتباط الدين بالسياسة فيه . والقرآن اساس الدين والدنيا عندهم فيعلقون على تفسيره اهمية كبرى لانهُ مرجع الفقه وغيره من الاحكام الشرعية والسياسية ولذلك رأى اهل السنة تقييده باقوال الائمة الاربعة وخالفهم الشيعة باستبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً فلا يرون بأساً في العدول عن تفسير الى آخر بشروط يشترطونها في مفسريهم وهم يعرفون عندهم بالائمة المجتهدين

✵ التفسير ✵ وقد توالى على تفسير القرآن احوال تختلف باختلاف العصور من اول الاسلام الى الآن ترجع الى اربعة أعصر — الأول العصر الشفاهي : وهو ينحصر في ايام النبي واصحابهِ فقد كانوا عند ظهور الدعوة كما تليت عليهم سورة او آية فهموها وادركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى اساليب بلاغتهم ولأن اكثرها قيلت في احوال كانت القرائن تسهل فهمها واذا اشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فيفسرهُ لهم . وكان التفسير مختصراً بسيطاً لسذاجة الدولة الاسلامية يومئذ

ثانياً العصر التقليدي : ونريد به عصر التابعين او حواليه وكانت الدولة الاسلامية قد أخذت في النمو والارتقاء فاحتاجوا الى التوسع في التفسير وكان اكثرهم أميين فاذا أعجزهم تفسير بعض الآيات سألوا عنها من أسلم من اهل الكتاب ولا سيما اليهود المقيمين في اليمن وكانوا قد أسلموا وظلوا على ما كان عندهم من التقاليد المتناقلة شفاهاً او كتابة مما

لا تعلق له بالاحكام الشرعية

ثالثاً العصر الفلسفي المنطقي : ونريد به تدوين التفسير وضبطه بالقياس الفلسفي والحكم المنطقي بعد ان اختلط المسلمون باهل العلم القديم في الشام والعراق وفارس واطلعوا على علوم القدماء وفلسفة اليونان والهند ونقلوا ذلك الى لسانهم واستخرجوا منه علم الكلام. وكان العرب قد وضعوا العلوم اللسانية وضبطوا معاني الالفاظ وأساليب التعبير فنظروا في التفاسير السابقة نظر الناقد ومحصوها وضبطوها بالقياس العقلي بالاعتماد على قواعد المنطق بما تقتضيه الفلسفة اليونانية القديمة على نحو ما فعله لاهوتيو النصارى قبل ذلك

رابعاً العصر العلمي : الذي نحن فيه وهو عصر الفلسفة الجديدة المبنية على العلم الطبيعي الثابت بالمشاهدة والاختبار ويمتاز عن العصر السابق باطلاق حرية الفكر من قيود التقليد القديمة التي أغلت ألسنة أسلافنا وأقلامهم وأوقفت مجاري التمدن أجيالاً متطاولة . فالشيخ المفتي رحمه الله أراد ان ينقل التفسير الى روح هذا العصر فيفسر القرآن بما يطابق أحكام العقل ويحل الاسلام من قيود التقليد . فسار في هذا الطريق شوطاً بعيداً فالقى على طلبة الازهر خطباً كثيرة في التفسير نشرت في مجلة المنار وطبع بعضها على حدة وكان لها تأثير حسن في نفوس العقلاء . ولو مد الله في اجله لأتم هذا العمل ولكنه قضى آسفاً خائفاً ولسان حاله يردد هذين البيتين — وقد قيل انهما من قصيدة نظمها في أثناء مرضه وهما :

ولست أبالي ان يقال محمدٌ أبلَّ او اكتظت عليه المآتمُ

ولكن ديناً قد أردت صلاحهُ أحاذر ان تقضي عليه العمائمُ

على انهُ خلف جماعة من تلامذته ومريديه اكثرهم من اهل العلم وأرباب الاقلام وفيهم نخبة كتاب المسلمين وشعرائهم في هذا العصر . واكثرهم مجاهرة بنصرته واذاعة لارائه رصيفنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي

فالشيخ محمد عبده زعيم نهضة اصلاحية لاخوف منها على الدماء او الارواح واكثر نهضات الامم في سبيل اصلاحها لاتخلو من اهراق الدماء — فهو رجل عظيم يجدر بالمسلمين ان يبكوه وان يقتفوا آثاره في التوفيق بين الاسلام والمدنية الحاضرة وتنقيته مما ألمَّ به بتوالي الازمان وذلك ميسور لمن اطلق فكره من قيود التقليد واسترشد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد الى العلم الصحيح . على اننا نرجو ان لا تعدم هذه النهضة من يخلف الامام الفقيد في الانتصار لها والعمل بها والله على كل شيء قدير

صحة العائلة

هيجين الطعام

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني

٨ — الاستحمام بعد الاكل : الاستحمام بعد الاكل حالاً بالماء البارد او الحار مضر جدًّا . كثيرون قد عرضوا انفسهم لتلك الاضرار فقاسوا اشد العذاب عدة سنين . اذا كان الماء حارًّا يتحول قسم من الدم الى سطح الجسم بردّ الفعل وارتخاء الاوعية الشعرية والشرايين الدقيقة في الجلد فتنقص الكمية اللازمة في المعدة لسرعة افراز عصيرها الضروري لهضم الطعام واذا كان باردًا يتعرض الجسم للبرد فيتوقف الدم عن السير الى سطحه ويسبب احتقانًا في المعدة لا ينقص ضررًا عن الأول وكذلك قبل الطعام . قد ينفع بعضهم الاستحمام مرتين أو ثلاثًا في الاسبوع بعد طعام المساء حالاً قبل بدء الهضم لكنه ممنوع قطعياً قبله الا اذا كان لا بدَّ منه فليكن قبل الطعام بساعتين والاستحمام صيفًا بدون التفات الى حالة المعدة مضرٌّ جدًّا

٩ — الغلط في كمية الطعام : اذا كان الغلط في كيفية الطعام يسبب سوء هضم فالغلط في كميته يسبب اضرارًا اعظم والحالان متشاكلان لان كل تعدٍّ على النواميس الطبيعية بعادات جسدية او عقلية لا بد فيه من التشاكل والارتباط ولا سيما ما كان خاصاً بالاكل فمن يسرع باكله يأكل علاوة عما يلزم وهكذا لو تعددت الوان الطعام أو جعلت منبهة بالتوابل وخلافها فتكون الاضرار اذ ذاك مزدوجة وكثرتها تسبب اضرارًا يطول شرحها لا تخفى على ذوي البصائر . ويعتقد بعضهم ان زيادة الاعمال البدنية والعقلية تستدعي زيادة كمية الطعام بقدر زيادة العمل وهذا خطاء لان المعدة تحتاج الى قوة عصبية لاتمام عملها فاذا شغلت تلك القوة بعمل آخر لا يمكن استخدامها بالهضم فينتج بالضرورة نقص عمل تلك الاعضاء عما يطلب منها فاضرار الشراهة في الاكل تفوق اضرار الشراهة في المسكر لا بل هي من

اعظم اسبابها واعظم الموانع في إصلاح السكيرين . والنهم أو البطنة رذيلة شائعة لكن المحدثين لم يدركوا فيها شأو القدماء قبلهم فمكسيميليان احد امبراطرة الرومان كان يأكل نحو ١٨ كيلو من الطعام يومياً وكاليكولا كان يأكل حتى يملأ معدته الى حدّها الاعظم ثم يتناول مقيئاً فيفرغها ويعود الى الاكل ثانية. ويظن اهل البطنة أن الجسم يكتسب من الغذاء بنسبة ما يدخل المعدة من الطعام وهو خطاء لان العبرة بما يهضم من الطعام لا بما يؤكل وكثرة الاكل تضعف المعدة فتفسد الهضم وتكون النتيجة عكس المراد فيمتلىء الجسم من المواد الفاسدة التي لا تصلح للغذاء لانها تولد بعد تمثيلها وهضمها انسجة ضعيفة مهزولة وبالاختصار يقال أن عاقبة الاكل الكثير ضعف عام يعتري الجسم لان العضو المثقل باكثر من طاقته لا يمكنه اتمام واجباته ويولد التقصير المشار اليه حوامض تهيج الغشاء المخاطي وتتحد مع الغازات فتتمدد المعدة وترتخي جدرانها العضلية وتشل ثم يلتهب غشاؤها المخاطي ثم يصبح التمدد حالة ثابتة

١٠ ــ نقص الطعام عما يلزم : ان الاقلال من الطعام اقل شيوعاً من الاكثار ويكون غالباً في الذين يمتنعون عن بعض المآكل للاستشفاء بالجوع من امراض تنتاب اجسادهم فكأنهم ينظرون الى غايتهم من جهة واحدة ويغضون النظر عن الجهة الاخرى فلا يلتفتون الى ما قد يحدث للمعدة من الضعف بتقليل كمية الطعام فتعجز عن اتمام عملها وتقصر في افراز العصير اللازم وتختل قواها العصبية وقد شوهد ذلك بالاختبار في من امتنعوا عن الطعام مدة ثم عادوا اليه وقد تعجزت معدتهم عن هضم الكميات اللازمة لغذاء اجسادهم فاذا تناولوا القدر اللازم لغذائهم الاعتيادي اضرّ بهم ضرر المواد السامة. قد يسأل بعضهم اذاً كم هي كمية الطعام التي يجب أن يتناولها الانسان ؟ وهو سؤال لايمكن الاجابة عليه تماماً لان طعام كل واحد يتوقف على مقدار احتياجه انما الجواب الوحيد الذي يمكن استخراجه مما مرّ أن كل ما يحتاج اليه جسمك ونقدر أن تهضمه معدتك . وقد تعجز المعدة في بعض الاحوال عن هضم ما يحتاج الجسم اليه من الغذاء كما لو شغل الانسان كل قواه العقلية أو العضلية أو فكر في أمر هامّ احتاج به الى تشغيل كل قواه فبالحالة هذه لا تقدر المعدة على

هضم المقدار اللازم للجسم من الطعام للتعويض عن الخسارة التي لحقته فيخسر وزناً ويفقد بعض قوته وفقد الشهية للاكل دليل كاف على عدم اقتدار المعدة للهضم لنقص افراز عصيرها . ولذلك يفسد عمل الهضم في من يعملون الاعمال العظمى لانهم يحتاجون من الغذاء الى اكثر مما يحتاج اليه الناس عادة فاذا اكثروا من الاكل ولم يلتفتوا الى ما تقدم يجدون المعدة بعد وقت قصير قاصرة عن هضم أقل كمية من الطعام الذي اعتادوا اخذه ولنا على ذلك امثلة عديدة في المتشرعين والاطباء وطلبة العلم . فلو أن الذين يجهدون قواهم بالاعمال العظيمة يقللون كمية الطعام عوضاً عن زيادتها لحفظوا قواهم الرئيسية وكذلك الذين يشتغلون ساعات كثيرة متتابعة بدون انقطاع مع نوم قليل فانهم يحتاجون الى نصف كمية الطعام الاعتيادي أو أقل من النصف.

وقد تقرر ان كمية الغذاء لكل انسان يجب تعيينها بالنسبة الى عمله وسنه فالعامل في أعمال جسدية متعبة وأن كان مضطرًا لاخذ طعام أقل ممن يشتغل باعمال عقلية تقابلها تعباً قد يستخدم طعاماً اكثر لان العمل العقلي يتلف الجسم باكثر سرعة من العمل الجسدي . وقد قرر الفسيولوجيون أن ثلاث ساعات بعمل عقلي تقابل عشر ساعات بعمل جسدي ولذلك فمن يشغل عقله عشر ساعات أو اكثر في كل يوم يحتاج الى تغذية جسده اكثر ممن يشغل عضلاته أو قواه الجسدية نفس تلك المدة فمن يقصد بالطعام القوة والصحة يجب عليه النظر الى الكمية التي يحتاج اليها لان الزيادة وان قلت فانها تعود عليه بنتائج رديئة ولا يخفى أن الذين اشتهروا باعمالهم من العلماء الاكولين كانوا يعملون بلذة وسرور في أحسن ساعات النهار وأنسبها للعمل وان شهرتهم تنسب بالاكثر الى ذكاء عقولهم لا لامر آخر كتشارلس دكنس الشهير بالاكل فان ساعات عمله كانت أحسن ساعات النهار . على اننا كثيرًا ما نرى العلماء الاكولين يموتون باكرًا اذ تتلف قواهم الجسدية من كثرة العمل وفساد الهضم ونيوتن الشهير كان منهمكاً في ايضاح نواميس الجاذبية وغيرها مما يحتاج الى عمل شاق ومع ذلك لم يكن يقتات الا بالخبز والماء . فالتعفف بالطعام يزيد القوى ويمنع اضرارًا يمكن حدوثها عن تلك الاعمال والعمل بقليل من الطعام أقل تعباً منه بكثيره ولاشك

بان اهمال هذه القاعدة أمات كثيرين من السياسيين وغيرهم فجأة لان اتعاب المعدة والدماغ معاً عمل خطر جداً ولذلك يجب على ذوي الاعمال العقلية أن يقللوا طعامهم ويبتعدوا عن المنبهات والمخدرات لان اكثر حوادث الصرع تحدث والمعدة ملآنة . وصفاء الذهن الناتج عن التعفف يعوض على الانسان ماخسره من نكران النفس . وأيضاً تتوقف كمية الطعام على أدوار الحياة بالنسبة الى مقدار القوة الحيوية ففي الصبوة لما تكون القوى في أعلى درجاتها والجسم مفتقر للنمو والتعويض عما يتلف منه يكون الاحتياج الى الغذاء أكثر مما في أوقات أخرى . أما في الشبيبة فيتوازن التعويض والاتلاف فتكون الحاجة الى كمية من الغذاء تكفي للتعويض فقط عن الخسارة التي تلحق الجسم بالاعمال العقلية أو الجسدية وما يزيد عن ذلك فلا حاجة اليه . أما في الشيخوخة اذ يضعف الهضم فيجب أن تكون كمية الطعام أقل مما يحتاج اليه الجسم حقيقة . والخلاصة أن كمية الطعام يجب انقاصها كلما تقدم الانسان في السن وكم يموت من الناس باكراً لعدم مراعاتهم هذا الامر . فيجب الانتباه التام الى كمية الغذاء والمتعففون يحفظون قوى جهازهم الهضمي ويزيدون عدد أيامهم

وقد تحدث الدسبيسيا عن ضرر ميكانيكي من صدع أو كسر في بعض أعضاء الجسم أو رضة قوية أو جرح أو اضرار يحتاج الانسان بها الى الراحة بضعة أيام أو أسابيع فاذا لم ينتبه العليل الى احتياجه للراحة وينقص كمية طعامه الاعتيادي يجد معدته بعد أيام قد قصرت في عملها ومن الناس من يجعلون يوم الاحد يوم وليمة عوضاً عن يوم راحة فيكثرون فيه من المآكل الطيبة والاطعمة اللذيذة فيعتدون بذلك على معدهم ويفسدون عقولهم وقد ثبت فسيولوجياً أن الانسان لا يستطيع أن يميز جلياً بين الحق والباطل والصواب والخطأ ومعدته مثقلة بالطعام الكثير ففي أيام الاحاد يفضل تناول المآكل البسيطة المؤلفة من الخضر والفاكهة فلا يضطر الناس حينئذ الى النوم في أثناء الصلاة أو في الاجتماعات الدينية أو الادبية او السهرات الاعتيادية فضلاً عن ان الدين يأمر بكبح جماح الشهوات ويمنع التعدي على المعدة كما يمنع التعدي على البشر وكثير من المعتقدات الدينية السخيفة كان مصدرها المعدة المريضة والكبد

السقيمة ولذلك قيل أن الخطوات الاولى لارجاع خاطئ عن ضلاله هي اصلاح معدته

فبناء على ما تقدم يجب على كل انسان أن يكون المرشد لنفسه من جهة كمية الطعام التي يجب أخذها في كل علفة بان يسلم نفسه لحكم العقل فيقرر من بدء الطعام مقدار ما يجب أخذه حتى اذا بلغ المطلوب بموجب اقراره الاول يتوقف حالاً والافضل أن يترك المائدة تخلصاً من التجربة . أما أكل الخضر والحلويات بعد الطعام فعادة مضرة لانها تبعث على الاخذ من الطعام فوق الحاجة واذا كان لا بد من الفاكهة فلتكن مع الطعام كانها جزء منه وليست تلك الخضر والحلويات سوى وسائط لسوء الهضم بالاكثار من الطعام ويقول المثل الاسيوجي « القرد يعلم متى يعود من مرعاه أما الجاهل فلا يعلم أبداً قياس معدته » فالاختبار اذاً أعظم دليل للجاهل على كمية الطعام التي تحتملها معدته بدون انزعاج أو ضرر فمتى وجد بعد اكله الطعام أن معدته امتلأت وعيونه تراخت وظهرت الحموضة والقراقر فليتأكد أنه اكل فوق طاقته فيقلل كمية الطعام تدريجاً يوماً بعد يوم حتى تختفي الاعراض التي ذكرت

جبل لبنان

حضرة صاحب الهلال

قرأت المقالة النفيسة المدرجة في هلالكم الاخير عن جبل لبنان ورأيت في صدرها انكم تودّون معرفة اسم كاتبها فأنبئكم انهُ المرحوم جرجس اندراوس صوصه من اهل دير القمر (لبنان) وكانت هذه المقالة في جملة مجموعة عند المرحوم والدي فيها مقالة أخرى شبيهة بها عن ولاية سوريا وطبقات اهلها وعاداتهم وآدابهم واصطلاحاتهم مصدَّرة بفذلكة عن تاريخ سوريا وجغرافيتها من اول عمرانها الى ايام ولاية الجزار في عكا من قلم المرحوم الدكتور مخائيل مشاقة الشهير وكان في هذه المجموعة كثير من امثال هذه النفائس ولكنها فقدت لسوء الحظ بعد وفاة المرحوم والدي . وعلمت ان هاتين المقالتين ارسلتا معاً الى بلاد الانكليز بطلب قنصل انكلترا الذي كان في سوريا يومئذ فالذي نشر احداهما لا بد من وجود الأخرى عنده فعسى ان ينشرها ان لم تكن قد نشرت بعد

(المنصورة) انطون انطونيوس